جامعة نزوى
University of Nizwa

العلاقات الثقافية والاجتماعية بين عمان وبلاد المغرب

في الفترة ما بين القرنين (١هـ/٨م-٨هـ/١٤م)

تأليف
الدكتور ناصر بن علي بن سالم الندابي

العلاقات الثقافية والاجتماعية بين عمان وبلاد المغرب

في الفترة ما بين القرنين (١هـ/٨م-٨هـ/١٤م)

تأليف:

الدكتور ناصر بن علي بن سالم الندابي

تصميم وإخراج:

حبيب بن جمعة بن خلفان الكندي

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

جامعة نزوى
University of Nizwa

جامعـة نـزوى

مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربيَّة والإنسانيَّة

alkhalilcenter@unizwa.edu.om

هاتف: ٢٥٤٤٦٤٠٥ (٩٦٨+)

فاكس: ٢٥٤٤٦٦٠٣ (٩٦٨+)

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

رقم الإيداع المحلي:

٢٠١٨/٦٢

رقم الإيداع الدولي (ISBN):

٩٧٨-٩٩٩٦٩-٥٧-٣٢-١

حقوق الطبع محفوظة لجامعة نزوى ©

لا يجوز إعادة طباعة هذا الكتاب أو إعادة إنتاجه بأي شكل من الأشكال التقنية الحديثة إلا بإذن من الناشر. كما لا يجوز اقتباس أو استعارة أي من محتوياته لأغراض البحث والتأليف والتدريس بدون الإشارة إلى الكتاب والكاتب ورقم الصفحة.

Copyright: All rights reserved; no part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the Publisher.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن
ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ
لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ
أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾

سورة الحجرات، الآية (١٣)

إهـــداء

إلى أرواح القادة الفاتحين والعلماء اللاحقين من القطرين العُماني والمغربي....

إلى روح أمي الغالية . وإلى قلب أبي الطاهر الناصح لي

إلى ريحانة قلبي ورمز الصبر والإخلاص . . . أم ضمام،

وإلى فلذات كبدي أبنائي

إلى أخي وصديق دربي أبي يحيى السديري.

وإلى إخوتي الكرام الأفاضل..

إلى جميع هؤلاء أهدي هذا العمل

دليل الرموز المستعملة

ت	= توفي .
تح	= تحقيق .
ج	= الجزء .
د . ت	= بدون تاريخ .
د . د	= دون ذكر اسم دار النشر .
ص	= الصفحة .
صص	= من ص كذا إلى كذا
ط	= الطبعة .
ق	= القرن .
م . س	= مصدر أو مرجع سابق .
مج	= مجلد .
مخ	= مخطوط
مخ . د . و . ع	= مخطوط بدائرة الوثائق والمخطوطات ، عُمان .
مخ . س .	= مخطوط سابق
مخ . م . ج . د	= مخطوط بمركز جمعة الماجد ، دبي .
مخ . م . س . ع	= مخطوط بالمكتبة الإسلامية ، عُمان .
مخ . م . م . ع	= مخطوطة بمكتبة السيد محمد بن أحمد ، عُمان .
مخ . م . د . ع	= مخطوط بمركز الدراسات العُمانية .
و	= ورقة
وو .	= من ورقة كذا إلى كذا .
[ ]	= ما بين المعكوفتين هو إضافة كلمة أو حرف إلى النص الأصلي المقتبس ليستقيم المعنى أو تصحيح خطأ فيه .

المقدمة: [١]

الحمد لله الذي جمع المسلمين على كلمة التوحيد، وألفّ بين قلوبهم بنور هذا الدين القويم، القائل في كتابه العزيز﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، والصلاة والسلام على هادي الأمة، وسراجها المنير، الذي ألّف بين قلوبها بفضل من الله ومنّة، محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والتسليم إلى يوم الدين، وبعد، ، ، ،

إن كان ثمّة أسباب دفعت بالباحث ليسبر أغوار التاريخ، وينقّب بين صفحات كتبه، ليخرج هذه الدراسة **"العلاقة الثقافية والاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب في العصور الوسطى"** على حيّز الوجود، فإن أبرزها هو إثبات تلك الصلة التي ربطت بين كل ناطق بكلمة التوحيد ومؤمن بها في مشارق الأرض ومغاربها، والتي شكّلت الحبل المتين والعروة الوثقى في توحيد قلوب المسلمين، عربيهم وأعجميهم، أسودهم وأبيضهم، حاكمهم ومحكومهم، الكل سواء في شرع الله لا يفْضُل بعضهم بعضا إلا بمقدار التقوى والقُرب من الله جلّ وعلا.

واختيار عُمان وبلاد المغرب بصفة خاصة لا يعني بأي حال من الأحوال أنها عاشت بمعزل عن الأجزاء الأخرى للعالم الإسلامي، وإنما ألقينا الضوء عليها لنعطي مثالا ونموذجا بارزا على ذلكم الترابط والإخاء الذي ساد أرجاء العالم الإسلامي في العصور الوسطى.

إضافة إلى ما سبق، فقد جاء اختيار هاتين المنطقتين على ما عداهما لوجود بعض المعالم الواضحة لعمق التواصل وتجذّر العلاقة بين شعوبها، وأبرز هذه المعالم وأعظمها هو المذهب الإباضي الذي كانت تُدين به عُمان –وما زالت– وبعض سكان بلاد المغرب، إضافة إلى اعتلاء المهالبة العُمانيين سدة الولاية في بلاد المغرب ردحا من الزمن.

---

١) الكتاب عبارة عن أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، قدمت في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان مولاي إسماعيل، بمدينة مكناس، المملكة المغربية، للعام الدراسي ٢٠١٢ / ٢٠١٣م.

إن انطلاقنا من القرن الهجري الأول / السابع الميلادي في هذه الدراسة، جاء نظرا لقدم العلاقة بين المنطقتين والمتمثلة بالمشاركة العُمانية في الفتوحات الإسلامية التي قادها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن جاء بعدهم من التابعين، إذ شكّل العُمانيون جزءاً كبيراً من جيش عمرو بن العاص الفاتح لبلاد مصر، وهم الذين كانوا وقود المعارك التي خاضها القادة المسلمون لفتح بلاد المغرب.

وما تغطيتنا لهذه الفترة الطويلة من الزمن (ق: ١- ٨هـ/ ٧- ١٤م) والمساحة الشاسعة من الأرض – بلاد المغرب- ، دون تحديد لاسم دولة أو فترة تاريخية لحاكم أو ملك ما، إلا محاولة منا لتجاوز المعايير التقليدية التي تقسّم العالم الإسلامي على أسس سياسية، تؤدي في كثير من الأحيان إلى إحداث إشكاليات في البحوث العلمية، خاصة المتعلقة بدراسة جوانب بعيدة عن الأساس السياسي، كما هو الحال في دراستنا هذه التي تركّز على الجانب الثقافي والاجتماعي، فلا يمكن القول أن سقوط دولة يعني انتهاء العلاقة بين شعبها وبين الشعوب الأخرى المجاورة لها أو البعيدة عنها.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أشكال التواصل الثقافي بين عُمان وبين بلاد المغرب التي تنوّعت بين تبادل للكتب وتواصل عبر الرحلات العلمية، إلى تحاور عبر اللقاءات العلمية، وتدوين للأفكار وتبادل للفتاوى الفقهية، وقد شكّل الجانب الثقافي أهم وأبرز جوانب التواصل بين المنطقتين.

وبصورة عامة فإن أهمية مثل هذه الدراسات تكمن في تعزيز العلاقات بين الدول المعاصرة، وتبصير هذا الجيل بتلك الروابط التي ربطت بين المسلمين في الأزمنة الماضية، من أجل بناء قاعدة راسخة ومتينة تكون بمثابة المنطلقات التي تُبنى عليها علاقات الدول الإسلامية في الوقت الحاضر، ولنصنع لجيل المستقبل سداً منيعا تتكسر أمامه كل الأمواج الهوجاء التي تحاول زعزعة هذه العلاقة أو النيل منها.

ومما سبق، فإن السؤال المحوري والإشكالية المركزية لهذا البحث تتمحور حول الإبحار في أعماق المجتمع العُماني والمغربي لنجلّي للقارئ جوانب العلاقة بين المجتمعين، سواء أكانت تلك العلاقة ثقافية أم اجتماعية، ولنبين للقارئ أن البُعد

الجغرافي لم يكن يوماً من الأيام عائقاً ومانعاً للتواصل بين هاتين المنطقتين .

ولقد اتّبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي المبني على التحليل والتفسير والمقارنة بين النصوص التاريخية ، واستقراء بعض النصوص التاريخية والفقهية لاستنباط عُرى التواصل بين المنطقتين ، ولم نألوا جهدا بتكريس وقتنا للقراءة ما بين السطور التي من شأنها أن تُعطي الصورة الأوضح لما يدور في خلجات وفكر كاتب تلك السطور ، والذي قد يكون أخفاها لبعض الأسباب السياسية أو الدينية أو غيرها من الموانع التي تمنع المؤرخ أن يصرّح بما يراه في عصره ، ولكنه يترك بعض البصمات والمفاتيح التي توضّح تلك الأمور التي حاول بعض المتسلطين طمسها وإرغام المؤلفين للكتابة بما يخالف عقولهم وقلوبهم .

ولا ندّعي بأننا كنَّا البذرة الأولى ، والولادة البكر ، لهذا الموضوع ولكن يمكننا القول بأننا كنّا الأشمل والأعمق فيها ، إذ أن هذه الدراسة ، كانت ثمرة يانعة لما سبقتها من دراسات عالجة بعضا من أجزاءها ، وأغفلت جانبا آخر منها ، ومن أهم هذه الدراسات: الدراسة التي قام بها الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش بعنوان: (التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب ، دراسات في مجالات الثقافة والتجارة والمجتمع ، منذ الفتح الإسلامي حتى القرن الثامن الهجري) ، ونشره في سلطنة عُمان عام ٢٠٠٠م ، وقد تعرّض الدكتور في هذا الكتاب ، للعلاقة الثقافية والاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب ، مستغلا فترة وجوده في عُمان ليتمكن من الإطلاع على أهم المخطوطات والكتب التي تحدثت عن هذه العلاقة من قريب أو بعيد ، وقد أورد في هذا الكتاب العديد من الجوانب الثقافية التي ربطت بين المنطقتين كتبادل الكتب والفتاوى وانتقال الأفكار والرحلات ، ثم ركّز على رحلة ابن بطوطة ودورها في تعميق هذه العلاقة وتأكيدها ، وتحدث عن هذه الرحلة بصورة مستفيضة ، وقام بتحليل نصوصها واستخراج كل ما يمكن أن يكون دليلا على عمق العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب ، ولعل الجانب الوحيد الذي أغفله الدكتور في هذا الكتاب هو الحقبة المهلبية .

أما الدراسة التالية ، فقد قام بها الدكتور الجزائري محمد قاسم بوحجام في كتابه الموسوم بـ (التواصل الثقافي بين عُمان والجزائر) والذي نشره في سلطنة عُمان عام

٢٠٠٣م، وقد استغل هذا الدكتور أيضا وجوده في عُمان ليتمكن من الحصول على ما يعينه على التأليف، فأخرج لنا كتابه هذا الذي يتحدث فيه عن التواصل الثقافي، ويظهر من العنوان أن هدف الدكتور يتمركز على توضيح العلاقة الثقافية بين قطري عُمان والجزائر فقط، ولكون هذا الأمر يكتنفه الكثير من الصعوبات؛ نظرا لعدم وجود هذه التقسيمات والحدود السياسية في العصور الإسلامية، فقد تجاوز الدكتور حدود الجزائر وتحدث في كتابه هذا عن الدول المجاورة لهذا القطر، كما أن الدكتور ركّز في كتابه هذا على العصر الحديث، جاعلا من العلاقة الثقافية بين البلدين في العصور الإسلامية القاعدة التي انطلق منها في حديثه عن العصر الحديث، وأغفل في كتابه المشاركة العُمانية في فتح بلاد المغرب ومدى تأثيرها الثقافي، وكذلك لم يتحدث عن الحقبة المهلبية مطلقا.

والدراسة الثالثة والأخيرة هي التي قام بها الدكتور التونسي فرحات بن علي الجعبيري في كتابه (العلاقة بين إباضية المغرب وإباضية البصرة وعُمان من القرن الأول الهجري وحتى الحادي عشر ٨-١٧م). وكان جهد الدكتور منصبا في البحث عن كل ما يمكن أن يكون نواة للعلاقة بين تلك البلدان، وكان أساسه الذي سار عليه هو الأساس التاريخي، فقد جعل من كل قرن عنصرا لبحثه وحاول جهده البحث عن أي تواصل حدث في ذلك القرن من الزمن، محاولة منه لإثبات استمرار التواصل بين هذه المناطق طيلة الفترة التاريخية التي حددها في بحثه، وقد كان الأساس الذي سار عليه الدكتور فرحات ومن قبله بوحجام هو الأساس المذهبي فكان جل تركيزهم على العلاقة بين أتباع المذهب الإباضي على من عداه، وهو الذي يمكن أن نعده مبررا لعدم تطرقهم إلى المشاركة العُمانية في الفتوحات الإسلامية أو الحقبة المهلبية، كون المهالبة – في بلاد المغرب– لم يكونوا من أتباع المذهب الإباضي.

كما أن هناك بعض البحوث والدراسات القصيرة التي تناولت بعض جوانب العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب أو تأثير أحدها على الآخر كالبحث الذي قدمه الدكتور المغربي عبد الهادي التازي بعنوان (الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان)، وركّز فيه على رحلة ابن بطوطة ودورها في تدعيم هذه العلاقة، وكذلك بحث آخر بعنوان (صفحات

مطوية من تأثير الحضارة العُمانية في المغرب)، للباحث الدكتور محمد سليمان أيوب الذي صبّ تركيزه على أوجه الشبه بين المجتمع العُماني والمجتمع المغربي، مكرّسا جهده في استخراج أوجه الشبه في العادات والتقاليد بين المجتمعين، وبحث ثالث بعنوان (إباضية عُمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب)، للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، وقد أوضحت فيه دور الإباضية في نشر الإسلام بين شعوب بلاد المغرب وخاصة البربر منهم، والدور الكبير الذي قاموا به في تعريب البربر، وكل هذه البحوث نشرت في حصاد ندوة الدراسات العُمانية عام ١٩٨٠م، وهذه البحوث الثلاثة كانت بمثابة المفاتيح والمحفّزات التي شجّعت الباحثين لدخول غمار هذا الجانب، فكان أول من تحفز وشمّر لهذا العمل هو الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش.

أما المصادر التي أثرت هذه الدراسة بالمادة العلمية، فإننا لا نبالغ إن قلنا أن أكثرها لم تكن مشرقية، بل جلها من بلاد المغرب، ولعل السبب في ذلك يكمن وراء شغف المغاربة بما وصل إليه أهل المشرق من علم وحضارة، وكذلك نظرا لنور الهداية الذي بزغ من المشرق، هذه الأسباب وغيرها جعلت المغاربة يولون اهتماما كبيرا لعلوم أهل المشرق ورجالاته، وزاد من ذلك ظهور المذهب الإباضي في بلاد المغرب عن طريق دعاته المشارقة، الأمر الذي أدى إلى توجه أتباع المذهب إلى المشرق للاستزادة من مبادئ هذا المذهب وفكره، من رجالاته الأوائل في موطنهم الأم بالمشرق.

فمن أهم تلك المصادر كتاب (فتوح مصر وأخبارها) لابن عبد الحكم (ت:٢٧٥هـ/٨٧٠م) الذي تحدث فيه بصورة مستفيضة عن القبائل العربية التي شاركت في الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، ويعني بها تلك القبائل التي قدمت مع جيش القائد عمرو بن العاص لفتح مصر، والمصدر الثاني كتاب (الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية)، لابن سلام (ق: ٣هـ/٩م) وتحدث فيه عن تواصل الإباضية المشارقة والمغاربة، خاصة عبر موسم الحج، وكان أول كتاب تحدث بصورة دقيقة عن تلاقي إباضية المغرب والمشرق، ومكان التقائهم، ويعد أول مصدر يتحدث عن أعداد المجاورين في الحرم المكي والمدني من أتباع المذهب الإباضي المشارقة والمغاربة، والمصدر الآخر كتاب (أخبار الأئمة الرستميين) لابن الصغير (ق: ٣هـ/٩م) الذي

يعتبر من أهم المصادر التي تحدثت عن الدولة الرستمية كونه كان من المعاصرين لها، ويعد وصفه للوضع الأمني والعدل الذي ساد في هذه الدولة، والسيرة الحسنة لأئمة المذهب الإباضي دليلا قاطعا على صدق ما قيل عن الإباضية من علو أخلاقهم وحسن سيرتهم؛ وذلك نظرا إلى كون ابن الصغير لم يكن من أتباع المذهب الإباضي، ومصدر آخر بعنوان (سير الأئمة وأخبارهم) لأبي زكريا يحيى (ق: ٤هـ/ ١٠م) وتعرض هذا الكتاب للكثير من المعلومات التي توضح التواصل بين إباضية المغرب وإباضية المشرق بصورة عامة، وتحدث عن الكثير من المعلومات والأحداث التاريخية التي وقعت لأتباع المذهب الإباضي في بلاد المغرب، كما تحدث بصورة كبيرة عن الدولة الرستمية وأبرز الأحداث التي حدثت فيها، وكتاب آخر بعنوان (تاريخ أفريقية والمغرب) للرقيق القيرواني(ت: ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) والذي استخلصنا منه المشاركة العُمانية في فتح بلاد المغرب، والحقبة المهلبية، ومخطوط (سير نفوسة) لمقرن البغطوري (ق: ٧هـ/١٤م) الذي استقينا منه معلومات عن طبيعة المجتمع المغربي الإباضي وأوجه الشبه بينه وبين المجتمع العُماني. إضافة إلى تعرضه لبعض جوانب التواصل المشرقي المغربي من خلال الرحلات أو تبادل الآراء والأفكار، وكتاب (طبقات المشائخ بالمغرب) لأحمد بن سعيد الدرجيني (ت: ٦٧٠هـ/١٢٧٠م) الذي يعد من أكثر المصادر التي اعتمدنا عليها في توضيح التواصل بين عُمان وبلاد المغرب وطبيعة المجتمع المغربي القريب الصلة والشبه بالمجتمع العُماني، ويعود ذلك إلى اعتماده على من سبقه من المؤرخين، واستخراجه لخلاصة ما وصلت إليه يديه من المصادر، وكتاب (البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب) لابن عذاري (ق: ٨هـ/١٤م) الذي تحدث عن حقبة الفتوحات الإسلامية، والكثير من التفاصيل الدقيقة عن فترة المهالبة وأهم الأعمال التي قاموا بها، ويعد هذا الكتاب المصدر الأكثر تحدثا عن حقبة المهالبة، ومدى تأثيرهم في الحياة العامة ببلاد المغرب، وكتاب (السير) لأحمد بن سعيد الشماخي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) وكان هذا الكتاب الينبوع المهم لمادة البحث، ويعد من أهم المصادر التي استخلصنا منها العديد من الأدلة على العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب، كما يعد هذا الكتاب من الكتب الموسوعية، حيث ضم كل الروايات التي أوردها المؤرخون السابقون، ووصلت يده إلى الكثير من المصادر التي لم تتوفر لسابقه الدرجيني.

وإذا كانت المصادر المغربية التي اعتمدنا عليها أغلبها تاريخية، فإن المصادر المشرقية أو العُمانية بالذات كانت فقهية، إذ استخرجنا الكثير من المعلومات التي تتحدث عن العلاقة بين القطرين عن طريق كتب الفقه العُمانية القديمة من ذلك كتاب (بيان الشرع) لمؤلفه محمد بن إبراهيم الكندي (ت: ٥٠٨هـ/١١١٤م) الذي أورد فيه العديد من الاسماء لشخصيات ومؤلفات مغربية، واستدل بعدد من الآراء المغربية في كتابه هذا، وكتاب آخر يدعى (المصنف) لمؤلفه أحمد بن عبدالله الكندي النزوي (ت: ٥٥٧هـ/١١٦١م) واستخلصنا منه الكثير من المعلومات المتعلقة بالحياة الاجتماعية في عُمان؛ نظرا لتعرضه للعديد من المسائل الفقهية التي تلامس المجتمع، وتنبئ عن ما يدور فيه بين طبقاته المختلفة، وخاصة العامة منها.

وبالإضافة إلى المصادر التاريخية والفقهية الآنفة الذكر، اعتمدنا أيضا على كتب الجغرافيا والرحلات، التي من شأنها أن تعطي وصفا لما عاينه الرحّالة أو الجغرافي أثناء عبوره للمناطق التي تنتمي إليها فترة دراستنا، فاستفدنا من (رحلة ابن جبير) في وصف الطريق الواصل بين بلاد المغرب وعُمان، وما يكتنف هذا الطريق من صعوبات طبيعية وأخرى بشرية. وفي السياق نفسه استفدنا من كتابي (المسالك والممالك) للبكري و(نزهة المشتاق) للإدريسي، وغيرها من كتب الجغرافيا التي تعرضت لهذا الطريق الذي يربط بين بلاد المغرب وعُمان. أما كتاب (رحلة ابن بطوطة) فقد كان من أبرز الكتب التي أثرت الدراسة بمادة علمية دسمة؛ نظرا لكون الرحالة زار عُمان، وأعطانا وصفا دقيقا للحياة العامة السائدة في المنطقة إبان زيارته لها، كما أنه أشار في عدة مواضع إلى جوانب الشبه بين المجتمع العُماني والمجتمع المغربي؛ نظرا لكونه من أبناء بلاد المغرب. الأمر الذي أتاح له استنتاج أوجه الشبه بين مجتمعه الذي ينتمي إليه، وبين المجتمع العُماني الذي نزل به زائرا.

ومهما كانت عدد المصادر كثيرة ومتنوعة بتلك الصورة التي ذكرناها، إلا أن الصعوبة كانت تكمن في الوصول إلى المعلومة بين ذلك الكم الكبير من المصادر، ففي الكثير من الأحيان، كان الأمر يتطلب منا قراءة الكتاب بأكمله بغية الحصول على معلومة من هنا أو هناك يمكن أن نستدل بها على هذا التواصل، أو تأكد لنا حدوثه

بشيء من الإشارة البسيطة أو العفوية. وزاد الأمر صعوبة هو عدم اهتمام إباضية عُمان بتدوين تاريخهم، بعكس ما هو الحال عند إباضية المغرب، الذين تركوا لنا عدداً من السير والتراجم المعينة على تتبع تلك العلاقة.

وبناءً على ما وقع بين أيدينا من مصادر ومراجع وما استخلصناه منها من مادة علمية، قسّمنا الأطروحة على النحو الآتي: مقدمة، وثلاثة أبواب مكونة من تسعة فصول، وخاتمة، وملاحق، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع.

تعرضنا في المقدمة لأسباب اختيار الموضوع والهدف من وراء هذه الدراسة، ثم عرجنا على الدراسات السابقة وتحليل بعض المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة. أما الباب الأول فقد عَنْوَنْاه بالتواصل بين عُمان وبلاد المغرب الحوافز والموانع، وتعرضنا في الفصل الأول منه إلى (الفكر التواصلي للمذهب الإباضي) وأوردنا تحت هذا العنوان جوانب الفكر الإباضي الداعية إلى التواصل مع الآخر، ونبذ التعصب والرغبة الجامحة في الحوار مع المخالف، والتقارب الفكري بين المذهب الإباضي والمذاهب السنية، والقيم كعامل استقطاب للآخر، ودور المذهب في تكوين رؤية مشتركة بين عُمان وبلاد المغرب. أما الفصل الثاني: فقد خصصناه (لحوافز التواصل بين عُمان وبلاد المغرب) وتعرضنا في هذا الفصل للفتوحات الإسلامية التي كانت أحد حوافز التواصل، ثم للولاة المهالبة العُمانيين على بلاد المغرب، وكذلك المذهب الإباضي والحج، وأخيرا الرحلات العلمية والتجارية التي كانت في مجملها سببا من أسباب تدعيم التواصل بين المنطقتين. وجاء الفصل الثاني بعنوان (موانع التواصل بين عُمان وبلاد المغرب) وأوردنا في هذا الفصل الموانع الطبيعية للتواصل بين المنطقتين كالبُعد الجغرافي وعائق التضاريس، وسوء المناخ، وشح الماء، ووعورة الطريق وما يكتنفها من صعوبات. ثم تعرضنا للموانع السياسية كسوء سياسة بعض ولاة بني أمية، والاضطرابات السياسية في كل من عُمان وبلاد المغرب، ومضايقة الدولتين الأموية والعباسية لأتباع المذهب الإباضي. ثم تعرضنا إلى الموانع الأمنية كانتشار قطاع الطرق والقراصنة، وختمنا هذا الفصل بالحديث عن الموانع الاقتصادية والاجتماعية كالبداوة وقلة الإمكانيات والإشتغال بأمور الحياة اليومية، والضرائب التي يجدها المسافر في الطريق، والأزمات

الاقتصادية التي مرت بها المنطقتان خلال العصور الوسطى.

أما الباب الثاني فأتى بعنوان (الصلات الثقافية بين عُمان وبلاد المغرب) وجاء الفصل الأول منه بعنوان (الرحلات المتبادلة بين علماء عُمان وعلماء بلاد المغرب) وتطرقنا فيه إلى الرحلات العلمية للعُمانيين إلى بلاد المغرب وما نتج عن هذه الرحلات من لقاءات علمية بين علماء المصرين. كذلك تعرضنا للرحلات المعاكسة لعلماء المغرب نحو العلماء العُمانيين سواء تلك التي اتجهت نحو عُمان بالذات أو الرحلات واللقاءات للعلماء المغاربة بإخوانهم العُمانيين في البصرة أو مكة المكرمة في أيام موسم الحج. والفصل الثاني عَنْوَناه بـ(تبادل الرسائل والفتاوى بين العُمانيين والمغاربة) وبدأناه بالتعرض إلى الرسائل والفتاوى المغربية الموجهة نحو علماء عُمان، ثم أتبعنا كل رسالة أو فتوى مغربية بالرد المشرقي عليها، ثم عطفنا إلى الرسائل والفتاوى العُمانية الموجهة إلى بلاد المغرب. أما الفصل الثالث من هذا الباب فكان بعنوان (تبادل الكتب وانتقال الآراء والأفكار بين عُمان وبلاد المغرب) وتحدثنا فيه في البداية عن الكتب العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب، ثم تعرضنا للكتب المغربية المنتقلة إلى عُمان، وبعد ذلك تحدثنا عن الآراء والأفكار العُمانية التي انتقلت وأخذ بها علماء بلاد المغرب، ثم أردفنا ذلك بذكر الآراء والأفكار المغربية المنتقلة إلى عُمان.

وفي المقابل، توقفنا في الباب الثالث عند (مظاهر العلاقة الاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب) وجاء الحديث في الفصل الأول منه عن (الرحلات الاجتماعية بين العُمانيين والمغاربة) وتطرقنا فيه للحديث عن الهجرات العُمانية نحو بلاد المغرب. ثم أردفنا ذلك بالحديث عن الرحلات ذات الطابع الاجتماعي للمغاربة نحو إخوانهم العُمانيين، ثم الرحلات ذات الطابع الاجتماعي الديني المتمثلة في حضور موسم الحج من كلا الطرفين العُماني والمغربي، وما يحدث فيها من صور ذات طابع اجتماعي صرف، وختمنا هذا الفصل برحلة ابن بطوطة إلى عُمان كحلقة للتواصل بين عُمان وبلاد المغرب. بينما جعلنا عنوان الفصل الثاني (تشابه مظاهر الحياة الاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب) وتعرضنا فيه إلى تشابه بعض جوانب المجتمع العُماني والمغربي نتيجة المذهب الواحد، ثم أعقبنا ذلك بالحديث عن طبقات المجتمع العُماني والمغربي، وأوجه الشبه بين هذه الطبقات في

المجتمعين . وتحدثنا في هذا الفصل أيضا عن دور المرأة في المجتمعين العُماني والمغربي ، وفي آخر الفصل تحدثنا عن العادات والتقاليد في المجتمعين . أما الفصل الثالث فجاء بعنوان (نتائج التواصل الثقافي والاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب) وضم هذا الفصل نتائج التواصل الفكري والمعنوي بين عُمان وبلاد المغرب ، ونتائج التواصل الثقافي عبر الرحلات العلمية ، والرسائل المتبادلة بين الطرفين ، وعن طريق الآراء والأفكار المنتقلة بين القطرين ، ثم تعرضنا لنتائج التواصل الاجتماعي عبر الرحلات ذات الطابع الاجتماعي ، وختمنا هذا الفصل بالحديث عن أهم النتائج المترتبة على تشابه المذهب في عُمان وبلاد المغرب ، أما الخاتمة فأجملنا في ثناياها ما جاء مفصلا في أبواب الدراسة الثلاثة ، وسطّرنا فيها ما وصلنا إليه من نتائج .

وأخيرا ، فإن ظهر سهو أو خطأ أو نسيان أو زلة لسان فإن ذلك وارد ولا عصمة لأحد من البشر سوى الأنبياء والرسل ، وإن ظهر خير فمن الله ، وإن ظهر خطأ فمن نفسي والشيطان وما أبرّء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ، هذا وبالله التوفيق وإليه المرجع والمآب .

د . ناصر بن علي الندابي

الباب الأول

التواصل بين عُمان وبلاد المغرب:
الحوافز والموانع

الفصل الأول

الفكر التواصلي في المذهب الإباضي

الفكر التواصلي في المذهب الإباضي

١- مفهوم التواصل:

إن أهم ما يميز الإنسان عن الكائنات الحية الأخرى الموجودة في هذه البسيطة هي تلك الطاقة الفريدة المتمثلة في قدرته على التفكير ثم التواصل مع غيره من أبناء جنسه، فهو يظل في حاجة مستمرة إلى وسيلة تراقب له الظروف وتقوم بنشر الآراء والأفكار والحقائق وتساعده مع جماعته في اتخاذ القرارات المناسبة، وهي في حد ذاتها وسيلة فريدة من نوعها لنقل حكمة الأجيال السابقة والثقافات السائدة في وقتها إلى الأجيال اللاحقة.

إن عملية تبادل الأفكار والمشاعر والمعلومات ما هي إلا " تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى وتقتضي العملية جوابا ضمنيا أو صريحا عما نتحدث عنه"[١]، فالتواصل إذن هو فعل تشاركي بين طرفين يسمى الأول مرسلا والآخر مستقبلا أو متلقيا، فهو يفيد الاستمرار ولا يقف عند حد المتلقي، بل يعتمد على دائرة من العلاقات المستمرة.

تعتمد عملية التواصل بين طرفين أو أكثر على عدد من العناصر التي لا يمكن أن يتحقق التواصل إلا بها، وهذه العناصر هي:

١- المُرسِل: وهو الطرف الأول في عملية التواصل، وهو البادئ وتعتمد عليه في انطلاقها.

٢- المُرْسَل إليه: وهو من "يقوم بفك شيفرة الرسالة واستيعابها كليا أو جزئيا تبعا لدرجة تمكنه من النظام الترميزي ومستوياته المختلفة، ومن ثم الاستجابة لها تبعا لهذا الاستيعاب"[٢].

---

١) عمر أوكان: **اللغة والخطاب**، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، سنة: ٢٠٠١م، ص٣٦.

٢) عبدالنبي اصطيف: **النص الأدبي والمتلقي**، مجلة الموقف الأدبي، السنة السادسة، العددان ٣٠٩ - ٣١٠، دمشق، سوريا، رمضان/ شباط، سنة: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص١١.

٣- السنن: وهي تمثل "القانون المنظم للقيم الإخبارية والهرم التسلسلي الذي ينتظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل والمرسل إليه كل نمط تركيبي"[١]، والسنن متنوعة فقد تكون لفظية كالمنطوق والمكتوب أو غير لفظية كالحركية والفسيولويجة الإنفعالية.

٤- الرسالة: وهي الهدف الذي قامت من أجله عملية التواصل، وتتكون من مجموعة الأفكار والمعاني التي يقوم المرسل بإيصالها إلى المرسل إليه.

٥- القناة: وهي الوسيلة المستعملة في عملية التواصل. أي أنها تلك الوحدات اللغوية التي يستعملها الشخص للتعبير عن حاجاته ومشاعره ونقل أفكاره للآخرين.

٦- التأثير: وهو وقع أثر الرسالة على المرسل إليه أي النتيجة المرجوة من الإرسال.

ويتبين مما سبق أن مفهوم التواصل مفهوماً كبيراً يضم بين جنباته عدداً من المعاني، وأشكالا مختلفة من العلاقات، ولكون الدراسة متخصصة في الجانب الثقافي والاجتماعي؛ فسيتم التركيز على التواصل الفكري الثقافي والاجتماعي، وبناء العلاقات الثقافية والاجتماعية على مستوى الفئة الواحدة أو على مستوى الجماعات المختلفة. ومن هذا فإن مفهوم التواصل الثقافي يعرّف بأنه "عملية نقل هادفة للمعلومات، من شخص إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهما"[٢]، ويتم هذا النقل بوسائل مختلفة ومتنوعة مباشرة وغير مباشرة. أما مفهوم التواصل الاجتماعي فإنه يُبنى على تكوين العلاقات بين الأفراد والجماعات والتفاعل فيما بينها، ومن هذا فإن التفاعل الاجتماعي يقصد به التأثير المتبادل بين فردين أو أكثر بحيث يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به[٣]. ويتضح من هذا أن العلاقات تنشأ بين

---

١) رومان جاكبسون: **التواصل اللساني والشعري، مقاربة تحليلة نظرية**، ترجمة الطاهر بو مزبر، الدار العربية للعلوم، الجزائر، سنة ٢٠٠٧م، ط١، ص٢٨.

٢) مجموعة مؤلفين: **التواصل الاجتماعي**، من منظور نفسي وثقافي، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، سنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ط١، ص٤٨.

٣) فؤاد البهي وسعد عبد الرحمن: **علم النفس الاجتماعي**، رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، سنة: ١٩٩٩م، ص١٤٧.

الأفراد والجماعات نتيجة التأثير في الآخر أو التأثر به، ولا يتأتى ذلك دون الاحتكاك أو التعارف أو الحوار الفكري فيما بينهما، ومن هذا المنطلق سيتم التركيز في هذا الفصل على التواصل الفكري بين عُمان وبلاد المغرب؛ لتتبع خيوط ذلك الفكر التواصلي الذي كانت تحمله وتتبناه عقول تلك المنطقتين عبر العصر الإسلامي الوسيط، وليظهر للقارئ مدى قوة التأثير الفكري على الجماعات، الذي يؤدي بصاحبه في الكثير من الأحيان إلى تكوين علاقات اجتماعية وروحية بين الأفراد، وتزرع في القلوب حبًا عجيبًا قادرًا على إعطاء معتنقه الإقدام والتضحية من أجله، وقد تجلّى هذا الأمر بصورة جلية في العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب كما ستبينه الأسطر الآتية.

٢- المرجعية الإسلامية في الفكر التواصلي عند العُمانيين والمغاربة:

يقول الله سبحانه وتعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١]، من منطلق هذه الآية الكريمة، نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد جسّد مبدأ التعارف والتواصل وتكوين العلاقات مع كل من حوله، بدءا بأهله وجيرانه، وانتهاءً بالدول المحيطة به، ولقد طبّق المصطفى – صلى الله عليه وسلم – هذا المبدأ منذ بزوغ فجر هذا الدين على ربوع مكة المكرمة، إذ طبّقه مع قومه حين انتقى أفضل الأساليب في الدعوة إلى الدين الإسلامي[٢]، وتجلى تطبيقه مع الدول المجاورة حين قام بالتواصل مع النجاشي ملك الحبشة، إذ أمر المسلمين بالتوجه إلى هذه المنطقة البعيدة عن سلطة قريش للتخلص من إيذائهم[٣]، وما إن وطئت قدماه الشريفتان المدينة المنورة حتى بادر بوضع وثيقة واضحة لنوع العلاقة وأسلوب التواصل مع اليهود في المدينة[٤].

---

١) سورة الحجرات، الآية (١٣).

٢) ابن هشام: **السيرة النبوية**، تح: مصطفى السعا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ط٣، مج١،ص٢٣٥وما بعدها، المباركفوري: صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، بحث في السيرة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة: ١٤١٩هـ/١٩٩٩، ط٣، صص٦٥-٦٧.

٣) ابن هشام: السيرة النبوية، م. س، مج١، ص٣٠٠، والمباركفوري: الرحيق المختوم، م. س، ص٨١.

٤) ابن هشام: السيرة النبوية، م. س، مج١، صص٤٥٢-٤٥٣.

ولئن كانت تلك العلاقات الآنفة الذكر علاقات مادية واضحة وملموسة، فإن حزنه – صلى الله عليه وسلم – على هزيمة الروم النصارى من قبل الفرس المجوس[١]، لدليل جلي على نوع آخر من التواصل، وهو التواصل المعنوي الروحي، فرابط الأصل الواحد بين الإسلام والنصرانية كونهما شريعتين سماويتين هو من هيج هذا الشعور وأججه.

ولقد نهج الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم– ومن جاء بعدهم ذلك النهج الفريد في تكوين العلاقات– مع إخوانهم المسلمين ومع الكفار المشركين– الذي وضع نواته معلم البشرية محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، واستلهمت الشعوب الإسلامية هذا المنهج وطبقته في جميع مراحل حياتها، فقد استمر التواصل بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه واضحا عبر العصور الإسلامية؛ إذ من المُسلّم به أن هناك العديد من الروابط المشتركة بين مشرق العالم الإسلامي وبلاد المغرب من بينها الدين الواحد، والقبلة الواحدة، والنبي الواحد، والكتاب الواحد، وغيرها من الروابط الروحية، إلا أن هناك روابط خاصة ربطت بين بعض المناطق الإسلامية فيما بينها، إضافة إلى تلك الروابط الروحية الأساسية، ومن بين تلك المناطق بلاد المغرب وعُمان، ومن أبرز تلك الروابط التي ربطت بين المنطقتين، المذهب الإباضي.

ظهر المذهب الإباضي منذ القرن الأول الهجري، حين ظهرت نواته الأولى في النهروان[٢]، وتبلور فكره في البصرة، وطبّق عمليا وسياسيا في اليمن وعُمان وبلاد المغرب، وهو الرابط الذي ربط بين أتباعه، وهو همزة الوصل لمعتنقيه في المشرق وبلاد المغرب.

كما أن "الإباضية ليست عالما منغلقا متجمدا ومتجلمدا، فعبر تاريخها الحافل

---

١) الزمخشري: **تفسير الكشاف**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ط١، مج٣، صص٤٥٢–٤٥٣.

٢) النهروان هي كورة واقعة بين بغداد وواسط قصدها المحكِّمة بعد خروجهم من الكوفة وحروراء إثر معارضتهم ورفضهم تحكيم الحكمين في عهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه" انظر: مجموعة باحثين: **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ط١، ج٢، ص١٠٢٩.

بالتقلبات، سواء في المغرب أو في عُمان ورغم مرورها بعصور ظلمة، لم تعش بمعزل عن التيارات الفكرية القريبة، وبمنأى عن تأثيرها"[١] ومن هذا المنطلق سيكون الحديث عن فكر التواصل في المذهب الإباضي منذ نشأته وحتى ظهوره، وبروز فكره، وتبني فئة كبيرة له، ثم تطبيق الأفكار التي دعا إليها رجالاته على أرض الواقع في البصرة وعُمان وبلاد المغرب واليمن، مركزين على كل الجوانب الفكرية والعقدية لهذا المذهب، الداعية إلى التواصل، وكيفية التعامل مع الآخر المخالف له في المذهب والفكر.

٣- المنهج الحواري في الفكر الإباضي والبُعد عن التعصب:

إن الله جلت قدرته قد جعل أمة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – خير الأمم، وفضّلها على جميع الأمم الغابرة، قال سبحانه وتعالى في محكم التنزيل ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢]، واقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تفترق وتختلف هذه الأمة بعد وفاة نبيها، فتحزّبت الأحزاب وتفرّقت الفرق تَبَعاً للفكر والفقه الذي يدعو إليه إمامها ومؤسسها، على الرغم من أن المنبع واحد، والنص مجمع عليه – القرآن الكريم – إلا أن الاختلاف ظهر في تأويله وتفسيره، ومن بين تلك الفرق التي تمسكت بهدي الكتاب والسنة في زمن الشقاق والفتن، الفرقة الإباضية، وسنتحدث عن هذا العنصر في نقطتين أساسيتين، هما المنهج الحواري الذي اتبعه الإباضية مع المخالفين لهم، ثم نتبعه بالحديث عن بُعد أتباع هذا المذهب عن التعصب وصور التعايش السلمي لأتباعه مع المذاهب الأخرى.

أ- المنهج الحواري في الفكر الإباضي:

برزت بوادر ومعالم فكر التواصل عند الإباضية المبني على الحوار، منذ وجود مؤسسي

---

١) بيير كوبرلي: **مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها**، بحث مقارن في العقيدة الإباضية في بلاد المغرب وعُمان، ترجمة: عمار الجلاصي، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ط١، ص٤٣٤.

٢) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

فكرهم في حروراء ضمن الصحابة الذين رفضوا مبدأ التحكيم الذي عرضه معاوية بن أبي سفيان ووافق عليه الإمام علي بن أبي طالب. فقد دار بين عبدالله بن العباس وأهل حروراء ثم بينهم وبين الإمام علي بن أبي طالب حوار مبني على فهم لنصوص القرآن الكريم، واحتجاج بالمواقف التي حدثت له عليه الصلاة والسلام أمام مرأى ومسمع من الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم–فدار حوار ونقاش وتواصل عبر المناظرات والرسائل لإظهار المخطئ من المحق[١]، علما أن التواصل والنقاش يعتبران من أبرز مظاهر التواصل رغم الاختلاف، ولتوضيح ما سبق نورد إحدى النقاط التي دار الحوار والنقاش فيها من قبل أهل النهروان مع ابن عباس – مبعوث علي بن أبي طالب–.

فقد اعترض أهل النهروان على علي بن أبي طالب موافقته لتحكيم الحكمين بعد أن رفع معاوية بن أبي سفيان المصاحف على أسنة الرماح، ورفض أهل النهروان هذا الأمر مطلقا، فحاجّهم ابن عباس أن الله تعالى قد أجاز تحكيم الحكمين في الشقاق بين الزوجين في قوله سبحانه وتعالى﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[٢] وفي صيد الحرم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[٣] ، وجاء الرد من أهل النهروان بأن هذه أمور جعل اللهَ تعالى حَكَمها للناس، ولكنَّ هناك أموراً لم يترك الله عز وجل للناس دوراً ولا تصرفاً فيها، فقد حكم على الزاني بمائة جلدة وعلى السارق بقطع يده وليس للعباد أن ينظروا في ذلك، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية من خلال قوله تعالى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

---

١) ابن قتيبة: **الإمامة والسياسة**، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ط١، ج١، صص١١٥–١١٧، الطبري: **تاريخ الطبري**، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٣، صص١١٦–١١٨، الشماخي: **كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود السيابي، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سنة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص٤٩، ناصر السابعي: **الخوارج والحقيقة الغائبة**، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ط١، د.د، ص٨٧.

٢) سورة النساء، الآية (٣٥).

٣) سورة المائدة، الآية (٩٥).

عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[١]، فليس لنا النظر فيها، وأمرنا بمقاتلة معاوية ومن شايعه حتى يرجع إلى العدل والحق[٢]، كون فئته هي الفئة الباغية على خلافة علي بن أبي طالب الذي تم اختياره إماماً من قبل المسلمين، ولم يقل أحد بأن علياً واتباعه هي الفئة الباغية. ويتضح من الحوار أنه كان مبنياً على الاحتكام إلى كتاب الله عزوجل، والبعد عن التعصب واتباع الأهواء والنزعات الشخصية، وهذا دليل على تمسك أولئك السلف بمنهج التواصل.

وبعد معركة النهروان (٣٨هـ/ ٦٥٨م) خرجت فلول الناجين من تلك المعركة إلى البصرة واستقروا فيها، وتزعَّم تلك الفلول أبو بلال مرادس بن حدير التميمي[٣]، وبدأ ينادي بالعودة إلى نهج الخلفاء الراشدين بعد أن ظهرت بوادر تغيير واضح في سياسة الحكم من قبل معاوية بن أبي سفيان، وتمكَّنت تلك الفئة – التي أطلق عليها اسم المحكمة[٤]– من التواصل مع سكان مدينة البصرة، وتَبنّى فكرهم الإصلاحي عدد من الناس؛ نظرا لتلك المنهجية الحوارية التي تبنّوها. وقد وصف والي البصرة عبيد الله بن زياد سرعة تقبل الناس لفكر المحكمة، وصفا يصور لنا المقدرة الحوارية وأسلوب التواصل المميز لدى أبي بلال وأتباعه حين قال:" كلام هؤلاء أسرع إلى قلوب الناس

---

١) سورة الحجرات، الآية (٩).

٢) ناصر السابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، م. س، صص٨٩–٩٠.

٣) هو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك، تابعي من أئمة المذهب الإباضي الأوائل، لازم جابر بن زيد وأخذ عنه، شارك في صفين وأنكر التحكيم، وكان من أهل النهروان ونجا من القتل في المعركة. سجنه عبيدالله بن زياد ثم أطلق سراحه، عقد المجالس والمناظرات لإقناع الناس بوجهة نظره. انظر: بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، جمعية التراث لجنة البحث العلمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ط٢، ج٢، ص٤١١.

٤) المُحَكِّمة: بميم مضمومة وحاء مفتوحة وكاف مكسورة مشددة، هم سلف الإباضية الذي أنكروا التحكيم بين علي بن أبي طالب من جهة ومعاوية بن أبي سفيان، ورفضوا نتائجه جملة وتفصيلا، وسمي المحكمة بذلك لإنكارهم التحكيم ولقولهم" لا حكم إلا لله"، ولعل القول بأن لفظ المحكّمة جاء من "لا حكم إلا لله" أقوى من أنه جاء إنكارا للتحكيم؛ لأن الأصل في الذي ينكر التحكيم ألا يسمى محكمة إلا أن يكون على السلب كما جاء في بعض مصادر اللغة. انظر: مجموعة باحثين: معجم مصطلحات الإباضية، ج١، ص٢٩٣.

من النار إلى اليراع "[١]، وهذا الاعترافٍ من قبل والي الدولة الأموية دليل قاطع على الأسلوب المميزٍ الذي مضى عليه المحكمة في نقل أفكارهم للآخرين؛ كونه صادراً من أشد أعداء المحكمة، والحق ما شهدت به الأعداء.

إن تلك المعاملة الحسنة من قبل المحكمة لأهل البصرة لم تغفر لهم عند ولاة بني أمية؛ فقد ذاق أتباع أبي بلال مرداس بن حدير من ولاة البصرة أسوأ أنواع العذاب: من سجن وقتل وتنكيل، عند ذلك قرر أبو بلال وفئة من أتباعه – بلغ عددهم أربعون رجلا– الخروج من البصرة، والبحث عن مكان أكثر أمانا منها، فقرروا الخروج نحو الأهواز عام (٦١هـ/٦٨٠م) وعند خروجهم ألقى أبو بلال على مسامع الناس المبادئ التي يدعو إليها فكرهم، وأسلوبهم في التعامل مع الآخر، حين قال: "والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجري علينا أحكامهم مجانفين للعدل، مفارقين للفضل. والله إن الصبر على هذا لعظيم، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم، ولكنّا نشذ عنهم ولا نجرد سيفاً، ولا نقاتل إلا من قاتلنا"[٢]، ومما قال أيضا: "إنّا لم نخرج لنفسد في الأرض ولا لنروّع أحداً، ولكن هرباً من الظلم، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتنا"[٣].

ويمكن أن نستشف من هذين النصين المبادئ التي دعت إليها المحكِّمة في هذه الفترة التاريخية (ق: ١هـ/٧م) والتي تدل على الأسلوب الراقي في التعامل والتواصل مع المخالفين لهم في الفكر، فقد أنكر أبو بلال قتال المسلم لأخيه المسلم وقرنه بالظلم المجانف للعدل، كما أظهر هذا النص تبني أبي بلال مرداس وأتباعه لسياسة عدم الاعتداء على الآخر، وعدم رفع السيف وإشهاره في وجوه إخوانهم المسلمين إلا ردا

---

١) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٢، ص١٢٩، الدرجيني: **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، ج٢، ص٢١٧.

٢) ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، تح: محمد التونجي، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط٢، ج١، ص٢٢٢، المبرد: الكامل في اللغة والأدب، م. س، ج٢، ص١٣٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢ ص٢١٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٦٢.

٣) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، م. س، ج٢، ص١٣١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢ ص٢١٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٦٢.

ودفاعا عن النفس. وأظهر كذلك إنكاره الشديد للإفساد في الأرض، وأنه ليس من خصالهم، بل ونفى أبو بلال عنه وعن أتباعه ترويع الناس الآمنين. وأكد أنه لن يأخذ هو وأتباعه من أموال الدولة إلا ما قد خُصِصَ لهم من قبل.

وقد طبّق أبو بلال مرداس بن حدير وأتباعه ذلك الفكر الذي نادوا به عمليا في أرض الواقع، حين صادف أبو بلال وأتباعه الأربعون في طريقهم قافلة قادمة بالأموال من خراسان لإيصالها إلى والِي البصرة – عبيدالله بن زياد– ، فاستوقفها وأخذ منها أعطياته وأعطيات أتباعه[١]، ثم أَذِنَ لها بمواصلة السير[٢]، بل إنهم طبقوا تلك المبادئ وهم في أحلك المواقف وأصعبها، حين قدمت إليهم الجيوش من قبل والي البصرة لقتالهم، فصاح أبو بلال في قائدهم قائلا: " اتق الله يا (مسلم) فإنا لا نريد قتالا ولا نحتجن فيئا، فما الذي تريد؟ قال: أريد أن أردكم إلى ابن زياد، قال مرداس: إذن يقتلنا، قال: وإن قتلكم ! قال تشرك في دمائنا، قال: أذِنَ الله بأنه محق وأنتم مبطلون"[٣]، ثم نادى أبو

---

١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، م. س، ج١، ص٢٢٢، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢١٨.

٢) وقد أوضح السالمي هذا الأمر بصورة جلية وبيَّن سبب أخذ هذه الأموال، وأكد أنها كانت فعلا من حقهم حين قال في كتابه جوهر النظام:

ولم يكن أخذ أبي بـــلال ... مال عبيد الله من ذا الحـــال
لأنه قد أخذ العطايـــــا ... وترك الباقـــي على المطايـــا
وذاك أن عمر الفـــاروقا ... قد ضبط المحصول والتفريقا
ورتب الناس على منـــازل ... وقدر العطـا على تفاضـــل
وضبط الجميع في الدواون ... لكي يكونـــوا في سبيل بائن
وقد قفا ذلك بعض من أتى ... من بعـــده فمن هنـــاك ثبتا
فهي حقوق لهم في الفيء ... ولم يزيـــدوا فوقها بشـيء
وذلك المال الذي منه أخـذ ... من خرســان جزية لها نفـذ
وذلك الجبار قد حماهـــم ... وهي مكـــافأة على حماهم
فما استحل أخـذه المرداس ... لأنه مـــا فرغتـــه الناس
بايع صحبه على الشرى وما ... طال زمانه إلى أن أكـــرما
نالوا الشهادة التي قد طلبـوا ... وبرضى الرحمن فيها انقلبوا

انظر: السالمي: **جوهر النظام في علم الأديان والأحكام**، تصحيح: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش الجزائري وإبراهيم العبري، الناشر: حفيد المؤلف سعود بن حمد بن عبد الله بن حميد، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط١٢، ج٢، ص٤٨٥.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٢٠.

بلال في أتباعه أن لا يبدأوا القتال حتى يبدأ خصمهم، ودارت بين الطرفين معركة أدت إلى مقتل أبي بلال وأتباعه كلهم.

إن هذا الأسلوب الراقي في التعامل مع الآخرين، وشخصية أبي بلال مرداس ابن حدير المتميزة، وحسن سيرته وأخلاقه الرفيعة وحب الناس له، جعلت منه شخصية بارزة ورمزاً للفخر، فقد ادّعت الكثير من الفرق أنه منها مثل الشيعة والمعتزلة، وكانت تتفاخر به، وتعتبره أبرز أتباعها[١].

وسار على هذا الفكر الحواري زعامات المذهب بعد أبي بلال مرداس، فقد كان عبدالله بن إباض التميمي[٢] يصدح بهذا الفكر معتمدا على قوة قبيلته في البصرة، ولهذا فقد نُسب الإباضية إليه كونه المتحدث باسمهم، وقد دونت الكثير من الكتب عنه بسبب رسائله التي وجهها إلى عبدالملك بن مروان[٣] موضحا له معتقدات المذهب وما يدين به أتباعه، وهذا أكبر دليل إلى جنح الإباضية إلى الحوار وحب التواصل مع الآخرين بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية[٤]. وقد تعرض ابن إباض في مراسلاته إلى عبد الملك بن مروان لبعض الأمور التي كانت تشغل بال الكثير من المسلمين إبان تلك الفترة، من بينها الفتنة التي وقعت في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وطريقة

---

١) عوض خليفات: **نشأة الحركة الإباضية**، عُمان، الأردن، مطابع دار الشعب، سنة: ١٩٧٨م، ص٦٦.

٢) هو عبد الله بن إباض بن تميم بن ثعلبة، من بني مرة بن عبيد، رهط الأحنف بن قيس، من آل مقاعس التميمي، فهو من قبيلة تميم. نشأ في مدينة البصرة، وعاصر فتنة افتراق المسلمين بعد صفين، وكانت له مواقف حاسمة من تلك الأحداث. يعد من التابعين، فقد أدرك كثيرا من الصحابة، شارك في الدفاع عن مكة مع ابن الزبير ضد الأمويين، توفي عام ٨٦هـ. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، م. س، ج٢، ٢٦٣-٢٦٤.

٣) البرادي: أبو القاسم إبراهيم، **مخطوط الجواهر المنتقاة**، نسخة: مخ.م.د. ع، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، و١٥٦-١٦٦، مجموعة مؤلفين: **السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان**، تح: سيدة اسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، سنة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج٢، صص٣٢٥-٣٤٥، سليمان الباروني: **مختصر تاريخ الإباضية**، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ط٥، صص٢٣-٢٦، مهدي هاشم: **الحركة الإباضية في المشرق العربي**، لندن، دار الحكمة، سنة: ٢٠٠٩م، ط٣، ص٥٣، AL-MAAMIRY,Oman and IBADHISM,p53.

٤) كانت هناك مراسلات وردود لعبد الله بن اباض مع الأزارقة. انظر: مهدي هاشم: الحركة الإباضية **في المشرق العربي**، م. س، ص٥٣.

وصول معاوية بن أبي سفيان إلى سدة الحكم، وبيّن فيها صراحة رأي الإباضية في كل ذلك. كما تعرض للفكر الذي تدين بها فرقتهم، وقد بدأ ابن إباض إحدى رسائله إلى عبدالملك بقوله: " بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله بن إباض إلى عبدالملك بن مروان، أما بعد: سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأوصيك بتقوى الله فإن العاقبة للتقوى والمراد إلى الله، واعلم أنه إنما يتقبل الله من المتقين" واختتم هذه الرسالة بقوله:" وقد كتبت إلي بمرجوع كتابك فأنشدك الله لما قرأته وأنت مشغول حتى تتفرغ له وتدبر معانيه وتنظر فيه بعين البصيرة، واكتب إلي جواب كتابي إن استطعت، وانزع إلي الشواهد من كتاب الله والبينة منه، فأصدِّق بذلك قولك، ولا تتعرض إلي بالدنيا فإنه لا رغبة لي في الدنيا، وليست من حاجتي، ولكن لتكن نصيحتك لي في الدين ولما بعد الموت، فإن ذلك أفضل النصيحة، والله قدير أن يجمع بيننا وبينك على الطاعة، فإنه لا خير فيمن لم يكن على طاعة الله، وبالله التوفيق وفيه الرضا والسلام عليكم"[١]. وتُظهر عبارات الرسالة جوانب حب التواصل والحوار فقد ابتدأها بقوله: "سلام عليكم" ثم أتبعها بنصحية طالما تواصى بها المسلمون في حياتهم وهي تقوى الله. وهذه العبارات توضح أن مضمون الرسالة ما هو إلا نصحية وحوار سلمي خالٍ من شتى صور التعنت والتكبر والغلو. كذلك يوصي عبدالله بن اباض عبد الملك بالنظر في كلامه بعين البصيرة والبعد عن التكبر والتعصب للرأي، ومبينا له أنه أراد بهذه النصيحة النصح فحسب ولا يرتجي منها مال ولا سلطة ولا مكانة عند الخليفة. فهذه الرسالة خير شاهد على اعتماد الإباضية على الحجة والإقناع في توصيل أفكارهم إلى الآخر، مجانبين شتى صور العنف والقوة في دعوتهم[٢]. ويصف لنا كوبرلي هذه الرسائل بقوله:" لم يُحْبِك عبدالله بن إباض تلك الرسائل في شكل عقيدة متكاملة، لكنها تؤلف مع ذلك رؤية مذهبية متسقة للتاريخ الديني ومبادئ الإمامة

---

١) البرادي: الجواهر المنتقاة، مخ. س، و١٥٦-١٦٦، سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، م. س، صص٢٣-٢٦، محمد ناصر: **منهج الدعوة عند الإباضية**، مسقط، سلطنة عُمان، مكتبة الاستقامة، سنة: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، صص٣٢٤-٣٣٧.

٢) سيدة كاشف: **إباضية عُمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب**، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، ذو الحجة ١٤٠٠هـ – نوفمبر ١٩٨٠م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مج٣، ص٢٦٥.

وحكم المذنب ومصيره يوم القيامة، وتقدم نواة لنظرية الولاية والبراءة التي صيغت لاحقا بنحو أكمل، ويحتل مطلب المساواة الاجتماعية مكانة عالية"[١]، ويظهر من هذا أن عبدالله بن إباض لم يغفل المناداة بفكر المساواة بين المسلمين، في خضم تلك الأفكار العقدية والفقهية المعمقة التي أوردها للرد على عبدالملك بن مروان، لتوضيح الفكر الذي تسير عليه هذه الفئة المتحدث باسمها.

واستمر الإباضية على هذا النهج، ففي عهد زعيم الإباضية وإمامهم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[٢] توجه وفد من الإباضية إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩هـ/ ٧١٧م- ١٠١هـ/٧١٩م) هدفه الأول والأخير هو الحوار مع الخليفة الذي اتسم بالتسامح ومحاورته مع كل المخالفين، ومثّل هذا الوفد عددٌ من الشخصيات الإباضية من ذوي العلم والفضل، من بينهم: جعفر بن السماك العبدي البصري[٣]، وأبو الحر علي بن الحصين العنبري[٤]، والحتات بن كاتب

١) بيير كوبرلي: مدخل إلى دراسة الإباضية...، م. س، ص٣٣.

٢) هو أبوعبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، بالولاء، مولى لعروة بن أدية، أصله من فارس، كان آية في الذكاء، أوتي المقدرة والكفاءة في التنظير، وحسن التدبير، سياسي محنك، وعالم جليل، عرفت الإباضية على يديه أكبر إنجازاتها في المشرق والمغرب. أخذ العلم عن الإمام جابر بن زيد، وروايته عنه، رواية تابعي عن مثله، وقد روى عن الكثير من الصحابة، منهم: جابر بن عبد الله، توفي عام ١٤٥هـ. انظر: بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، صص٤١٨-٤١٩.

٣) هو جعفر بن السماك العبدي، تابعي عالم، وشيخ نبيه، أخذ العلم عن جابر بن زيد بالبصرة، وغير يعيد أن يكون أخذ عن مجموعة من الصحابة خاصة أنس بن مالك – رضي الله عنه –، وهو من أبرز المحكمة المنكرين لجور الأمويين، ويذكر أنه قتل في المعركة التي دارت بين المهلب (١٠٢هـ) والخوارج. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص١١٢.

٤) هو أبو الحر علي بن الحصين العنبري، من أشهر علماء الإباضية، عُماني الأصل، عاش بالبصرة في أوائل القرن الثاني الهجري، فهو من تابعي التابعين، ومن أئمة الإباضية الأوائل. ويقال أنه من التابعين وقد أدرك عددا من الصحابة، كان والده الحصين من عمال خالد بن الوليد على بعض نواحي الحيرة زمن الفتوح في خلافة أبي بكر ثم عاملا لعمر بن الخطاب على ميسان من العراق، فلهذا كان من عرب البصرة. تتلمذ على يد الإمام جابر بن زيد، وعاصر الإمام أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة. أسره جند مروان بن محمد، وقيدوه في الحديد، فقتل في مكة تحت راية أبي حمزة المختار بن عوف حوالي ١٣٠هـ. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص٢٩٢.

التميمي العُماني[١]، وأبو سفيان قنبر البصري[٢]، وسالم بن ذكوان الهلالي[٣]، وأبو حمزة الشاري العُماني[٤]. فعرض هذا الوفد أفكار ومعتقدات المذهب على الخليفة عمر بن عبد العزيز ورغبتهم بمساندته في الإصلاح وإماتة البدع وإحياء السنن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومبايعته على الخلافة. ومن أبرز البدع التي طلب الوفد من الخليفة إلغاءها هو لعن علي بن أبي طالب في المنابر، ووافقهم على ذلك، واختلف معهم في بعض الأفكار الأخرى، إلا أنه يروى أن عبدالملك ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز وافق الوفد في كل ما تقدموا به[٥]. ولئن اختلف هذا الوفد مع الخليفة عمر بن

---

١) هو الحتات بن كاتب الهميمي، أبو عبد الله، من بني تميم أو بني هميم، سكن توام (البريمي حاليا) قيل أنه كان ينزل بسمد نزوى، ويعد أحد الناقلين للعلم إلى عُمان، كما كانت له صداقة، وعلاقة طيبة مع عمر بن عبد العزيز. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص١٢٠.

٢) هو أبو سفيان قنبر، سكن البصرة زمن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. يقال أنه لا يوجد أحد ممن مضى يذكر الجنة والنار مثل ما يذكر قنبر. حتى قيل: "أنَّه لم ير أحد يتكلم بالقرآن مثل أبي سفيان". عاش فترة الاضطهاد التي لقيها الإباضية من قبل الأمويين، فقد أخذه الحجاج وجلده أربعمائة سوط، وهو شيخ كبير، على أن يدل على إخوانه الإباضية أو على كبيرهم، فلم يفعل، وكان جابر بن زيد إلى جواره، فلم يكن يبق سوى أن يقول هذا، فعصمه الله وصبر على التعذيب" انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...،م.س، ج٢، ص٣٤٨.

٣) هو سالم بن ذكوان الهلالي، أحد علماء عُمان، من أهل توام (البريمي حاليا) عاصر الإمام جابر بن زيد، وكانت بينهما مكاتبات، ولعله جرى بينهما لقاء، له رسالة مطولة بين فيها معالم المذهب الإباضي الفكرية والسياسية والاجتماعية، وهي تنبئ عن علمه الوافر واطلاعه الكبير. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ...،م.س، ج٢، ص١٦٧.

٤) هو أبو حمزة المختار بن عوف، ولد بقرية مجز بعُمان، وانتقل إلى البصرة، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ونبغ في البلاغة. ويعده الباحثون من أعلام الأدباء في عصره، لا تزال خطبه شاهدة على ذلك. أرسله أبو عبيدة مسلم مددا لثورة عبد الله بن يحيى طالب الحق، التي هزت كيان الأمويين في آخر عهدهم بنواحي حضرموت واليمن، فكان خير مدد، وأحسن مغيث، ومن اليمن أرسله طالب الحق لمواجهة الأمويين في عقر دارهم بالشام، ولقتال مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ومر بمكة، فدخلها يوم عرفة سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، ثم دخل المدينة فقاتله جند بني أمية في قديد، فقاتلهم ودخلها، ثم قتل على يد جيوش مروان بن محمد عام ١٣٠هـ/٧٤٨م. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص٤٠٩-٤١٠.

٥) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، صص٢٣٢-٢٣٤، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٧٥، علي معمر: **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، سنة: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ط٣، ص٥١٤، عدون جهلان: **الفكر السياسي عند الإباضية**، من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش (١٢٣٦-١٣٣٢هـ/١٨١٨-١٩١٤م) مكتبة الضامري، السيب، سلطنة

عبد العزيز في بعض الأمور إلا أن الإباضية ظلوا يحبونه ويبجلونه ويتولونه ويترحمون عليه ويعدونه أفضل حكام بني أمية وأصلحهم، بل يروى أن الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة قال: "كنت أتمنى لو أنهم قبلوا رأي عمر"(١)، وهذا أبلغ دليل على أن الإباضية لم يعيبوا على حكام بني أمية أو بني العباس بسبب وصولهم للسلطة بالوراثة فقط، وإنما الظلم هو السبب الأساسي في تلك الفجوة الكبيرة بينهم، فبمجرد وصول الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى سدة الحكم توجهوا إليه، لمبايعته وتشجيعه على المضي قدما في طريق الإصلاح.

ب- البُعد عن التعصب وتقبّل الآخر:

تميز المذهب الإباضي بالعديد من الجوانب الفكرية الداعية إلى التواصل منذ نشأته، وهذه الجوانب هي التي هيأت البيئة الصالحة والوسط الجاذب للكثير من المسلمين للانضمام إلى هذا الفكر وتبنيه والعمل به، بل والدفاع عنه والاستماتة في نشره وتبليغه للآخرين، فمنذ نشأة المذهب لم يحبذ أصحابه ومتبعوه أن ينسبوا إلى شخص معين، إذ كانوا يسمّون أنفسهم بعدة مسميات بعيدة كل البعد عن التعصب، ومن بين تلك الاسماء (أهل الدعوة) و (أهل الاستقامة) و (جماعة المسلمين). أما تسميتهم بالإباضية فقد جاءت من مخالفيهم؛ كون عبدالله بن إباض هو الذي كان يتحدث باسمهم علنا، ولم يعترف بها الإباضية أول الأمر ولكن عندما وجدوا أنه لا يوجد فيها ما يعيب قبلوها(٢).

عُمان، سة: ١٤١١هـ/١٩٩١م، ط٢، ص٤٠.

١) البسياني: **مخطوط حجة من يبطل السؤال الواقع بعُمان**، مكتبة الشيخ سالم بن يعقوب، جربة، تونس، ص٧، نقلا عن: عمرو النامي: **دراسات عن الإباضية**، ترجمة ميخائيل خوري، مراجعة: د.ماهر جرّار، دقق وراجع أصوله وعلق عليه د. محمد صالح ناصر، د. مصطفى صالح باجو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة: ٢٠٠١م، ط١ ص٢٦٨.

٢) سالم السيابي: **العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة**، للشيخ نور الدين السالمي، نسخة مرقونة بمكتبة معهد العلوم الشرعية، ص٢٠، مجموعة مؤلفين، **عُمان في التاريخ**، وزارة الإعلام، سلطنة عُمان، دار اميل للنشر المحدودة، سنة: ١٩٩٥م، ص٢١٥، سيدة كاشف: إباضية عُمان...،م. س، ص٢٥٦.

AL-MAAMIRY: ahmaedhamoud, Oman and IBADHISM,LANCERS PUBLISHERS, New Delhi ,India,first edition, 1989,p51.

يقول السالمي في ذلك[١] :

إن المخالفين قـد سمَّـــونا بـذاك غيـر أنَّنـا رضينـا

وأصلــه أنَّ فتـــى إبـــاض كان محـاميًا لنـا ومـاض

مدافعًـــا أعــداءنا بالحجَّـة وحاميًا إخـواننا بالشـوكة

قد كان في المنعة من عشيرته ولا يطـاق بأسه لسطــوته

فأظهر الحقَّ على رغم العدى والكلُّ من أعدائه قد شهدا

فهم لا يؤمنون بالتعصب لرجل معين أو تقديس شخص بعينه ، وإنما هدفهم الحق أينما كان ومن أي شخص أتى ، فقاعدتهم التي ساروا عليها ومبدأهم الذي نادوا به هو أنهم لا يعرفون الحقَّ بالرجال ، بل يعرفون الرجال بالحقِّ ،[٢] فهم كما يقول السالمي[٣]:

فنأخذ الحـــــق متى نـراه لو كان مبغـــــض لنا أتاه

والباطل المردود عندنـــا ولو أتى به الخل الذي له اصطفوا

وهذا يوضح عدم تعصبهم لزعاماتهم وأن اتّباعهم وانصياعهم لأوامرهم مبني على اتباع الحق ، فإن زاغوا عنه فلا سمع لهم ولا طاعة ، وما ذكر آنفا يوضح أيضا عدم تعصب الإباضية لمذهبهم وأخذهم الحق من أي مكان كان ولو جاء به شخص ليس منهم ، وهذه السمة من الحوافز المشجعة للناس لتتبنى فكرهم والاعتقاد بمعتقداتهم .

إن فلسفة الدعوة إلى الوحدة ونبذ التعصب للمذهب الواحد ظلت ماثلة في الفكر التواصلي للدول الإباضية ، وهو الأمر الذي أدى بأتباعه لفتح الباب على مصراعيه

---

١) انظر: السالمي: **مفتاح السعادة إلى صحيح العبادة أنوار العقول ومدارج الكمال وكشف الحقيقة**، الناشر مكتبة الإمام نور الدين السالمي، الحيل الجنوبية، سلطنة عُمان، سنة: ٢٠٠٣م، ط١، ص١٩٤.

٢) سالم السيابي: العرى الوثيقة، م. س، ص٣٧.

٣) السالمي: **كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة**، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ط٢، ص٨.

للمذاهب الأخرى للعيش معها بسلام والتحاور فيما بينها، للتعرف عن قرب على المذهب الإباضي ومعتقداته، وفي الوقت نفسه يتمكن الإباضية من الاطلاع على ما عند المذاهب الأخرى لتسود الألفة والمحبة بينهم بالتعارف والتحاور، إذ إن "المذهبية في الأمة الإسلامية لا تتحطم بالقوة ولا تتحطم بالحجة، ولا تتحطم بالقانون، فإن هذه الوسائل لا تزيدها إلا شدة في التعصب وقوة رد الفعل، وإنما تتحطم المذهبية بالمعرفة والتعارف، فبالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون، ولماذا يتمسكون به، وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات، وبالاعتراف يتقبل كل واحد منهم مسلك الآخر برضى، ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه (اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ) وفي ظل الأخوة والسماح تغيب التحديات، وتجد القلوب نفسها تحاول أن تصحح عقيدتها وعملها بالأصل الثابت في الكتاب والسنة، غير خائفة أن يقال عنها تركت مذهبا أو اعتنقت آخر"[١]. إن هذا الفكر التسامحي والانفتاحي على المذاهب الأخرى، أصبح دليلا على عدم تعصب المذهب الإباضي، وحبه للوحدة الإسلامية والبعد عن المذهبية التي من شأنها أن تنخر جدار الوحدة وتهدم بنيانه، ويكفي دليلا على ذلك "أن كتاب بيان الشرع وهو من أقدم كتب الفقه الإباضي مليء بالأسانيد المأخوذة عن الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما من أئمة مذاهب أهل السنة"[٢].

وكان للفكر العقدي دور في نبذ التعصب؛ إذ إن العقيدة الصحيحة الناصعة مهمة في حياة الإنسان فهي "تستولي على النفس وتتولى قيادتها وتوجيهها نحو الخير، فتحد من جموحها نحو الشهوات وتروضها لتصبح عامل بناء للشخصية، وإذا لم توجد العقيدة، فإن النفس ستغيض على الإنسان وتسيطر عليه لتوجهه إلى الاغتراف من الشهوات بلا حدود وتركسه في مستنقع الرذائل ليصبح في النهاية أشبه بالحيوان بل أخس منه

---

١) مسعود مزهودي: **الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب** (٢٩٦-٤٤٢هـ / ٩٠٩-١٠٥٨م) جمعية التراث، القرارة، الجزائر، سنة: ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص١٥٧وما بعدها.

٢) بخيت الشنفري: **الإباضية في عُمان وعلاقاتهم بإباضية المغرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري**، أطروحة دكتوراه مرحلة ثالثة، الجمهورية التونسية، وزارة التربية والتعليم جامعة الزيتونة، مرقونة بمركز الدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سنة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٧٢.

منزلة"[١]. ومن هنا برزت أهمية العقيدة الإسلامية في حياة المسلم المؤمن بالله؛ لتجعل منه عنصرا فاعلا وصالحا في الحياة، ليسعى في عمارة هذا الكون وصلاحه.

إن المبادئ العقدية التي يؤمن بها الإباضية لا تختلف عن العقيدة التي يدين بها المسلمون عامة إلا في بعض المسائل[٢]، ومن أهم تلك المبادئ العقدية مبدأ التوحيد، والإيمان الجازم بوحدانية الخالق جل في علاه، وقد اتخذ الإباضية هذا الركن الأساسي مرجعية أساسية تربطهم بغيرهم من المذاهب الأخرى، فحين يختلفون مع غيرهم يتذكرون دائما أن هناك أساساً قويماً يربطهم وهو الإله الواحد، فيطلقون على المخالفين لهم الموحدين[٣]؛ تأليفا للقلوب وتذكيرا لأنفسهم بهذه المرجعية القوية التي تربطهم جميعا[٤]. وقد أفصح الإمام طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي في خطبته التي ألقاها في صنعاء عن هذه القاعدة التي تربطهم مع أهل هذه المدينة المخالفين لهم في المذهب، حين قال: "الناس منا ونحن منهم إلا مشركا بالله عابد وثن أو كافرا من أهل الكتاب أو سلطانا جائراً" [٥]، وهذا الأمر بدوره أدى إلى تقريب قلوب المخالفين، وحب تواصلهم مع الإباضية والتقرب إليهم.

٤- البعد السلمي والتعايش مع الآخر في الفكر الإباضي:

إن المتتبع لمراحل نشأة المذهب الإباضي وحياة مؤسسه -الإمام جابر بن زيد،

---

١) عاشور كسكاس: **العقيدة والفقه**، سلسلة الكشاكيل العلمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، سنة:١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ط٢، ص١١.

٢) يختلف الإباضية مع المذاهب السنية في ثلاث مسائل فقط وهي: خلق القرآن فهم يقولون أن القرآن مخلوق، والرؤية فهم لا يؤمنون برؤية الله عز وجل لا في الدنيا ولا في الآخرة، والخلود فهم يؤمنون بخلود أهل الكبائر في النار إذا ماتوا و لم يتوبوا منها. لمعرفة المزيد انظر: الخليلي: أحمد بن حمد بن سليمان، **الحق الدامغ**، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، سنة: ١٣١٢هـ.

٣) الموحدون: مفرد موحد وهو اسم يطلق على من أقر بجملة التوحيد من المسلمين، وبها يحرم ماله ودمه وكل إضرار به إلا بحقها، ولا يحكم عليه بأحكام أهل الشرك. انظر: مجموعة باحثين: معجم مصطلحات الإباضية، م.س، ج٢، ص١٠٥٦.

٤) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات ...،م. س، ص٢٩٤.

٥) الطبري: تاريخ الطبري... ،م. س، ج٤ ، ص٣٢٩، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٦٧.

يخلص إلى نتيجة مهمة وهي أن طبيعة نشأة المذهب الإباضي كانت سلمية وأن مؤسسه كان محبا متألفا للقلوب ومحبا للخير ورافضاً أي صورة من صور قتل المسلمين ظلماً وعدواناً، مبتعداً قدر الإمكان عن بؤر التوتر التي من شأنها أن تأجج الشحناء وتزرع البغض في قلوب المسلمين[١]. ويلخّص لنا أحد الباحثين هذا الأمر بقوله: "نشأة المذهب وفترات ظهوره لا تدل على تأصل النزعة الحربية أو العدوانية في نفوس معتنقيه، فقد ولدت حركتهم ولادة سلمية، ونشأ مذهبهم على يد مؤسسه جابر بن زيد . . . إنه لم يكن ممن شهدوا حرب الجمل أو صفين أو النهروان، ولم يكن ضمن هؤلاء الذين عرفوا بالخوارج، ولم يكن ضمن هؤلاء الذين رفعوا السيف في وجه الدولة أو حاربوهم من الخوارج وغيرهم، بل كان يأتلف معها" [٢].

ومن الجوانب المهمة في تاريخ تكوّن المذهب الإباضي والتي تبين حبه للتعايشٍ السلمي ما حدث في عام (٦٤هـ/ ٦٨٣م) ونعني به الانقسام الكبير في صفوف المحكمة، وما يهمنا في هذا الانقسام هو أن سببه الأساسي يكمن في كيفية التعامل مع المخالف، فخرج نافع بن الأزرق الحنظلي بمجموعة كبيرة من المحكمة أطلق عليها فيما بعد بالأزارقة، وخرج عبدالله بن الصفار السعدي بفئة أخرى سميت بعد ذلك بالصفرية، وانحاز نجدة بن عامر الحنفي بفئة ثالثة عرفت فيما بعد بالنجدات، وكل هذه "الفرق الثلاث – الأزارقة والنجدات والصفرية– تتبنى القول بأن محارييهم مشركون، ويرتِّبون على ذلك ما يترتب على حرب المشرك، ويستثنى من ذلك بعض ما يختلفون فيه"[٣]، أما الفئة المتبقية فقد أطلق عليها اسم القَعَدَة؛ وذلك لأنهم رفضوا قتل إخوانهم المسلمين، ورفضوا الحكم عليهم بالشرك، وهذه الفئة هي التي عرفت بعد ذلك باسم الإباضية نسبة إلى المتحدث باسمها، ويُدعى عبدالله بن إباض التميمي، الذي نفى عن نفسه وعن أتباعه ما ادَّعاه السابقون ممن كانوا معهم. ويكفي في هذا الصدد أن نذكر نصا يوضح المخالفة الصريحة من قبل عبدالله بن إباض لنافع بن الأزرق حين قال: "قاتله الله

١) عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية...، م. س، ص٣٣.
٢) بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان ...، م. س، ص٥٧.
٣) ناصر السابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، م. س، ص١٨٥.

أي رأي رأى، صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به، وكانت سيرته كسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – في المشركين، ولكنه قد كذب وكذّبنا فيما يقول، إن القوم كفار بالنعم والأحكام وهم براء من الشرك، ولا تحل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام"[١]، ويقصد هنا بحلية دمائهم أي في وقت القتال فحسب كقتال البغاة مثلا[٢]، وهذا ينهض دليلاً على النظرة الإيجابية السلمية للإباضية نحو مخالفيهم منذ الطور الأول لنشأتها، وهو ما استدعى حب المخالفين لهم وسهولة وسلاسة التعامل والتعايش معهم وبينهم.

فبعد انقسام المحكِّمة وخروج الفئات التي استباحت قتال المسلمين يمكننا حينها أن نطلق مفهوم الإباضية على الفئة المتبقية التي رفضت الخروج، ويمكننا فصلها عنهم، والحديث عنها على حدة. فقد بلغت هذه الفئة شأوا عظيما، إذ أمسك بزمام عنانها الإمام جابر بن زيد العُماني (ت: ٩٣هـ / ٧١١م)[٣] الذي تمكّن من بلورة فكرها، ووضع القواعد التي تسير عليها، والنهج الذي ينبغي أن تخطه في حياتها وفي تعاملها مع الآخر، وقد جسدت شخصية الإمام جابر بن زيد ذلك الفكر في حياتها، وسنعرض

---

١) الطبري: تاريخ الطبري...، م. س، ج٣، ص٣٩٩، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ط٢، ج٣، ص٤٩٢، السابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، م. س، ص١٨٥. أما الصفرية والنجدات فقد تجلت مخالفة الإباضية لهم في الفكر بأن دارت بينهم معارك تدل على رفض الإباضية للفكر الذي تدين به هذه الفرق، فقد شارك الإباضية المهلب بن أبي صفرة في محاربته للأزارقة، وحارب الإباضية العُمانيون الصفرية عندما أرادوا دخول عُمان دون التخلي عن أفكارهم، وقاتل الإباضية العُمانيون كذلك النجدات حين رغبوا في الاستيلاء على عُمان. انظر: الإزكوي: **تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، تح: عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ط٤، ص٤٣، مختار نور الدين وآخرون: **عُمان عبر التاريخ**، دراسة تاريخية اجتماعية أنثروبولوجية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، حولي، الكويت، سنة: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ط١، ص٦٠.

٢) ناصر السابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، م. س، ص١٨٥.

٣) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدي الأزدي، ولد بين عامي (١٨–٢٢هـ) بقرية "فرق" بولاية "نزوى" بعُمان، ونشأ في أحضان عائلة علم ورواية، وكان أبوه – الذي روى عنه جابر رواية في أحكام الجصاص – عالما، ولعله كان صحابيا، ولما بلغ أشده واستوى، قصد البصرة، وهي يومها من بين عواصم البلاد الإسلامية في العلم والأدب والسياسة، واتخذها دار مقام، ومدرسة علم، كان يتنقل بينها وبين الحجاز، لاستزادة معرفة، أو تحقيق مسألة، أو لملاقاة شيخ. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، م. س، ج٢، ص١٠٨–١٠٩.

مقتطفات من ذلك الفكر الذي يوضح حبه للتواصل مع الآخر بطرق سلمية بعيدة كل البعد عن الشدة وحب الانتقام، فقد كانت علاقته مع الحجاج والي العراق متسمة "بالود والمرونة واتخذ لنفسه سياسة ذكية تمثلت في البعد عن الاصطدام المباشر مفضلا اتباع سياسة السرية والكتمان، وقد اتصفت مواقف الإمام بالسلم والاعتدال تجاه ولاة الأمويين، وكان يأخذ العطاء من الدولة الأموية، ويعتبره حقا من حقوقه لا منّة أو صدقة منهم"[١]. إن هذه السياسة مهما كان الهدف منها، تدل دلالة كبيرة على حب التواصل والتعايش السلمي مع المخالفين.

وكان جابر بن زيد يرفض رفضا مطلقا فكرة إخراج المسلم المخالف من الملة الحنيفية، فقد روى لنا الدرجيني فيما يُروى عن ضمام بن السائب[٢] أن جابراً كان يرد على الأزارقة بقوله: " أليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين؟ قال: فيقولون بلى، قال: يقول لهم: وحرم ولايتهم بدين بعد الأمر بها بدين؟ قال فيقولون بلى، فهل أحل ما عدا هذا بدين؟ قال: فيسكتون ولا يجيبونه بشيء"[٣].

وبرز جابر بن زيد في مجتمع البصرة مفتيا وعالما، وكان أهل العراق كلهم يرتضون رأيه ويعملون بقوله. ومن المعلوم أن الناس لا يستفتون ولا يأخذون دينهم إلا ممن يرتضون علمه وخلقه. ولقد كان جابر بن زيد المرجع الأول والأخير في البصرة إن لم يكن في العراق بأكمله، وما قصة سجنه من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي لمنعه من الخروج إلى الحج إلا دليلٌ على علمه وعدم استغناء أهل العراق عنه حتى لفترة وجيزة، وخاصة إذا علمنا أن سجن الحجاج له جاء بطلب من الناس ليستفيدوا من علمه

---

١) عبدالستار خليف: **دراسات تاريخية عن الإمام جابر بن زيد**، مقال على الموقع الإلكتروني لجريدة الوطن العُمانية، بتاريخ: ١٢ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٢ إبريل ٢٠٠٤م.

٢) هو أبو عبد الله ضمام بن السائب الندابي (حي في ١٠٠هـ) من أبرز أئمة الإباضية الأوائل فهو من طبقة التابعين، أصله من أزد عُمان. أخذ العلم عن جابر بن زيد. ذاق ضمام مرارة السجن وعذابه على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، و لم يخرج من السجن إلا بعد وفاة الحجاج، وكان له مناظرات مع القدرية والخوارج. انظر: محمد ناصر: **معجم أعلام الإباضية من القرن الهجري الأول إلى العصر الحديث**، قسم المشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، سنة:١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٥١.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٠٨-٢٠٩.

ويستفتونه فيما يشكل عليهم من مسائل الدين[١].

إذا كان جابر بن زيد هو من وضع أسس المذهب الإباضي، وعبدالله بن إباض هو من صدح بأفكاره، فإن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي هو من أكمل ذلك الأساس وتمكن من ترسيخه والحفاظ عليه، وقد كان هو الآخر رافضا لأي شكل من أشكال القتل لإخوانه المسلمين المخالفين له في المذهب، ولم يكن يشجع على ذلك، على الرغم من الظلم والقسوة التي كان يعاملهم بها ولاة بني أمية ومن بعدهم بنو العباس. ومن أعظم الأدلة على ذلك: رفضه لطلب أحد أتباعه بالخروج على الدولة الحاكمة، ورد عليه قائلا: "ما أحب ذلك. ولو أني فعلت ما أحببت، ولا أحب أن أقيم ما بين الظهر والعصر مخافة الأحكام"[٢]. ويتبين من هذا أن الإباضية كانوا يحاولون البعد كل البعد عن سفك دماء الأبرياء، ولكنهم في الوقت نفسه يرفضون الظلم بجميع أشكاله ويقاومونه بأساليب سلمية دون الجنوح إلى السلاح.

بعد وفاة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عام(١٤٥هـ/٧٦٢م) تصدر رئاسة المذهب الإباضي الربيع بن حبيب الفراهيدي العُماني[٣]، وتمكن الأخير من الحفاظ على المجتمع والمنجزات التي حققها سلفه وشيخه أبو عبيدة، إلا أنه لم يستمر طويلا في البصرة فقد قرر الرجوع إلى مسقط رأسه عُمان؛ ليدير شؤون المذهب من هناك، وشكّل وجوده في عُمان همزة وصل لكل الأتباع الإباضية في جميع أصقاع المعمورة. ومضى الربيع بين

---

١) الدرجيني: كتاب طبقات المشائخ بالمغرب...، ج٢، ص٢٠٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٦٨، زيانة الحارثية: **الإمام جابر بن زيد وتأسيس الفكر الإباضي**، مسقط، سلطنة عُمان، مكتبة الجيل الواعد، سنة: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ط١، صص١٥٠ – ص١٥١.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٧٨.

٣) هو العلامة الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي العُماني، وهو الإمام الثالث بعد جابر وأبي عبيدة. ولد حوالي سنة ٧٥هـ بغضفان إحدى قرى محافظة شمال الباطنة حاليا، ولم يمكث طويلا في عُمان، بل انتقل إلى البصرة لطلب العلم، فتتلمذ على يد الإمام جابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب، وصالح الدهان، واحتل بعد ذلك مكان الصدارة تدريسا وتأليفا وإفتاء، وأسهم في الحركة العلمية بالبصرة؛ فأشرف على حملة العلم ووجههم إلى عُمان واليمن وخراسان، وخلّف شيخه أبا عبيدة في تسيير أمور الدعوة، وامتاز في مجال التأليف، فكان رائدا في تدوين الحديث والفقه، ومن أهم مؤلفاته: الجامع الصحيح، توفي عام ١٧٠هـ. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية ...، م.ص، ص١٥٢–١٥٣.

حبيب على نفس النهج الذي سار عليه أسلافه فلم يذكر عنه أنه أساء المعاملة للمخالفين له في الفكر والمعتقد، فلم يشهر سيفا ولم يأمر بالقتل، واستطاع بفكره وبفكر تلامذته من بعده أن يؤسسوا دولة إباضية في عُمان استمرت لفترات طويلة عمَّ فيها الأمن والاستقرار، واستقطبت الكثير من الفئات للاستقرار بها[١].

ونخلص من هذا، إن هذه السيرة الحسنة لمؤسسي المذهب الإباضي وزعمائه الأوائل شجعت عدداً من فئات المجتمع الإسلامي على التعامل معهم، بل وجذبت إليهم قلوب الناس فانضمت إليهم بعض فئات المجتمع في البصرة بصورة خاصة، ومن شتى بقاع المعمورة بصورة عامة.

وسار الإباضية عبر تاريخهم على تلك السيرة الحسنة لمشائخهم فرحّبوا بجميع المذاهب الإسلامية للسكنى معهم في دولتهم، والعيش بينهم بأمان، وإعطائهم الحق في إظهار مذاهبهم وما يعتقدونه، ولو كان ذلك مخالفا للمذهب الإباضي الرسمي للدولة، ويحظون بكل الحقوق التي تكفل لهم حياة سعيدة وآمنة، فتصان عهودهم، ولا تُخان أماناتهم، ولا يتعرضون لهم بالقتل ما داموا مسالمين للدولة، ويرون جواز مناكحتهم ويحرِّمون قذفهم بشيء لم يأتوه، وإن حدث ورفعوا السيوف في وجوه الإباضية قاتلوهم، ولكن لا يستحلون أموالهم ولا سبي نساءهم ولا قتل ذراريهم ولا قطع الميراث عنهم، كما لا يجيزون قتلهم غيلة، إلى غيرها من الحقوق التي تحفز المخالفين على الحياة معهم بأمان وطمأنينة[٢]. ومن هذا المنطلق فقد عجّت الدولة الإباضية في عُمان وبلاد المغرب– الدولة الرستمية– على حد سواء بهذه الفئات، ففي مدينة صحار العُمانية وحدها –التي كانت عاصمة الدولة في بعض الفترات التاريخية– العديد من المذاهب السنية ومذاهب الشيعة والمعتزلة، ولم يقف الحد عند هذا فقط، بل وجُدت

---

١) وأولها إمامة الجلندى بن مسعود (١٣٢هـ – ١٣٤هـ) انظر: الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٩٥– ٩٦، السالمي: نور الدين عبد الله بن حميد، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، مكتبة الاستقامة، د.ت، ج١، ص٨٥ وما بعدها، مبارك الراشدي: **الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقه** (٤٥– ١٤٥هـ) سنة: ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ط١، د.د، صص١٤٩–٢٥٠.

٢) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، صص ٧٦–٨١ ، علي معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، م. س، ص٣٣٦ –٣٤٠.

بعض الشرائع الأخرى تقطن هذه المدينة مثل: النصرانية واليهودية والمجوسية[١]، وفي المقابل كانت تاهرت –العاصمة الرستمية– في بلاد المغرب تضم بين حناياها العديد من المذاهب[٢]، ولم يأنف علماء الإباضية من مناظرتهم بأسلوب فيه الكثير من اللطف والاحترام لهم، فمن "أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قرّبوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك[٣]". وعلى الرغم أنه بإمكان مؤسس الدولة الرستمية –عبدالرحمن ابن رستم– عدم السماح للمذاهب الأخرى بدخول مدينته – تاهرت– فهو الذي بناها، ولديه القوة والمنعة من أتباعه لو رغب في ذلك، إلا أنه لم يفعل هو ولا الأئمة الذين جاءوا من بعده[٤]، وهذا الأمر يوضح العلاقة الحسنة التي كان يتعامل بها أتباع المذهب الإباضي مع المذاهب الأخرى، والحياة الآمنة التي كانت تسود العاصمة تاهرت على الرغم من تعدد المذاهب فيها.

لم ينحصر حب تكوين العلاقات والتعايش السلمي مع الآخر على نطاق الدولة الواحدة، بل تعدى هذا الأمر إلى تكوين علاقات مع الدول الأخرى، فلم تكن الدول الإباضية متقوقعة على نفسها، بل انفتحت على الدول المجاورة لها وأقامت معها علاقات صداقة وتبادل للمصالح، وإن اختلفت هذه الدول معها في المذهب، من ذلك قيام الدولة الرستمية بتوطيد علاقتها مع الأمويين في الأندلس، وقيام علاقة تجارية كبيرة ومزدهرة مع بلاد السودان وأقامت علاقات مع الصفرية في سجلماسة، إضافة إلى

---

١) رجب عبد الحليم: **الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة**، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، د.ت، ص٦٧، محمد المنذري: **تاريخ صحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ط١، ص٢٥٢ وما بعدها.

٢) ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص٩٣، ص ١١٧، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص٦٩.

٣) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص ١١٧، جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص٥٥.

٤) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر المغرب وعلاقتهم...، م. س، ص٦٨.

العلاقة الوطيدة بعُمان التي هي موضوع الدراسة[١]، وبهذه العلاقات تمكن الرستميون من الحفاظ على وجودهم، بالرغم من إحداق الأنظمة المخالفة لهم سياسيا ومذهبيا[٢]. كذلك قامت الدولة الإباضية في عُمان بعقد العديد من العلاقات مع الدول المجاورة سواء كانت علاقات تجارية أم علاقات سياسية، منها علاقتها مع الهند والصين وشرق أفريقيا، وعلاقتها القديمة مع البحرين، إضافة إلى علاقتها مع إباضية بلاد المغرب[٣].

٥- التقارب الفكري بين المذهب الإباضي والمذاهب السنية:

مثلت شخصية جابر بن زيد – مؤسس المذهب– همزة الوصل ونقطة التشابه بين المذهب الإباضي والمذاهب السنية الأخرى– الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية–؛ وذلك لسببين مهمين أولهما: أن المذهب الإباضي قد "أسس على التسامح والاعتماد في أصوله على الكتاب والسنة، ويتفق في كثير من أصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنة، ولا يختلف معها إلا في مسائل قليلة، كالاختلاف في مذاهب السنة نفسها فيما بينها" [٤]، وثانيهما: أن جابر بن زيد قد أخذ علمه من الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم– الذين يشكلون المنبع الذي استقت منه كل المذاهب فكرها ومبادءها وفقهها، وتفوّق المذهب الإباضي على تلك المذاهب بأن مؤسسه قد أخذ عن الصحابة بينما المذاهب الأخرى أخذت من التابعين[٥]. وقد عّبر جابر بن زيد عن هذا بقوله: "أدركت سبيعن بدريا فحويت ما عندهم إلا البحر"[٦] ويقصد من ذلك أنه أدرك سبعين

---

١) جودت عبدالكريم: العلاقات الخارجية...،م. س، ص٥٧، محمود إسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بدون تاريخ للنشر، ص١٩٩، ص٢٠٣، أحمد إلياس: **الإباضية في المغرب العربي**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ط١، صص٣٨–٤٤، الحبيب الجناحي: **تاهرت عاصمة الدولة الرستمية**، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، فصلية من عدد (٤٠ –٤١–٤٢–٤٣) تونس، سنة: ١٩٧٥م، ص٣٤.

٢) جودت عبدالكريم: العلاقات الخارجية...، م. س، ص٥٧.

٣) نايف السهيل: **الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين**، مكتبة الاستقامة، سنة: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ط٢، ص١٥٤ وما بعدها.

٤) بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان ...، م. س، ص١٧١.

٥) نفسه: ص١٧١.

٦) سالم السيابي: **إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء**، تح: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة،

صحابيا ممن شهدوا معركة بدر فحوى ما عندهم من علم عدا البحر الذي هو عبدالله بن عباس[١]، وقد شهد له ابن عباس بالعلم في العديد من المواقف من بينها إن قوما من أهل العراق جاءوا يستفتونه فقال لهم: "تسألوني وفيكم جابر بن زيد"[٢].

لم يكن جابر بن زيد بمنأى عن العلماء الآخرين في عصره فقد كانت تربطه علاقة وطيدة بالعلماء المعاصرين له، وقد وضحت هذه العلاقة في الشهادات التي أدلى بها معاصروه ممن كانت تربطهم به علاقة علمية أو علاقة اجتماعية أخرى، ومن بين أولئك، قاضي البصرة إياس بن معاوية حيث قال عنه: "لقد رأيت البصرة وما فيها مفتٍ غير جابر بن زيد"[٣]، وقال عنه عمرو بن دينار: "ما رأيت أحدا أعلم بالفتيا من جابرٍ بن زيد"[٤]، ووصفه أبو نعيم الأصفهاني بقوله: "كان للعلم عينا ومعينا، وفي العبادة ركنا ركينا، وكان إلى الحق آيبا ومن الخلق هاربا"، ورد أيوب السختياني على من سأله هل رأيت جابر بن زيد؟ بقوله: "نعم كان لبيبا لبيبا "[٥]. إن هذه الشهادات التي أدلى بها معاصروه لهي دليل على حسن تعامله معهم، كما أنها تُغني عن أي قول

مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٩٧٩م، ص١٩، صالح البوسعيدي: **رواية الحديث عند الإباضية**، دراسة مقارنة، سنة: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، د.د، ص٣٩، زيانة الحارثية: الإمام جابر بن زيد...، م. س، ص١٠٦.

١) ولا يعني هذا أن ابن عباس شهد بدرا، وإنما ذلك استثناء منقطع. انظر: مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم م. س، ص٣٧.

٢) ابن حجر: **كتاب تهذيب التهذيب**، دار الفكر، سنة: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص٣٤. وعند الذهبي: "تسألوني عن شيء وفيكم جابر بن زيد". انظر: **كتاب تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص٧٢. ووردت عند آخرين: "عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد، لو قصدوا نحوه لوسعهم علمه"، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٠٥، سالم السيابي: إزالة الوعثاء ....، م. س، ص١٧، سالم الحارثي: **العقود الفضية في أصول الإباضية**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٩٥.

٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب، م. س، ج٢، ص٣٤، وعند غيره: "لقد رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد". انظر: سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، م. س، ص٢٧، سالم السيابي: إزالة الوَعثاء ...، م. س، ص١٧.

٤) ابن كثير: **البداية والنهاية**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ط١، ج٩، ص١١٥، وعند الذهبي: "ما رأيت أحدا أعلم من أبي الشعثاء". انظر: **سير أعلام النبلاء**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ط١، ج١، ص١٣٣٤.

٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ، م. س، ج١، ص٧٢.

آخر؛ كونها خارجة من أفواه أناس يعرفون قيمة العلم، ومن هم حملته الحقيقيون.

إن هذا الثناء العطر صَحِب جابر بن زيد حتى بعد وفاته فقد قال عنه صديقه ورفيق دربه الحسن البصري، وهو قد حضر اللحظات الأخيرة لجابر بن زيد قبيل وفاته، وبعد حوار علمي دار بينهما في تلك اللحظات، أنهى الحسن البصري كلامه بقوله: "هذا والله الفقيه العالم" (١). ولما بلغ قتادة خبر وفاته، وهو إذ ذاك أعمى البصر، قال دلوني على قبره، فلما اقترب منه قال: "اليوم مات عالم العرب"(٢). وهناك الكثير من هذه الشهادات اكتفينا بذكر هذه الأمثلة لنوضح المكانة التي اعتلاها جابر بن زيد في حياته، والذكرى الحسنة التي تركها بعد وفاته.

فإذا كانت هذه هي مكانة مؤسس المذهب الإباضي في المجتمع العراقي بصورة عامة والبصرة بصورة خاصة، فحتما سيسير الأتباع على نهجه وينحون نحوه، فهو قدوتهم وزعيمهم، فلا عجب إن طبّق الإباضية هذا النهج في حياتهم الاجتماعية، وهم الذين لا يخرجون عن رأي زعيمهم، ويمتثلون لأوامره(٣). ومن هذا المنطلق، فقد سار تلامذته وأتباعه على نهجه ومن أبرزهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وقد كان أهل السنة من ساكني البصرة يطلقون عليهم الحرورية(٤)، ويبتعدون عن كل الألقاب التي تسيء إليهم، وفي أحيان أخرى يسمونهم بالشراة، وهذا أبلغ دليل على سعة تقبلهم للمخالفين لهم، وحسن الجوار معهم، بشهادة مخالفيهم، ولم يأت هذا الاحترام المتبادل بين الطرفين إلا بعد أن خبرت كل فئة ما عند أختها(٥).

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٠٧. الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٦٩. علي معمر: **الإباضية في موكب التاريخ**، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ط٢، ص١٤٤.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٠٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٧٢.

٣) علي معمر: الإباضية في موكب التاريخ م. س، ص١٤٥.

٤) الحروريون: هم الذين كانوا مع الإمام علي بن أبي طالب في معركة صفين عام ٣٧هـ/٦٥٧م، ثم اعتزلوه لما قبل التحكيم، واشتهروا في بداية أمرهم بالحروريين، نسبة إلى قرية حروراء التي نزلوها لما غادروا معسكر علي بن أبي طالب في الكوفة، والتي تبعد عنها بنصف فرسخ (حوالي ٣كم). انظر: مجموعة باحثين: معجم مصطلحات الإباضية، م.س، ج١، ص٢٦٥.

٥) عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، م. س، ص٦٧.

٦- القيم والأخلاق السامية في الفكر الإباضي كعامل استقطاب للآخر.

اتسم رجالات المذهب بصفات وسمات أخلاقية وقيم عالية جعلت منهم شخصيات محبوبة لدى كل من احتك بهم أو تواصل معهم، ولنقف أولا مع دعاة المذهب كونهم يشكلون البداية الأولى لأي وجود إباضي في مناطق دعوتهم، فقد نادى هؤلاء الدعاة إلى المذهب بأسلوب راقٍ مبني على أخلاق سامية مع أهالي المناطق التي يستهدفونها، فهم الذين تم اختيارهم بحرص من قبل أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وتولى إعدادهم وتدريسهم بنفسه، وعندما أحس بمقدرتهم على تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقهم، بعثَّ بهم إلى الأماكن التي تم اختيارها لتنفيذ هذا الدور الشاق، وقد أدى هؤلاء الدعاة العمل المنوط بهم على أحسن ما ينبغي[١]، وكان لهم دور كبير في نقل الفكر الإباضي إلى عامة المسلمين، إذ إن أسلوبهم الراقي في الدعوة، واستماتتهم في تبليغ هذا الفكر، أدى إلى اقتناع عدد من الناس به واعتناقه. ومن أولئك الدعاة أبو حمزة المختار بن عوف العُماني، الذي أرسل للدعوة إلى أفكار المذهب في بلاد الحجاز مستغلا تجمع المسلمين في موسم الحج، فلما مرَّ بمعدن سليم[٢]، سمعه الوالي الأموي كثير بن عبدالرحمن – عامل المعدن– فأمر به فجلد أربعين سوطا[٣]، ولكن ذلك لم يثنه عن مواصلة دعوته. وفي المغرب استمات سلمة بن سعد[٤] في الدعوة إلى الفكر الإباضي

---

١) سيف البوسعيدي: **حملة العلم إلى المغرب ودورهم في الدعوة الإسلامية**، سلطنة عُمان، إصدار قسم البحوث الإسلامية بدائرة الوعظ والبحوث الإسلامية، وزارة العدل والأوقاف والشئون الإسلامية، سنة: ١٤١٣هـ، ط١، ص١٥.

٢) معدن بني سُلَيم، وهو معدن فَرَان وهو من أعمال المدينة المنورة على طريق نجد. انظر: الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله، **معجم البلدان**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٩٦م، ط١، ج٥، ص١٥٤.

٣) الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٤، ص٣٠٢، مسكويه: **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تح: سيد كسروي حسن، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، سنة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ط١، ج٢، ص٥٤٥، ناصر الندابي: **الإمامة الإباضية في اليمن وامتداد نفوذها إلى الحجاز**، رسالة ماجستر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عُمان، مرقونة بالمركز الثقافي، جامعة السلطان قابوس، ص٥٥.

٤) سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمن، عالم وداعية، أخذ العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد، وعن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وعن ضمام بن السائب وغيرهم، هو أوَّل من جاء من البصرة بمذهب الإباضية، ليدعو إليه في بلاد المغرب الإسلامي. قيل إنَّه جاء في بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي،

وقال قولته المشهورة الدالة على تجذُّر ذلك الفكر في قلبه، وإيمانه الراسخ بقضيته، حين قال: "وددت أن لو ظهر هذا الأمر – يعني مذهب الإباضية– يوما واحدا من أول النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده"[١]. إن هذا الإخلاص والتفاني في الدعوة من قبل هؤلاء الدعاة، وبما أظهروه من تقوى وتمسك بالدين، جعل عددا من الناس يقتنعون بهم، ويؤمنون بدعوتهم، ولاقت أفكارهم آذاناً مصغية ولامست قلوبا كانت متعطشة لمثل هذه الدعوات الإصلاحية[٢].

ونادى هؤلاء الدعاة بالمساواة والعدل والحرية ونبذ الظلم، فوجدت هذه الدعوة سبيلاً إلى قلوب وعقول البربر، الذين تذمروا من سياسات بعض ولاة الخلافة – الأموية والعباسية– بسبب سوء تعاملهم معهم، والنظر إليهم نظرة استصغار واحتقار[٣]. وهذه السياسة السيئة من قبل أولئك الولاة كانت تتصادم مع ما عُرف عن شخصية البربر من "الأنفة والكبرياء والسيادة والشجاعة"[٤]، ولهذا فقد كانت الدعوات المناهضة لهم تستهويهم وتجعلهم ينقادون إليها، وخاصة إذا كانت تنادي بالرجوع إلى مبادئ الإسلام الصافية، وهو ما ركّز عليه سلمة بن سعد إبان دعوته للبربر، ولهذا السبب لاقت دعوته صداً كبيراً لدى سكان بلاد المغرب. والسبب الآخر مقدرته الكبيرة على التواصل مع الناس، ونتيجة لهذه الجهود فقد تمكن من إقناع عدد من المسلمين بفكره، واستطاع تحفيز بعض طلاب العلم المغاربة على التوجه إلى البصرة للاستزادة من هذا الفكر على يد

أرسله الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فجاء هو وعكرمة مولى ابن عباس، يتعاقبان جملاً واحداً، كان سلمة يدعو لمذهب الإباضية، وعكرمة يدعو لمذهب الصفرية. انظر: بابا عمي آخرون، معجم أعلام الإباضية ...،م.س، ج٢، صص١٨٩–١٩٠.

١) أبو زكريا: **كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا**، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، سنة: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ط٢، ص٤١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص١١–١٢.

٢) سيدة كاشف: إباضية عُمان ...، م. س، صص٢٧١–٢٧٢، عمرو النامي: دراسات عن الإباضية...، م. س، ص١١٠، جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، م. س، ص٤٣.

٣) سنتعرض لهذا الأمر بالتفصيل في فصل موانع التواصل بين عُمان وبلاد المغرب.

٤) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب ...، م. س، ص٣٦.

زعيم المذهب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[١]، وهؤلاء الطلاب هم: أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس، وعبدالرحمن بن رستم من القيروان، وعاصم السدراتي من سدراته غربي أوراس، وأبو درار القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوب تونس[٢]. وعند التمعن في المناطق التي ينتمون إليها يتضح لنا وبصورة جلية مدى تقبل البربر للدعوة الإباضية في الكثير من مناطق بلاد المغرب، كما يتضح النطاق العريض الذي طاف به هذا الداعية دون اعتراض له من قبل السكان.

أما في عُمان فلا غرو إنْ تقبّل السكان فيها للمذهب الإباضي إذ يعزى ذلك إلى كون مؤسس المذهب جابر بن زيد والربيع ين حبيب وغيرهم من زعامات المذهب يعود أصلهم إليها، إضافة إلى ذلك فإن العُمانيين منذ قيام الفتنة في عهد عثمان بن عفان ارتأوا عدم الدخول في الفتنة ثم حبذوا الاستقلال عن الخلافة –الأموية والعباسية–، وهذا الفكر تواءم مع فكر المذهب، مما أدى إلى اعتناق أغلب سكان عُمان للمذهب الإباضي[٣].

وبفضل جهود الدعاة ودعم زعامات المذهب في البصرة؛ تمكن الإباضية من تكوين كيانات سياسية مستقلة لهم عرفت في تاريخهم باسم الإمامة نسبة إلى حاكمها الذي يطلق عليه اسم الإمام.

إن الأفكار التي نادى بها الإباضية تبريرا لاستقلالهم عن الدولة الحاكمة يأتي في مقدمتها العدل والمساواة والتخلص من الظلم الواقع على السكان جراء السياسات السيئة من قبل ولاة الدولة الأموية والعباسية، وهو الأمر الذي لاقى استحساناً وقبولا لدى كل الأوساط التي عانت من الظلم، وقد وضح هذا الأمر في كل الأماكن التي أعلن فيها الإباضية الاستقلال وإقامة دولة لهم. فعندما أرادوا إعلان الإمامة في اليمن(

---

١) سيف البوسعيدي: حملة حملة العلم إلى المغرب ...، م. س، ص١٧وما بعدها.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب م. س، ج١، ص١٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١١٣، سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، م. س، ص٣٤، سيف البوسعيدي: حملة العلم إلى المغرب...، م. س، ص١٨.

٣) ولمعرفة المزيد من الأسباب التي أدت إلى تقبل سكان عُمان للمذهب الإباضي. انظر: نايف السهيل، الإباضية في الخليج العربي...، م. س، ص٣٧ وما بعدها.

١٢٨هـ/ ٧٤٦م) كان جوهر الرسالة الموجهة إلى زعيم الإباضية في البصرة – أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة– يوضح أن فساد ولاة بني أمية وظلمهم قد بلغ أقصاه، وأنه آن الآوان للنهوض بأعباء الإصلاح ومقاومة الفساد[١]، فجاءت الإجابة سريعة وبنفس الفكر، إذ رد عليه بقوله:" إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، فإنك لا تدري متى يبلغ أجلك، ولله خيرة من عباده، يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويخصهم بالشهادة إكراما لهم بها"[٢]، وهذا الرد الجوابي يبين الهدف الذي من أجله تُقام الدول الإباضية، والغاية التي من أجلها ترفع السيوف وتزهق النفوس.

ونفس الفكر وذات الهدف هو الذي جعل أبا الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري[٣] يغزو القيروان، ويحررها من أيدي قبيلة وارفجومة التي عاثت فيها فسادا وقتلت المسلمين ظلما وعدوانا[٤]، وقد ابتعد أبو الخطاب المعافري عن كل ما من شأنه

---

١) أحمد الرقيشي: **نسخة من مخطوط مصباح الظلام**، مخ.م. س، ع، السيب، سلطنة عُمان، الرقم (٩٧) و٥٧. ناصر الندابي: الإمامة الإباضية...، م. س، ص٦٤.

٢) البلاذري: **أنساب الأشراف** (كتاب جمل أنساب الأشراف) تح: سهيل زكار، رياض زركلي، بيروت، لبنان، دار الفكر، سنة: ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ط١، ج٩، ص٢٨٥. وعند الأصفهاني: "إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك؟ ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويخص بالشهادة منهم من يشاء". انظر: الأصفهاني: **الأغاني**: تح: يوسف البقاعي وغريد الشيخ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنة: ٢٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ط١، ج٢٣، ص ١٨٢. "وذكرها الرقيشي وصاحب كتاب كشف الغمة، وفيها تغيير بسيط" انظر: أحمد الرقيشي: مصباح الظلام، مخ. س، و٥٧. والإزكوي: **مخطوط كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة**، نسخة من مخطوطة بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مخ. د.و.ع، رقم المخطوط (٥٨)، نسخة خاصة في ملكية الباحث، سنة النسخ: ١٣١٨هـ، و١٦٢.

٣) هو عبد الأعلى بن السمح بن عبيد المعافري الحميري اليمني، ت: ١٤٤هـ/ ٧٦١م، تتلمذ على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. هاجر إلى المغرب برفقة حملة العلم، وبويع بالإمامة عام ١٤٠هـ، وسار في الناس سيرة حسنة، وانتصر على الجيوش العباسية في معركة مغمداس عام ١٤٢هـ. امتدَّ سلطان دولته شرقًا إلى برقة، وغربًا إلى القيروان عاصمة بلاد المغرب الإسلاميِّ، وجنوبًا إلى فزَّان، واستمرَّت هذه الانتصارات، وهذا الحكم العادل أربع سنوات، وخشي الخليفة العبَّاسيُّ أبو جعفر المنصور عواقبها في زعزعة ملكه، فبعث إليه جيشًا ضخمًا بقيادة محمَّد بن الأشعث الخزاعي، الذي قضى على أبي الخطَّاب وإمامته في معركة تاورغا سنة ١٤٤هـ. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، صص٢٤٢–٢٤٣.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم م. س، ص٦٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٢٦–٢٩. الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١١٥–١١٦.

الإساءة لأهل القيروان إبان دخوله المدينة. ويروي لنا الدرجيني حادثة تدل على نزاهة أبي الخطاب حين قال: "حدَّث بعض أصحابنا أن شيخا من شيوخ القيروان بعث ابنا له يرتاد مزرعة كانت له بقرب منزل عسكر أبي الخطاب فقال يا بنى: اذهب وانظر هل بقى في مزرعتنا شيء قال: فخرج الغلام إلى المزرعة فوجدها سالمة لم ينلها فساد، فرجع الغلام إلى أبيه فأخبره، فعجب لذلك وعجب الناس لعدل أبي الخطاب وسيرته وطاعة أصحابه له فيما يأمرهم به وينهاهم عنه. وكان من مقالة الشيخ المذكور إذ ذاك لمن حضره من أهل القيروان: أتظنون أن أبا الخطاب يشبه من ولي عليكم قبله دينا وفضلا؟ وأن سيرتهم كسيرته حسنا وعدلا؟ كلا والله، أين مثل أبي الخطاب في سيرته وعدله وفضله!" (١). إن هذه الصفات الحسنة والقيم النبيلة التي حافظ عليها الإباضية هي التي شجعت الناس للتواصل معهم بل والانضمام إليهم فيما يدعون إليه.

وتظهر فلسفة أخلاقية أخرى في فكر الإباضية عندما يتمكنون من إخضاع أي منطقة لسيادتهم، وإقامة دولة إباضية فيها، بعد أن كانت تحت هيمنة دولة مخالفة لها في المذهب، فإنها لا تقوم بقتل أو سجن أو نفي المخالفين منها، بل تخيرهم بين ثلاثة أمور، ويمكن أن تتضح هذه الصورة جليا من تطبيق الإباضية لهذا الأمرعلى أرض الواقع، وهو ما قام به فعلا الإمام طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي مع المخالفين في صنعاء، إذ خيَّرهم بين ثلاث، وأمر كل فرد أن يأخذ الخيار الذي يراه مناسبا له، غير مأمور ولا مجبور: "أيها الناس إنَّا نخيركم بين ثلاث خصال، أيها شئتم فخذوا لأنفسكم، رحم الله امرءا أخذ الخيار لنفسه" (٢) الخيار الأول: الولاء التام مع الجهاد، والانضمام تحت لواء الإباضية جمعاء، يقول ما يقولون ويعتقد ما يعتقدون، فيكون كأحد الأتباع له ما لهم وعليه ما عليهم "إما امرؤٌ قال بقولنا ودان بالدين الذي دِنا فحملته نيته على أن يجاهد معنا بنفسه، فيكون له من الأجر ما لأفضلنا ومن قسم الفيء ما لبعضنا"(٣) الخيار الثاني: الولاء مع لزوم الدار، الولاء والدخول في أتباع المذهب

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٣٠.

٢) البلاذري: أنساب الأشراف...، م. س، ج٩، ص٢٨٨.

٣) المصدر نفسه.

الإباضي، وحب البقاء في كنف الدولة الإباضية، ويدعو إلى رأي الإباضية بلسانه وقلبه، مع عدم المشاركة في الجهاد، ولا في أمور الدولة، فليعش بأمان ولن يُتَعرض له بسوء، "أو قال هذا القول ثم أقام في داره فدعا الناس إليه بقلبه ولسانه فَلعلَه ألا يكون ذلك أخس منازله" (١) الخيار الأخير: الحياد، وحب البقاء في الدولة الإباضية، مع كف لسانه ويده، ولا يتعرض لأتباع الدولة بسوء(٢)، لئلا يعرِّض نفسه للقتل" أو كرهنا فليخرج بأمان إلى ماله وأهله ويكفَّ عنَّا يده ولسانه، فإن ظفرنا لم يكن عرَضَ لنا نفسه ولم يحملنا على سفك دمه وإن قُتلنا قد كُفِيَ مؤونتنا وعسى ألا يعمر بعدنا إلا قليلا" (٣) هذه الخيارات الثلاثة توضح مدى سيادة فكر التعايش السلمي مع المخالفين التي ينادي بها الإباضية في الكثير من محافلهم، ويطبقونها على أرض الواقع تطبيقا عمليا خاليا من التحيز والتشدد.

كان فكر الإمام الإباضي وأسلوب حياته وأخلاقه المتينة في التعامل مع من حوله من الناس، مثالا حيا لفكر التواصل والتعايش، فمنذ المرحلة الأولى لوصول الإمام لسدة الحكم يبرز فكر التواصل الأخلاقي المبني على المحافظة على القيم الإسلامية والمتمثلة في فلسفة الشورى لاختيار شخص الإمام، والتي ظلت ماثلة للعيان في تاريخ المذهب الإباضي، وهي التي شكلت نقطة الخلاف بينهم وبين الخلافة الأموية بسبب إنكارهم لمبدأ التوريث في الحكم الذي أقره معاوية بن أبي سفيان، وكذلك رفضهم أيضا لمبدأ القرشية في اختيار الحاكم، وهو الأمر الذي شجع عددا من الفئات الأخرى من المخالفين

لتقبل فكرهم كونهم يرضون بالحاكم وينصاعون له ولو كان عبداً حبشيا، فهم يرون أن الإمامة حق لكل مسلم تتوفر فيه شروطها(٤)، و"تؤكد هذه القاعدة على مبدأ

---

١) المصدر نفسه.

٢) ناصر الندابي: الإمامة الإباضية...، م. س، صص٩٢-٩٣.

٣) البلاذري: أنساب الأشراف...، م. س، ج٩، ص٢٨٨.

٤) أحمد الخليلي: **شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد**، للإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، مكتبة الأجيال، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٦٨، جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية...، م. س، ص٤٤، حسين غباش: **عُمان والديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث** (١٥٠٠-

المساواة البشرية فهي بالتالي تلغي أسس التفاضل الجاهلية التي كانت سائدة في المجتمعات البشرية المختلفة كالقبلية والعرقية والمادية، فالمسلمون جميعاً سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أي بمقدار تحليه بأخلاق وآداب الإسلام، ومن هذا المنظور السامي فإن القرشية والعلوية والأموية والعرقية لا أصل لها في الإسلام"[١]، وهذا الفكر هو الذي لعب دورا كبيرا في تواصل البربر وانضماهم إليهم[٢]، وكذلك استقطاب الموالي (العجم والعبيد) في بلاد المشرق إلى الدعوة الإباضية.

واتصف الإمام الإباضي بالتواضع، وظهر هذا الفكر واضحا في شخص الإمام الإباضي، فقد ابتعد عن كل الألقاب سوى لقب الإمام، فلم يضف إلى نفسه أي لقب آخر يدل على الهيبة أو السلطة أو الجبروت، ولم يرض من أتباعه مناداته بلقب سوى لقب الإمامة، وتمسك به هؤلاء الأئمة حتى عند مخاطبة أعدائهم، من ذلك رسالة الإمام الإباضي العُماني سعيد بن عبدالله[٣](٢٣٠هـ/٩٣٢م- ٣٢٨هـ/٩٣٩م) إلى يوسف بن وجيه (٣١٧هـ/٩٢٩م-٣٣٢هـ/٩٤٣م) التي بدأها بقوله: " من الإمام سعيد بن عبدالله ومن قبله من المؤمنين إلى يوسف بن وجيه ومن قبله من الظالمين"[٤] فعلى

١٩٧٠)، نقل النص إلى العربية: انطوان حمصي، دار الجديد، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٩٧م، ط١، ص٢٢، محمد الزيني: **عمرو بن عبيد والأصول الخمسة**، مكتبة الأنفال، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ط١، ص٧٥.

١) زكريا المحرمي: **الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ**، مكتبة الغبيراء، بهلا، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ط١، ص١٢.

٢) أحمد معروف: **قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، سنة: ١٩٨٨م، ط١، ص٩٣.

٣) مهدي هاشم: الحركة الإباضية ...، م. س، ص٢٥٧. وهو الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل القرشي، عالم من عائلة علم وفقه، سار في الرعية سيرة الحق والعدل حتى قال عنه الشيخ أبو محمد بن أبي المؤثر: إنه لا يعلم أحدا أفضل وأعدل في عُمان من سعيد بن عبد الله إلا أن يكون الجلندى بن مسعود" من آثاره كتاب الإمام سعيد بن عبد الله وبعض الرسائل القصيرة إلى معاصريه، مات شهيدا في معركة (مناقي) من أعمال الرستاق سنة ٣٢٨هـ، وقد دامت إمامته ثماني سنوات. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ص١٩٣.

٤) الكندي: **بيان الشرع**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج٦٩، ص١٦٠. علي حسن خميس: **التاريخ الحضاري لعُمان**، منذ القرن الرابع وحتى القرن السادس الهجري دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم

الرغم من حرص الحكام على إضافة ألقاب الهيبة والجبروت عند مخاطبة خصومهم؛ لزرع الهيبة والخوف في نفوس أعدائهم[١]، إلا أن الإمام تمسك بهذا اللقب في السلم وفي الحرب، وهذا الفكر الذي تبناه الأئمة الإباضية في أطوار تاريخهم شجع عددا من المسلمين–المخالفين لهم في المذهب–في التواصل معهم وإنشاء علاقات أخوية معهم، هذا إذا لم يتعد الأمر إلى الانضمام إليهم والتمذهب بمذهبهم.

وقد اتسم هؤلاء الأئمة بتطبيق مبدأ العدل والمساواة في إدارتهم للدولة، وكانوا يتعففون عن ملذات الدنيا، وهيمن الرفق واللين على شخصياتهم القيادية سواء كان ذلك مع أتباعهم أم مع مخالفيهم. من ذلك قيام الإمام الإباضي عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق)[٢] بعد الاستيلاء على اليمن بمعاملة أهل اليمن المخالفين لهم في المذهب معاملة حسنة، تمثلت في عدم قتل الوالي الأموي في اليمن بعد سيطرة الإمام على دار الإمارة، وتخييره بين البقاء أو الخروج إلى أي جهة شاء، وكذلك توزيع الأموال التي عثر عليها في خزائن الوالي على الفقراء اليمنيين ولم يوافق على أخذ أي شي منها، سواء له أو لقومه[٣]، يقول السالمي في ذلك[٤]:

وطالب الحق بصنعا حكـــــما بجعلها في أهلها واحتشمـــــا

التاريخ، نسخة بغرفة عُمان، المكتبة الرئيسة، جامعة السلطان قابوس، سنة: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١٥.

١) علي خميس: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، صص١٥–١٦.

٢) هو طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي إمام الشراة، وأحد أقطاب المذهب الإباضي في عهود تأسيسه. انتقل مع أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إلى البصرة، ليأخذ ممن عاصرهم من التابعين، وعلى رأسهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب. لما ملأ وطره علما عاد إلى بلده اليمن، فتولى منصب القضاء لإبراهيم بن جبلة عامل القاسم الثقفي على حضرموت إلا أن طالب الحق لم يهدأ له بال، لما رآه من الجور الظاهر، والعسف الشديد، فشمر عن ساعد الجد والجهاد ليقيم أول إمامة ظهور إباضية باليمن سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وبايعه أصحابه على ذلك، فاتجه إلى دار الإمامة بحضرموت، وكانت نهايته القتل على يد جنود الخليفة مروان بن محمد عام ١٣٠هـ. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م.س، ج٢، ص٢٨١.

٣) النزوي: **المصنف**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٩٨٣م، ج١١، ص١٠٧. الشماخي: السير، م. س، ج١، صص٩١–٩٢.

٤) السالمي: جوهر النظام...، ج٢، ص٤٨٤.

لم يأخذن عند مضيق يـــومه شيئا لنفســه ولا لقومـــــــه

تعففا منهم ومن كمثلهـــــــم أكرم بهم من عصبــة أكرم بهم

كانوا يموتون على ما أبصـــروا من الهدى ما بدلــوا وغيـــروا

بل فعل الإمام الجلندى بن مسعود في عُمان أكثر من ذلك، فقد وافق على قيام معركة بينه وبين خازم بن خزيمة قائد الدولة العباسية بسبب رفضه تسليم "خاتم وسيف"شيبان اليشكري[١]، إذ دخل الأخير في معركة مع الإمام الجلندى بن مسعود أدت إلى مقتله، ورأى الإمام أنها من حق ورثة شيبان اليشكري، وأدت هذه المعركة إلى مقتله وسقوط الإمامة الإباضية عام (١٣٤هـ/٧٥١م)[٢]. وهذا دليل على العدل والمحافظة على الحقوق ولو كان ذلك على حساب التضحية بحياتهم، للمحافظة على حق من حقوق المخالفين لهم في المذهب.

ولم يكن الإمام الإباضي سواء في عُمان أم في بلاد المغرب يتولى السلطة بنفسه ويستبد بالأمر دون غيره من الناس، فقد كانت هناك فئة تدعى أهل الحل والعقد، وهي التي تعين الإمام وتساعده في اتخاذ القرارت، فهي بمثابة مجلس استشاري. ويصف لنا غباش هذه المجالس ودورها الريادي بقوله: "وأما مجالس الإمامة فهي الأولى من نوعها التي أنشئت في العالم الإسلامي منذ النصف الثاني للقرن الهجري الأول (السابع الميلادي) وتتألف هذه المجالس من مجلس العلماء (مجلس الشيوخ) وعرف أيضا باسم المجلس الأعلى ثم المجلس العام . . . ويعود الدور الرئيسي في هذه المؤسسات إلى

---

١) شيبان اليشكري: هو شيبان بن عبد العزيز اليشكري، من أمراء الخوارج الصفرية، قاتل مروان بن محمد في جهات كفر توتا ومعه أربعون ألفا، ثم انصرف إلى الموصل، وانضم إليه أهلها، فتبعه مروان. وفي زمن الدولة العباسية قاتله العباسيون فهرب إلى عُمان، فمنعه العُمانيون دخولها فحاربوه وقتلوه عام ١٣٤هـ/٧٥١م. انظر: ابن رزيق: **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، تح: عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سنة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ط٥، ص١٩٥. الزركلي: **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط١٧، سنة: ٢٠٠٧م، ج٢، ص١٨٠.

٢) ولمعرفة المزيد عن تفاصيل هذه المعركة ومجرياتها. انظر: ابن رزيق: الفتح المبين...، م. س، ص١٩٥. السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١ص٩٢. مهدي هاشم: الحركة الإباضية...، م. س، ص١٦٦-١٦٧.

العلماء المعروفين تاريخيا باسم أهل الحل والعقد الذين يشكلون مجلسا دائما ذا سلطة تشريعية تسري على عموم البلاد"[١]. وهذا يدل على تبني الإباضية منذ مئات السنين لمبدأ الديمقراطية في الحكم، الأمر الذي أدى إلى بقاء هذه الدول لفترة طويلة من الزمن بسبب محافظة أتباعها عليها ولإحساسهم بأن لهم رأياً في اتخاذ القرارت سواء عن طريقهم المباشر لكون الإمام يصغي لأي فرد في دولته أو عن طريق شيخ قبيلته الذي هو عضو في المجلس الأعلى للحكم أو أنه ممن يُصغى لرأيه وكلامه دون أن يكون أمره ملزم التنفيذ للإمام، وإنما من باب تقديم الرأي والمشورة، وهذا الأسلوب جذب كثيراً من العقول المتعطشة للعيش في دولة لا يستبد فيها الحاكم برأيه دون اعتبار لأي رأي آخر سواه.

ونخلص من هذا أن الإمام والهيئة المعينة له في الحكم كانت تدين بفكر التواصل والتعامل مع الآخر عبر تطبيق القيم الإسلامية، والتعامل مع الآخر بأخلاق سامية، وتتبنى كل الأسس التي تحفز المخالف لهم في المذهب على العيش معهم في أمن وأمان وسلام وعدل.

٧- دور الفكر الإباضي في تكوين رؤية مشتركة بين عُمان وبلاد المغرب:

إن الفكر المشترك الذي يدين به الإباضية على حد سواء هو الذي شكل همزة الوصل بين عُمان وبلاد المغرب، بل يمكن القول أنه صمّام التواصل وأسه، ويعود السبب الأول في ذلك إلى وحدة التأسيس والقيادة المشتركة، فمؤسس المذهب –جابر بن زيد– يعد الشخصية التي بلورت الفكر الإباضي، ووضعت قواعده وأسسه ومنهجيته، فلا عجب أن أحب إباضية المغرب أهل عُمان ودانوا بفكرهم، وسلموا لهم العنان في حال الاختلاف كون جابر بن زيد عُماني الأصل، وكون القيادة انتقلت إلى عُمان على يد الربيع بن حبيب الفراهيدي العُماني بعد أفول نجم الإباضية من البصرة، نتيجة للاضطهاد الذي وقع عليهم من قبل ولاة بني العباس[٢].

---

١) حسين غباش: عُمان والديمقراطية الإسلامية...، م. س، ص٢٢–٢٣.

٢) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١٦، مهدي هاشم: الحركة الإباضية...، م. س، ص٨١.

ظلت البصرة لفترة طويلة من الزمن المركز القيادي للإباضية، ومنها تدار كل تحركات أتباعه، ومنها تصدر كل الأوامر إلى جميع المنتمين إليه في شتى أنحاء المعمورة، فلا غرو إن تشابه الفكر عند دعاته في بلدان المشرق وبلاد المغرب، كون المنبع الذي استقوا منه فكرهم واحد، والإدارة التي كانت تنظمهم وتدعمهم واحدة، والزعيم الذي يعودون إليه واحد، والمدرسة التي تخرجوا منها واحدة، هي مدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، والذي بدروه كان الزعيم الأوحد للمذهب آنذاك، فلا عجب إذن إن توحد فكرهم وتساوى مبدأ دعوتهم، وإن هذا التنظيم المحكم والقيادة الموحدة، جعلت أحد الباحثين يطلق عليها " الحكومة الثورية السرية"[١]، ومن هنا يتبين أن هذه القيادة الموحدة هي السبب الأول، في توحد الفكر بين المنطقتين.

إن الفكر الإباضي هو السبب الرئيس والعامل الأساسي في الوجود الإباضي في عُمان وبلاد المغرب، فقد استهدف زعماء الإباضية المناطق البعيدة عن أعين السلطة المركزية في دمشق أو بغداد لنشر المذهب فيها، ولإقامة كيان سياسي لهم، يمكنهم من خلاله تطبيق كل الأفكار التي وضعوها نظريا في البصرة، ولهذا كان اختيار عُمان وبلاد المغرب لبعدهما الجغرافي عن مركز السلطة[٢]، إذ إن عُمان تقع في أقصى مشرق العالم الإسلامي وبلاد المغرب تقع في أقصى مغربه.

الأمر الآخر الذي جعل المنطقتين – عُمان وبلاد المغرب– يسود فيهما فكر مشترك هو أن حملة العلم الذين توجهوا إلى عُمان (وهم: بشير بن المنذر النزواني، ومنير ابن النير الجعلاني، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، ومحمد بن المعلى الكندي)[٣]، وحملة

---

١) عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، م. س، ص١١٤.

٢) المرجع نفسه: ص١١٧، محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، م. س، ص١٤٧، إبراهيم القادري بوتشيش: **التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب**، (دراسات في مجالات الثقافة والتجارة والمجتمع، منذ الفتح الإسلامي لأفريقيا حتى القرن الثامن الهجري) مسقط، سلطنة عُمان، وحدة البحوث والدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، سنة: ٢٠٠٠م، ط١، ص١٥، ناصر الندابي: الإمامة الإباضية...، م. س، ص٤٨.

٣) مهدي هاشم: الحركة الإباضية...، م. س، ص١٥٧، مجموعة مؤلفين: عُمان في التاريخ، م. س، ص٢٣٥، مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٢٩٧.

العلم الذين توجهوا إلى بلاد المغرب[١]، هم تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، إذ درسوا علي يديه في البصرة لفترة من الزمن، فإذا كان الأستاذ واحد فالغالب أن يتوحد الفكر الذي حملوه إلى الناس في كلا المنطقتين.

ومن الجوانب المشتركة في الفكر الإباضي والتي تلاقى معها إباضية المشرق مع إباضية بلاد المغرب في نقطة واحدة وهدف واحد هو العدو المشترك، فقد كانت الدولتان –الأموية والعباسية– تمثل العدو المتربص بالإباضية في شتى بقاع العالم الإسلامي آنذاك؛ نظرا لكون المذهب يتعارض بفكره وتوجهه مع فكر وتوجه خلفاء بني أمية وبني العباس. وهذا الفكر الإباضي المشترك هو الذي أدى إلى سعي عُمان دائما للاستقلال، وقيام عدة ثورات في بلاد المغرب ضد الدولة –الأموية والعباسية– بغية الاستقلال عنها؛ نظرا للظلم الذي تفشى في تلك المناطق على يد ولاة الدولتين الأموية والعباسية[٢].

وقد أمد إباضية المغرب إخوانهم في المشرق بالدعم المعنوي، إذ أحس الإباضية في عُمان أنهم ليسوا وحدهم في الميدان ضد دولة بني العباس، بعد أن تمكن إخوانهم في المغرب من إقامة دولتهم المسماة الدولة الرستمية عام (١٦٠هـ/٧٧٦م) فأصبح العُمانيون قادرين على مجابهة الدولة العباسية والصمود في وجهها على الرغم من قوتها التي اتسمت بها إبان قيامها، ولم تسقط دولتهم على يد محمد بن نور زمن الخليفة المعتضد إلا بعد أن منيت عُمان بتفكك داخلي خطير أدى إلى انقسام أهلها واختلافهم وهيأ الفرصة لبني العباس لفرض سيطرتهم عليها[٣].

ناهيك عن فكر ومبدأ الولاية والبراءة[٤] الذي كان له الدور الكبير في التقاء الإباضية

---

١) ذكرنا أسماءهم في الأسطر السابقة.

٢) انظر فصل موانع التواصل من الدراسة لمعرفة الثورات التي قام بها الطرفان من أجل الاستقلال عن الدولة الأموية ثم العباسية.

٣) الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٥، ص٦٠٧، الإزكوي: تاريخ عُمان...، م. س، ص٥٧، السالمي: تحفة الأعيان... ،م. س، ج١، ص٢٦١، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان...، م. س، ص١٩٠، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري ... ، م.س، ص١٥.

٤) الولاية: هي الحب القلبي والثناء اللساني والنصر والتأييد والإعانة بالجوارح عند المقدرة (من غير جبر أو اضطرار) والدعاء والترحم والاستغفار للولي أو المطيع لطاعته لله وامتثاله أوامره، ولكل تائب منيب إلى الله

في المشرق وبلاد المغرب عند نقطة توحدهم فكريا وتجمع بينهم عقديا، إذ إن الإمام الذي تعقد له الإمامة في عُمان كان يأتيه التأييد وإعلان الولاية له من المغرب والعكس صحيح، وفي هذا الصدد يقول الفقيه الإباضي محبوب بن الرحيل "وكانت المُحكمة واحد لو حكم رجل من المغرب تولاه من كان منهم بالمشرق ولو حكم بالمشرق تولاه من كان بالمغرب"[١]، بل إن الإباضية في كلا المنطقتين يضيفون هؤلاء الأئمة في سلسلة نسب المذهب عبر التاريخ[٢].

وقد ظهر الاتفاق في الفكر الإباضي في عُمان وبلاد المغرب المتمثل في النظرة إلى الخوارج، حيث اتفقوا على تخطئتهم والتبرئ منهم ومن معتقداتهم ومن أعمالهم[٣]، وتجلى هذا الأمر في أوضح صوره عندما أقدم الإمام العُماني الجلندى بن مسعود على محاربة القائد شيبان اليشكري زعيم الصفرية عام (١٣٤هـ/٧٥٠م) عندما أراد دخول عُمان، مما أدى إلى مقتله وعدد كبير من أتباعه[٤]. وفي الجانب المغربي قاتل الإمام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري قبيلة ورافجومة الصفرية حين انقض عليهم في مدينتهم القيروان بعد أن عاثوا فيها فساداً، واستولى عليها عام(١٤١هـ/٧٥٨م)[٥].

عزوجل. والبراءة: هي البغض والعداوة وعدم الترحم وعدم الإعانة والتأييد فيما يحقق لهم التمكين في الأرض وعدم التشبه بهم وقطعيتهم وردعهم قدر الاستطاعة، وهي تشمل المشرك ولكل كافر ولكل مصر على ارتكاب الكبائر ما لم يتب مما وقع فيه. انظر: عبد الله الريامي: **دلائل الاعتقاد عند أهل الحق الاستقامة**، مكتبة مسجد الأثلة العامة، نزوى، سلطنة عُمان، سنة: ٢٠٠٨م، ط١، ص٢٠٤.

١) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات ...، م. س، ج١، ٣٠٠، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري ...، م. س، ص٣١.

٢) الشقصي: **منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، الموسوعة الميسرة للتراث العُماني**، تقديم علمي معاصر لخلاصة كتب التراث العُماني، عرض ودراسة: حامد طاهر، وزارة التراث القومي والثقافة، سنة: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ط١، ص٧٩، السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٨٢.

٣) عامر النجار: **الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة**، دار المعارف، القاهرة، مصر، سنة: ١٩٨٨م، ط٢، صص١٦٥– ١٦٦.

٤) الطبري: تاريخ الطبري...، م، س، ج٤،ص٣٦٩، الإزكوي: تاريخ عُمان ...،م. س، صص٤١– ٤٢، ابن رزيق: **الصحيفة القحطانية**، تح: محمود بن مبارك السليمي، ومحمد حبيب صالح، وعلال الصديق الغازي، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان، سنة: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ، ط١، ج٥، صص٧٧– ٨٠.

٥) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٥٧– ٦٨، الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: عبد الله العلي الزيدان، وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٩٠م، ط١،

وظلت الوحدة الفكرية للإباضية في المشرق وبلاد المغرب واحدة إزاء كل المستجدات والخلافات الفكرية الطارئة على المسلمين بصورة عامة، وكان توحيد الفكر في كل تلك الأحداث يأتي عن طريق الرسائل، أو عن طريق اللقاءات الكثيرة في مواسم الحج، أو الزيارات المتبادلة بين الطرفين[١]، مما تمخض عنه نشوء "مدرسة مغربية عُمانية" على حد تعبير أحد الباحثين[٢]، موحدة الفكر تجاه القضايا العقدية والفقهية المستجدة.

وجمعت العقيدة كذلك بين الطرفين، والسبب يعود إلى كون أسسها واحدة، وأن صياغتها وبلورة أفكارها لتطبيقها على أرض الواقع تم في البصرة على يد زعماء المذهب الأوائل، ومنها نقلت هذه الأفكار إلى شتى البقاع التي نزل فيها الإباضية عن طريق الطلاب الذين تتلمذوا على يد أولئك الزعماء.

وطبّق الإباضية في عُمان وبلاد المغرب مسالك الدين التي تبنوّها في جميع أطوار حياتهم، وهي الكتمان والدفاع والشراء والظهور، فعندما لا يقدرون على إظهار مذهبهم يظلون في مرحلة الكتمان، وما أن تتاح لهم الفرصة حتى ينتقلوا إلى مرحلة الشراء[٣] ومقاتلة أعدائهم –إن وجدوا– ثم يتوجون ذلك بمرحلة الظهور التي يتم فيها تكوين الكيانات السياسية، وما أن تتعرض هذه الدولة إلى أخطار ويتعرض إمامهم للقتل أو غيره حتى ينتقلوا إلى إمامة الدفاع لدفع الأعداء عن مملكتهم وإرجاعها إلى مرحلة الظهور والاستقرار مرة أخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ العُماني وتاريخ الإباضية في بلاد المغرب، من ذلك الإمامات الإباضية عبر العصور التاريخية في عُمان من لدن الإمام الجلندى بن مسعود (١٣٢هـ/٧٤٨م) حتى عهد الدولة النبهانية

ص٢٤، ابن عذاري: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٨٣م، ط٣، ص٦٤، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١١٦.

١) بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان... م. س، صص١٠٩–١١٠. وسنتعرض لهذه اللقاءات والرسائل والزيارات المتبادلة بالتفصيل في الباب الثاني.

٢) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٣١.

٣) لا يشترط أن تأتي هذه المراحل مرتبة كما ذكرتها، بل إن الشراء له أسباب أخرى غير ذلك، منها: الخروج على الظلم ومحاربة أهله، ومثل ذلك ما قام به أبو بلال مرداس بن حدير التميمي. انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، م. س، ج١، ص٢٢٢، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢١٨.

في القرن السادس الهجري، وتخلل هذه الإمامات فترة ضعف تتحول فيها عُمان إلى مرحلة الكتمان عندما لا يتمكن الإباضية من إظهار أنفسهم، منها: مرحلة الهيمنة الأموية والعباسية أو تسلط ملوك بني نبهان على الحكم وغيرها[١]. أما في بلاد المغرب فقد مثلت الدولة الرستمية مرحلة الظهور منذ قيامها وحتى سقوطها (١٦٠هـ/٧٧٦م- ٢٩٤هـ/٩٠٩م)، ومثلت العزابة[٢] مرحلة الكتمان منذ القرن الخامس الهجري وحتى نهاية العصر الإسلامي الوسيط[٣].

كما أن الفكر الإباضي المشجع والداعم إلى طلب العلم، كان له الدور الكبير في تقارب الأفكار بين علماء عُمان وعلماء المغرب، وبرز هذا الأمر في حرص علماء كل طرف للحصول على النتاج العلمي للطرف الآخر، كما تجلى هذا الاهتمام من خلال شروط اختيار الإمام، فالإمام الإباضي يجب أن يكون من العلماء العارفين بعلوم الشريعة ومبادئ الفكر الإباضي وعقائده، وسنترك التفصيل في هذا الجانب إلى الباب الثاني من هذه الدراسة.

وفي ختام هذا الفصل يتضح لنا بصورة جلية دور المذهب الإباضي فكرا وعقيدة وسلوكا في توحيد الشق المشرقي مع قرينه المغربي، ويتبين أن مدينة البصرة- باعتبارها مركزا للدعاة الإباضية- لعبت دورا كبيرا في ذلك منذ نشأة المذهب وحتى نهاية القرن الثاني الهجري، ويتبين أيضا المرونة التي اتسم بها الفكر الإباضي ومقدرته على التعامل مع المستجدات السياسية التي تطفو على الساحة الإسلامية بين الفينة والأخرى، ومقدرة

---

١) الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م. س، ص ٤١ وما بعدها، ابن رزيق: الفتح المبين...، م. س، ص١٩٤ وما بعدها، ابن رزيق: الصحيفة القحطانية، م. س، ج٥، ص٧٧ وما بعدها، السالمي: تحفة الأعيان...،م. س، ج١، ص٨٥ وما بعدها.

٢) العزابة جمع مفرده عزابي، وهو مشتق من عزب عن الشيء وانصرف عنه، واستعير لمن بَعُد عن الأمور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة، وبالأمازيغية يقال: "إعزابن" والعزابي هو كل من لازم الطريق وطلب العلم وصاحب أهل الخير وحافظ عليه وعمل به، ويعد استعمال هذا الاسم إلى أيام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي حينما أسس الحلقة ورتب قوانينها في القرن ٥هـ/١١م. انظر: مجموعة باحثين: معجم مصطلحات الإباضية، م. س، ج٢، ص٧٠٠.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٢٦٥وما بعده، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١٦٧ وما بعدها، محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، م. س، ص٢٧٢.

معتنقيه على مواءمته حسب ما تقتضيه المصلحة العامة لتلك الفترة، كما أن النشأة والبنية القوية التي قام عليها المذهب سمحت له بالتصدي لكل المعوقات التي حاولت وبشتى الصور النيل منه ومن أتباعه.

كما يمكن أن نستنتج من خلال الطرح السابق المنهجية السليمة التي سار عليها المذهب الإباضي وابتعاده عن الغلو ونظرته المتميزة نحو الآخر المخالف له، الأمر الذي جعله باقيا ومستمرا حتى وقتنا الحاضر. على الرغم من فناء عدد كبير من المذاهب التي ظهرت في فترته أو حتى بعده بفترة طويلة، إذا ما قارنا هذا الأمر بالمذهب الشيعي الذي تبنته الدولة الفاطمية التي سيطرت على جزء كبير من بلاد المغرب لفترة طويلة، إلا أن الوجود الشيعي بالمنطقة في الوقت الحاضر ينعدم بها أو يكاد.

ويمكننا القول أن المذهب الإباضي يعد من أوائل المذاهب مناداة للعدل والحرية والشورى والبعد عن الظلم، بل إن معظم الدول التي بناها في العالم الإسلامي أسسَتْ دفاعا عن المظلومين وحربا على الظلم، وهو الأمر الذي شجع الكثير من المسلمين لاعتناقه أو العيش تحت مظلته، والاستمتاع بالعدل الذي أقامه في دوله، وجعل التواصل مع أقطاب دعاته أمرا متيسرا، وهو المفتاح الأساسي الذي يمكن من خلاله فهم سر التواصل العُماني المغربي عبر الفترة التاريخية مدار هذا البحث.

ونستنتج من إيفاد الإباضية وفد منهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، اهتمامهم بالمصالح العامة للأمة الإسلامية، ورغبتهم في إصلاح المجتمع وإظهار الحق وإبطال الباطل، ولم تكن لهم رغبة دنيوية، فلم يطلبوا من الخليفة أن يعطيهم سلطة أو مالا كما لم يطالبوا بدماء قتلاهم من قبل ولاة بني أمية السابقين، فلم يكن أي شيء من ذلك في أجندتهم إبان توجههم إليه، فقد غلّبوا المصالح العامة على مصالحهم الشخصية.

الباب الأول

التواصل بين عُمان وبلاد المغرب:
الحوافز والموانع

الفصل الثاني

حوافز التواصل بين عُمان وبلاد المغرب

حوافز التواصل بين عُمان وبلاد المغرب

لقد تجذّرت العلاقة بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه عبر جميع العصور الإسلامية، ولا يمكن لأي باحث أن يتعرض لأي حدث في غرب العالم الإسلامي دون الرجوع إلى علاقته بمشرقه، ومن يقدم على هذه الطريقة " فهي بمثابة انتزاع قطعة لحم من جسم حي بدمها وعروقها وأعضائها فلا يمكن معرفتها على حقيقتها دون ربطها ببقية الجسم ومشاهدة عوامل الحياة فيها وهي مندمجة في المجموع"[١].

ومهما كان هناك من تباعد جغرافي بين المنطقتين فإن الجانب الروحي ربط بينهما برباط لا يمكن فكاكه، وجعل كل طرف جزءاً لا يتجزأ من الآخر، ولقد تعددت حوافز التواصل بين المنطقتين مما ساعد في ربط المشرق ببلاد المغرب عموما وعُمان والمغرب خصوصا، ونذكر من هذه الحوافز ما يلي:

١- الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب والمساهمة العُمانية فيها:

في بداية الدعوة وبزوغ فجر الإسلام، شكّل العرب وعاء الإسلام، فهم من حملوا شعلته لإنارة الشعوب، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فخرجوا من جزيرتهم إلى أصقاع المعمورة ينشرون هذا الدين[٢]، ويدعون إليه بالفعل قبل القول، آخذين نصب أعينهم قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣] وقوله عز من قائل: ﴿لَا

---

١) محمد زنيبر: **المغرب في العصر الوسيط** (الدولة – المدينة – الاقتصاد) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، سنة: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٣٠،٢٩.

٢) حاول بعض الباحثين التطرق إلى أسباب أخرى دفعت بالعرب المسلمين إلى التوسع وفتح المناطق خارج جزيرتهم، إلا أننا نرى أن الدافع الديني هو الأساس، مع عدم إغفال الأسباب الأخرى. إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ج١، صص٧٢–٧٣، فاروق مجدلاوي: **النظام الإداري في عهد عمر بن الخطاب**، دار روائع مجدلاوي، عمّان، الأردن، سنة: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م. ط١، صص٢٩٥–٢٩٩، محمد العيدروس: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، سنة: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م. ط١، صص٢٢–٢٣.

٣) سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١]، وفي آذانهم يتردد قول المصطفى – صلى الله عليه وسلم –: (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)[٢] فدخل الناس الإسلام زرافات ووحدانا، وما أن لامس هذا الدين شغاف قلوبهم، وارتاحت له نفوسهم، حتى خرجوا مع إخوانهم العرب لنشره وتبليغه، ولهذا فإن العرب المسلمين لم ينأوا بأنفسهم دون إخوانهم المسلمين من الأجناس الأخرى أبناء البلدان المفتوحة بل امتزجوا معهم، وتزوجوا منهم، وقد أحسن ابن تيمية حين وصفهم بقوله: "إن العرب المسلمين الأولين لم ينقلوا الإسلام إلى الأمم ولكن نقلوا الأمم إلى الإسلام"[٣].

عمَّ الإسلام معظم ربوع أجزاء جزيرة العرب في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتعدَّاها إلى العراق وبلاد الشام وفارس ومصر والمغرب في عهد خلفائه الراشدين[٤]، وبلغ أوج انتشاره في عهد بني أمية، حيث وصل المسلمون إلى الصين شرقا وإلى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غربا ومن آسيا الصغرى شمالا إلى السودان جنوبا.

وقد قاد حركة نشر الإسلام في العالم أجمع نخبة من الصحابة والتابعين والقادة ممن يدين لهم المسلمون بفضل كبير في فتح معظم أصقاع المعمورة ومن بين قادة الفتح الإسلامي الصحابي عمرو بن العاص الذي قاد حملة عسكرية لفتح مصر عام ٢٠هـ / ٦٤٠م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[٥].

---

١) سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

٢) الإمام البخاري: **صحيح البخاري**، دار التقوى للتراث، القاهرة، مصر، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ط١، ج٢، ص٣٨، الإمام النووي: **شرح صحيح مسلم**، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ج٧، ص٢٤.

٣) فاروق مجدلاوي: النظام الإداري في عهد عمر بن الخطاب، م. س، ص٣٠٩، شوقي أبو خليل: **هل انتشر الإسلام بالسيف**، مقال على موقع حيران. انفو الإلكتروني، بتاريخ ١٤٣٠/٤/٣هـ / ٢٠٠٩/٣/٢٩م. www.hayran.info.com

٤) أبو الحسن البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق: لجنة تحقيق التراث، بيروت، لبنان، دار ومكتبة الهلال، سنة: ١٩٨٨، ص٦٨ وما بعدها، ص١١١وما بعدها، ص٢١٠وما بعدها، ص٢٥١وما بعدها.

٥) "اختلف في تاريخ فتح مصر قيل١٩هـ وقيل ٢٠هـ وقيل ٢١هـ". انظر: البلاذري: فتوح البلدان، م. س، ص٢١٠، الطبري: تاريخ الطبري...، م. س، ج٢، ص٥١١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢،

وكان للوجود العُماني نصيب وافر في هذه الحملة، فقد وصلت إلى الشام أفواج كبيرة من قبائل الأزد العُمانية تحت لواء الصحابي الجليل عكرمة بن أبي جهل بعد أن أنهى مهمته في عُمان وحضرموت واليمن، واستقرت بالشام منذ عام ١٣هـ / ٦٣٤م[١]. وعندما نادى منادي الجهاد لفتح مصر هبت هذه القبائل للمشاركة في هذا المشروع الديني، ومن أشهر الأزديين الذين شاركوا في هذه الحملة نفر من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهم جنادة بن أبي أمية الدوسي الأزدي، وهو من عَبْرة بن زهران الذي تنسب إليه قبيلة العَبْري بعُمان[٢]، وأبو فاطمة عبد الله الأزدي[٣] الذي شارك في غزوة ذات الصواري، ومالك بن أبي سلسلة السلامي الأزدي[٤] الذي كان مع الزبير بن العوام في اقتحام حصن بابليون، وأبو حوالة عبد الله الأزدي[٥]، وغيرهم

ص٤٠٥، فاروق مجدلاوي: النظام الإداري ...، م.س، ص٣٠٦.

١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢، ص٢١٩، ص٢٥٢، ص٢٥٣.

٢) "وهو جنادة بن أبي أمية بن عبرة بن زهران، كان أميرا بالشام في عهد معاوية بن أبي سفيان، وكانت له صوائف، وأراد معاوية أن يستلحقه أخا كما فعل مع زياد فأبى ذلك جنادة، وكان له دور في فتح جزر قبرص ورودس وأرواد وكريت". انظر: أبو القاسم ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها**، مطبعة المثنى، بغداد، العراق، ١٩٢٠م. ص ٨٠، ٣٠٦، الطبري: تاريخ الطبري...، م. س، ج ٣، ص٢٨٣، ٢٤١، ٢٦٠، ابن حزم الأندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، راجع النسخة وضبطها: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ط٤، ص٣٨٦، سالم السيابي: **إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان**، المكتب الإسلامي، الدوحة، قطر، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ أحمد بن علي آل ثاني، صص١١٥–١١٦، رجب عبد الحليم: **الأزد والمهرة في مصر ودورهم السياسي والثقافي حتى نهاية الدولة الفاطمية**، بحث مقدم ضمن ندوة العلاقات العُمانية المصرية (٢–٤ مارس، ١٩٩١م) المنتدى الأدبي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ديسمبر ١٩٩١م، ج١، صص١٣٠–١٣١، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...، م. س، ص٣٩ وما بعدها.

٣) "هو الصحابي الجليل أبو فاطمة عبد الله بن أنس الأزدي، ويقال له الأسدي بسكون المهملة". انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص ١١٠، ٣٠٨، أبو الحسن ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تح: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ط٢، ج٢، ص٥٥٣، ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في معرفة الصحابة**، تح: صدقي جمال العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ج٣، ص١٥٥.

٤) "هو أحد الأبطال، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص وكان أول الناس صعودا إلى سلم حصن بابليون لاقتحامه وفتحه للمسلمين بعد حصار شديد له". انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص ٦٤. ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، م. س، ج٥، ص٢٣٦.

٥) "هو الصحابي الجليل أبو حوالة عبد الله الأزدي، وقيل أنه يكنى أبا محمد، روى بعض الأحاديث وكان في جيش عمرو بن العاص في فتح مصر، وتوفي عام ٥٨ هـ بالشام". انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر

كثير[١]. ناهيك عن الصحابة والتابعين الذين ينتمون إلى قبيلة مهرة العُمانية منهم الصحابي برح بن عسكر المهري[٢]، ومن التابعين خلق كثير من بينهم عبد الرحمن بن شماسة المهري[٣]، وتميم بن فرع المهري[٤]، بل ذكر أحد الباحثين أن سدس الجيش الذي فتح الإسكندرية كان من قبيلة المهرة[٥]، وقد برزت مشاركة الأزد العُمانيين جليا في المدن التي استقروا فيها واختطوها في مصر ونُسب اسمها إلى تلك القبائل [٦] .

ولا غرابة في هذه المشاركة الواضحة للعُمانيين في جيش عمرو بن العاص بالذات، إذ يعود ذلك إلى قوة العلاقة ومتانتها بين العُمانيين وعمرو بن العاص منذ زمن بعيد، حين وفد إليهم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معلما وداعيا إلى الإسلام، ومكث بين ظهرانيهم فترة من الزمان استمرت حتى وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام[٧].

وبعد فتح مصر كان لزاما على المسلمين التوجه نحو الغرب لفتح برقة وطرابلس وما حولهما؛ وذلك لتأمين الحدود الغربية لمصر من الغزو البيزنطي، فخرجت كتائب

وأخبارها، م. س، ص٣٠٨، ٣٠٩، ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، م. س، ج٣، ص١٨٦.

١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، رجب عبد الحليم: الأزد والمهرة في مصر ...، م. س، ص١٣٣.

٢) "هو الصحابي الجليل بِرْح (بكسر أوله وسكون الراء) بن عُسْكُر (بضم العين وسكون السين وضم الكاف) بن دثار بن كرع بن حضرمي بن النعُمان بن مهران، له وفادة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وشهد فتح مصر واختط بها دارا وسكنه، وقيل أن اسمه برح بن عسكل". انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص٩٤، ٩٥، ٣١٦، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، م. س، ج١، ص٢٠٢، ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢١٧.

٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٠٩.

٤) "هو التابعي تميم بن فرع الفرعي المهري، روى عن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر وأبي نضرة، وكان ممن حضر فتح الأسكندرية". انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٧٨، أبو سعد السمعاني: **الأنساب**، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ط١، ص٣٤٣.

٥) محمد الحداد: **حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في افريقيا الشرقية**، دار الفتح، القاهرة، مصر، سنة: ١٩٧٣م، ط١، ص٢٨.

٦) رجب عبد الحليم: الأزد والمهرة في مصر ...، م. س، ص١٣٤ وما بعدها.

٧) الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٢، ص١٧٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢، ص١١٠، ص٢١٢، السالمي: تحفة الأعيان ...، م. س، ج١، ص٥٦– ص٥٩.

الإسلام نحو الغرب عام ٢٢هـ / ٦٤٢م [١]، ومن المنطقي أن تلك القبائل الأزدية والمهرية العُمانية التي قدمت مع عمرو بن العاص لفتح مصر، قد شاركت في هذه الحملة، كونها لم تخرج من موطنها الأصلي إلا بدافع الجهاد ونشر الإسلام، ومن هذا المنطلق فإن هذه الحملة كانت البداية الأولى للمشاركة العُمانية في فتح بلاد المغرب، والتي لم تكن الأخيرة حتما، فقد استمر العُمانيون يساهمون في جل الحملات العسكرية التي تخرج بداعي الفتح، لنشر الإسلام في بلاد المغرب.

وما إن وصلت هذه الحملة العسكرية حدود مدينة برقة حتى فتحت لهم أبوابها وتيسر لهم دخولها لأسباب شتى: يأتي في مقدمتها ما وصل إلى مسامع الناس من المعاملة الحسنة التي عامل بها المسلمون أهل مصر، وفي الوقت نفسه الشجاعة والإقدام التي اتصف بها الجندي العربي المسلم[٢] ؛ والتي بدورها خلقت رعبا في نفوس الأعداء، وعندما اقترب عمرو بن العاص من افريقية ولم يبقَّ أمامه سوى مسيرة تسعة أيام، استأذن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لفتحها، إلا أنه رفض مواصلة الفتح والتوغل في بلاد المغرب؛ خشية منه على المسلمين من أدغال أفريقية [٣]، ورد عليه برسالة جوابية جاء فيها: "إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد

---

١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٧١، ابن عذاري: البيان المغرب . . . ، ج١، ص٨، نهلة شهاب: **تاريخ المغرب العربي**، دار الفكر، المملكة الأردنية الهاشمية، عُمان، سنة: ١٣٤٠هـ/ ٢٠١٠م، ط١، ص٤١. "بينما يرى الطبري أن الفتح كان في عام ٢١هـ، ووافقه في ذلك ابن الأثير وابن كثير، إلا أن هؤلاء يعدون من المتأخرين مقارنة بابن عبد الحكم". انظر: الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٢، ص٥٣٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢، ص٤٢٣، ابن كثير: البداية والنهاية، م. س، ط٢، ج٧، ص١٢١. "وفنّد هذا الإشكال الزاوي في كتابه تاريخ الفتح العربي في ليبيا، وأثبت أن الفتح كان في عام ٢٢هـ؛ لأن فتح الإسكندرية كان في شهر ذي القعدة من عام ٢١هـ فلا يعقل أن يتوجه عمرو لفتح برقة في تلك الأيام المتبقية عن نهاية السنة دون أن يوطد الأمن في الإسكندرية، وهذا يحتاج مدة من الزمن، كما أن المسافة من الإسكندرية إلى برقة لا تقل عن عشرين يوما". انظر: الطاهر الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، دار الفتح، ودار التراث العربي، ليبيا، ط٢، د.ت، ص٤١.

٢) الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص٣٩، عبد الواحد طه: **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس**، المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة: ٢٠٠٤م، ط١، صص٩٥-٩٦.

٣) عبد الغني زهرة: **تاريخ الفتح الإسلامي والدول الإسلامية في بلاد المغرب**، مكتبة الرشد، الرياض المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ط١، صص٣١-٣٦.

ما بقيت"[١]. وقد صدق حدس أمير المؤمنين، إذ لاقى المسلمون معاناة شديدة في فتح إفريقيا والتوغل فيها بعد وفاته بأعوام كثيرة، فقفل عمرو بن العاص راجعا نحو مصر، وترك في برقة حامية للمسلمين على رأسها عقبة بن نافع[٢] قائدٌ ومعلمٌ وداعٍ إلى الإسلام[٣]، ولا ريب أن هذه الخطوة التي قام بها عمرو بن العاص هي البدايةَ الأولى للدعوة الإسلامية في إفريقيا، وبقاء تلك الحامية تعد في حد ذاتها البذرة الأولى للامتزاج العُماني بشعوب المغرب العربي.

عندما تولى الخليفة عثمان بن عفان الخلافة خلفا للخليفة عمر بن الخطاب وافق على مواصلة الفتح الإسلامي باتجاه إفريقيا – بعد مشاورته لكبار الصحابة في المدينة – وكانت أول خطوة للخليفة عثمان بن عفان في هذا الصدد، أن عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى عليها عبد الله بن أبي السرح عام ٢٥هـ / ٦٤٥م،[٤] ثم اعتلى المنبر ونادى في الناس بوجوب الجهاد فلبى النداء عدد كبير من القبائل العربية، ونَفَرٌ من

---

١) "وردت هذه العبارة بعدة صيغ، فوردت متناثرة". انظر مثلا: أحمد: **تاريخ اليعقوبي**، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ط١، ج٢، ص١٠٨. "ولكن عند ابن الحكم أوردها كاملة بهذه الصورة". انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٧٣، واعتمدتها المراجع من بعده". انظر: محمد العيدروس، المغرب العربي في العصر الإسلامي...، م. س، ص٢٦، محمد حسونة: **أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية**، الفجالة، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت، ص٥٦.

٢) هوعقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر. ولد قبل وفاة المصطفى بسنة واحدة، وهو ابن خالة عمرو بن العاص، تولى ولاية افريقيا مرتين، فصلت بين الأولى والثانية ولاية أبي المهاجر، الولاية الأولى من عام ٥٠هـ / ٦٧٠ – ٥٥هـ / ٦٧٥م، والولاية الثانية من ٦٢هـ / ٦٨١م – ٦٤هـ / ٦٨٣م". انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٣، ص٢٨٢، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ص١٩، ٢١، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص٤٠ وما بعدها.

٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢، ص٤٨٣، ص٣٢٠، السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ الدولة العربية**، تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د.ت، ص٢٢٣، عبد الواحد طه: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي...، م. س، ص٩٧.

٤) "عندما توفي عمر بن الخطاب كان على مصر أميران، عمرو بن العاص بأسفل الأرض وعبد الله بن أبي السرح على الصعيد، فعزل عثمان عمرو بن العاص وسلم مصر بأكملها لعبد الله بن أبي السرح" انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، صص١٧٣–١٧٤. " ذكر الطبري هذه الرواية تحت أحداث عام ٢٧هـ إلا أنه ذكر في النص أن العزل كان بعد سنتين من تولي عثمان الخلافة، ومن المعلوم أن وفاة عمر كانت عام ٢٣هـ فهذا يدل على أن العزل كان عام ٢٥هـ كما ذكر ذلك ابن عبد الحكم". انظر: تاريخ الطبري...، م. س، ج٢، ص٥٩٧. أما ابن الأثير فصرّح بأن العزل كان عام ٢٧هـ. انظر: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢، ص٤٨٢.

كبار الصحابة بالمدينة المنورة[١].

وشاركت إلى جانب تلك النخبة من الصحابة العديد من القبائل العربية الأخرى منها جهينة وأسلم وسليم بعدد كبير من جنودها، ونفر من بني كعب بن عمرو، وثلة كبيرة من مزينة، ووأعداد كبيرة من مهرة، التي ذكرنا أنها من القبائل العُمانية التي قدمت مع عمرو بن العاص لفتح مصر، وشاركت كذلك غنث وميدعان [٢]، وميدعان هي إحدى قبائل الأزد التي تنتمي إليها أكثر القبائل العُمانية، وهذا ينهض دليلا على مشاركة رجالات أهل عُمان في هذه الحملة. كما أن احتمالية استقرار جزء منهم في إفريقية بعد الفتح وارد كذلك، وقد أشكل على ابن عبد الحكم ومن نقل عنه[٣] عندما ذكروا أن قبيلتي غنث وميدعان هما من الأزد والأصل أن غنث ليست من الأزد، وإنما هي بطن من بطون مالك بن كنانة بن خزيمة، وهم بنو غنث بن أفنان بن القحم بن معد بن عدنان[٤]، بينما ميدعان هي فقط من الأزد، فهم من بني مالك بن نصر بن الأزد[٥]، ومنهم قبيلة الراسبي بعُمان، نسبة إلى راسب بن مالك بن ميدعان[٦].

---

١) الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٢، ص٥٩٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢، ص٤٨٣، ابن عذاري: البيان المغرب...، ج١، صص٨–٩، ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، د.ت، ج١، ص٨٠، مصطفى أبو ضيف: **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية**، خلال عصري الموحدين وبني مرين (٥٢٤– ٨٧٦هـ/ ١١٣٠–١٤٧٢م) سنة: ١٩٨٢م، د.د، صص٣١–٣٢.

٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ١٨٤، مصطفى أبو ضيف: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية...، م. س، صص٣١ – ٣٢.

٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٨٤، مصطفى أبو ضيف: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية...، م. س، ص٣٢، رجب عبد الحليم: الأزد والمهرة في مصر...،م. س، ص١٥٠، عبد الواحد طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي...، م. س، ص٩٨.

٤) السمعاني: الأنساب، م. س، ج٤، ص٢٨٤، عبد الحكيم الوائلي: **موسوعة قبائل العرب**، دار أسامة، عُمان، الأردن، سنة: ٢٠٠٢م، ط١، ج٤، ص١٦٢٨.

٥) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص٣٦٨، سلمة العوتبي: **الأنساب**، تح: محمد إحسان النص، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ط٤، ج٢، ص٦٦٢، محمود الفردوس: **المستدرك على البلاذري أنساب الأشراف**، مكتبة اليقظة العربية، دمشق، سوريا، سنة: ٢٠٠٢م، ج٢١، ص٣٠٩، عبدالحكيم الوائلي: موسوعة قبائل العرب، م، س، ج٦، ص٢٣٥١.

٦) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص ٣٦٨، سالم السيابي: إسعاف الأعيان ...، م. س، صص١٢٠–١٢١.

ويظهر من هذا أن مشاركة القبائل العُمانية في فتح بلاد المغرب كانت واضحة، وبأعداد كبيرة، فميدعان وحدها قد شاركت بسبعمائة رجل وهو أكبر عدد في هذه الحملة كما هو واضح من خلال الجدول (رقم:١) كما أن إمكانية استقرار بعض أفرادها في بلاد المغرب وارد أيضا، ولإن جادت لنا هذه المصادر التاريخية بهذا العدد فقط من المشاركة العُمانية التي انحصرت في قبيلة واحدة فإنه من المنطقي أن تكون هنا مشاركة فردية أو جماعية بأعداد قليلة من القبائل العُمانية الأخرى المستقرة في مصر، غفلت المصادر عن ذكرها بسبب ضآلة أعداد مشاركيها.

الجدول (رقم: ١): يوضح القبائل المشاركة وأعداد أفرادها المشاركين في حملة عبد الله بن أبي السرح عام ٢٥هـ/٦٤٥م، من خلال ما أورده ابن عبد الحكم[١]:

م	القبيلة	العدد
١	جهينة	٦٠٠ جندي
٢	أسلم	٣٠٠ جندي
٣	سليم	٤٠٠ جندي
٤	بنو كعب بن عمرو	٤٠٠ جندي
٥	مزينة	٣٠٠ جندي
٦	مهرة	٦٠٠ جندي
٧	غنث	٧٠٠ جندي
٨	ميدعان	٧٠٠ جندي
المجموع الكلي		٤٠٠٠ جندي

كانت معركة ذات الصواري البحرية عام ٣٤هـ / ٦٥٣م،[٢] آخر الانتصارات

١) انظر: فتوح مصر وأخبارها، م، س، ص١٨٤.

٢) "وإن كانت معركة ذات الصواري حدثت قبالة سواحل الإسكندرية، ولا علاقة لها بمنطقة الدراسة، إلا

العسكرية التي قادها عبد الله بن أبي السرح ضد الروم البيزنطيين في عهد الخليفة عثمان ، ولم تخلُ هذه المعركة من المشاركة العُمانية ، فقد كان أبو فاطمة الأزدي أحد جنود هذه الحملة البارزين ، [١] وليس من المعقول أن يكون قد شارك بنفسه في هذه الحملة دون أقرانه من بني الأزد ، وهم الذين لم يخرجوا من بلادهم إلا بداعي الجهاد ونصرة هذا الدين ، وبعد هذه المعركة توقف مشروع الفتح برمته؛ بسبب دخول المسلمين في دوامة من الفتن .

وما إن استتب الأمن والاستقرار في ربوع الدولة الإسلامية بتولي معاوية بن أبي سفيان الحكم حتى أمر واليه على مصر – معاوية بن حديج السكوني– التوجه نحو إفريقيا عام ٤٥هـ / ٦٦٥م [٢] ، وقد أقدم معاوية بن أبي سفيان على هذا العمل نظرا لاستنجاد أهل المغرب به ضد الروم البيزنطيين ، فخرج الوالي معاوية بن حديج السكوني من الإسكندرية يصحبه عشرة آلاف من المقاتلين ، فيهم ثلة من الصحابة والتابعين ، وكانت هناك مشاركة واضحة للعرب الذين استوطنوا مصر[٣] ، مما يرجح المشاركة العُمانية في هذه الحملة من القبائل الأزدية والمهرية وغيرها من القبائل التي نزلت مصر واستقرت بها ، وفي الطريق انضمت إليه حامية برقة لتكون عونا له ، وعند وصول الحملة إلى افريقية انقضّوا على العدو وهزموه ، وتمكنوا من فتح قابس وبنزرت وسوسة ، ثم قفل معاوية بن حديج راجعا إلى مصر عام ٤٧هـ / ٦٦٧م . [٤]

أننا ذكرناها هنا؛ لأنها كانت ضد عدو المسلمين في المغرب، فهي امتداد لتلك الحروب التي خاضوها لفتح المغرب". انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، صص١٨٠ –١٨١، الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٢، ص٦٤١. "ذكر ابن الأثير بأنها وقعت في هذا العام، ولكنه روى أيضا قولا آخر بأنها وقعت في عام ٣١هـ". انظر: الكامل في التاريخ، م. س، ج٣، ص١٣.

١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص ١١٠، ٣٠٨، رجب عبد الحليم: الأزد والمهرة في مصر ...، م. س، ص١٣٢.

٢) ذكر ابن عبد الحكم أن هناك حملة أخرى لمعاوية بن حديج على المغرب عام ٣٤هـ، وكان فيها عبد الملك بن مروان، وقد حقق فيها انتصارات كبيرة وغنم غنائم كثيرة. انظر: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٩٣.

٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها...، م. س، ص١٩٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢، ص٤٨٥، ابن عذاري: البيان المغرب... ، م. س، ج١، صص١٦ – ١٧، عبدالله البري: **القبائل العربية في مصر، في القرون الثلاثة الأولى للهجرة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة: ١٩٩٢م، ص١٥١.

٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، صص١٩٢ – ١٩٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س،

إن المتتبع لمراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب يجد أن بداية استقرار الأوضاع فيها وانتشار الإسلام على أوسع نطاق له كان في عهد الوالي عقبة بن نافع الفهري، إذ اقتضت سياسة معاوية بن أبي سفيان فصل بلاد المغرب عن مصر وتعيين عقبة واليا عليها وذلك عام ٥٠هـ / ٦٧٠م، فعمل هذا الوالي من أول وهلة على بناء مدينة القيروان لتكون مركزا للمسلمين ومعقلا، ولتثبيت أقدامهم في بلاد المغرب، ثم قام باستمالة البربر وغرس حب الإسلام في قلوبهم، وذلك بالاستعانة بكبار الصحابة والتابعين الذين خرجوا معه مجاهدين لنشر الإسلام(١)، وبما أن جيوش الفتح الإسلامي كانت تخرج من مصر – بما فيها هذه الحملة – فإنه لا بد أن تكون هناك مشاركات أزدية عُمانية لم تسعفنا بها المصادر، بسبب ذلكم العدد الكبير من الأزد ومهرة الذين استقروا بمصر منذ فتحها على يد القائد عمرو بن العاص إلى وقت خروج هذه الحملة، وفي المقولة التي رويت على لسان معاوية بن أبي سفيان ينصح فيها واليه على مصر – مسلمة بن مخلد– دلالة على المكانة التي بلغها الأزد في مصر إذ يقول : " لا تولي عملك إلا أزدي أو حضرمي فإنهم أهل الأمانة "(٢).

لم تتوقف الهجمات البيزنطية الشرسة وثورات البربر في بلاد المغرب مما حتم على الدولة الأموية إرسال قادتها تترا؛ لتوطيد الأمن والاستقرار، واستمالة البربر إلى الإسلام وتعليم من أسلم منهم مبادئ الإسلام وتعاليمه وترسيخها في قلوبهم، ومن أبرز تلك الحملات حملة زهير بن قيس عام (٦٩هـ / ٦٨٨ م)(٣) وحملة حسان بن النعُمان الغساني عام (٧٤هـ / ٦٩٣م)(٤)، ثم ولي على بلاد المغرب موسى بن نصير عام (٧٧هـ / ٦٩٦م)(٥)، وتعد الانتصارات التي حققها موسى بن نصير آخر مراحل

ج٢، ص٤٨٥، ابن عذاري: البيان المغرب... ، م. س، ج١، صص١٦ – ١٨، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص٣٩، الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص٩٥.

١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٣، ص٣٢٠، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س ص١٩ وما بعدها، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص٤٠ وما بعدها.

٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٢٥.

٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٣، ص٤٥٣.

٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٥.

٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص١٩٤. وعند ابن الأثير أن ذلك كان عام ٧٨هـ. انظر: الكامل

الفتح الإسلامي، إذ بلغت جيوشه بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، فافتتح طنجة عام ٩٠هـ / ٧٠٨م، وبدأ يتطلع إلى الأندلس[١].

ومن حصاد ما تقدم يمكن القول أن المشاركة العُمانية في فتوحات بلاد المغرب تمثلت بتلك القبائل المستقرة في مصر، التي كانت لها مشاركة فاعلة في فتح بلاد المغرب ونشر الإسلام فيها، إضافة إلى أن استقرار بعض العُمانيين في الأراضي المغربية بعد دخول أهلها في الإسلام يعد النواة الأولى للامتزاج العُماني المغربي، ولا يخالجنا شك في أن هذه القبائل العُمانية التي استقرت بالمغرب مهدت للوجود الإباضي فيها، ولعل من الأدلة على تلك القاعدة العريضة من العُمانيين الذين استقر بهم المقام في بلاد المغرب، قيام ثورة أزدية عارمة بزعامة أبي عطاف عمران بن عطاف الأزدي على الوالي الأموي عبد الرحمن بن حبيب عام (١٢٦هـ / ٧٤٣م) [٢].

٢- آل المهلب العُمانيون ولاة على بلاد المغرب:

ضم عصر الدولة الأموية عدد كبير من الولاة تتابعوا على ولاية بلاد المغرب بعد الوالي موسى بن نصير، من أبرزهم: محمد بن يزيد القرشي (٩٧هـ / ٧١٥م - ١٠٠هـ / ٧١٨م)[٣]، وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر (١٠٠هـ / ٧١٨م - ١٠٢هـ /

في التاريخ، م. س، ج٤، ص٢٥٢.

١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص١٩٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٤، ص٢٥٢، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص٦١ وما بعدها.

٢) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص٨٨ وما بعدها، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٤، ص٥٠٠، ص٥٠١، محمد القحطاني: **الفهريون في الغرب الإسلامي من منتصف القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني الهجريين**، رسالة ماجستير مرقونة بمكتبة الأمير سلطان بجامعة الملك سعود، السعودية، الرياض، سنة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، تحت رقم (٩٦١ ق م ن) ص٩٣.

٣) "عين واليا من قبل سليمان بن عبد الملك" انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص٢١٣، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٠٦، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص٥٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٤، ص٣٠٠، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ص٤٧ .

٧٢٠م)[١]، وبشر بن صفوان الكلبي (١٠٢هـ/ ٧٢١م – ١١٥هـ – ٧٣٣م)[٢]، وسار الأمر على هذا المنوال إلى أن جاء عهد عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٦هـ / ٧٤٤م – ١٣٧هـ / ٧٥٤م) الذي انتزع الولاية بالقوة، فاستمر في ولايته حتى قيام الدولة العباسية، التي أقرته على ولايته وأضفت إليه الصبغة الشرعية [٣]، وبعد صراع مرير في داخل العائلة الفهرية، انتهى الأمر ببسط قبيلة ورافجومة البربرية نفوذها على القيروان، بعدها أرسل أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث واليا على بلاد المغرب؛ لتوطيد الأمن بها، فتمكن من ذلك لفترة بسيطة إلى أن حدثت اضطرابات كثيرة تمخضت عن إرسال والٍ على مستوى هذه الأحداث المتأزمة ألا وهو أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي[٤].

وقبل الخوض في الأحداث التي وقعت في عهد هذا الوالي والولاة الذين أتوا من بعده من بني المهلب، يجدر بنا التعريف بالمهلب وأسرة آل المهلب وسبب اهتمامنا بها في هذا الصدد.

يعود نسب المهالبة إلى المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سرّاق بن صبح بن كندي بن

---

١) "تم تعيينه واليا على المغرب من قبل عمر بن عبد العزيز وكان حسن السيرة " انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص٢١٣، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص٦٢ ، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص٢٠٤ وما بعدها، ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص٢٠٤ وما بعدها، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٤، صص٣٠٠– ٣٠١، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ص٤٨ .

٢) "استمر واليا على المغرب في عهدي يزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك" انظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص٢١٥، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢١٩، ٢٢٣، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص٦٦، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ص٤٩.

٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، صص٢٢٣ –٢٢٤، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص٩٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٤، ص٥٠١، ابن عذاري: البيان المغرب...، ص٦٤، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٣، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...، م. س، ص٨٣.

٤) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٠٣ وما بعدها، حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، سنة: ١٩٨٠م، ط١، ص٧١، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٣.

عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك[١]، عُماني المولد وبصري المنشأ، اُختلف في صحبة أبيه، قيل بأنه أسلم على يد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقيل أنه قدم في عهد الخليفة أبي بكر وقيل عمر[٢]. شارك على رأس قومه من أزد عُمان في الحملة التي قادها عثمان بن أبي العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب لمحاربة الفرس، بعدها نزل أبو صفرة مدينة توَّج[٣] ثم استقر المقام به وبقومه في البصرة[٤].

اشتهر المهلب بالكرم والشجاعة والإقدام والحنكة والدهاء في الحروب، وقد تجلت حنكته في حروبه المريرة التي خاضها ضد الخوارج الأزارقة، وأبلى فيها وقومه من أزد عُمان بلاءً حسنا، حتى تمكنوا في نهاية المطاف من القضاء المبرم على الأزارقة وإنهاء وجودهم[٥] مما جعل الشعراء يكيلون له المديح[٦].

---

١) هشام ابن الكلبي: **نسب معد واليمن الكبير**، م. س، ص١٩١، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص٣٦٧، العوتبي: الأنساب، م. س، ج٢، ص٦٣١، زايد الجهضمي: **حياة عُمان الفكرية**، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، د.د، د.ت، ص٣٨ "يذكر البطاشي أن أبا صفرة من مدينة أدم بداخلية عُمان وأن قبيلة البوسعيدي تنسب إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة". انظر: سيف البطاشي: **تاريخ المهلب القائد وآل المهلب**، منشورات مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، سلطنة عُمان، د.ت، ص١٤، عبد المنعم سلطان: **آل المهلب العُمانيون في المشرق حتى سقوط الدولة الأموية**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، سنة ٢٠٠٥م، ص١٥.

٢) ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، م. س، ، ج٥، ص٢٥٨، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد ...، م. س، ص٢٢.

٣) "توج بفتح أوله وتشديد ثانيه، وهي مدينة بفارس شديدة الحر؛ لأنها في غور من الأرض ذات نخل، وقد فتحت في عهد عمر بن الخطاب في سنة ١٨ أو ١٩هـ. وقال أحمد بن يحيى: وجّه عثمان بن أبي العاص أخاه الحكم في البحر من عُمان لفتح فارس ففتح مدينة بر كاوان ثم سار إلى توج" انظر: الحموي: معجم البلدان، م. س، ط١، ج٢،ص٥٦.

٤) العوتبي: الأنساب، م. س، ج٢، ص٦٢٤ – ص٦٢٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢ص٤٤٠، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد ...، م. س، صص٢٢ – ص٢٥.

٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص١٩٠، العوتبي: الأنساب، م. س، ج٢، ص٦٣٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٤، صص١٦– ص٢٠، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد ...، م. س، ص٢٨.

٦) يقول فيه ابن حبناء مادحا:

إن المهلب في الأيام فضله[مفضلة]* على منـازل أقـوام إذا ذكـروا
حزم وجود وأيام له سلـفت فيها يعد جسيـم الأمـر والخطـر
ماض على الهـول ما ينفك مرتحـلا أسبـاب معضلة يعيا بها البشر

وفيما يأتي سنتناول الولاة العُمانيين من آل المهلب الذي تولوا ولاية بلاد المغرب من قبل خلفاء بني العباس، وأهم الأحداث التي وقعت في عهدهم والتي من شأنها أن توثق الصلة أكثر بين العُمانيين وبلاد المغرب، وتجدرالإشارة هنا إلى أن هؤلاء الولاة الذين عينوا على المغرب لم يكونوا من أبناء المهلب، بل كان بعضهم من أبناء إخوته لكن بسبب شهرته نسبوا إليه[١]، وأشهرهؤلاء الولاة هم:

أ- عمر بن حفص بن عثمان الأزدي (١٥١هـ / ٧٦٨م - ١٥٤هـ / ٧٧١م):

هو أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي[٢] يلقب بـ "هزار مرد" وهي كلمة فارسية تعني ألف رجل[٣]، وهذا اللقب يدل على قوة شخصية هذا الوالي وشجاعته إذ يعد عن ألف رجل، ويعد أول من وُلي من آل المهلب على بلاد المغرب فقد اختاره أبو جعفر المنصور ليوطد الأمن فيها بعد كثرة النزاعات والثورات التي ظهرت بها، وقدم إليها في عام ١٥١هـ / ٧٦٨م، واتخذ من القيروان مركزا لولايته[٤].

سهل الخلائق يعفــو عنـد قــدرته منه الحياء ومن أخلاقــه الخفــر

انظر: الأصفهاني: الأغاني، م. س، ، ج١٣، ص٦٤- ٦٦، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد ...، م. س، ص٥٤.

* وجدنا أن البيت الشعري منكسر حين نقول "فضلة"، فأستبدلناها بكلمة "مفضلة" ليستقيم البيت.

١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٥، عبد العزيز الثعالبي: **تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تح: أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط١، ص١٧٩.

٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٦١، الطبري: تاريخ الطبري...، م. س، ج٤، ص٤٩٨، السمعاني: الأنساب...، م. س، ج٣، ص٤٨٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٥، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد... م. س، ص١٥٢ "بينما ذكر ابن حزم الأندلسي وابن عذاري المراكشي أن اسمه عمرو وليس عمر". انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص ٣٦٨، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٧٥.

٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص ٣٦٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٥، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي ...، م. س، ص١٨٥.

٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٥، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٧٥، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٨٥.

استقرت الأمور في القيروان بمقدم أبي جعفر في السنوات الثلاث الأولى من عهده، ولكن ما لبثت أن ثارت عليه الإباضية بزعامة عبد الرحمن بن رستم والصفرية بزعامة أبي قرة في إقليم الزاب عندما رغب أبو جعفر في تحصين طبنة[١]فحاصروه فيها، إلا أنه تمكن في نهاية المطاف من تفرقة هذه الجموع وفك الحصار بالحيل والخديعة، فانطلت هذه الحيلة على الصفرية فانصرفوا، وظل يقاتل الإباضية حتى تمكن من هزيمتهم[٢]، ثم عاد أدراجه نحو القيروان، وما أن ولج المدينة حتى فوجئ بحصار أبي حاتم يعقوب بن لبيب الإباضي لها، وحين بلغ الخبر بغداد أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور المدد إليه لفك الحصار بقيادة يزيد بن حاتم – ابن عم أبي جعفر–[٣]، إلا أن أبا جعفر عزَّ عليه أن يقال أنقذه ابن عمه من الحصار، فخرج إلى المحاصرين بعد أن قال لأعوانه مقولته المشهورة: "لا خير في الحياة بعد أن يقال: يزيد أخرجه من الحصار، إنما هي رقدة وأبعث إلى الحساب"[٤] فقاتل حتى قتل وكان ذلك في شهر ذي الحجة من عام ١٥٤هـ/ ٧٧١م[٥].

وعلى الرغم من أن ولاية أبي جعفر كانت قصيرة زمنيا، إلا أن من المسلَّم به أن يكون هناك العديد من رجالات الأزد وذراريهم قد صحبت هذا الوالي حين مقدمه من أرض المشرق متجها بكتاب الخليفة واليا على بلاد المغرب، لتحط رحالها فيها وتكون عونا لهذا الوالي المنتمي إليها.

---

١) طبنة: بضم أوله ونون مفتوحة وهي بلدة في طرف أفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب، فتحها موسى بن نصير، فبلغ سبيلها عشرين ألفا وهرب كسيلة منها، وسورها مبني بالطوب، وليس بين القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها. استجدها عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزار مرد في حدود سنة ٤٥٤هـ. انظر: الحموي، معجم البلدان، م. س، ج٤، ص٢١.

٢) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٠٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٦، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٧٥، ص٧٦، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٤، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٨٥.

٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٧٥، ص٧٦، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٨٧.

٤) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٧٦.

٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٨٧.

ب- يزيد بن حاتم الأزدي (١٥٤هـ / ٧٧١م - ١٧٠هـ / ٧٨٦م):

وهو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ويكنى بأبي خالد(١)، عرف عنه بأنه كان شجاعا مقداما شبيها بجده المهلب بن أبي صفرة، وقد أنيط به ولاية مصر من قبل الخليفة أبو جعفر المنصور (٢)، وعندما بلغ هذا الأخير حصار الإباضية لواليه أبي جعفر السالف الذكر أمره بالخروج من مصر في عام ١٥٤هـ / ٧٧١م، والتوجه نحو إفريقية لفك الحصار الذي ضُرب على مدينة القيروان، وأمده بجيش كبير من أهل الكوفة والبصرة وخراسان والشام، إلا أن هذه الجموع وصلت بعد مقتل أبي جعفر ودخول أبي حاتم الإباضي إلى المدينة بعد أن أبرم جميل بن صخر - أخو أبي جعفر لأمه - الصلح معه، مما تمخض عنه خروج العسكر من القيروان بسلاحهم(٣).

خرج يزيد بن حاتم من مصر بكتاب الولاية إلى أفريقية، وعندما علم أبو حاتم الإباضي بتوجهه إليهم خرج ببعض جنده - بعد أن تفرق الكثير من أعوانه عنه واختلفوا فيما بينهم- فدخل في معركة فاصلة مع يزيد بن حاتم قرب مدينة طرابلس انتهت بمقتله في ربيع الأول عام ١٥٥هـ / مارس ٧٧٢م، تمكن بعدها الوالي يزيد بن حاتم من التوجه نحو القيروان ودخولها، وما أن وطئت قدماه أرض القيروان حتى عمل على القضاء على كل الثورات دون هوادة، فاستقامت له الأمور وساد الأمن والسلام في البلاد(٤).

ونظرا لما ساد المنطقة من الأمن والاستقرار، فقد سنحت الفرصة ليزيد بن حاتم للقيام

---

١) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١١١، ص١١٢، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، م. س، ص٣٧٠، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٧ ، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ...، م. س، ج٢، ص١.

٢) "وقد تولى قبلها ولايات عدة منها أرمينية والسند وأذربيجان" انظر: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١١٣، ص١٢٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٤٦، ص١٧٥، ص١٨٤، ابن عذاري: البيان المغرب..، م. س، ج١، ص٨١.

٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٧٠، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٢٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧.

٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٧٠، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٢٣، ص١٢٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص٧٢، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥.

بالعديد من المشاريع العمرانية والاقتصادية والنهوض بالجانبين الاجتماعي والثقافي، وأولى اهتماما كبيرا بالقيروان فرتّب سوقها وجدّد مسجدها الجامع[١]– وهو ما سنفصله في الفصول القادمة من الدراسة– واستمر على هذا النحو من التطويروالاهتمام حتى وافته المنية عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م[٢]، ونظيرا لما عرف عنه من الجود والكرم فقد حُظي بمدح الشعراء له [٣].

ومن الجدير بالذكر أن طول مدة ولاية يزيد بن حاتم على بلاد المغرب(١٦ سنة) واستقرار الأمن والرخاء الاقتصادي والعمراني الذي ساد المنطقة في عهده، كان من أهم الأسباب والمحفزات التي أهلت المنطقة لاستقطاب الناس بشتى طبقاتهم– التجار والعلماء والشعراء – لاستيطانها والاستقرار فيها والتنعّم بالهدوء والطمأنينة في ظل وجود إدارة قوية ووال كريم محب للعلم وطلابه، كل ذلك ينهض دليلا على إمكانية نزوح العديد من القبائل الأزدية من المشرق العربي وإقامتها في بلاد المغرب بشتى أقاليمه ومدنه؛ فقد كانت فرصة سانحة لمحبي السلطة من الأزد لإشباع نهمهم وبلوغ مأربهم في السلطة والنفوذ، والتطلع إلى نيل حظوة لدى واليها الذي ينتمي إليهم، كما أنها تعد في الآن ذاته بابا فتح على مصراعيه للتجار الأزديين الذين وجدوا فيها سوقا رحبا لبضاعتهم، وأصبح مهوى لكل الفئات الأخرى من الأزد التي ترنو إلى العيش تحت سيادة شخص من قبيلتها في زمن بلغ التعصب القبلي أوجه.

---

١) "بينما يرى الرقيق القيرواني أن يزيد بن حاتم هو من بناه ثم جدده" انظر: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٢٦.

٢) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٢٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٨. "بينما يرى ابن عذاري أن وفاته كانت في عام ١٧١هـ" انظر: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨١.

٣) قال فيه الشاعر ربيعة بن ثابت الرقي مادحا:

لشتان ما بين اليزيدين في النّدى يزيد سُليم والأغّر ابن حاتم
فلا يحسب التَّمْتَام أني هجوته ولكنني فضّلت أهل المكارم
فهمَّ الفتى الأزدي إتلاف ماله وهمَّ الفتى القيسي جمع الدراهم

انظر: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١١٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة...، م. س، ج٢، ص١.

ج- روح بن حاتم الأزدي (١٧٠هـ / ٧٨٦م - ١٧٤هـ / ٧٩١م):

هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، يكنى بأبي خالد، وُلِيَ لخمسة خلفاء من بني العباس: السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد، حتىَ قيل أنه لم يتفق هذا لأحد غيره سوى لأبي موسى الأشعري الذي كان عاملا للمصطفى - صلوات ربي وسلامه عليه - على اليمن ثم لخلفائه من بعده، فقد تولى روح بن حاتم ولاية البصرة وعين واليا على الكوفة كما تولى ولاية السند وطبرستان وفلسطين وآخرها بلاد المغرب.[١]

ومن الأحداث التي سبقت مقدم روح بن حاتم، استخلاف الوالي يزيد بن حاتم لابنه داود على إفريقية إبان مرضه وقبيل وفاته[٢]حتى يعين واليا آخرَ من قبل الخليفة، فاستمر في منصبه تسعة أشهر ونصف خاض فيها العديد من المعارك مع البربر[٣]، وقد كان داود هذا مثالا بارزا على متانة العلاقة بين المهالبة ووطنهم الأم عُمان، وتجلى ذلكم الأمر عندما بعث داود برسالة إلى أهل عُمان يخبرهم بمسير عيسى بن جعفر إليهم بأمر من هارون الرشيد للسيطرة على عُمان وإخراجها من قبضتهم[٤].

---

١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٧٩، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٣٥، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٤، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد...، م. س، ص١٦٠.

٢) "يظهر من رواية اليعقوبي أن الخليفة كان موافقا لاستخلاف يزيد لابنه داود، وأن الخليفة هارون عزله لأن الثوار هزموه وأنه كان سيئ المعاملة لأهل أفريقية" انظر: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج ٢، ص٢٨٨. "ويعد داود هذا من الولاة المشهورين في عصر العباسيين، فقد تولى ولايات كثيرة منها مصر والسند، ومدحه الكثير من الشعراء، وتوفي وهو على ولاية السند" انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٣٠٨، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٣٣.

٣) "عند الرقيق أنه مكث في منصبه خلفا لأبيه مدة سبعة أشهر ونصف، بينما عند المؤرخين الآخرين تسعة أشهر ونصف، وهي الأقرب إلى الصحة، ويظهر أن ما كتب في كتاب الرقيق لا يعدو خطأ مطبعيا كما أشار إلى ذلك محقق الكتاب، أما بقية المصادر فتتفق على تسعة أشهر" انظر: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٣٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص٢٧٨، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٢، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٩٣.

٤) "وقد كان ذلك في عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي، وقد تمكن العُمانيون من هزيمة عيسى بن جعفر وأسره ثم قتله" انظر: السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١١٦، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد...، م. س، ص١١٦.

أمسك داود بن يزيد بزمام الأمور في ولاية إفريقية حتى جاء كتاب الولاية من بغداد بتعيين عمه روح بن حاتم واليا على إفريقية من قبل الخليفة هارون الرشيد فقدمها في رجب من عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م ونزل بالقيروان[١].

وإذا كان يزيد بن حاتم قد عُرف في المغرب بالكرم والشجاعة والإقدام فقد كان روح بن حاتم ندا له بالمشرق حين كان واليا على السند قبل مقدمه إلى المغرب[٢]، رآه رجل يوما واقفا على باب الخليفة المنصور وقد طال وقوفه تحت الشمس فقال له :" لقد طال وقوفك في الشمس فقال له: ليطول وقوفي في الظل"[٣] واستقامت بمقدمه الأمور في المغرب وصلحت له الدنيا ووادع عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية[٤].

ظل في ولاية إفريقية حتى وافته المنية في شهر رمضان من سنة ١٧٤هـ / ٧٩١م، وبذا تكون ولايته ثلاث سنين وبضعة أشهر [٥].

د- نصر بن حبيب الأزدي (١٧٤هـ / ٧٩١م - ١٧٧هـ / ٧٩٣م):

هو نصر بن حبيب الأزدي المهلبي، عينه الخليفة هارون الرشيد عاملا على أرمينية لمدة من الزمن ثم عزله[٦]، فتوجه بعدها نحو مصر فكان على شرطة يزيد بن حاتم في مصر وإفريقية وقد كان محمود السيرة، وعندما توفي روح بن حاتم بايع الناس ابنه قبيصة، إلا أن هارون الرشيد كان قد كتب بولاية أفريقية لنصر بن حبيب إبان مرض

---

١) الرقيق القيروني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٣٥، ص١٣٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص٢٧٨، ص٢٨٢، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٢، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٩٣.

٢) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٣٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص٢٣١، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد... م. س، ص١٦٢.

٣) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٣٧، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٤.

٤) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٤١.

٥) المصدر نفسه: ص١٤٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص٢٨٧، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٥.

٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٣٠٠.

روح بن حاتم وأخفى نصر ذلك الأمر عن الخاصة والعامة ثم أظهر كتاب الخليفة بعد أن تأكد خبر وفاة الوالي روح بن حاتم[١]، وقد كان نصر حسن السيرة في ولايته واشتهر بالعدل[٢].

إن هذه الأخلاق الرفيعة والمميزة التي كان يتعامل بها هذا الوالي وبعض الولاة الآخرين من بني المهلب مع سكان بلاد المغرب، من شأنها أن ترسخ جذور العلاقة بين العُمانيين وبلاد المغرب، فهي تعطي صورة ناصعة للأخلاق الحسنة التي كان عليها أهل عُمان، والتي مثّلها هؤلاء الولاة أحسن تمثيل وكانوا قدوة فيها، فأحبهم سكان بلاد المغرب، وانقادوا لأوامرهم، إذ أن قلوب البشر جُبلت على حب من أحسن إليها.

واستمر نصر بن حبيب في ولايته سنتين وبضعة أشهر إلى أن تم عزله عام ١٧٧هـ / ٧٩٣م، وأمسك بزمام الأمور بعد عزله المهلب بن يزيد إلى حين مقدم الوالي الجديد من قبل هارون الرشيد[٣].

هـ – الفضل بن روح بن حاتم المهلبي (١٧٧هـ / ٧٩٣م – ١٧٨هـ / ٧٩٤م)

هو الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أخ يزيد بن حاتم، توجه إلى الخليفة هارون الرشيد بعد وفاة أبيه – روح بن حاتم – خاطبا الولاية على إفريقية بدلا من نصر بن حبيب، فوافق الخليفة إكراما وإجلالا لأبيه، ولم يمهل الخليفة الوالي نصر بن حبيب حتى مقدم الفضل بن روح، وإنما عزله من منصبه وأمر بتسليم زمام الأمور إلى المهلب بن يزيد إلى حين قدوم الفضل إلى بلاد المغرب، فقدمها في عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م [٤].

---

١) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٥.

٢) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٤٧، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٥.

٣) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، ص١٤٩، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، صص٨٥–٨٦.

٤) الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب، م. س، ص١٤٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص٢٩٧، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد...، م. س، ص١٦٢.

استبشرت أفريقية بمقدم الوالي الفضل بن روح واستقبل استقبالا حافلا،[١] لكن الفضل خيب آمال أهالي المنطقة فقد عين على تونس ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح، الذي أساء لأهلها فشكوه للفضل – عمه – إلا أنه لم يعرهم اهتماما وغض الطرف عما يفعل ابن أخيه؛ فثار الناس ضده، وبايعوا بدلا منه عبد الله بن الجارود الذي قام بمعية أتباعه بمحاصرة المغيرة بن بشر حتى تمكنوا من إخراجه من تونس، فبعث لهم الفضل عاملا أخر إلا أنهم قتلوه، ثم استعدوا لمجابهة الفضل نفسه، فدارت بين الطرفين حرب ضروس انتهت بمقتل الفضل بن روح، عام ١٧٨هـ / ٧٩٤م[٢].

وبمقتل الفضل بن روح المهلبي تنتهي فترة المهالبة في المغرب، التي استمرت قرابة سبعا وعشرين عاما، إذ بدأت في أواخر أيام أبي جعفر المنصور وانتهت في أوائل أيام هارون الرشيد[٣]، وهي فترة جديرة بتجذر العلاقة بين بلاد المغرب وعُمان، بسبب إمكانية وفود رجالات الأزد إلى بلاد المغرب لإعانة الولاة المهالبة في ولاياتهم.

ومما تقدم يظهر أن الدولة العباسية قد كانت واثقة ومقتنعة بالسياسة التي كانت ينهجها ولاتها المهالبة في بلاد المغرب، بل ومتيقنة من ولائهم لها، ويتجلى هذا الأمر بصورة جلية في تتابع هؤلاء الولاة على بلاد المغرب الواحد تلو الآخر دون أن يتخللهم أي والٍ خارج نطاق العائلة المهلبية طيلة سبع وعشرين عاما التي استمر فيها المهالبة ماسكين بزمام الولاية على بلاد المغرب، كما أنه من المنطقي أن تستمر بعض العائلات المهلبية مقيمة في بلاد المغرب بعد انقضاء مدة الولاة المهالبة، فلا يسوغ عقلا أن يخرج كل المهالبة عن بكرة أبيهم من بلاد المغرب بعد انتهاء مدة ولاتهم.

٣- المذهب الإباضي:

"إن العارف بدقائق تاريخ الصلات الاجتماعية والدينية بين أقطار العالم الإسلامي

---

١) الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب، م. س، ص١٤٩.

٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٨٨، الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، م. س، ص١٥١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص٢٩٧، ٢٩٨، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، صص٨٧–٨٨.

٣) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٨.

يدرك أن عامل التوزيع المذهبي للسكان – الخارطة [الخريطة] المذهبية – يعد سببا مهما من أسباب الاتصال بين الشعوب، وأن الرابطة المذهبية كغيرها من الروابط السياسية والاجتماعية والاقتصادية تدخل في هذا الإطار"[١].

ومن هذا المنطلق فعلى الرغم من تعدد قنوات التواصل بين عُمان وبلاد المغرب إلا أن المذهب الإباضي يعد الجسر المتين والحلقة الأقوى في ذلكم الترابط، الذي صمد على مر السنين والأعوام، ويعود كل ذلك إلى وحدة الفكر والمنبع، فقد كان رجالات المذهب الإباضي– من لدن أبي بلال مرداس إلى عهد الربيع بن حبيب – في البصرة يديرون أتباع المذهب، ويسوسونهم في جميع أمورهم، ولا نبالغ إن قلنا أنه لا يعين إمام ولا تخرج خارجة لأتباع المذهب إلا بعد أن تأتي الموافقة النهائية عليها من البصرة [٢].

إن هذه الثقة التي منحها أتباع المذهب الإباضي لقياداتهم في البصرة لم تأت من فراغ، بل يعود ذلك إلى الإخلاص الشديد لزعماء المذهب واهتمامهم الكبير بأتباعهم[٣]؛ الأمر الذي أدى إلى تماسك هؤلاء وحب بعضهم بعضا، وإذا كان الزعماء هم من زرعوا روح المحبة بين أتباع المذهب فإن البصرة كانت مأوى أولئك الأحبة المشارقة منهم والمغاربة، ولا أدل على ذلكم الاهتمام والتماسك بين أفراد مجتمع الإباضية من الأسلوب الأمثل الذي اتبعته زعامات الإباضية في سد حاجات بعضهم بعضا، فقد كانوا يجمعون الأموال من أغنيائهم ويوزعونها على فقرائهم، وكان الفقير منهم تأتيه أحمال الطعام ولا يدري من الذي آتى بها، وكان كل فرد

---

١) يحيى بوتردين: **نموذج للعلاقات العلمية بين الجزائر وعُمان**، بحث مقدم في الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديما وحديثا، نظمته وحدة الدراسات العُمانية بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن، منشورات جامعة آل البيت، سنة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، صص٢٥٢–٢٥٣.

٢) أبو يعقوب ابن خلفون: **أجوبة ابن خلفون**، تح: عمرو خليفة النامي، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، سنة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ط١، ص١٠٧، سالم السيابي: **الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز**، مسقط، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٧٩، ناصر الندابي: الإمامة الإباضية...، م. س، ص٥٣.

٣) مهدي هاشم: الحركة الإباضية ...، م. س،، ط٣، ص٨٤.

يتسابق لسد حاجات أخيه[١].

ونظرا لوجود زعامات الإباضية وعلمائهم بالبصرة، فقد شدّ إليها أتباع المذهب الرحال من المشرق والمغرب طلبا للعلم، والأخذ بأصول المذهب من قبل مشايخه وعلمائه، ولعل الإمام أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة يجسّد هذا الدور بصورة جلية، فقد انضوى تحت حلقاته التعليمية التي كان يعقدها بالبصرة عدد كبير من طلاب العلم المشارقة والمغاربة[٢]، فالتقى طلبة العلم العُمانيين بإخوانهم طلبة العلم المغاربة، وقامت بين الطرفين علاقة متينة أدت في بعض الأحيان إلى سفر بعض طلبة المشارقة إلى المغرب بعد الانتهاء من الدراسة كما تمثل ذلك في شخص عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني الذي خرج مع إخوانه المغاربة بعد رجوعهم إلى ديارهم[٣].

وإذا كانت البصرة ومجالس أبي عبيدة التعليمية هي السبب الأول في التعارف بين طلبة العلم العُمانيين وإخوانهم المغاربة، فإن هذا التواصل لم ينقطع بعد انفضاض حلقات العلم وبعد رجوع الطلاب إلى بلدانهم، بل كانت تلك المجالس المنطلق الأول لاستمرار العلاقة بين الطرفين، وتمخضت عن هذه العلاقة زيارات ومراسلات كثيرة بين الطلاب؛ طلبا للفتوى وتبادلا للمؤلفات العلمية وتقوية لأواصر الأخوة والمحبة. وكانت الصبغة التي تصبغ هذه العلاقة دائما وأبدا وتقوي ترابطها هو الفكر الإباضي المشترك بين الطرفين[٤].

إن الهدف الأسمى والغاية العظمى التي سعى إليها رجالات المذهب الإباضي هي

---

١) عوض خليفات: **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، سلطنة عُمان، وزارة التراث والثقافة، سنة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٨، مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم ...،م. س، صص١٧٤-١٧٥.

٢) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٨٢، سالم الحارثي: العقود الفضية ...، م. س، ص١٣٩، الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم ...، م. س، ص١٨٦، صص٢٤٨ -٢٥٨، صص٢٥٩ - ص٢٦٦.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢١، عوض خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، م. س، ص٤٠، سيف البوسعيدي: حملة العلم إلى المغرب، م. س، ص١٩.

٤) فرحات الجعبيري: **علاقة عُمان بشمال افريقيا**، سلطنة عُمان، معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، سنة: ١٤١٢هـ / ١٩٩١م. ص٢٥.

إقامة دولة وكيان سياسي لأتباع المذهب، يستطيعون من خلاله تطبيق الفكر السياسي والديني والاجتماعي الذي طالما نشدوه وسعوا إليه، ونظرا لأن هذا الأمر يتعارض بالكلية مع سياسة الدولتين – الأموية والعباسية – آنذاك، فقد أولى زعماء المذهب الإباضي اهتماما كبيرا بالمناطق النائية والبعيدة عن عواصم هاتين الدولتين وأنظار خلفائها [١]، ومن هذا المنطلق فقد ترشحت عُمان وبلاد المغرب عند زعماء الإباضية من أجل بناء ذلكم الهدف وتحقيقه. فعُمان تقع في أقصى الشرق الإسلامي وبلاد المغرب في أقصى غربها، ولهذا سعى الإمام أبو عبيدة لإنشاء دولة إباضية في عُمان، وعندما سقطت تحوّل عنها إلى المغرب. ونخلص من هذا أن الفكر الإباضي هو من اختار هاتين المنطقتين على ما سواهما من المناطق، وأصبحت الفكرة التي تدين بها المنطقتين – عُمان وبلاد المغرب– هي تقويض النظامين الأموي والعباسي، بسبب الظلم الذي ساد المنطقتين جراء سياسة الولاة – الأمويين والعباسيين – التعسفية في الحكم ولكن بالطرق المعتدلة النابعة من روح الإسلام[٢].

لقد كان الفكر الإباضي قولا يتبعه فعل، فبعد أن استقر رأي مفكري المذهب على اختيار المغرب لإقامة الدولة الإباضية، لم يقف إباضية المشرق بالبصرة مكتوفي الأيدي بل شمّروا عن ساعد الجد، وجمعوا الأموال لإعانة إخوانهم المغاربة لتقوية تلك الدولة الناشئة التي أطلق عليها الدولة الرستمية الإباضية، باعتبارها البديل الأول بعد سقوط الإمامة الإباضية في عُمان، وعقدوا عليها آمالا كبيرة في أن تكون المتنفس لكل إباضي هارب من ظلم ولاة بني العباس[٣].

وفي هذا السياق يمكن اعتبار قيام الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط

---

١) عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، م. س، ص١١٧، محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، م. س، ص١٤٧، إبراهيم القادري بوتشيش: التواصل الحضاري ...، م. س ، ص١٥، الندابي: الإمامة الإباضية...، م. س، ص٤٨.

٢) "وهو الأمر الذي استنتجه وتوصل إليه الدكتور بوتشيش" انظر: إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٥.

٣) محمد بو حجام: **التواصل الثقافي بين عُمان والجزائر**، السيب، سلطنة عُمان، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ط١، ص٢٤.

(١٦٠هـ/٧٧٦م- ٢٩٤هـ/٩٠٩م) نقلة كبيرة في تدعيم أواصر العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب، إذ أصبحت هذه الدولة مهوى أفئدة الإباضية العُمانيين في البصرة وعُمان، علماً أن الأوضاع السياسية في عُمان كانت سيئة بعد سقوط الإمامة الإباضية الأولى (١٣٢هـ/ ٧٤٨م-١٣٤هـ/ ٧٥٠هـ) ومقتل الإمام الجلندى بن مسعود على يد العباسيين[١] لذلك أصبحت هذه الدولة الناشئة في بلاد المغرب البديل الأول لكل الإباضية، وبما أن قيامها كان بترتيب من القيادة الإباضية في البصرة على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ومؤسسها - عبد الرحمن بن رستم - الذي كان أحد تلامذته النجباء، فقد "اعترف كل إباضي بإمامته ووصوله بكتبهم ووصاياهم"[٢]، سواء من البصرة أو عُمان ودعمهم معنويا وماديا. لقد ابتهج أتباع المذهب الإباضي بهذه الإمامة، إذ نظروا إليها نظرة إجلال وإكبار وهو ما يعكس قول ابن الصغير: "وقال بعضهم لبعض: قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلا، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلا"[٣]. ويكفي هذا النص دليلا على العلاقة الروحية بين الطرفين، ودليلا على الرغبة الجامحة بين المنطقتين في تعميق أواصر التواصل وتعزيزه.

وبعد وفاة زعيم الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، انتقلت رئاسة المذهب إلى الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي العُماني، وأصبح الربيع هو المرجعية الأولى والأخيرة لأتباع المذهب في المشرق والمغرب، مما زاد من قوة التواصل بين أتباع المذهب في المغرب والمشرق، وتوطدت العلاقة أكثر بين الطرفين عند انتقال الإمام الربيع بن حبيب من البصرة إلى عُمان، وأصبحت القيادة الكبرى للمذهب الإباضي بيد العُمانيين في موطنهم الأصلي عُمان[٤]، فتعززت العلاقة بين بلاد المغرب

---

١) الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م. س، صص٤١- ص٤٢، ابن رزيق: الصحيفة القحطانية، م. س، ج٥، صص٧٧- ٨٠.

٢) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، م. س، ،ج١، ص٤٥، الشماخي: السير، م، س، ج١، ص١٢٦، **فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب وإباضية البصرة وعُمان**، من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر الهجري/ ٨-١٧م، دار سراس للنشر، البلفيدير، تونس، د.ت، ص٨٣.

٣) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م، س، ص٣٢، محمد بوحجام: التواصل الثقافي ...، م، س، ص٢٤.

٤) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١٦، مهدي هاشم: الحركة الإباضية...، م. س، ص٨١.

وعُمان عن طريق المراسلات التي كانت تأتي من المغرب إلى عُمان لأخذ الفتوى من المرجعية الكبرى للمذهب – الإمام الربيع بن حبيب – وغدت عُمان محط أنظار طلاب العلم الإباضية المغاربة للارتشاف من معينها المعرفي[١]، وكل ذلك تحت مظلة الفكر الإباضي الذي وحّد هذه العقول على الرغم من اختلاف بيئاتها.

من المعقول أن يتكاتف أتباع المذهب الإباضي المشارقة منهم والمغاربة ليشكلوا حلفا واحدا، فالفكر مشترك والمصلحة واحدة، ومما زاد في تكاتفهم وترابطهم، ذلكم الجو القاتم الذي ساده القتل والظلم لجميع أتباعه من قبل الدول القائمة آنذاك، فقد اضطهدت تلك الدول بفرعيها الأموي والعباسي أتباع المذهب الإباضي وتتبّعتهم بالقتل والتشريد، لا لشيء سوى أنهم ينتمون إلى هذا المذهب، الذي يتعارض فكره وتوجهه مع فكر وتوجه تلك الدول[٢]، فأصبح كل طرف يجد في الطرف الآخر متنفسا بسبب الحصار الملقى عليهم، وبهذا تأكدت العلاقة بين عُمان والمغرب؛ لكون العدو مشتركا بين الطرفين.

وبعد هذا الطرح يتبين لنا أن المذهب الإباضي كان العمود الفقري للتواصل بين أتباعه سواء في المغرب أو المشرق.

الحج:

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، فلا غرو إن اهتم به المسلمون أيما اهتمام، من أجل تلبية نداء الرحمن ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [٣].

---

١) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ج٢، ص١٢٩، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢١٦ وما بعدها، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري ...، م. س، ص١٣، مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم، م. س، صص٢١٣– ٢١٧.

٢) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري ...، م. س، ص١٥.

٣) سورة الحج، الآية (٢٧).

فبعد انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى، أصبح المسلمون يتوجهون نحو الحجاز للحج وأخذ الحديث من أفواه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وليتعلموا ويتفقهوا في دينهم، وبعد جيل الصحابة برز دور التابعين في هذا المجال، وبعدها العلماء المجاورون[١] الذين تتلمذوا على أيدي التابعين. ولا ننسى في هذا الصدد الجانب الاقتصادي، حيث استغل بعض التجار الموسم لبيع بضاعتهم وشراء ما تزخر به أسوق مكة والمدينة لحمله إلى بلدانهم[٢]، ومعولين في الوقت نفسه على الحراسة المشددة التي تحظى بها القوافل الحجية ليأمنوا على أموالهم وبضائعهم[٣]. كل هذه الأسباب التي ذكرناها مجتمعة كانت السبب المشجع لتوجه المسلمين نحو البقاع المقدسة سواء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة.

أما إذا توجهنا نحو دور الحج في تعزيز العلاقة بين عُمان والمغرب فإننا سنجعل من المذهب الإباضي المحور الذي تدور عليه رحى مناقشتنا للحج بوصفه سببا من أسباب التواصل بين المنطقتين، إذ يعد أساس العلاقة ولبّها بين العُمانيين والمغاربة، وهو من أهم الحوافز لمد جذور التواصل بين الطرفين عبر موسم الحج.

فقد كان موسم الحج بمثابة المتنفس الأول واللقاء الكبير لأتباع المذهب الإباضي، وقد أولى زعماء المذهب موسم الحج اهتماما كبيرا فقد كانوا يخرجون إلى الحج كل

---

١) الجوار يعني البقاء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة بجوار الحرمين حسبما يشاء المجاور ويباشر حياته العادية دون مانع، وينتهي بخروجه من هاتين المدينتين أو بالوفاة " انظر: منى آل مشاري: **المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي** (من ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م إلى ٩٢٢هـ - ١٥١٧م) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، د.ت، تحت رقم (٨ . ٩٥٣ م م م) ص٢٢.

٢) محمد بيومي: **المغاربة في المدينة المنورة** إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن الميلادي، دار القاهرة، مصر، سنة: ٢٠٠٦م، ط١، ص٢٦.

٣) شهاب الدين السلاوي: **الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصر ومحمد الناصر، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، سنة:١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٣، ص٨٣، محمد الشرمان: **النشاط الاقتصادي في مدينة فاس**، خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير، في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مرقونة بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، تحت رقم (٠٧ . ٩٦١ ش م ن) صص٢٠٨-٢٠٩.

عام وإذا تعذر ذهابهم فيرسلون من ينوب عنهم[١]. وقد تجلى ذلك الاهتمام في أبهى صوره في شخص الإمام جابر بن زيد الذي كان أشد زعماء الإباضية حرصا على حضور الموسم، فقد حبسه الحجاج بن يوسف الثقفي ومنعه من الخروج إلى الحج نزولا عند رغبة الناس، للاستفادة من علمه، فحبسه حتى أول أيام شهر ذي الحجة، وعندما خرج من السجن وظن الحجاج أن من الصعوبة بمكان بلوغه الموسم بعد هذا التاريخ، شدّ جابر بن زيد الرحال وخرج مخفّا مسرعا نحو الحجاز وبلغ الحج والناس وقوفا بعرفة[٢]. وكل ذلك مرده إلى حبه نيل ثواب الحج والرغبة الجامحة للالتقاء بأتباعه ومعرفة أحوالهم، ثم الجلوس بين يدي الصحابة الذين يعدون المعين الأول الذي اغترف منه الإمام جابر بن زيد علمه وفقهه[٣]. وهذا أبلغ دليل على اهتمام الإباضية زعامات ومشائخ بالحج، الذي كان بمثابة لقاء موسّع لأتباعه مع زعمائهم وعلمائهم.

ولقد كان الحج بديلا آمنا للتواصل بين إباضية المغرب وإخوانهم في المشرق عندما تكون الأحوال السياسية مضطربة في إحدى المنطقتين، التي يتعذر معها التواصل بالزيارات أو حتى عن طريق الرسائل بين الطرفين؛ بسبب اشتغال كل طرف بهمومه السياسية والأمنية[٤].

على الجانب الآخر نجد أن الموسم زخر بالعديد من الحلقات التعليمية التي كان يعقدها علماء الإباضية لتعليم أتباعهم، ومن أبرز العلماء الذين كانوا يشاركون فيها أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبو مودود حاجب الطائي[٥]، وأبو نوح صالح الدهان، وأبو

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٤٥، مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم ....، م. س، ص١٩٩.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٠٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٦٨، زيانة الحارثية: الإمام جابر بن زيد...، م. س، صص١٥٠ -١٥١.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٠٦، سالم الحارثي: العقود الفضية ...، م. س، ص٩٤، ٩٥، عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، م. س، ص١٦، زيانة الحارثية: الإمام جابر بن زيد ...، م. س، ص١٠٥.

٤) فرحات الجعبيري: علاقة عُمان بشمال أفريقيا، م. س، ص٤٠، مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط ...، م. س، ص١٢٠.

٥) هو أبو مودود حاجب الطائي أصله من عُمان ومولده بالبصرة، وهو من موالي بني هلال، تلقى العلم

سفيان محبوب بن الرحيل ، ومحمد بن محبوب[١] . وغيرهم ، [٢] وكانت هذه الحلقات تستقطب أتباع المذهب من المغاربة ، الذين يتوافدون عليها ، فيحضرونها جنبا إلى جنب مع إخوانهم المشارقة ، ثم يعودون بعدها إلى بلدانهم محمّلين بمعارف وإجابات عن جميع أسئلتهم واستفساراتهم ، ليعلّموها إخوانهم ، ويطلعونهم على أحوال إخوانهم من إباضية المشرق؛ لتنمو بذلك جذور التواصل بين الطرفين ، ولم يكن حضور هذه الحلقات حكرا على الإباضية بل كانت تحضرها أفواجٌ كثيرة من المسلمين من المذاهب الأخرى؛ الأمر الذي أدى في بعض الأحيان إلى قيام المناظرات بين علماء الإباضية وعلماء المذاهب الأخرى[٣] .

كذلك كان للمجاورين الإباضية دور كبير في تدعيم الترابط بين إباضية المغرب والمشرق ، سواء أولئك المجاورن في مكة المكرمة أو في مدينة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، فقد فتحوا أبواب منازلهم لتكون مأوى لكل إباضي ، وملتقى علمي

على يد أبي عبيدة مسلم، وكان ساعده الأيمن في نشاطاته، أوكل إليه مهمة الإشراف على الشؤون المالية والعسكرية، والمتابعة لسير الدعوة خارج البصرة، وكان منزله مجلسا للذكر، ولما مات قال الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور: "ذهبت الإباضية". انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، صص١١٧–١١٨.

١) هو الشيخ محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي المخزومي، وكان جده الرحيل بن سيف بن هبيرة بن سيف من الدعاة البارزين في مرحلة الكتمان بالبصرة، ويكنى بأبي عبد الله ، وقد تأثر به الكثير من الفقهاء، وتحتل آراؤه مكانة رفيعة في التراث الإباضي، مشرقا ومغربا، نشأ أيام الإمام غسان بن عبد الله وعاصر الإمام المهنا، وشارك مع علية القوم في مبايعة الإمام الصلت بن مالك (٢٣٧–٢٧٢هـ) تولي القضاء بمدينة صحار من قبل الصلت بن مالك، توفي يوم الجمعة ٣محرم ٢٦٠هـ. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية، م. س، صص٤٢٥–٤٢٦.

٢) مبارك الراشدي: أبو عبيدة مسلم...، م. س، صص١٤٠، ١٤١، محمد بوحجام: التواصل الثقافي ...، م. س، صص٣٢ – ص٣٣.

٣) "ومن أمثلة تلك المناظرات الحوار الذي دار بين زعيم الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وواصل بن عطاء زعيم المعتزلة في مسألة القدر، فقد سأل واصل أبا عبيدة قائلا: هل أنت الذي تقول إن الله يعذب على القدر؟ فقال: ما هكذا قلت، لكن قلت إن الله يعذب على المقدور، ولكن هل أنت الذي تقول: إن الله يعصى بالاستكراه؟ فسكت واصل و لم يجب " انظر: الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٤٦، مبارك الراشدي: أبو عبيدة مسلم...، م. س، صص١٤١، ١٤٠ .

لكل طالب علم[١]. كما كانت هناك أماكن خاصة للإباضية يلتقون فيها أيام موسم الحج[٢].

ويتضح مما سبق حرص الإباضية بصورة عامة وزعمائهم بصورة خاصة للالتقاء في العراص المقدسة، كما اتضح أن التعلم والتفقه في الدين هو أحد الحوافز المهمة في توجههم نحو الحجاز، فقد كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة تعجان بالعلماء وطلاب العلم في موسم الحج[٣].

٥- الرحلة في طلب العلم:

"طلب العلم فريضة على كل مسلم"[٤]. هذه القاعدة التي أرساها معلم البشرية وخيرها – صلى الله عليه وسلم –، فحث الناس على التعلم، وجعل ثلة من صحابته المتعلمين يتبعونه حذو النعل بالنعل ليدونوا ما يمليه عليهم من القرآن الكريم، فاهتم الصحابة بالعلم وسار على نهجهم التابعون ثم الذين جاءوا من بعدهم.

وبما أن مهبط الوحي وعواصم الدولة الإسلامة كانت بالمشرق فقد توجهت أنظار المسلمين الجدد في المغرب إليها، وتاقت نفوسهم لتعلم المزيد عن هذا الدين الجديد،

---

١) ابن سلام الإباضي: **الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية**، تح: ر.ف. شفارتز وسالم بن يعقوب، دار اقرا، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ط١، ص١٣٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٧٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٩٣، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان ...، م.س، ص١٨٥.

٢) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣٠، مقدادي وآخرون: **النصوص التاريخية في كتاب المصنف** (الأجزاء – ١٥) ورقة عمل مقدمة للملتقى الثاني لوحدة الدراسات العُمانية بجامعة آل البيت، نظمته وحدة الدراسات العُمانية بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن، الثلاثاء – الأربعاء ١–٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ / الموافق ١٤–١٥ مايو ٢٠٠٢م، منشورات جامعة آل البيت، سلسلة وحدة الدراسات العُمانية، سنة: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص٣٠٥.

٣) بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان...، م. س، ص١٨٤، نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي م. س، ص١٥٩.

٤) وهذا هو نص الحديث" طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ" انظر: ابن ماجَهَ: **سنن ابن ماجه**، دارَ المعرفةَ، بيروتَ، لبنان، سنةَ: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ط٣، ج١،ص١٤٦.

فخرج الكثير من محبي العلم المغاربة إلى المشرق للتعلم والتفقه في الدين الإسلامي ليأخذوا مادته من موطنه الأم(٥).

ولئن كان ظهور الدويلات المستقلة في المغرب إبان العصر العباسي سببا في ضعف الدولة الإسلامية سياسيا نظرا إلى التفكك غير المحمود، إلا أن هذا الأمر انعكس إيجابا على الاهتمام بالعلم وطلابه، فكانت كل دويلة تنافس أختها في هذا المضمار، وكل ذلك "يعود إلى رغبتها في إضفاء جو من الهيبة لها وإرضاءٍ لشعور ذاتي من جهة وإيجاد حالة من الشعور بالاستعلاء والتفوق على الدول المجاورة وغيرها من جهة ثانية"(٦)، ومن أمثلة ذلك التنافس قيام الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني بتوجيه سفارة سنوية إلى المشرق لاقتناء نفائس الكتب الموجودة في بغداد لاسيما في علم الفلسفة والكلام والفلك، وسار العبيديون على المنوال نفسه فجلبوا الكتب من اليمن والشام والحجاز والعراق(٧).

وبعد أن ظهرت الدويلات المستقلة وتحزبت الأحزاب وظهرت المذاهب الدينية أصبح كل فرد يشد رحاله إلى شيخ مذهبه ليأخذ عنه، لما في ذلك من كمال في التعليم، كما صرح بذلك ابن خلدون بقوله: "إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا" (٨). ومن

---

٥) يوسف حوالة: **الحياة العلمية في إفريقية** (المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ٩٠/٤٥٠هـ) المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سنة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ط١، صص١١٦-١١٨.

٦) المرجع نفسه: ص١٠٧.

٧) المرجع نفسه: ص١٠٧، محمد رضا: **الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي من خلال الرحلات العلمية**، كلية الأداب، جامعة البصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الأعظمية، سنة: ١٩٩١م، ط١، ص٣٦.

٨) ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، صص٥٣٩، ٥٤٠، محمد رضا: الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب ...، م. س، صص٣٦-٣٧.

هذا المنطلق فقد توجه الكثير من المغاربة إلى المشرق، وكذلك خرج بعض المشارقة إلى المغرب في وقت لاحق[١].

وبما أن البصرة ثم عُمان كانتا مركزا الدعوة الإباضية فقد يمم إباضية المغرب وجوههم إليهما، ومن هذا يتضح أن بداية العلاقة بين عُمان والمغرب هي بداية ثقافية صرفة؛ وذلك لتعلّم أصول هذا المذهب ومبادئه والالتقاء بأتباعه، فخرجت مجموعة من المغاربة أُطلق عليهم فيما بعد بحملة العلم إلى المغرب[٢]، ويظهر من هذه التسمية – حملة العلم – أن الغاية الكبرى التي خرجوا من أجلها هو التعلم ليعودوا إلى موطنهم ينقلون إلى إخوانهم المغاربة الفكرالذي ترسخ في قلوبهم قبل أذهانهم ليعلّموا إخوانهم ويبصرونهم بأمور دينهم، فيتضح من ذلك أن طلب العلم كان السبب الأول في العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب، وإن كانت بداية هذه العلاقة في البصرة، إلا أنه من المعلوم أن جابر بن زيد – مؤسس الفكر الإباضي– وجل أتباعه في البصرة هم من عُمان[٣].

وبعد وفاة زعيم الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عام (١٤٥هـ /٧٦٢م)[٤] تولى زمام أمور الدعوة الإباضية الربيع بن حبيب الفراهيدي العُماني، وظل ردحا من الزمن يدير الدعوة من البصرة إلا أنه خرج بعدها إلى مسقط رأسه – عُمان – فأصبحت عُمان محط أنظار أتباع المذهب في المشرق والمغرب، فلا غرو إن قال قائلهم حين شبّه العلم بطائر "باض في المدينة وفرّخ بالبصرة وطار إلى عُمان"[٥].

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٤١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١١، ١٢، سليمان الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، تح: محمد علي الصليبي، ج٢، وزارة التراث القومي والثقافة، سنة: ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م، ص٣٥، فرحات الجعبيري: علاقة عُمان بشمال أفريقيا، م. س، ص١٤، محمد رضا: الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب ...، م. س، صص٣٦–٣٧.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٥٤–٥٥، الجعبيري: علاقة عُمان بشمال أفريقيا، م. س، ص١٥، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري ...، م. س، ص١٦.

٣) فرحات الجعبيري: علاقة عُمان بشمال أفريقيا، م. س، ص١٢.

٤) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٤٨.

٥) السالمي: تحفة الأعيان...، م.س، ج١، ص٨٣، سالم الحارثي: العقود الفضية...، م. س، ص١٨٤، مجموعة مؤلفين: عُمان في التاريخ، م. س، ص٢٣٣، نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي...، م. س،

كما أن فترات الأمن والاستقرار السياسي التي حظيت بهما المنطقتان – عُمان والمغرب – عبر فترات التاريخ الإسلامي كانت دافعا للاهتمام بالعلم وطلابه إذ "من المتفق عليه أن الثقافة والعلوم و كل أشكال المعرفة لا تتأتى إلا بالأمن والاستقرار اللذين غالبا ما يسودان تحت مظلة حكم عادل بعيد عن كل صور الطغيان والاستبداد"(١).

وقد تعددت مظاهر العلاقة الثقافية بين عُمان والمغرب، فظهرت على أشكال عدة من بينها الرحلات العلمية لطلب العلم "فلقد وعى المسلمون عامة مذ تفتحت مداركهم العلمية، الأهمية الكبرى للرحلة في طلب العلم، وما تشكّله من قيمة في التحصيل التكويني، فأقبلوا على الارتحال والتنقل بين صقع وصقع رغبة في العلم وطلبا له حتى عدت الرحلات العلمية من أهم سمات أو خصوصيات الثقافة الإسلامية"(٢). وخير من يمثل هذه الرحلات العلمية هم حملة العلم المغاربة الذين توجهوا إلى البصرة للتعلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي(٣)، وقد بينا آنفا أن البصرة كانت تعج بالعُمانيين، بل إن الكثير من العُمانيين تتلمذوا على يد هذا الشيخ، ولئن كانت وجهة هذه الرحلة العلمية إلى البصرة فإن هناك رحلات كثيرة إلى عُمان من بينها تلك الرحلة التي خرجت في القرن الرابع الهجري / التاسع الميلادي، المكونة من مجموعة من الطلاب المغاربة الذين خرجوا من موطنهم إلى مدينة بهلى(٤) بعُمان وتتلمذوا على يد العلامة العُماني ابن بركة(٥)، وهاتان الرحلتان نموذجٌ على تلك الرحلات العلمية،

ص١١٦، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٤.

١) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٤.

٢) يوسف حوالة: الحياة العلمية في إفريقية...، م. س، ص١١٢.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٠، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري، م. س، ص١٩.

٤) بهلى بضم الباء وسكون الهاء وفتح اللام بعدها ألف مقصورة، وهي إحدى المدن العُمانية العريقة تقع في داخلية عُمان وتبعد عن العاصمة مسقط حوالي (٢٤٠ كم) يصل عدد القرى فيها (١١٤) قرية، وتوجد بها أقدم قلعة في تاريخ عُمان، تسمى قلعة بهلى، واتخذها النباهنة عاصمة لهم، وهي موطن العلامة العُماني ابن بركة السليمي. انظر: سعيد المعمري: **سلطنة عُمان تاريخ وحضارة**، مكتبة النفائس، سلطنة عُمان، سنة: ٢٠١٠م، ط١، ص١٩٨. انظر موقعها على الخريطة في الملاحق.

٥) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٠، ٢١.

وسنتعرض للنماذج الأخرى في الفصول القادمة.

لقد كان حب العلم وشد الرحال إلى مشائخه يسير جنبا إلى جنب مع حب تلبية نداء الرحمن والحج إلى بيته المحرّم، فقد يمّم الكثير من الطلاب المغاربة منهم والمشارقة وجهتهم نحو العرصات المقدسة يدفعهم إليها حب نيل مرضات الله بتلبية نداء الحج وحب التفقه في الدين على أيدي علماء الحرمين المكي والمدني[١].

أما الفترات التاريخية التي يصعب فيها التنقل والترحال ويتزعزع فيها الأمن والاستقرار ويخيّم على المنطقتين صور التشتت، وتشتغل كل منطقة – عُمان والمغرب– بهمومها السياسية فإن البديل الذي برز إلى الوجود لبقاء التواصل مستمرا بين المنطقتين هو المراسلات بين العلماء طلبا للفتوى، فكان طلب العلم والتطلع إلى الاستفادة من الآخر هو الدافع الرئيسي الذي حافظ على استمرار العلاقة بين الطرفين، ويبرز في هذا الصدد الرسائل الكثيرة المتبادلة بين علماء عُمان والمغرب[٢] فهناك العديد من هذه الرسائل المتبادلة بين الطرفين سنتعرض لها بالتفصيل في الفصول القادمة.

ومن الأدلة الأخرى على كون طلب العلم كان حافزا للتواصل بين عُمان وبلاد المغرب، رغبة علماء البلدين في التعرف على الكتب والمؤلفات التي يؤلفها الطرف الآخر، فكان علماء المغرب شديدي الحرص في الحصول على كتب إخوانهم المشارقة، وكان هؤلاء بدورهم يتوقون لمعرفة ما عند إخوانهم المغاربة، فها هو الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن يجسد هذا الشغف العلمي حين بعث بمبالغ إلى إخوانه المشارقة لشراء

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٣٧، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣، محمد رضا: الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب ...، م. س، ص٥١، صالح أبو دياك: **التبادل الفكري بين المغرب والأندلس وشبه الجزيرة العربية**، مجلة الدارة، مجلة فصلية تصدر عن دار الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، المحرم ١٤٠٨هـ / أغسطس ١٩٨٧م، صص٩٨–٩٩.

٢) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات..، م. س، ج٢، ص٢٢٣، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقاتهم...، م. س، ص١٦٥، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان...، م. س، ص١٨٦، سيدة إسماعيل كاشف: إباضية عُمان ...، م.س، ص٣٠٤.

كتب له[١]. ويصف لنا أبو زكريا هذه الحادثة بقوله: "وذكر بعض أصحابنا أن عبد الوهاب بعث بألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة أن يشتروا له بها كتبا، فلما وصلهم الألف، اجتمعوا واتفقوا أن يشتروا بها رقا ويجعلوا من أنفسهم الحبر والأقلام وعمولة الكتاب فأخذوا في النسخ، فنسخوا له أربعين حملا من كتب، فبعثوا بها إليه، فلما جاءته نشرها وقرأها حتى أتى على آخرها بأجمعها" [٢]. ويظهر من هذه الرواية مدى شغف إباضية المغرب بما عند إخوانهم المشارقة وتتجلي أبهى صور الشغف في سرعة قراءة عبد الوهاب للكتب التي أرسلت إليه، إذ ما إن وصلت إليه حتى طفق في قراءتها جميعا.

ويؤيد الدكتور بوتشيش هذه العلاقة الثقافية بين المنطقتين بقوله: "إن هذا التواصل يعكس وحدة الفكر العربي مشرقه ومغربه، عكس ما يزعمه بعض الدارسين القائلين بقطيعة ابستيمولوجية بين جناحيه في الشرق والغرب، بل إن تاريخ البلدين صار تاريخا واحدا يتميز بالتكامل، حتى أن بعض الباحثين المنصفين أقروا بصعوبة قراءة التاريخ المغربي بمعزل عن نظيره العُماني، وتلك قرينة أخرى من جملة القرائن الدالة على التواصل الثقافي بين البلدين"[٣].

وإنه ليحسن بنا في نهاية هذا العنصر أن نذيّله بهذه الكلمات التي سطرها الدكتور يحيى بوتردين واصفا هذه العلاقة الثقافية بقوله: "وفي ظل المعطيات العلمية والتاريخية، يمكن أن نعي أو نقدر أهمية هذه العلاقة إذ ليس المقصود بوجودها هو الجانب الرسمي الحكومي مثلا –إن وجد– ولا الحاجة الاقتصادية، وإنما يتعلق الأمر بضرورة دينية وعلمية تترجمها حاجة الأفراد والجماعات إلى مصادر ومراجع يرتضونها، ليتزودوا

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٩٩–١٠٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٦، الشماخي: السير م. س، ج١، ص١٤٢، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان...، م. س، ص١٨٤، بشير التليسي: **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي**، خلال القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة: ٢٠٠٣م، ط١، ص٩١.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٩٩–١٠٠.

٣) التواصل الحضاري ...، م. س، ص٣٨.

منها بالمعرفة العلمية في إطار مذهبي، فكثيرا ما تتلاشى الحدود السياسية والتضاريس الجغرافية الوعرة من جبال وبحار وصحارى أمام حركة الأفكار التي هي أكبر من أي حركة، وإلا فكيف نفسر ذلكم الكم الهائل من المراسلات والكتب والمجلدات التي عبرت المسافات الطويلة من الخليج إلى المحيط والعكس" (١).

٦- الرحلات التجارية وطرق المواصلات:

تعد الرحلات التجارية أحد محفزات التواصل بين المشرق والمغرب، وقد عوّل الإباضية على هذا الجانب منذ نشأة مذهبهم، فقد اتخذوا من التجارة ستارا لنشر دعوتهم، بل واستعملوها كذلك للتخفي من أعين الدولة الأموية التي ما فتئت تتربص بهم وتتبّعهم أيما تتبّع، إذ كان دعاة الإباضية يتحركون من مكان إلى آخر تحت ستارالتجارة سواء كان هذا التحرك لهدف كبير، كنشر الفكر الإباضي أم لأغراض لا تقل عن سابقتها وإن لم تساوها كحضور الاجتماعات التي كانت تعقد بين الحين والآخر. وفي هذا الصدد يذكر الشماخي هذه الرواية على لسان أبي سفيان حيث يقول: "كانوا يأتون المجالس ويغيرون من ملابسهم العادية، ويحملون قرب الماء والمتاع ليظهروا أمام الناس وكأنهم فقراء وبياعون، وأحيانا يتخفون في ثياب النساء"(٢).

وكان التجار الإباضية ينشرون الدين الإسلامي ويدعون إلى الفكر الإباضي في الأماكن التي يتاجرون فيها(٣)، ويدعّم المستشرق فرنشيسكا هذا الرأي بقوله: "وليست التجارة عاملا أساسيا في حياة الجماعات الإباضية المعاصرة فقط، بل كانت الفاعل الأساسي في انتشار الحركة الإباضية في بداياتها، فالمداخيل الهامة [المهمة] التي كانت تدرها على التجار استغلت في تمويل النشاط السياسي لهذه الجماعة"(٤). وقد

---

١) يحيى بوتردين: نموذج للعلاقات العلمية...، م. س، ص٢٥٣.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٦٨.

٣) سيدة كاشف: إباضية عُمان ...، م. س، ص٢٩٩.

٤) إرسيليا فرنشيسكا: **التجارة الإسلامية في العصر الوسيط بين النظرية والتطبيق**، عقود البيع والقرض في التشريع الإباضي، ترجمة: الداب عبد الوهاب، دار المشكاة، سنة: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ط١، ص٥.

عولت عليهم زعامات المذهب في تدعيم الجانب الاقتصادي للمذهب، فقد كانوا ينفقون من أموالهم لنصرة المذهب والنهوض به ومساعدة أتباعه الفقراء والمحتاجين، وقد وضح هذا الأمر جليا إبان فترة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حيث أولى اهتماما كبيرا ببيت المال وحاول إيجاد مصادر دخل ثابتة له بتمويله عن طريق هؤلاء التجار، حتى بلغ رأس ماله أكثر من مائة ألف درهم[١]، ومن أبرز هؤلاء التجار التاجر أبو عبيدة عبد الله بن القاسم[٢]، يقول عنه الدرجيني: "وكان أبو عبيدة عبد الله بن القاسم تاجرا خرج إلى الصين ثم رجع"[٣]. ويظهر من هذا النص أن أبا عبيدة هذا كان من التجار الكبار الذين تمكنوا من بلوغ الصين بتجارتهم، الأمر الذي لا يقدر عليه صغار التجار.

وعلى الرغم من بُعد المنطقتين – المغرب وعُمان– عن بعضهما بعضا إلا أنهما يتميزان بمميزات اقتصادية شجعت التجار للتوجه نحوهما بقصد التجارة، فعُمان وموقعها المميز على مدخل الخليج العربي وإطلالها على مضيق هرمز الذي يعد بوابة الخليج العربي، أعطاها مركزا تجاريا سال عليه لعاب الكثير من القوى لفرض سيطرتها عليه، كما أن إطلالها على المحيط الهندي وبحر العرب أعطاها قوة اقتصادية كبيرة، وفي هذا الصدد فقد برزت على الساحة الاقتصادية مدن عُمانية عديدة بلغت فيها التجارة أوجها، منها صحار وقلهات، وظفار، وغيرها من المدن العُمانية. وهذا الموقع المهم ساعد على رواج التجارة في عُمان وجعله محط أنظار السفن القادمة من الصين والهند من أجل التبادل التجاري أو التزود بالماء والمؤونة لمواصلة الطريق نحو العاصمة الإسلامية – دمشق وبغداد – ولهذا فقد ازدهرت تجارة العبور (الترانزيت) في الموانى

١) فرنشيسكا: التجارة الإسلامية في العصر الوسيط... ، م. س، ص٥.

٢) هو أبو عبيدة عبد الله بن القاسم البسيوي، من قرية بسيا التابعة لمدينة بهلى العُمانية، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، عمل بالتجارة، فخرج إلى الصين، وكانت رحلته هذه أول رحلة عربية في الإسلام إلى الصين، عاش في البصرة فترة، ثم بمكة، وانتقل في مرحلة من مراحل حياته إلى عُمان، ويعد من أوائل التجار الذين نشروا الإسلام في الصين. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، صص٢٦٩–٢٧٠.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٥٣.

العُمانية المطلة على المحيط الهندي والخليج العربي.

أما بلاد المغرب فلم تقل عن نظيرتها عُمان فقد تميزت بموقع استراتيجي مهم، إذ إنها تطل على البحر المتوسط الذي يعد الشريان الأساسي الذي يربطها بقارة أوروبا وبلاد الشام، وكما أن عُمان تطل على مضيق هرمز المهم، فإن المملكة المغربية كذلك تطل على مضيق جبل طارق الذي يعد بوابة الولوج إلى البحر المتوسط، وفي الاتجاه الآخر أرض السودان التي ظلت لفترات تاريخية طويلة الممول الرئيسي للذهب، الذي اشرأبت إليه أعناق الكثير من التجار من جميع أصقاع المعمورة [١].

وبرزت في هذا الصدد العديد من المدن التجارية سواء في عُمان أو في بلاد المغرب، ولنبدأ بعُمان ويكفي أن نذكر هنا ميناءين، لنوضح المستوى التجاري الذي بلغته عُمان عبر العصور، وهما ميناءا صحار وقلهات، أما مدينة صحار[٢] فتطل على بحر عُمان وهي مشهورة بمينائها الذي تقصده الكثير من السفن التجارية يقول عنها المقدسي: "هي قصبة عُمان، ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه، عامر آهل، حسن طيب نزه، ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات أسرى من زبيد وصنعاء، أسواق عجيبة وبلدة ظريفة، ممتدة على البحر، دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة، والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبار عذبة وقناة حلوة وهم في سعة من كل شيء، دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن"[٣]. ويكفي هذا الوصف الذي قدمه المقدسي لهذه المدينة الذي يُظهر الشأو الذي بلغته، والمكانة التي وصلتها.

أما قلهات فهي المدينة الأخرى التي كانت تضاهي صحار في المكانة التجارية،

---

١) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري... ، م. س، ص٤٨.

٢) مدينة صحار تعد أقدم عاصمة عُمانية، تقع في الجزء الشمالي من محافظة شمال الباطنة، وسميت صحار بهذا الاسم نسبة إلى صحار بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وتبعد صحار عن العاصمة مسقط قرابة ٢٣٠كم. انظر: سعيد المعمري: سلطنة عُمان...، م. س، ص٢٠٧. انظر موقع المدينة على الخريطة، في الملاحق.

٣) المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٨٧.

والتي كانت تزخر بميناء كبير تقصده السفن الكبرى التي تمخر عباب المحيطات والبحار الكبرى، يقول عنها الحموي: "وهي مدينة بعُمان على ساحل البحر إليها ترفأ أكثر سُفُن الهند، وهي الآن فرضة تلك البلاد وأمثَلُ أعمال عُمان عامرة آهلة"(١). ويثبت الحموي هنا أهمية هذا الميناء بالنسبة للسفن القادمة من الهند، إذ تنزل فيه أكثرها.

وعند الانتقال إلى الطرف الآخر – بلاد المغرب– فإنه يجدر التركيز على المغرب الأوسط لعلاقته الكبيرة بموضوع الدراسة الذي مثّل همزة الوصل بين المنطقتين، فتبرز في هذا الجزء مدينة تاهرت العاصمة الرستمية التي بلغت شأوا عظيما في الجانب التجاري؛ نظرا لاهتمام أئمتها بالتجارة، فقصدها التجار من المشرق والمغرب، ويصف لنا ابن الصغير هذا الأمر بقوله: "ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانة على نفسه وماله، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين، واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة، . . . والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار" (٢). ويظهر جليا من هذا النص المكانة الاقتصادية والأمن والاستقرار الذي بلغته هذه المدينة والذي جعلها مركز جذب للكثير من الناس لاستيطانها، كما أنها كانت ملتقى لطريقين رئيسيين، الطريق القادم من مصر والمتجه نحو بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) والطريق الذي يصل البحر المتوسط بأرض السودان(٣).

أما المدينة الأخرى فهي وارجلان التي يربطها بتاهرت طريق تجاري منذ القدم، وكانت نقطة الانطلاق بالنسبة للقوافل التجارية القادمة من إفريقية وشمال المغرب الأوسط والمتجهة نحو بلاد السودان(٤)، قال عنها الإدريسي: "هي مدينة فيها قبائل

---

١) الحموي: معجم البلدان، م. س، ج٤، ص٢٩٣.

٢) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، صص٣٦–٣٧.

٣) الحبيب الجنحاني: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية...، م. س،ص١٦.

٤) مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط...، م. س، ص١٣٠.

مياسر ، وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى غانة وبلاد ونقارة ، فيخرجون التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم"[١] . ويُظهر نص الإدريسي أن وراجلان كانت تسك العملة بنفسها بعد أن تجلب الذهب من أرض السودان ، وهذا الاستقلال في سك العملة لم يكن إلا بعد سقوط الدولة الرستمية[٢] .

وبعد التعرف على بعض المدن التجارية من الطرفين ، يُستحسن وصف الطرق التجارية التي كانت تربط بين هذه المدن ، التي أسهمت وبشكل كبير في تعزيز الترابط بين المشرق والمغرب وأدى إلى ازدهار تلك المدن تجاريا ، وسيتم التركيز هنا على الطرق الخارجية فقط دون التعرض للطرق الداخلية التي كانت تربط بين هذه المناطق ببعضها بعضا . ومن هذه الطرق: الطريق البري الذي يصل بين عُمان والبصرة والذي كان يمر عبر قطر وساحل هجر ، وطريق بري آخر يخرج من عُمان باتجاه عدن ، ومنها إلى مكة المكرمة[٣] . والطرق البرية هي أحد الشرايين الحية التي كانت تغذي التواصل بين المشرق والمغرب ، إذ إنه يربط بين عُمان والبصرة التي تُمثّل مركز الدعوة الإباضية وموطن الكثير من العُمانيين في العصر الإسلامي الوسيط ، وكذلك مكة المكرمة التي كانت ملتقى للحجاج الإباضية سواء من عُمان أم المغرب . وإلى جانب الطرق البرية كانت هناك طرق بحرية ، كالطريق الذي يربط بين عُمان والبصرة عبر الخليج العربي ، والآخر الذي يبدأ برًّا من عُمان إلى عدن ، ومنها يتحول بحرا إلى مكة المكرمة عبر مدينة جدة والجار[٤] . ويصف لنا الحموي مدينة الجار قائلا: "الجارُ: بتخفيف الراء ، وهو الذي تجيره أن يضام ، مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر

---

١) الشريف الإدريسي: **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، ليدن، سنة ١٨٦٢، ص١٢١.

٢) بحاز إبراهيم: **الدولة الرستمية** (١٦٠– ٢٩٦هـ / ٧٧٧– ٩٠٩م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، سنة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ط٢، ص١٨٥، مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط...، م. س، ص١٣٠.

٣) ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، مكتبة المثنى بغداد، ص٩٠، أحمد القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٥،ص٥٤، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقاتهم...، م. س، ص١٨٠.

٤) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقاتهم...، م. س، صص١٨٢–١٨٣، محمد المنذري: تاريخ صحار، م. س، ص٢٣٣.

الأحمر) بينها وبين المدينة يوم وليلة وبينها وبين أيلَةَ نحو من عشر مراحل والى ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل، وهو في الإقليم الثاني طولها من جهة المغرب أربع وستون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها أربع وعشرون درجة، وهي فرضة ترفأ إليها السفنُ من أرض الحبشة ومصر وعدَن والصين وسائر بلاد الهند"[١]. وينطبق هذا الوصف كذلك على مدينة جدة، ومن هذا النص يتضح أن هاتين المدينتين كانتا تربطان ما بين المشرق والمغرب، إذ إن السفن تخرج منهما متجهة إلى ميناء القلزم (السويس) بمصر، وبوصولها إلى مصر فإن ذلك يعني أنها بلغت المغرب؛ وذلك نظرا لشدة التواصل التجاري بين المنطقتين.

وفي المقابل ربطت بين مصر والمغرب طرق تجارية عده بحرية وبرية، فالبحرية عبر ميناء الأسكندرية الواقع على البحر المتوسط ومنه إلى موانئ بلاد المغرب، وبرا من الأسكندرية والفسطاط إلى القاهرة ومنها إلى برقة وافريقية وبلاد المغرب[٢]. وعلى ذلك فإن الطرق التي ربطت بين مصر وبلاد المغرب كانت طرقا عديدة، بحرية وبرية، ولذلك أصبحت مصر محطة استقبال للتجار القادمين من هذه البلدان سواء أرادوا التجارة مع مصر والعودة إلى بلادهم أم أردوا استئناف السير إلى بلدان المشرق ومنها عُمان والبصرة"[٣].

ولقد كان للحكام دور كبير في تشجيع التجارة ويكفي في هذا الصدد أن نذكر مثالا على ذلك من عُمان وآخر من المغرب، فمن عُمان نكتفي بوصف ابن بطوطة لأسلوب استقبال العُمانيين في مدينة ظفار للمراكب التجارية التي تصل إليهم إذ يقول: "ومن

---

١) الحموي: معجم البلدان، م. س، ج٢، ص٩٢، ٩٣

٢) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقاتهم...، م. س، ص١٨٤، محمد بن ناصر المنذري، **علاقات عُمان الخارجية وأبعادها الحضارية**، من صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مرقونة بمركز الدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، سنة: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٢٣١ "أما الطرق الداخلية التي كانت تربط بين مدن المغرب فلمعرفتها". انظر: عبد الله البكري: **الجغرافيا الإسلامية**، نشر: ماك جوكن دي سلان، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جمهورية ألمانيا الاتحادية، سنة:١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ط٢، ج ١٣٤، ص٨٨ وما بعدها.

٣) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقاتهم... ، م. س، ص١٨٤

عاداتهم أنه إذا وصل مركب من الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل، وصعدوا في صنبوق[١] إلى المركب، ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللربان وهو الرئيس، وللكراني وهو كاتب المركب، ويؤتى إليهم ثلاثة أفراس فيركبونها، وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان، فيسلمون على الوزير وأمير الجند وتبعث الضيافة كل من بالمركب ثلاثا، وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان، وهم يفعلون ذلك استجلابا لأصحاب المراكب"[٢]. ويظهر هذا النص الاهتمام البالغ من قبل السلطان والناس بالسفن التجارية تشجيعا وتحفيزا لها لارتياد هذه الموانئ، وهو ما صرح به ابن بطوطة في نهاية النص السابق.

وفي الجانب المغربي يظهر جليا الاهتمام الكبير الذي أولاه أئمة الدولة الرستمية بالتجارة وتشجيع التجار لبلوغ عاصمتهم، ومحاولاتهم الجادة لتوفير سبل الأمن والسلام للقوافل التجارية القادمة من المشرق، إذ يذكر عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن (٢٠٨هـ – ٢٤٠هـ/ ٨٢٣– ٨٥٤م) أنه كان يرسل ابنه يوسف– أبا حاتم – في ثلة من فرسان الدولة الرستمية لحماية القوافل التجارية القادمة من المشرق، التي كانت محملة بشتى أنواع السلع والبضائع التجارية المهمة[٣]، ويتضح من هذه الرواية النظرة الثاقبة من قبل أئمة الدولة الرستمية لأهمية الجانب الاقتصادي، الذي يعد عصب الدول، والاهتمام به يجب أن يكون على مستوى الحكام والأفراد.

ويتبين مما سبق أنه كان للتجارة دور كبير في إذكاء روح التواصل بين عُمان والمغرب، وإن لم يكن ذلك التواصل بصورة مباشرة، لندرة التجار الذين يخرجون من عُمان باتجاه المغرب مباشرة أو العكس، إلا أنه في نهاية المطاف فإن السلع العُمانية

---

١) نوع من أنواع السفن.

٢) ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، اعتنى به وراجعه: د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٣٤، ٢٣٥.

٣) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص١٠٤، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، ص١٨٩، محمد المنذري، علاقات عُمان الخارجية...، م. س، ص٢٣١.

كانت تصل إلى المغرب والعكس صحيح ، كما أن إمكانية التقاء التجار العُمانيين مع التجار المغاربة في موانئ العبور (الترانزيت) وارد كذلك .

ومن حصاد ما تقدم يتضح لنا تعدد قنوات التواصل بين عُمان وبلاد المغرب ، وأن هذه القنوات تباينت وتعددت بين المشاركة العُمانية في الفتوحات الإسلامية التي أسهمت فيها القبائل العُمانية بنصيب وافر من فرسانها وجنودها ، وبين الولاة المهالبة العُمانيين الذين مكثوا يديرون ولاية بلاد المغرب بتفويض من الدولة العباسية ، وبين المذهب الإباضي الذي كان همزة الوصل بين أتباعه العُمانيين والمغاربة ، وبين الالتقاء في مواسم الحج ، وأخيرا التواصل غير المباشر عبر الطرق التجارية . كل هذه العوامل عززت التواصل بين عُمان وبلاد المغرب ، ودفعت بالمغاربة للاتجاه نحو المشرق والعكس ، ولا يمكننا الجزم بأن الحوافز التي أوردناها هي فقط التي أدت إلى التواصل بين المشرق وبلاد المغرب عموما وبين عُمان وبلاد المغرب خصوصا ، ولكن نقول بأن ما ذكرناه هو أبرز تلك الحوافز وأهمها .

الباب الأول

التواصل بين عُمان وبلاد المغرب:
الحوافز والموانع

الفصل الثالث

موانع التواصل بين عُمان وبلاد المغرب

موانع التواصل بين عُمان وبلاد المغرب

إن عملية تتبع دوافع التواصل بين عُمان وبلاد المغرب في الفصل السابق حتمت علينا البحث في الموانع والعوائق التي كانت تعيق هذا التواصل أو تقلل من قيامه في بعض الفترات التاريخية، فما الموانع التي كانت تمنع هذا التواصل أو تضعفه بين المنطقتين طيلة العصر الإسلامي الوسيط؟

١- الموانع الطبيعية:

هناك العديد من الموانع الطبيعية التي شكلت عائقا أمام التواصل المستمر بين عُمان وبلاد المغرب، والتي بدورها كانت سببا في ضعف التواصل بين المنطقتين في بعض الفترات التاريخية، ومن أهم هذه الموانع ما يلي:

أ- البُعد الجغرافي بين عُمان وبلاد المغرب:

كانت الموانع الطبيعية تشكل عائقا كبيرا أمام التواصل بين عُمان وبلاد المغرب، ومن أبرزها البُعد الجغرافي؛ إذ تقع عُمان[١] فلكيا بين دائرتي عرض(١٦:٣٩) و(٢٦:٣٠) شمالا وخطي طول (٥٢:٠٠) و (٥٩:٥٠) شرقا[٢]، بينما يقع النطاق المسمى ببلاد المغرب قديما بين دائرتي عرض(٢٠:٠٠) و(٣٥:٠٠) شمالا، وبين خطي طول (٢٠:٣٠) شرقا و(٦:٥١) غربا، وهي المنطقة الواقعة حاليا بين الجماهرية الليبية والمملكة المغربية.

ويظهر مما سبق أن بوناً شاسعاً ومسافةً طويلةً تفصل بين المنطقتين جغرافيا، تبلغ قرابة (٧١٠٠ كم)[٣]، وبالتالي لم يكن هناك أي تواصل مباشر بينهما، أو بالأحرى لا

---

١) كانت عُمان قديما أكبر مساحة مما هي عليه الآن، فقد كانت تقع بين بلاد الشحر الواقعة اليوم في اليمن، وبين قطر، كما يُفهم ذلك من النصوص التي أوردها ابن خرداذبة. انظر : المسالك والممالك، م. س، ص٦٠، ١٢٦.

٢) وزارة التربية والتعليم: **الأطلس المدرسي لسلطنة عُمان والعالم** (جغرافي- تاريخي)، سلطنة عمان، مسقط، سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ط١، ص٢٥.

٣) عمل الباحث باستعمال الموقع الإلكتروني (wikimapia.com www.) بتاريخ : ٢٠١١/٣/١٢م.

توجد أي نقطة تماس تلتقي فيها المنطقتان ، وقد كانت المسافة بين المنطقتين لا تقطع إلا في أشهر ، بل تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من سنة [١] .

ب- دور التضاريس في إعاقة التواصل:

كانت التضاريس تشكل عائقا آخر أمام تواصل البلدين ، وتسير جنبا إلى جنب مع المسافة الطويلة الفاصلة بينهما ، فعُمان تقع بين بحرين ، بحر من الرمال وبحر من الماء ، وتقابلها في الجانب الآخر جبال وعرة شاهقة ، "فمن الشريط الساحلي المطل على الخليج العربي في الغرب إلى الجبال المتوغلة في وسط عُمان ، والتي تمتاز بخصوبتها وارتفاعها الشاهق إلى الصحراء الرملية المجدبة التي تحيط بعُمان كقوس يمتد من الشمال ثم ينحني في الغرب باتجاه الجنوب ، حيث الصخور والجبال الحجرية الشديدة الوعورة"[٢] ، بل إن المناطق الرملية الصحراوية تغطي ما نسبته ٨٢٪ من المساحة الكلية لعُمان حالياً ، [٣] وهذه الصحاري الشاسعة والمقفرة والجبال الشاهقة الوعرة ، تحتاج إلى أدلة مهرة لمعرفة الاتجاهات فيها واجتيازها بأمان[٤] .

وفي هذا السياق يصف لنا صاحب كتاب (سفر نامة) عُمان بقوله: "وهي في بلاد العرب وثلاثة جوانب منها صحراء لا يمكن اجتيازها"[٥] ، يؤكد هذا النص ما ذكرناه آنفا من أن تلك الصحاري المحدقة بعُمان شكلت عائقا كبيرا أمام الراغبين في اجتيازها للولوج إلى عُمان .

---

١) استغرقت رحلة ابن جبير من الأندلس إلى الحجاز ثم العودة إلى الأندلس مدة عامين وثلاثة أشهر ونصف، حيث انطلق من الأندلس في التاسع عشر لشهر شوال من عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م وعاد في الثاني والعشرين من محرم عام ٥٨١هـ/١١٨٥م. انظر: **رحلة ابن جبير**، تح: حسين نصار، دار مصر للطباعة، مصر، د.ت، المقدمة، ص (أ)، عواطف محمد: **الرحلات المغربية والأندلسية**، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٣٧.

٢) مهدي هاشم: الحركة الإباضية ...، م، س، ص١٥٩.

٣) سعيد المعمري: سلطنة عُمان تاريخ وحضارة، م. س، صص١٠٤- ١٠٥.

٤) وزارة الإعلام والثقافة: **عُمان وتاريخها البحري**، سلطنة عُمان، سنة: ١٩٧٩م،ص ٩٨.

٥) ناصر خسرو: **سفر نامة**، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، سنة: ١٩٩٣م، ط٢، ص١٦١.

ولعل ما يؤكد دور الصحراء في إعاقة التواصل، رد جيفر بن الجلندى ملك عُمان– معتزا بهذه الطبيعة الصعبة– على عمرو بن العاص عندما دعاه وقومه إلى الإسلام وحذرهم من مغبة الرفض بقوله: "أنا أضعف العرب إن ملّكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله هاهنا"(١) فقول جيفر أن خيله – يعني المصطفى – صلى الله عليه وسلم – لن تبلغ هذا المكان، فيه دلالة على صعوبة بلوغها عُمان بسبب الصحراء الشاسعة المحيطة بها وصعوبة اجتيازها من جهة، والمسطحات المائية المحيطة بها من جهة أخرى.

ويؤكد (الاصطخري) ذلك حين يصف صعوبة سلوك الطريق البري من عُمان إلى مكة بقوله: "وأما طريق عُمان فهو طريق يصعب سلوكه في البرية؛ لكثرة القفار بها وقلة السكان، وإنما طريقهم في البحر إلى جدة"(٢). وهذا النص يكشف عن القفار والبراري التي تحيط بعُمان والتي تجعل منها موقعاً حصيناً يصعب دخوله كما يصعب الخروج منه في الوقت نفسه.

فقد وصل الحال بهذه الرمال إلى سد هذا الطريق في بعض الفترات التاريخية – القرن الثامن الهجري– كما يروي لنا ذلك الحميري بقوله: "وقد كان من البحرين إلى عُمان طريق، فغلب عليه الرمل ومنع من سلوكه فلا يوصل اليوم من البحرين إلى عُمان إلا في البحر"(٣).

أما الطرف الأخر – بلاد المغرب– فنجد أنه لا يقل صعوبةً في تضاريسه عن عُمان، ولا أدل على ذلك من خشية عمر بن الخطاب على الجيوش الإسلامية من أدغال افريقيا حين رد على عمرو بن العاص بلزوم وقف الفتح الإسلامي ومنعه من التوغل في إفريقية بقوله: "إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما

---

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م، س، ج١، ص٥٨.

٢) الاصطخري: المسالك والممالك، م.س، ص٢٨، ونقل عنه الحموي هذا الوصف، انظر: معجم البلدان، م. س، ج٥، ص١٨٨.

٣) الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٨٠م، ط٢، ص٨٢.

بقيت"[١]. فقد كانت الغابات تشكل خطراً كبيراً على الفاتحين؛ لأن أشجارها وعشبها كانت تضيع معالم الدروب، ولأن الأقدمين كانوا يرهبون ظلام الغابات، حيث يتمكن السكان من التربص للمارة عامة، وللغزاة خاصة"[٢].

إضافة إلى ما سبق تبرز الصحراء الكبرى في بلاد المغرب عائقا طبيعيا أخر قلل من التواصل بين المنطقتين، كما أن ندرة الماء بها زاد من صعوبة اجتيازها، ولم تكن الصحراء وحدها العائق الكبير أمام العرب أو غيرهم في بلوغ المغرب الأوسط والأقصى، بل إن السلسلة الجبلية التي تعرف بجبال الأطلس كانت تزيد الأمر شدة وصعوبة، إذ أن هذه الجبال كانت تتصل في كثير من الأحيان بالصحراء، وتحاذي البحر في أحيان أخرى[٣].

إن العابر للصحراء الكبرى لينطبق عليه قول القائل: (الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود) وقد وصف لنا ابن جبير حال جماعة خاضوا تلك القفار: "قد لفظتهم الصحراء المتصلة بطرابلس، وهم قد ذهبت رسومهم عطشا وجوعا"[٤]. ويكفي هذا النص دلالة على الصعوبة والمشقة التي يجدها المسافر العابر لهذه المناطق الصحراوية، ولعل كلمة (لفظتهم) تكفي وحدها للتعبير عن المصاعب التي يجدها المسافر، كونها تصور الصحراء بالحيوان المفترس، وأن عابرها حتما سيهلك فيها ولا يخرج منها إلا من لم تستسغ أكله.

وتبرز في هذا الصدد صحراء عيذاب الواقعة في الأراضي المصرية، التي تعد عقبة كؤوداً في طريق الحجاج والقوافل التجارية، إذ "ليس بها طريق معروف ولا يستدل عليها إلا بالجبال والكدى الناتئة؛ لأنها رمال سائلة وضحاضح غامرة، وربما أخطأ بها

---

١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م، س، ج٢، ص١٠٨، ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٧٣، العيدروس، المغرب العربي في العصر الإسلامي... ، م. س، ص٢٦، محمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، م، س ، ص٥٦.

٢) محمد حسونة: أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، م، س ، ص٥٢.

٣) المرجع نفسه: ص٥٢.

٤) ابن جبير: رحلة ابن جبير، م. س، صص١٦– ١٧.

الدليل الماهر وأكثر الاستدلال بها بالنجوم ومسير الشمس من المشرق إلى المغرب"[١].

جـ- سوء المناخ وشح المياه إحدى صعوبات التواصل:

وعلى غرار التضاريس، يأتي المناخ أيضا ضمن عوائق التواصل بين المنطقتين ويزيد من الفجوة بينهما، فعُمان تقع في منطقة شبه الجزيرة العربية، وهي منطقة معروفة بالجفاف وشح الأمطار، وشدة البرودة في الشتاء، وارتفاع في درجات الحرارة في الصيف[٢]. وفي هذا السياق يقول ناصر خسرو واصفا عُمان "وهي في بلاد العرب. . . وهي حارة الجو"[٣]، ويؤكد ذلك الحموي بقوله: "عُمان كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند. . . تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يُضرب به المثل"[٤]، وهي في المقابل شديدة البرودة في الشتاء، فهي ليست من المناطق المشجعة للزيارة والتنزه أو الفسحة، فلا يتجه إليها إلا من لديه حافز شخصي أو مصلحة مادية.

أما بلاد المغرب بصورة عامة فإن مناخها أفضل من مناخ عُمان، كونها واقعة تحت نطاق مناخ البحر المتوسط، إلا أن مناخ العاصمة الرستمية تاهرت التي كانت محط أنظار العُمانيين، يتميز بكثرة الأنداد والضباب[٥]، كما أن جوها شديد البرودة، بل قلما تطلع الشمس فيها، ويكفينا من وصفها ما ذكره الحموي حين روى أنه "دخلها أعرابي من أهل اليمن يقال له أبو هلال، ثم خرج إلى أرض السودان، فأتى عليه يوم له وهج وحر شديد وسموم في تلك الرمال، فنظر إلى الشمس مضحية راكدة على قمم الرؤوس وقد صهرت الناس فقال مشيرا إلى الشمس: أما والله لئن عززت في هذا

---

١) الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، عالم الكتب، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٨٩م، ط١، ج١، ص١٣٢.

٢) سعيد المعمري: سلطنة عُمان...، م، س، صص١٠٤- ١٠٧.

٣) ناصر خسرو: سفر نامة، م. س، ص١٦١.

٤) الحموي: معجم البلدان، م، س، ج٤، ص١٥٠.

٥) ونستشف ذلك من كتب الفقه، فقد ورد في مسائل نفوسة مسألة مدى جواز الوضوء بماء الندى، وهذا دليل على كثرته لدرجة أنه يسيل على الأرض. انظر: عبدالوهاب بن عبدالرحمن: **كتاب مسائل نفوسة**، تح: إبراهيم محمد طلاي، د.د، د.ت، ص٥٠.

المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت وأنشد:

ما خلق الرحمن من طرفة أشهى من الشمس بتاهرت[١]

ومن هذا يتضح أن تاهرت كانت تعاني هي الأخرى وإن اختلفت الطريقة من سوء المناخ، الأمر الذي لم يكن محفزا لزيارتها إلا لهدف عظيم أو غاية شخصية.

ونظرا لتلك الظروف الطبيعية فقد كانت القوافل التجارية وقوافل الحجاج تجد مشقة وصعوبة كبيرة أثناء عبورها الطريق من المغرب إلى المشرق أو العكس، وقد تجلت تلك الصعوبات الطبيعية بصورة واضحة في تلك القوافل التي كان أصحابها يواجهون مناخات مختلفة وهم يجوبون الأراضي الصحراوية الخالية من المياه والجبال الشاهقة الوعرة.

وقد اضطر الحجاج لشرب المياه غير الصالحة للشرب أثناء توجههم إلى الحج، بسبب شحها ونفاد المياه التي يحملونها معهم، ويكفي في هذا المقام قول الشاعر عبد الله بن المعتز كشاهد على ذلك حين قال هاجيا أحد الناس:

كماءِ طريقِ الحجِّ في كلِّ منهلٍ يُذمُّ على ما كانَ منه ويشربُ[٢]

وكما يتضح من هذا البيت الشعري فإن الحجاج كانوا يضطرون لشرب المياه القذرة على الرغم من علمهم بأنها غير صالحة للشرب؛ الأمر الذي أدى إلى قيام بعض الناس بامتهان مهنة سقي الحجيج في الطريق، كسباً للأجر والثواب من رب العزة، ولتسهيل مهمة الحصول على الماء الصالح للشرب لهؤلاء الحجاج، وتزويدهم بالماء لمواصلة طريقهم[٣].

من هذا المنطلق تجد أن القوافل التجارية وقوافل الحجيج القادمة من المغرب أو المتجهة إليها، تستعين بدليل لقطع هذه المسافة على بينة، وبسبب هذه الصعوبة التي يواجهها

---

١) الحموي: معجم البلدان، م. س، ج٢، صص٧ – ٨.

٢) الثعالبي: عبد العزيز، **المتحل**، تح: أحمد أبو علي، المطبعة التجارية، غرزوزي وجاويش، الأسكندرية، مصر، سنة: ١٣٢٩هـ/١٩٠١م، ص١٣٣.

٣) الشماخي: السير، م، س، ج١، ص٢٥١.

الحاج والتاجر في هذا الطريق واستمرارها عبر العصور فقد أولى الرحالة والجغرافيون اهتماما كبيرا بوصف الطريق السليم المناسب، ورصد الأماكن التي تتوفر فيها المياه الصالحة للشرب، سواء كانت آباراً أو عيوناً أو غيرها، وتدوين أسماء البلدان الواقعة على الطريق وبُعدها عن بعضها البعض[١]، بهدف تفادي الحجيج للمهالك المترتبة على هذه الصعوبات.

وقد لعبت الأمطار والسيول الجارفة عائقاً صعباً أمام هذه القوافل، فيذكر الدرجيني أن ثلاثمائة من النساء لقينَ حتفهن في إحدى السيول الجارفة إبان خروجهن للحج[٢].

ومن الجدير بالذكر أن هناك عوائق مناخية أخرى تسببت في منع الناس من التفكير للخروج إلى بلاد المشرق، تمثلت في القحط الذي مرت به بلاد المغرب في الكثير من الفترات التاريخية، إذ لم يكن يمر قرن من الزمن إلا وتجد به تلك العقبة المانعة والتي يصحبها عادة مجاعة كبيرة تعم أرجاء البلاد، ولقد آثرنا التطرق إليه بشيء من التفصيل في أثناء حديثنا عن الموانع الاقتصادية والاجتماعية كونه أقرب إليها من هذا الجانب.

د- الطريق البري وأخطاره الطبيعية المتنوعة :

كانت القوافل العابرة للطريق البري الواصل بين عُمان وبلاد المغرب تجد مشقة كبيرة بسبب وعورة الطريق وصعوبة سلوكه؛ نظرا لما ذكرنا آنفا من قسوة التضاريس وسوء المناخ، التي يتعرض لها السالك لذلك الطريق، ومن بين تلك الأخطار، كثرة الهوام والسباع، التي هددت المسافرين عبر الطريق القادم من عُمان والمتجه نحو مكة أو غيرها من البلدان، إذ كانت النمور العادية منتشرة في الطريق بين مدينة قلهات العُمانية ومدينة الشحر اليمنية، وهو في الوقت نفسه يمر عبر مناطق صحراوية وقفار شاسعة[٣].

---

١) محمد سيد أحمد: **اهتمام العلماء المغاربة بتدوين خواطرهم إبان رحلاتهم إلى الحجاز**، أحد بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول بعنوان: "دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية الواقع والمستقبل"، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٧١.

٢) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، م، س، ج٢، ص٣١٣.

٣) ابن سعيد المغربي: أبو الحسن علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٧٠، ط١، ص١٠٢.

أما بلاد المغرب فقد كانت القوافل القادمة منها والمتجهة نحو المشرق –عبر الطريق البري– تمر بمناخات مختلفة أدت في الكثير من الأحيان إلى إصابة أصحاب القوافل بأنواع مختلفة من الأمراض والتي تأتي في مقدمتها الحمى[١]. ويمكن أن نستشف هذا الأمر أيضا من بعض ما أوردته الكتب الفقهية، فيُروى عن الإمام مالك أنه سُئِل عن الحجاج الذين ماتوا في طريق الحج بسبب سعال كان يصيبهم، فيسعل المصاب قليلا ثم يموت مباشرة[٢]. وكذلك ما أورده الفقيه الإباضي عمروس بن فتح[٣] حين تعرض لموانع الذهاب إلى الحج وذكر من بين تلك الموانع "الآفات التي تحل بالجسم"[٤]، ناهيك عن الحيوانات المفترسة كالأسود والضباع وغيرها[٥] والتي شكلت عائقاً آخر أمام تلك القوافل العابرة للغابات والصحاري، من بينها كثرة الضباع المنتشرة في صحراء عيذاب بالأراضي المصرية والتي كانت تشكل خطرا كبيرا على مرتادي الطريق البري العابر لهذه الصحراء القاحلة[٦].

---

١) سعيد الكلباني: **الصلات العسكرية والاجتماعية والثقافية بين الغرب الإسلامي وبلدان الخليج العربي** "بلاد الحجاز نموذجا"(من القرن ١ حتى القرن ٦هـ / ٧– ١٢م) أطروحة دكتوراه في التاريخ (مرقونة على الحاسوب) وحدة التكوين والبحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المملكة المغربية، السنة الجامعية ٢٠٠٩– ٢٠١٠، ص٩٧.

٢) محمد أطفيش: **كتاب النيل وشفاء العليل وشرح كتاب النيل وشفاء العليل**، منشورات معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م م. س، ج١٣ ،ص٥٦١.

٣) هو عمروس بن فتح النفوسي من علماء جبل نفوسة، تعلم بالمغرب (بلاد الجريد) عشرين سنة، تصدى بغزارة علمه مع أبي مهدي النفوسي لآراء نفاث المخالفة للمذهب الإباضي، تولى القضاء للوالي أبي منصور إلياس والي الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن، من مؤلفاته: الدينونة الصافية. مات صبرا بعد ما أسره الأغالبة بعد معركة مانو في عام ٢٨٣هـ/٨٦٩م. انظر: الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، صص٣٢٠– ٣٢٥، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٩١.

٤) عمروس بن فتح: **أصول الدينونة الصافية**، تح: حاج أحمد بن حمو كروم، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ط١، ص١٠٦.

٥) يوسف المزي: **تهذيب الكمال**، تح: بشراد عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ط١/ ج١٣، ص٣٦٩، الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة: ٢٠٠٣م، ط١، ج٣، ص٦٥، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة...، م، س، ج١، ص٢٩، سعيد الكلباني: الصلات العسكرية والاجتماعية ...، م، س، ص٩٧.

٦) ابن الوردي: **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، سنة: ١٣٤١هـ، ص٤٥، الإدريسي: نزهة المشتاق ...،م. س، ج١، ص١٣٢.

هـ- مشكلات الطريق البحري:

أما الطريق البحري فتختلف عوائقه عن الطريق البري، وأول هذه العوائق هو عدم وجود مسطحات مائية تربط مباشرة بين عُمان وبلاد المغرب، ولذلك فإن الطريق البحري الذي كان يشكل شريان التواصل بين عُمان وبلاد المغرب يأتي عبر مسارين، المسار الأول ينطلق من بحر عُمان عبر بحر العرب وخليج عدن، والذي يمر عبر بوابة مضيق باب المندب ثم يتجه نحو مينائي جدة والجار، ومنهما إلى موانئ مصر، ومنها إلى بلدان بلاد المغرب سواء كان ذلك عن طريق البحر – البحر المتوسط – أو عن طريق البر. أما المسار الثاني فكان ينطلق كذلك من بحر عُمان عبر الخليج العربي ثم عبر نهري دجلة والفرات ومنهما يتجه نحو مصر عبر البحر المتوسط ثم إلى بلدان بلاد المغرب [١].

وعند التمعّن في تلك الطرق البحرية يتبين للوهلة الأولى العائق الكبير المتمثل في طول المسافة التي تقطعها السفن من عُمان حتى تبلغ بضاعتها بلاد المغرب، وبسبب نقص الأدوات المعينة على الاهتداء في البحر، فقد كان البحارة يبحرون بمحاذاة الشواطئ قدر الإمكان، ويستعينون في بعض الأحيان بأدوات بدائية بسيطة [٢].

أضف إلى ذلك أن طريقة وأسلوب صناعة السفن كانت تشكل عائقا آخر يقلل من إمكانية التواصل المباشر بين عُمان وبلاد المغرب، ذلك أن معظم السفن العُمانية في العصور الإسلامية كانت تُصنع من الأخشاب المتصلة فيما بينها بالحبال، فالأخشاب كانت تستورد من الهند، الأمر الذي يكتنفه الكثير من الصعوبات حتى تصل تلك القطع الخشبية إلى عُمان، واستعمال الحبال لشد الأخشاب بعضها ببعض عوضا عن المسامير الحديدية، كان سبباً في عدم مقدرتها على مقاومة الرياح والأمواج العاتية، ولذلك فإن بحارة البحر المتوسط هم من تمكنوا من عبور مضيق باب المندب للإبحار

---

١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، م، س، ص٦١، أحمد القلقشندي: صبح الأعشى...، م، س، ج٣، صص٢٥٠-٢٥١، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، ص١٨٠، صص١٨٢- ١٨٣، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م، س، ص٢٣٣.

٢) وزارة الإعلام والثقافة: عُمان وتاريخها البحري، م، س، ص٨٩، ٩٨.

نحو الهند مع الرياح الموسمية الجنوبية الغربية العاتية، الأمر الذي كان يشكل صعوبة كبيرة على السفن العُمانية بسبب استعمالها الحبال بدل المسامير(١).

إن الرياح الهوجاء والأمواج العاتية كانت تؤثر كذلك على ركاب السفينة من حيث انتشار الخوف والهلع في صفوف المسافرين، والأخطر من ذلك أنها كانت تؤدي إلى تأخر وصول السفينة إلى المحطة المقصودة وبالتالي تظهر مشكلة شح الماء والغذاء في السفينة، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى وفاة الركاب بسبب نفاد الماء الصالح للشرب من السفينة(٢).

ولم تكن الرياح العاتية وحدها العائق الكبير في بحر القلزم (البحر الأحمر) بل هناك عوائق طبيعية أخرى فبحر "القلزم في ذاته كالنهر، وفيه جبال عادية فوق الماء، وفيه تروش وقالات ظاهرة ومخفية، وطرق السفن فيما بينها معلومة لا يدخل بينها إلا الربانيون أولو المعرفة بالبحر، والتمهر في الرياسة فيه العالمون بطرقاته، المجترئون على مجالاته، والسير في هذا البحر بالنهار فقط، وأما بالليل فلا يسير أحد فيه لصعوبة طرقه وتعاريج مسالكه وكثرة معاطبه"(٣).

ويجد الحاج المغربي الكثير من العوائق الطبيعية وهو يعبر بحر القلزم (البحر الأحمر) من ميناء عيذاب باتجاه ميناء جدة، فما أن يقترب المركب من الأخيرة حتى تستقبله الشعاب المرجانية والنتوءات الجبلية التي تعيق وصوله إلى الميناء، ويصف لنا ابن جبير هذا الأمر بقوله: "لما جن الليل أرسينا على مقربة من جدة وهي بمرأى العين منا، وحالت الريح صبيحة يوم الثلاثاء بعده بيننا وبين دخول مرساها، ودخول هذه المراسي صعب المرام بسبب كثرة الشعاب والتفافها، وأبصرنا من صنعة هؤلاء الرؤساء والنواتية في التصرف بالجلبة أثناءها أمراً ضخماً، يدخلونها على مضايق ويصرفونها خلالها

---

١) المرجع نفسه: صص١١٠– ١١٢.

٢) وهذا الأمر استنبطناه من المسائل الفقهية التي تعرض لها الفقيه العُماني خميس الشقصي. انظر: الشقصي: منهج الطالبين...، م. س، ج٢، ص٢٣٤.

٣) الإدريسي: نزهة المشتاق...، م. س، ج١، ص٣٤٨، "ويورد الاصطخري نفس هذه العوائق". انظر: المسالك والممالك، م. س، ص٣٠.

تصريف الفارس للجواد الرطب العنان السلس القياد، ويأتون في ذلك بعجب يضيق الوصف عنه"[١]. ويظهر هذا النص صعوبة ركوب بحر القلزم (البحر الأحمر) بسبب الرياح العاتية، ووجود النتوءات والصخور الظاهرة على السطح، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد كان المسافر يضطر للبقاء في الميناء لفترة حتى يحين هبوب الرياح المناسبة للوجهة التي يريدها المركب[٢].

إن شدة الرياح وهيجان البحر في بحر القلزم (البحر الأحمر) تؤدي في الكثير من الأحيان إلى عدم مقدرة المركب القادم من ميناء عيذاب من دخول ميناء جدة، وهو الأمر الذي يؤدي إلى انحراف مسار المركب والاتجاه به إلى أماكن أخرى. ويذكر لنا ابن جبير أنه شاهد بعض أولئك الذين نجو من الغرق واتجه بهم المركب نحو موضع مطل على صحراء عيذاب، ويصف حالهم بقوله: "فربما ذهب أكثرهم عطشاً ولم يحصلوا على ما يخلفهم من نفقة أو سواها، وربما كان من الحجاج من يتعسف تلك المجهلة على قدميه فيضل ويهلك عطشاً، والذي يسلم منهم يصل عيذاب كأنه منشر من كفن، شاهدنا منهم مدة مقامنا أقواماً قد وصلوا على هذه الصفة في مناظرهم المستحيلة وهيئاتهم المتغيرة، آية للمتوسمين"[٣]. ولم يكن الموت عطشا أمرا مستغربا في صحراء عيذاب، خاصة عندما نعلم أن اعتمادها الأساسي في الحصول على الماء هو المطر[٤].

ولئن وصف لنا ابن جبير الناجين من الغرق فإن ابن بطوطة يروي لنا ما شاهده بنفسه من أشخاص لقوا حتفهم في البحر غرقا بسبب تلك الظروف الطبيعية حين يقول: "ولما انقضى الحج توجهت إلى جدة . . . وكان بها مركب لرجل يعرف بعبدالله التونسي يروم السفر إلى القصير، من عمالة قوص فصعدت إليه لأنظر حاله فلم يرضني، ولا طابت نفسي بالسفر فيه وكان ذلك لطفاً من الله تعالى، فإنه سافر، فلما توسط البحر

١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، م. س، صص٥١-٥٢.
٢) ناصر خسرو: سفر نامة، م. س، ص١٣٤.
٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير، م. س، صص٤٦-٤٧.
٤) ناصر خسرو: سفر نامة، م. س، ص١٣٤.

غرق بموضع يقال له: رأس أبي محمد، فخرج صاحبه وبعض التجار في العشاري بعد جهد عظيم، وأشرفوا على الهلاك، وهلك بعضهم، وغرق سائر الناس وكان فيه نحو سبعين من الحجاج"[١]. ولذا فقد حبذ بعضهم الصبر على تطويل المسافة والحج عبر الشام ثم العراق ومنها إلى الحجاز تفاديا من المرور بمدينة عيذاب[٢].

ومما سبق يتضح لنا الصعوبات الطبيعية التي كانت تعيق ذلكم التواصل المباشر بين عُمان وبلاد المغرب، سواء كان ذلك التواصل عبر الطرق البرية أم الطرق البحرية، الأمر الذي لم يكن مشجعا على التواصل، ولكن هل كانت العوائق الطبيعية هي وحدها العائق الوحيد أمام التواصل المستمر بين المنطقتين؟

٢- الموانع السياسية والأمنية:

هناك العديد من الموانع السياسية والأمنية حالت دون وجود تواصل سريع ومستمر بين بلاد المغرب والمشرق الإسلامي عموما وعُمان بصفة خاصة، وذلك منذ الفتوحات الإسلامية التي قادها الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – ومن جاء من بعدهم، وتعددت هذه الموانع فبعضها يعود إلى طبيعة شعوب بلاد المغرب، وبعضها يعود إلى سوء تصرف بعض القادة والولاة عبر العصور الإسلامية، وبعضها يعود إلى أمور أخرى، سنحاول تتبع أبرزها لإيضاح الموانع التي كانت تعيق التواصل بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه منذ القرون الهجرية الأولى.

أ- سوء سياسة بعض خلفاء الدولة الإسلامية وولاتهم في بلاد المغرب:

إن سوء سياسة بعض خلفاء الدولة الأموية والعباسية وبعض ولاتهم في بلاد المغرب العربي كانت من الأسباب الرئيسية التي شكلت عائقا أمام التواصل بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه بصفة عامة وعُمان وبلاد المغرب بصفة خاصة، وظهر ذلك الأمر منذ الفتوحات الإسلامية، فعلى الرغم أن الحملات العسكرية الإسلامية المتوالية على

---

١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م. س، ج١، ص٢٥١.

٢) الحميري: الروض المعطار ...، م. س، ص٤٢٤

البيزنطيين في بلاد المغرب كانت سببا في احتكاك بعض الجند المغاربة بعد إسلامهم بالعُمانيين الذين كانوا يشكلون جزءا كبيرا من الجنود الفاتحين ، إلا أن الأمر الذي ظل عائقا أمام توسع نطاق ذلك التواصل مع سكان البلدان المفتوحة ، هو قيام القائد عبد الله بن أبي السرح بعقد صلح مع البيزنطيين ، ثم رجوعه عن تلك الأجزاء المفتوحة دون أن يترك أي حامية للمسلمين فيها ، ومهما يكن السبب في هذا الإجراء إلا أنه يبقى عائقاً أدى إلى تأخر ذلك التواصل(١) .

ويتكرر هذا المشهد مرة أخرى في حملة القائد المسلم معاوية بن حديج السكوني عام ٤٥هـ / ٦٦٥م ، حيث تمكن من فتح قابس وبنزرت وسوسة ، إلا أنه بعد هذه الانتصارات كلها ، كرَّ راجعا إلى مصر دون أن يترك حامية للمسلمين في تلك البلدان المفتوحة(٢) . كل هذه الأحداث أخرت من إمكانية التواصل بين العُمانيين القادمين في هذه الحملات العسكرية وبين سكان بلاد المغرب .

وبعد القضاء على هذا العدو الخارجي (البيزنطييون) واستقرار الأوضاع في المغرب ظهرت بعض التصرفات غير المرضية من قبل ولاة الدولة الإسلامية على بلاد المغرب والتي بدورها أدت إلى زعزعة الأمن فيها ، من بينها ما يرويها لنا ابن عذاري حين قال: "وفي سنة ١٠٢هـ قدم إلى أفريقية والياً عليها يزيد ابن أبي مسلم وكان ظلوماً غشوماً ، وكان البربر يحرسونه ، فقام على المنبر خطيباً فقال: إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها فأرسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره حرسي ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أمرت به ، فلما سمعوا ذلك منه أعني حرسه اتفقوا على قتله وقالوا: جعلنا بمنزلة النصارى فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه"(٣). تُظهر هذه الرواية سبب بغض وحنق

---

١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص١٨٤، ابن عذاري: البيان المغرب ...، م. س، ج١، صص٩–١٠.

٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ، م. س، صص١٩٢ – ١٩٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٢، ص٤٨٥، ابن عذاري: البيان المغرب... ، م. س، ج١، صص١٦ – ١٨، عبدالغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص٣٩، الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص٩٥.

٣) ابن عذاري: البيان المغرب.....، م. س، ج١، صص٤٨–٤٩.

سكان بلاد المغرب على هذا الوالي الذي ضرب بالأسس الإسلامية عرض الحائط، ونفذ ما أملاه عليه هواه والشيطان، فلا غرو أن قابله السكان بالانتقام والقتل؛ نظرا لتلك السمات التي تحلى بها البربر المتمثلة في الأنفة والعزة والكبرياء.

ولعل من المفارقات الكبيرة في تاريخ ولاة بني العباس في بلاد المغرب من بني المهلب بن أبي صفرة، أن انتماءهم إلى أزد عُمان لم يشكل ذلك التواصل المتوقع بين عُمان – مسقط رأس أجدادهم – وبين بلاد المغرب، وذلك لعدة أسباب يأتي في مقدمتها عدم تعرض المصادر التاريخية لذلك التواصل القائم بين المهالبة ومسقط رأس أجدادهم عُمان، كما أن المهالبة لم يكونوا ينتمون إلى المذهب الإباضي الذي كانت تدين به عُمان، وإن ذكرت بعض المصادر أن بعض أبناء المهلب كانوا من الإباضية،[١] إلا أن الصبغة الغالبة عليهم أنهم يدينون للدولة العباسية مذهبا وولاءا، ويمكن أن نستشف هذا الأمر من محاربة الإباضية لأبي جعفر عمر بن حفص المهلبي ومحاصرته في عاصمته القيروان ثم قتله على يديهم، ومحاربة ابن عمه يزيد بن حاتم المهلبي من بعده للإباضية[٢]، كما أن الصراع المستمر بين عُمان والسلطة العباسية كان سببا آخر لعدم التواصل بين المهالبة في بلاد المغرب والعُمانيين، ولا ننسى بُعد المسافة بين القطرين، يضاف إلى ذلك كله سوء تصرف بعض ولاة المهالبة، الأمر الذي أدى إلى كره سكان بلاد المغرب لهم، فقد عزل الخليفة هارون الرشيد داود بن يزيد بن حاتم المهلبي عام١٧٤هـ/٧٩١م بسبب سوء معاملته لسكان بلاد المغرب[٣]، كما خيب الفضل بن روح المهلبي آمال سكان بلاد المغرب الفرحة بمقدمه، عندما عين ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح على تونس وأساء معاملة سكانها، فشكوه إليه إلا أنه لم يأبه بشكواهم[٤].

---

١) إذ تذكر بعض المصادر أن هندا وعاتكة ابنتا المهلب وأخوهما عبد الملك كانوا من الإباضية" انظر: الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٧٥، ٨٢، الشماخي: السير، ج٢، ص٢٥٥.

٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٨٧.

٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج ٢، ص٢٨٨.

٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي...، م. س، ج٢، ص٢٨٨، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س،

بل إن بعض العمّال بالغ في الإساءة إلى سكان بلاد المغرب وعزم على تخميس البربر، زعما منه أنهم فيء للمسلمين، فيذكر صاحب كتاب البيان المُغرب: "أن عمر بن عبد الله المرادي عامل طنجة وما والاها أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام فكان فعله الذميم هذا سبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله"[١]. وفي عام (٢٧٩هـ/٨٩٢م) قام إبراهيم بن أحمد بقتل الكثير من سكان افريقية استجابة لآراء المنجمين إذ "إنه كان كثير الإصغاء إلى قول المنجمين والكهنة، وكانوا يقولون له إنه يقتله رجل ناقص العقل، وإنه يمكن أن يكون فتى. فكان إبراهيم إذا رأى أحدا من فتيانه، فيه حركة ونشاط وجدة، يتقلد سيفا، قائلا: هذا هو صاحبي! فلما قتل منهم جماعة، وقع بقلبه إنه قد استفسد إليهم فضمه الحذر منهم إلى قتل جميعهم، فقتلهم في هذا العام (٢٧٩هـ)، واستعمل عوضا عنهم السودان، ثم عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصقالبة: فقتل السودان أجمعين"[٢]. وهذه الرواية تُوضح مدى التسلط والجبروت والظلم الذي عامل به هذا الوالي سكان بلاد المغرب، استجابة إلى كلام المنجمين.

إن هذه السياسة السيئة التي قام بها بعض ولاة الخلافة الإسلامية كانت سببا في نفور الكثير من شعوب المغرب من الإسلام، وتقبلهم لكل الدعوات المناهضة للخلافة الإسلامية والداعية إلى العدل والمساواة بين المسلمين، كما أنها لا محالة تعد عائقا كبيرا في قطع التواصل بين بلاد المغرب والمشرق، ورسم صورة سيئة للمشرق الإسلامي في أذهان المغاربة جراء هذه التصرفات الفردية التي لا تمت إلى الإسلام بأي صلة [٣].

ص١٥١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص٢٩٧، ٢٩٨، ابن عذاري: البيان المغرب.....، م. س، ج١، صص٨٧ –٨٨.

١) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، صص٥١– ٥٢.

٢) المصدر نفسه: ج١، صص١٢٣–١٢٣.

٣) كان عمر بن عبد الله المرادي نائبا على طنجة بتفويض من الوالي عبيد الله بن الحبحاب (١١٦هـ / ٧٣٤م) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب.....، م. س، ج١، صص٥١–٥٢، عبد الله العروي: **مجمل تاريخ**

ب- الاضطرابات السياسية في بلاد المغرب وعُمان:

إن أول صعوبة واجهها المسلمون في فتح بلاد المغرب هو السيطرة البيزنطية على أكثر أجزاء بلاد المغرب، فبعد فتح المسلمين لبعض تلك الأجزاء، تلقوا العديد من الهجمات الشرسة والمتوالية من قبل الدولة البيزنطية فاشتغل المسلمون بصدها، وإرسال عدة حملات للقضاء عليها[١]، وهي التي أدت إلى تأخر التواصل واحتكاك المغاربة بالعالم الإسلامي في المشرق، فاشتغل سكان المغرب في بداية الأمر بالدفاع عن أراضيهم جنبا إلى جنب مع الدولة البيزنطية ضد المسلمين، ثم مع المسلمين ضد الدولة البيزنطية بعد دخولهم الإسلام.

ولم يتمكن المسلمون من التوغل في بلاد المغرب قبل القضاء المبرم على هذه القوات المعادية، وكان لهم ذلك بقيادة القائد المسلم عبد الله بن أبي السرح الذي تمكن من القضاء على الزعيم البيزنطي الذي يدعى (جرجيرا) ودخول عاصمته سبيطلة[٢].

وبعد استقرار الأوضاع في بلاد المغرب عقب القضاء على العدو البيزنطي ظهرت عقبات سياسية أخرى تمثلت في الصراعات الداخلية والنزاعات الشخصية بين بعض رجالات السلطة، كما حدث ذلك في البيت الفهري بعد وفاة الوالي عبد الرحمن ابن حبيب الفهري(١٢٦هـ / ٧٤٤م – ١٣٧هـ / ٧٥٤م) مما أدى إلى ظهور قبيلة وارفجومة وسيطرتها على القيروان، وقد أساءت هذه القبيلة إلى أهل القيروان وعاملت الناس معاملة سيئة بعيدة كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامية وسماحته[٣].

المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، سنة: ١٩٩٤م، ط٤، ج١، ص١٤٤.

١) ولمعرفة عدد تلك الحملات وأسماء قادتها انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص١٩٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٣، ص٤٥٣، ج٤، ص١٣٥، ٢٥٢.

٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، صص١٨٣-١٨٤، ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، صص٩-١٠.

٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ،م. س، صص٢٢٣، ص٢٢٤، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص٩٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٤، ص٥٠١، ابن عذاري: البيان المغرب...، ص٦٤، عبدالغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٣، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...، م. س، ص٨٣.

ومن العوائق السياسية الأخرى التي أشغلت بلاد المغرب عن التواصل مع مشرقه الإسلامي تلك الثورات المتتالية من قبل الخوارج والبربر والإباضية[١]، وبالطبع فإن هذه الثروات لم تقم من فراغ؛ فهناك العديد من الأسباب، منها ما يقوده داعي الهوى، ومنها ما كان بسبب ما تجرعته هذه الفئات من الظلم الذي وقع على بعضها جراء بعض السياسات السيئة من قِبل بعض ولاة الخلافة الإسلامية.

أما العائق السياسي الأخطر فيُعزى إلى انقسام بلاد المغرب إلى دويلات مستقلة عن الخلافة الإسلامية، وليس هذا بالأمر المستغرب؛ فالسبب الأول والأخير في هذا المقام يعود إلى بُعد هذه المناطق عن عاصمة الدولة الإسلامية (دمشق – بغداد) كما أن ضعف بعض الخلفاء له دور كبير في هذا الاستقلال، إضافة إلى اشتغال بعض الخلفاء بمشكلاتهم الداخلية أحيانا أخرى، ناهيك عن سوء المعاملة من قبل بعض ولاة بلاد المغرب، وقد ظهرت عدة محاولات للاستقلال منذ القرون الهجرية الأولى، إذ حاول عبد الرحمن بن حبيب الاستقلال لكنه فشل، بسبب ثورة الخوارج ضده، وانقسام عشيرته[٢]، إلا أن الحظ حالف من جاء بعده من الرستميين والأغالبة وبني مدرار والأدارسة والفاطميين وبني زيري.

والجدول (رقم:٢) يوضح هذه الدويلات المستقلة التي قامت ببلاد المغرب ما بين عامي (١٤٠هـ/٧٥٧م–٣٩٨هـ/١٠٠٧م) [٣]:

---

١) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص١٠٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٦، ابن عذاري: البيان المغرب.....، م. س، ج١، صص٧٥–٧٦، عبدالغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٤، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٨٥.

٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، صص٢٢٣، –٢٢٤، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص٩٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٤، ص٥٠١، ابن عذاري: البيان المغرب...، ص٦٤، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٣، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ...، م. س، ص٨٣.

٣) عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م، س، ص١٢٣وما بعدها.

م	الدولة	مؤسسها	تاريخ قيامها	تاريخ انتهائها
١	دولة بني مدرار	عيسى بن يزيد	١٤٠هـ/٧٥٧م	٢٩٦هـ/٩١٠م
٢	الدولة الرستمية	عبد الرحمن بن رستم	١٦٠هـ/٧٧٦م	٢٩٥هـ/٩٠٩م
٣	دولة الأدارسة	إدريس بن عبد الله	١٧٢هـ/٧٨٩م	٣٠٩هـ/٩٢١م
٤	دولة الأغالبة	إبراهيم بن الأغلب	١٨٤هـ/٨٠٠م	٢٩٦هـ/٩١٠م
٥	الدولة الفاطمية	عبيد الله المهدي	٢٩٧هـ/٩١٠م	٣٦٢هـ/٩٧٣م
٦	دولة بني زيري	يوسف بن زيري	٣٦٢هـ/٩٧٣م	٥٤٣هـ/١١٤٨م
٧	دولة بني حماد	حماد بن يوسف	٣٩٨هـ/١٠٠٧م	٥٤٧هـ/١١٥٢م

وإذا انتقلنا إلى الطرف الثاني – عُمان – سنجد أن هذا الأمر تكرر فيها، إذ سعت منذ القرون الهجرية الأولى إلى الاستقلال والخروج عن الدولة الإسلامية، فمنذ قيام الفتنة في عهد الإمام علي بن أبي طالب " وصار الملك إلى معاوية، لم يكن لمعاوية في عُمان سلطان حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على العراق وكان ذلك زمن سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجلندى"[١]، وبعد نجاح هذه الحملة التي وقعت أحداثها عام (٨٣هـ/ ٧٠٦م)[٢] خضعت عُمان للدولة الأموية، إلا أنها ثارت مرة أخرى وأعلنت استقلالها عام (١٣٢هـ/ ٧٤٨م)، إذ تمكن الإباضية من مبايعة الجلندى بن مسعود، أول إمام إباضي في عُمان، ولم يهنأ العُمانيون بهذا الاستقلال لفترة طويلة، فقد أسقطها العباسيون بعد قيامها بسنتين فقط[٣]، إلا أن العُمانيين جمعوا قواهم واستقلوا مرة أخرى عام (١٧٧هـ /٧٩٣م) وبايعوا محمد بن

١) الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م. س، ص٣٩.

٢) الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م. س، صص٣٩– ص٤٠، ابن رزيق: الصحيفة القحطانية ، م.س،ج٥، صص٧٣– ص٧٥.

٣) الطبري: تاريخ الطبري...، م، س، ج٤،ص٣٦٩، الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م، س، صص٤١– ص٤٢، ابن رزيق: الصحيفة القحطانية ، م، س، ج٥، صص٧٧– ٨٠.

عبدالله بن أبي عفان[١] بالإمامة، واستمرت الإمامة الإباضية تحكم عُمان لفترة طويلة، تعاقب عليها عدد من الأئمة، كان آخرهم الإمام عزان بن تميم الخروصي[٢] الذي سقطت عُمان في زمانه بيد العباسيين عام (٢٨٠هـ/٩٨٣م)[٣].

ولم تستمر السيطرة العباسية على إقليم عُمان طويلا إذ استقلوا مرة أخرى عام (٢٨٢هـ/ ٩٨٥م)، وبايعوا الإمام محمد بن الحسن[٤]، وقيل إن الاستقلال لم يكن سوى عام (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) على يد الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب، إلا أن هذه الفترة – التي أعقبت هذا الإمام ومن جاءوا بعده من الأئمة – كانت عُمان تمر بوضع سياسي حرج وغير مستقر، مما أدى إلى تدخل كثير من القوى الخارجية في السيطرة عليها، واستمر الوضع على هذا الحال، تتخلله بعض فترات القوة[٥]، إلا أن الصبغة العامة هو الانقسام والضعف، حتى قيام الدولة النبهانية فيها، ولم تسلم عُمان من تدخل القوى الأجنبية إبان العهد النبهاني، فلم تعرف عُمان الوحدة والاستقلال في

---

١) هو الإمام محمد بن عبد الله بن أبي عفان اليحمدي، بويع بالإمامة على يد العلامة الفقيه موسى بن أبي جابر، وكانت مدة إمامته سنتين وشهرين وعزل عام ١٧٩هـ، اختلف علماء الإباضية في تحديد صفة إمامته هل هي إمامة ظهور أم إمامة دفاع. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ص٣٧٣.

٢) إمام وعالم كان من العلماء الذين كرهوا عزل الإمام الصلت بن مالك، وتولية راشد بن النضر سنة ٢٧٣هـ، صلى على الإمام الصلت بن مالك سنة ٢٧٥هـ، بويع بالإمامة عام ٢٧٧هـ قام بعزل ولاة راشد بن النضر، حدثت في عهده معركة القاع عام ٢٧٨هـ وعلى إثرها اتجه محمد بن القاسم والمنذر بن بشير إلى والي بني العباس على البحرين محمد بن بور طلبا للثأر، فاتجه محمد بن بور إلى عُمان بجيش ضخم أدى إلى قتل الإمام عزان بن تميم وحمل رأسه إلى بغداد. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية ....، م. س، صص٣٠٦–٣٠٧.

٣) الطبري: تاريخ الطبري...، م، س، ج٥، ص٦٠٧، الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م، س، صص٤٤–ص٥٦، ابن رزيق: الصحيفة القحطانية، م. س، ج٥، ص٨٢– ص١٠٢، مهدي هاشم: الحركة الإباضية ...، م. س، ص١٨٤وما بعدها.

٤) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٢٦٤.

٥) تمثلت فترة القوة في خضم فترات الضعف التي مرت بها عُمان إبان حكم راشد بن سعيد (٤٢٥هـ/١٠٣٣م–٤٤٥هـ/١٠٥٣م) وعهد الإمام الإمام الخليل بن شاذان (٤٤٧هـ/١٠١٦م–٤٥٢هـ/١٠٣٣م). انظر: عبد الله الحارثي: **عُمان في عهد بني نبهان ٥٤٩ – ١٠٣٤هـ / ١١٥٤ – ١٦٢٤م ، الأحوال السياسية والأوضاع الاقتصادية**، مركز الدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، سنة: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ط١، ص٣١.

كيان سياسي واحد إلا في عهد الإمام ناصر بن مرشد اليعربي(١٠٣٢هـ/ ١٦٢٤م-١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م)[١].

يتضح مما أوردنا سلفا أن عُمان سعت بكل ما أوتيت من قوة إلى الاستقلال عن الدولة الأموية والعباسية، الأمر الذي جعل منها العدو المتعنت في نظر الدولة الإسلامية، وعلى الرغم من تزامن فترات الاستقلال في عُمان مع فترات قيام الكيان السياسي المستقل للإباضية في بلاد المغرب -الدولة الرستمية-، إلا أن إمكانية تواصل الدولتين إبان استقلالهما كان صعبا كون الطريق الواصل بينهما يقع تحت هيمنة الدولة الإسلامية.

جـ- مضايقة الدولتين الأموية والعباسية للإباضية في المشرق وبلاد المغرب:

هناك العديد من الأساليب التي اتبعتها الدولة الحاكمة (الأموية والعباسية) ضد خصومهما، وكان من بين أولئك الخصوم أتباع المذهب الإباضي، ولذلك سعت كل من الدولة الأموية والعباسية للقضاء على هذه الفئة واتبعت في ذلك شتى أنواع التضييق والتتبع، محاولة منهما للقضاء المبرم على هذه الفئة، وتضييق الخناق عليها، وسنتعرف على هذه المضايقات من جانبين:

- **مضايقة الدولتين الأموية والعباسية للإباضية في المشرق:**

لم تعرف المحكمة - والتي انبثقت منها فرقة الإباضية- الأمن والأمان عبر مراحل تاريخهم الحافل بالكثير من الصراعات والمواجهات مع الدولة الإسلامية منذ عهد الإمام علي بن أبي طالب وحتى نهاية العصر الوسيط، فبعد أن انحازت المحكمة عن جيش الإمام علي في معركة صفين(٣٧هـ/٦٥٧م) بعد ظهور فتنة التحكيم ورفع المصاحف،

---

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م، س، ج٢، ص٣ وما بعدها. "وهو الإمام ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب اليعربي، مؤسس الدولة اليعربية، ولد ببلدة قصرى من أعمال الرستاق، ونشأ وتربى بها، وتعلم العلم على يد الشيخ العلامة خميس بن سعيد الشقصي، استتب له الأمر بعد معارك كثيرة خاضها ضد المناوئين والبغاة، حارب البرتغاليين ودحرهم عن البلاد، وكثر العدل وازدهرت البلاد في عهده" انظر: محمد ناصر، معجم أعلام الإباضية...، م. س، ص٤٧٨.

واختاروا لهم إماماً آخر يدعى عبد الله بن وهب الراسبي[١] وهو عُماني الأصل، قام الإمام علي بمحاربتهم في معركة النهروان(٣٨هـ/ ٦٥٨م) بعد أن رفضوا الرجوع معه وقَتَل إمامهم وعددا كبيرا من أتباعه، ومن نجا منهم توجه نحو البصرة[٢].

وعندما اعتلى معاوية بن أبي سفيان سدة الحكم، اتبع سياسة القمع والقتل والنفي والتشريد لجميع معارضيه[٣]، فذاق المحكمة ويلات تلك السياسة المتشددة من ولاة معاوية بن أبي سفيان على العراق، كون الناجين من معركة النهروان نزلوا بمدينة البصرة- كما أسلفنا-، إذ اتبع الوالي زياد بن أبيه (٤٥هـ/ ٦٦٥م- ٥٣هـ/٦٧٣م) ومن بعده ابنه يزيد (٥٣هـ/٦٧٣م- ٦٧هـ/٦٨٦م) سياسة القمع والتشريد لهذه الفئة، فمن نجا من القتل زجَّ به في غياهب السجون، وكان عبيدالله أشد على الإباضية من أبيه زياد، فقد اتبع سياسة القتل والتمثيل، إذ يسجن الجماعة من الإباضية ويأمر كل واحد منهم بقتل أخيه ومن يقوم بذلك يخرجه من السجن، وممن ذاق وبال تلك السياسة عروة بن حدير الذي قتله عبيد الله صبرا عام (٥٨هـ/٦٧٨م)[٤]، كما مثّل بإحدى النساء الإباضيات بعد أن قتلها ورمى بها في السوق[٥]، وعندما خرج أبو بلال مرداس بن حدير من البصرة عام(٦١هـ/٦٨٠م) بعد مقتل أخيه عروة، وصحبه أربعون من أتباعه، أرسل إليه عبيد الله جيشا قضى به على كل تلك الفئة، وقتلهم عن بكرة أبيهم

---

١) هو عبد الله بن وهب بن ميدعان بن مالك بن نصر الأزدي العُماني، ولد بعُمان، وأدرك الرسول صلى الله عليه وسلم. عرف بالعلم والرأي والصلاح، ولما أقبلت الفتن في عهد نهاية الخلافة الراشدة كان في صف الإمام علي بن أبي طالب، شارك في معركة صفين، ثم اعتزل جيش علي بعد أن رضي بالتحكيم. عرف عبد الله بالزهد والعبادة حتى لقب بذي الثفنات، ووصفه الجاحظ بأنه من فصحاء العرب، قتل يوم النهروان. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، صص٢٩٣-٢٩٥.

٢) الطبري، تاريخ الطبري...، م. س، ج٣، ص١١٣ وما بعدها، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٣، ص٢١٨ وما بعدها، المبرد: الكامل في اللغة والأدب ...، م.س، ج٢ ص٩٠.

٣) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...م. س، ص٣٢.

٤) الطبري: تاريخ الطبري...، م. س، ج٣، ص٢٥٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٦٠، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم... ، م. س، ص٣٢.

٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٣، ص٣٦١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢١٦، الشماخي: السير، م. س، ج١ ص٦١، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...،م. س، ص٣٢.

وهم في صلاتهم[١].

وزاد الأمر فظاعة إبان عهد عبدالملك بن مروان حيث قام واليه على العراق، الحجاج بن يوسف الثقفي باتباع أنواع شتى من التعذيب لأتباع المذهب الإباضي، فسجن العديد من زعاماتهم، ويأتي في مقدمتهم الإمام جابر بن زيد الأزدي وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وضمام بن السائب الندابي، وصحار العبدي[٢]، وتفنن في أنواع التعذيب التي عاملهم بها في السجون، ولم يكتف الحجاج بملاحقة الإباضية في العراق بل تتبعهم حتى في عُمان، فقد بعث إليهم بحملات عسكرية ضخمة أدت إلى الاستيلاء على عُمان وقتل الكثير من العُمانيين وفرار ملكي عُمان سعيد وسليمان أبناء عباد بن عبد إلى شرق افريقيا، بعد أن عجزا عن المقاومة بسبب الحملات المتتالية عليهم[٣]، ولم يقر للإباضية قرار ولم يهنأ لهم بال إلا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي تمكن بعدله وأخلاقه من احتواء جميع هذه الفرق والنحل.

ويتضح مما سبق حجم المعاناة التي تجرع غصصها أتباع المذهب الإباضي، والتي بدورها غرست في قلوب هذه الفئة الكره والبغض لخلفاء بني أمية ومن سار على شاكلتهم،

---

١) الطبري: تاريخ الطبري...، م. س، ج٣، ص٢٥٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م.س، ج٣، ص٣٦١، "وقد قال فيه الشاعر عمران بن حطان راثيا:

لقد زاد الحياة إليّ بغضـــاً ... وحبـاً للخـــروج أبو بـــلال
أحاذر أن أموت على فراشي ... وأرجو الموت تحت ذرا العوالي
ولو أني علمت بأن حتـــفي ... كحتـــف أبي بـلال لم أبالي
فمن يك همه الدنيا فإنـــي ... لهـا والله رب البيـت قـال

انظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، م. س، ج٢ ص٩٢.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٤٧، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٨١. وصحار العبدي هو : صحار بن العباس العبدي من عبد القيس، كان من الصحابة الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية، وهو الذي حمل الغنائم في فتح كرمان وسجستان إلى الخليفة عمر بن الخطاب، له أخبار مع معاوية تدل على بلاغته وعلمه بالأنساب، وله محاورات مع القدرية. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية ...، م.س،، ص٢٤٦.

٣) ابن خياط: **تاريخ خليفة بن خياط**، تح: مصفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ط١، ص١٨٨، الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م. س، صص٣٩-٤١، السالمي: تحفة الأعيان، م. س، ج١، صص٧٢-٧٣.

هذه السياسة هي التي أدت إلى عدم تمكن الإباضية من التواصل بشكل جيد، وأشغلت الإباضية في البصرة بالبحث عن السبل الكفيلة بحمايتهم والحفاظ على بقائهم؛ الأمر الذي استدعى الركون إلى السرية واستعمال التقية، وهي ما تعرف عند الإباضية بمرحلة الكتمان، بينما سعى العُمانيون بالذب عن وطنهم وبصد كل الحملات العسكرية التي بعثت من قبل دمشق، وعندما تعيهم الحيلة، ويتسرب الوهن إلى أجسامهم، ويُغلبون على أمرهم، يتحولون من الدفاع إلى الكتمان، وقضوا طيلة تلك الفترة الأموية بين الاستقلال والخضوع.

استمر الإباضية في البصرة يتجرعون ألم الظلم والتتبع في عهد الدولة العباسية، وحيال هذا الأمر تمكن زعيمهم في تلك الفترة – أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي– من إنشاء مجتمع إباضي سري، متكافل يضمن لهم البقاء والاستمرار، والحفاظ على مذهبهم[١]، ولم تذكر الروايات التاريخية تفاصيل أكثر عن معاناة الإباضية في البصرة إبان العصر العباسي، ولعل السبب يعود إلى انتقال زعامة المذهب إلى عُمان بعد وفاة الإمام أبي عبيدة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م) وانتقال الزعامة إلى الإمام الربيع بن حبيب الذي حبذ الخروج إلى موطنه الأصلي ومسقط رأسه[٢].

ولم يكن الوضع في عُمان أحسن حالا في العصر العباسي، فما إن أعلن العباسيون قيام دولتهم حتى قابلهم العُمانيون بإعلان إمامتهم الإباضية الأولى(١٣٢هـ/ ٧٤٩م) بزعامة الإمام الجلندى بن مسعود، إلا أن العباسيين سعوا للقضاء عليها في مهدها فسقطت بأيديهم بعد سنتين فقط من قيامها، وقتل في معركة السقوط – جلفار– الكثير من العُمانيين على رأسهم إمامهم وكبار قادته[٣].

والجدول (رقم ٣) يوضح الحملات العسكرية التي وجهت إلى عُمان لإخضاعها تحت سيادة الدولة العباسية:

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢ ص٢٣٩ وما بعدها.

٢) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١٦، مهدي هاشم: الحركة الإباضية ...، م. س، ص٨١.

٣) الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م. س، ص٣٩–٤١، السالمي: تحفة الأعيان... ، م. س، ج٩٣–٩٤.

م	قائد الحملة	الخليفة الآمر بها	حاكم عُمان أثناء قدوم الحملة	تاريخها ونتيجتها	المصدر
١	خازم بن خزيمة	أبو جعفر المنصور	الإمام الجلندى بن مسعود	١٣٤هـ/ ٧٥٠م انتصار العباسيين	الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٤، ص٣٦٩. السالمي: تحفة الأعيان. . . ، م. س، ج١، ص٩٣-٩٤.
٢	عيسى بن جعفر	هارون الرشيد	الوارث بن كعب	١٨٩هـ/٨٠٣م انتصار العُمانيين	الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٤، ص٦٧٤. الإزكوي: تاريخ عُمان. . . ، م. س، ص٤٥.
٣	محمد بن نور	المعتضد بالله	عزان بن تميم	٢٨٠هـ/٩٨٣م انتصار العباسيين	الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٥، ص٦٠٧

لقد ذاق العُمانيون الظلم والقتل والتخريب إبان دخول محمد بن نور بلدهم، فقد فرّ الكثير من العُمانيين من بلدانهم الواقعة على خط سير هذه الحملة وفي مقدمة أولئك سكان مدينة صحار الذين خرجوا إلى البحر واستقر بهم المقام في هرمز، وبعد محاولة فاشلة من قبل العُمانيين لطرده من البلاد بعد مقتل إمامهم، رجع محمد بن نور إلى مدينة نزوى[١]، وقتل منها الكثير من البشر وسمل أعينهم وقطع أيديهم وأرجلهم

١) وهي مدينة نزوى بنون مفتوحة وزاي ساكن وواو مفتوحة، وهي من أهم مدن عُمان وأعرقها تاريخا، كانت حاضرة عُمان وعاصمتها لعدة قرون، تقع في قلب محافظة الداخلية، في الشمال الغربي للعاصمة مسقط وتبعد عنها قرابة (١٥٠كم) لها أسواق حسنة ومساجد منظمة، عرفت بألقاب كثيرة منها تخت ملك

وآذانهم ، كما قام بدفن الكثير من الأفلاج ، وأحرق العديد من الكتب[١]؛ الأمر الذي جعل العُمانيين يطلقون عليه محمد بن بور بدلا من نور[٢] ، وأصبح هو لا يعرف إلا بهذا الاسم في المصادر العمانية [٣] .

- **مضايقة الدولتين الأموية والعباسية للإباضية في بلاد المغرب:**

لم يكن الإباضية في بلاد المغرب أحسن حالا من إخوانهم في المشرق ، إذ إن الوجود الإباضي في بلاد المغرب ما هو إلا انعكاس للظلم الذي وجدوه من الدولة الإسلامية في المشرق ، فقد كانوا يبحثون عن ملاذ آمن ، ومكان يقدرون فيه على إظهار فكرهم ومبادئ مذهبهم ، بعيدا عن أنظار خلفاء بني أمية ، وبعيدا عن عاصمتهم دمشق ، فاختاروا بلاد المغرب ظنا منهم بأنها البيئة المناسبة لذلك؛ لبعدها عن سطوة خلفاء الدولة الأموية ، إلا أنهم واجهوا الكثير من التضييق من قبل ولاة الدولة الأموية في بلاد المغرب ، وقد بدأ هذا التضييق منذ القرون الهجرية الأولى فقد كان مؤسس المذهب الإباضي جابر بن زيد (٢٢هـ/ ٦٤٢م- ٩٣هـ/٧١١م) يأمر أتباع المذهب في بلاد المغرب بتمزيق رسائله التي يبعث بها إليهم بعد قراءتها مباشرة ، وهذا أبلغ دليل على تتبع الدولة الأموية لهم[٤] .

وتلقى الإباضية ضربة قاصمة لأول محاولة لهم في الاستقلال ، فقد أعلن الإباضية إمامتهم الأولى في بلاد المغرب على يد الإمام عبد الله بن مسعود التجيبي عام (١٢٢هـ/٧٣٩م) ، الذي حاول تأسيس إمامة تمتد من "سرت" شرقا إلى "قابس" غربا ، إلا أن والي طرابلس إلياس بن حبيب كان له بالمرصاد ، فقضى على هذه الإمامة

العرب، وكرسي الإمامة، ومدينة العلم والتاريخ، وبيضة الإسلام. انظر: سعيد المعمري: سلطنة عُمان...، م. س، صص١٩٦-١٩٧. انظر موقعها على الخريطة: الملاحق: ص٣٦٨.

١) الإزكوي: تاريخ عُمان...، م. س، ص٥٧، السالمي: تحفة الأعيان ،م. س، ج١، ص٢٦١.

٢) يرد اسمه عند الطبري محمد بن ثور. انظر: الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٥، ص٦٠٧.

٣) السالمي: تحفة الأعيان... ، ج١،ص٢٥٦.

٤) عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، م. س، ص٩٨، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب....، م. س، ص٣٧.

في مهدها، عام (١٢٦هـ/٧٤٣م)، وقتل إمامها وعدداً كبيراً من أتباعه [١].

وفي عام (١٣١هـ/ ٧٤٩م) تمكن الحارث بن تليد الإباضي[٢] من إعلان الإمامة وبايعته أعداد كبيرة من القبائل البربرية تأتي في مقدمتها هوارة ونفوسة وزناتة ولماية، واتخذ من عبد الجبار بن قيس المرادي[٣] قاضيا له، إلا أن الوالي الأموي عبد الرحمن بن حبيب الفهري أحس بخطورة الموقف فأرسل إليهم جيشا بقيادة محمد بن مفروق للقضاء على هذه الإمامة، فتصدى له الإباضية وتمكنوا من التغلب عليه، ولكن هذا الأمر لم يمنع عبد الرحمن من مواصلة قتالهم فأرسل إليهم حملات أخرى لكنها فشلت أيضا، مما حدا به للتفكير في أسلوب آخر للقضاء على هذه الإمامة، فقرر اغتيال الإمام وقاضيه، فأرسل من يقتلهما ويضع سيف كل واحد منهما في جسد الآخر عام(١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، وهدف من ذلك إلى زرع الشقاق بين الإباضية في إمامهم وقاضيه الذي قتل كل واحد منهما الآخر، دون أن ينتبهوا إلى أن القاتل هو من طرف عبد الرحمن بن حبيب[٤]، فتمكن من إشغالهم بقضية من قتل الآخر؟ لفترة طويلة من الزمن[٥].

---

١) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب، م. س، ص٥٤، مسعود مزهودي: **جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط** (٢١-٤٤٢هـ) (٦٤٢-١٠٥٣م) مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ط١، صص٨٤-٨٥، بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية...،م.س، ج٢، ص٢٧٧.

٢) هو الحارث بن تليد الحضرمي، تتلمذ على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وهو من الإباضية الذين شاركوا في إمامة طالب الحق باليمن، كوّن إمامة ظهور أقلقت الدول الأموية، فأرسلوا إليها جيشا بقيادة عبد الرحمن بن حبيب، فتمكن من قتله (ت: بين ١٣١-١٤٠هـ/ ٧٤٨-٧٥٧م). انظر: بابا عمي، معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص١١٩.

٣) من قادة الإباضية الأوائل بالمغرب، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وشارك في ثورة الإمام طالب الحق باليمن، كان قاضيا للإمام الحارث بن تليد الآنف الذكر (ت: بين ١٣١-١٤٠هـ/ ٧٤٨-٧٥٧م). انظر: بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص٢٤٣.

٤) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٤، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١٤-١٥، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٥٥.

٥) فقد تحولت هذه القضية من الجانب السياسي إلى الجانب الفقهي، ودخلت فيها مسائل الولاية والبراءة، ويعود ذلك إلى اختلافهم فيمن قتل الآخر؟ وكيف تطبق الولاية والبراءة في أشخاص القتيلين؟ وللمزيد انظر: الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١١٤-١١٥، مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س،

وفي بدايات العصر العباسي أعاد الإباضية الكرة مرة أخرى وأعلنوا الإمامة عام (١٤٠هـ/٧٥٧م)، وبايعوا أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني بالإمامة، ودخلوا مدينة طرابلس واستولوا عليها، إلا أن الخليفة أبا جعفر المنصور لم يُمهل هذه الإمامة كثيرا، فبعد أربع سنوات فقط من قيامها، بعث إليها بجيش كبير يقوده محمد بن الأشعث الخزاعي، فتمكن من قتل الإمام وأعداد هائلة من أتباعه بعد معارك ضارية بين الفريقين عام (١٤هـ/٧٦٢م)، ولم يسلم من القتل إلا من تحصن بالجبال والحصون المنيعة، وقد حاول ابن الأشعث اجتثاث كل القادة والزعامات الباقية فلاحق عبد الرحمن بن رستم – والي أبي الخطاب على القيروان– حتى ألجأه إلى أحد الجبال المنيعة، وحاصره عدة أيام إلا أنه فض الحصار بعد أن أصاب جيشه مرض الجدري[١].

وعلى الرغم من تلك المحاولات الفاشلة للإباضية إلا أنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، ولم يستكينوا، فبعد مقتل أبي الخطاب المعافري بايع الإباضية رجلاً آخر يدعى أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزي (ت:١٥٥هـ/ ٧٧٢م)[٢]، وتمكن الأخير من الاستيلاء على طرابلس، وتوجه نحو القيروان وحاصرها، وكان عليها يومئذ الوالي العباسي أبو جعفر عمر بن حفص بن عثمان المهلبي، وبعد حصار شديد تمكن أبو حاتم الملزوزي من قتل الوالي العباسي ودخول القيروان عام (١٥٤هـ / ٧٧١م)[٣]، ولم يهنأ الإباضية بهذا النصر كثيراً، إذ كانت في الطريق إليهم جيوش الدولة العباسية بقيادة يزيد بن حاتم المهلبي، فدخل الفريقان في معارك عدة فاصلة أدت في النهاية إلى مقتل أبي حاتم

ص٣٠، صص٣٧٢–٣٧٣.

١) أبو زكريا: سير الإئمة وأخبارهم، م. س، ص٦٩وما بعدها، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٣٦، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١٢١–١٢٣.

٢) هو أبو حاتم يعقوب بن لبيب (لبيد) التجيبي الملزوزي الكندي، من بني كندة بالولاء، أخذ العلم عن حملة العلم إلى المغرب، وهو في درجة أبي الخطاب مكانة وعلما، بويع بإمامة الدفاع عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص٤٧٥.

٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٧٣ وما بعدها، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٨٧.

الملزوزي ودخول القوات العباسية إلى القيروان عام(١٥٥هـ/ ٧٧٢م)، ودخل يزيد المدينة وتتبع فلول الإباضية وقضى عليهم دون هوادة[١].

وبعد تلك المحاولات المستمرة من الإباضية لإقامة دولة مستقلة لهم، تمكن عبد الرحمن بن رستم من تتويج عملهم وإعلان الدولة الرستمية التي قامت في المغرب الأوسط وسيطرت على جزء كبير منه، وتعاقب عليها عدد من أبنائه، وقد استمرت هذه الدولة أكثر من قرن (١٦٠هـ/٧٧٦م- ٢٩٥هـ/٩٠٩م) [٢].

ولا ريب أن هذه الدولة الإباضية لم تسلم من محاولات الدولة العباسية للقضاء عليها وتتبع رموزها، وكان لهم ذلك عندما تمكنت عيون الخليفة العباسي المتوكل بالله من الإمساك بأبي اليقظان محمد ابن الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن[٣] وهو في موسم الحج، وحملته جنود الخليفة العباسي إلى بغداد وسجن فيها ولم يخرج من السجن إلا بعد وفاة الخليفة [٤].

وبعد فترة من الزمن وعندما أحست الدولة العباسية أن الوقت ملائم للانقضاض على هذه الدولة، أرسلت إليهم جيشا بقيادة إبراهيم بن الأغلب، وتقدم إلى جبل نفوسة الموالي للدولة الرستمية، فوقعت بينهم معركة ضارية تدعى (معركة مانو) انتهت بانتصار إبراهيم بن الأغلب، فلجأ الإباضية إلى الجبل وتحصنوا به، فقتل منهم

---

١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٧٠، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص١٢٣، ص١٢٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٧٩، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص٧٢، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥.

٢) عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م، س، ص٤٠١.

٣) خامس الأئمة الرستميين (٢٦١هـ/٨٧٤م - ٢٨١هـ/ ٨٩٤م) تلقى العلم عن أبيه أفلح وجده عبد الوهاب، كانت له حلقات بتاهرت فتخرج على يديه الكثير من المشايخ الأعلام، له رسالة في خلق القرآن وكتب في الرد على المخالفين، وله جوابات مختلفة، عرفت الدولة الرستمية في عهده انفتاحا كبيرا على العلم والعلماء؛ حيث اهتم فقهاء المذاهب المختلفة بالمناظرات الفقهية والكلامية وكثرت المجالس والحلقات، توفي في سنة ٢٨١هـ ولم تتجاوز تركته سبعة عشر دينارا وخلف عددا من الأولاد منهم: اليقظان ويعقوب ويوسف. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية....، م. س، ج٢، ص٣٥٩.

٤) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، صص٦٤-٦٥.

في هذه المعركة أناس كثر وأسر العديد من علمائهم، وفي طريق عودته أمر بقتل جميع الأسرى الإباضية بعد أن تمكن أحد علمائهم من الهروب[١]، ولقد كانت هذه الأحداث المضطربة التي أعقبها سقوط الدولة الرستمية عام (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) على يد الفاطميين، شبيهة بما حدث لأختها في عُمان، فقد اضطربت الأوضاع فيها بعد اعتزال الإمام الصلت بن مالك، ثم أعقبها دخول محمد بن نور عُمان عام (٢٨٠هـ/٨٩٣م) والسيطرة عليها من قبل الدولة العباسية[٢].

يتضح مما ذكرنا أن الإباضية في بلاد المغرب لم يهنأ لهم بال في ظل الدولة العباسية إذا استثنيا فترة قيام الدولة الرستمية، فقد تتبعتهم في كل نواحي بلاد المغرب، وحرصت على القضاء على كل الثورات التي يقومون بها، وهي في مهدها حتى لا تستفحل وتسيطر على المنطقة، وبسبب هذه الثورات والحروب المستمرة مع الدولة العباسية، أصبح الهم الوحيد الذي يشغل بال الإباضية في بلاد المغرب، هو البحث عن ملاذ آمن لهم ومكان يقدرون فيه على إظهار فكرهم وإعلان إمامتهم، فأشغلهم هذا الهم عن بقية إخوانهم في بلاد المشرق، كما أن الوضع الإباضي في بلاد المشرق بصورة عامة وعُمان بصورة خاصة كان قريبا مما كان عليه في بلاد المغرب، فالمحاولات المستمرة من قبل الدولة العباسية لم تتوقف للسيطرة على الإباضية ومنع استقلالهم وإخماد جميع ثوراتهم.

د- الموانع الأمنية في الطريق البري والبحري بين عُمان وبلاد المغرب:

بعد التعرف إلى الظروف السياسية والأمنية التي مرت بها كل من عمان وبلاد المغرب والتي أشغلت كل منطقة عن نظيرتها، واشتغل كل إقليم بهمومه ومشكلاته، يجدر بنا النظر إلى الطريق الواصل بين المشرق وبلاد المغرب، لنسلّط الضوء على العقبات الأمنية التي يكون الإنسان العامل الرئيس المسبب لها، والتي كانت تكتنف المسافر من عُمان إلى بلاد المغرب أو العكس، فنظرا لبُعد المسافة بينهما، كانت هناك العديد من

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، صص٨٧-٩١، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٢٢٧-٢٣١.

٢) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، صص١٥٥، ١٥٦.

العقبات والموانع الأمنية التي تعيق المسافر من الوصول إلى بُغيته بسهولة ويسر، وينطبق هذا الأمر على الطريق البري والطريق البحري على حد سواء، فكلاهما سيان في تعدد وتنوع تلك الموانع والعقبات.

- **أثر الصراعات السياسية على حركة التنقل:**

إن الصراعات السياسية التي حدثت في بلاد المغرب أو عُمان أو في الطريق الواصل بين المنطقتين كان لها الأثر الكبير في إعاقة التواصل بينهما، فقد ألقت هذه الصراعات بظلالها على المستوى الأمني، وكان انتشار الخوف والهلع مانعا أساسيًا للتواصل، واختلفت هذه الصراعات وتنوعت فمنها ما هو على مستوى البلد الواحد، ومنها ما يكون على مستوى الدول، أدت إلى نفس النتيجة، وهي عدم تفكير الشخص بالسفر إلى القطر الآخر خوفا على نفسه وماله.

وتأتي في مقدمة هذه الصراعات الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، وإن كان الهدف منها هداية الشعوب إلى الدين الإسلامي وإنقاذهم من الظلم والعبودية، إلا أنها كانت تمثل فترة زعزعة للأمن، ويعود ذلك بصورة أساسية إلى طبيعة الشعوب القاطنة في بلاد المغرب، إذ كان البربر يتصفون بصفات "الأنفة والكبرياء والسيادة والشجاعة"[١]، فمنذ الوهلة الأولى لمقدم المسلمين إلى القارة الأفريقية وفتحهم لمصر، وتطلّعهم للتوسع باتجاه الغرب، رأى سكان بلاد المغرب أن القوم هدفهم السيطرة والسيادة على بلادهم؛ فخافوا من تزعزع الأمن وانتشار الفوضى بعد أن ألفوا حياتهم العادية وتأقلموا عليها، ولعل أقرب مثل على ذلك قيام الكهنة بتخريب افريقيا، وذلك بقطع أشجارها وحرق غاباتها وتخريب مدنها، ظنا منها أن العرب ما جاءوا إلا طمعا في خيرات البلاد وغلاتها، فكان هذا العمل وهذا التفكير الغريب سببا في زعزعة الأمن والثقة بها من قبل أتباعها، كما كان سببا في انقسام أتباعها بين مؤيد ومعارض مما حدا بهذه الفئة الأخيرة، اللجوء إلى المسلمين والاستنجاد بهم[٢].

---

١) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم، م. س، ص٣٦.

٢) ابن عذاري: البيان المغرب ...، م، س، ج١، صص٣٦-٣٧، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م،

ويمكن القول أن فترة الفتوحات الإسلامية كانت من الفترات التي يصعب فيها التنقل بين مدن بلاد المغرب لكثرة الأعداء المحدقين بالمسلمين وكونهم غرباء في نظر سكان بلاد المغرب بصورة عامة كما أوضحنا آنفا، ولم تستقر الأمور ولم يأمن الناس على أنفسهم إلا بعد أن دخل جل سكان بلاد المغرب في الإسلام، ولم يعكر صفو ذلك الاستقرار، والأمن والسلام على الطريق بين بلدان بلاد المغرب إبان تلك الفترة إلا ما كان يقع من الثورات بين الفينة والأخرى ضد الولاة[١]، بسبب سوء معاملتهم للأهالي.

وفي هذا السياق فقد كان أتباع المذهب الإباضي في بلاد المغرب يتخوفون من الاتجاه نحو المشرق سواءً للحج أم لغيره؛ خوفا من سطوة الدولة العباسية ومواليها، شأنهم في ذلك شأن بني أمية في الأندلس الذين كانوا "يمنعون أهل دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني العباس، فلم يحج سائر أيامهم أحد من أهل دولتهم، وما أبيح الحج لأهل الدول من الأندلس إلا بعد فراغ شأن الأموية ورجوعها إلى الطوائف"[٢]، ومن هذا المنطلق فقد أفتى علماء الإباضية في الدولة الرستمية وأيدهم في ذلك علماء المشرق، بعدم جواز خروج إمامهم عبد الوهاب بن عبد الرحمن إلى الحج بسبب خوفهم عليه من عيون الدولة العباسية[٣]، وقد صدق حدسهم فقد تمكن جنود الخليفة العباسي من الإمساك بابن الإمام الإباضي أفلح بن عبد الوهاب الرستمي وهو في موسم الحج، وأخذته جنود الخليفة إلى بغداد وسجن بها[٤].

أما في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، فتجلت هذه المشكلة بصورة

س، صص١٣٦– ١٣٧.

١) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص١٠٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٦، ابن عذاري: البيان المغرب.....، م. س، ج١، صص٧٥–٧٦، عبدالغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٤، الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي...، م. س، ص١٨٥.

٢) ابن خلدون: المقدمة، م. س، ص٢٦٠.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٦٦، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٤٠.

٤) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، صص٦٤–٦٥، الدرجيني: طبقات المشائخ، م. س، ج١، ص٨٣.

واضحة في الصراع الصليبي مع المسلمين ، فبعد أن أحكم الصليبيون قبضتهم على بلاد الشام ووصلوا حتى حدود مصر ، وذلك قبل تمكن المماليك منهم والقضاء عليهم ، أدى هذا الأمر إلى تهديد الطريق البري المحاذي لسواحل البحر المتوسط والقادم من بلاد المغرب والمتجه نحو المشرق ، مما حدا بمرتاديه إلى تحويل مساره إلى جنوب مصر بدلا من شمالها[١] ، ليبتعدوا قدر الإمكان من الوقوع في أيدي الصليبيين .

ومن أمثلة إعاقتهم للطريق قيام مجموعة منهم بالتعرض للحجاج في بحر القلزم (البحر الأحمر) ، وحرق العديد من المراكب المقلة لهم بلغت نحو ستة عشر مركبا ، ثم توجهوا نحو ميناء عيذاب وأخذوا مركباً كان ينقل الحجاج ، واستولوا على مركبين كانا قادمين بتجارة من اليمن ، وتعرضوا في الوقت نفسه لقافلة برية كانت قادمة من مدينة قوص المصرية وقتلوا جميع من كان فيها[٢] .

وقد كان خطرهم واقعاً أكثر على الطريق البحري ، فقد قلّت أعداد السفن المبحرة عبر البحر المتوسط– الشريان البحري الوحيد الذي يربط بلاد المغرب بالمشرق– لخوفها من هجمات الصليبيين ، ولم يتوقف وجود الخطر الصليبي على إعاقة الطريق البحري فقط بل تعدى هذا الأمر إلى زيادة التفتيش في ميناء الإسكندرية بصورة دقيقة وسيئة في بعض الأحيان ، وقد أرجع ابن جبير سبب هذا التفتيش الدقيق الذي يتعرض له المسافر عبر هذا الميناء إلى الخطر الصليبي وخوف المماليك من دخول الجواسيس بين صفوف المسافرين ، وأن تلك المعاملة السيئة لا تعدو سوى أخطاء فردية لا تمت بصلة إلى فكر الدولة بشيء ، وأن صلاح الدين الأيوبي لم يكن يعلم بذلك مطلقا[٣] ، ولكن هذا التعليل قد يشوبه بعض الشك ، إذ هل من المعقول أن يتعرض الحجيج لهذه المعاملة السيئة دون أن تكون حكومة صلاح الدين على علم بها؟؟ .

---

١) السعيد لمليح: **التواصل الفكري والروحي بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلاميين** (مصر والحجاز) أسسه ومظاهره من بداية القرن السابع إلى أواخر القرن الثامن الهجريين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م ، ص٨٠ ، ١٠٦ .

٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير، م. س، ص٣٤.

٣) المصدر نفسه: ص١٤.

ومثلت الصراعات السياسية بين الدول المستقلة في بلاد المغرب عائقا أمنيا آخر للمسافر المغربي المتجه نحو المشرق ، فقد كانت الدولة الفاطمية في مصر تتعرض لقوافل الحجيج المغاربة القادمين من دولة المرابطين ، بسبب العداء المستفحل بين المرابطين والفاطميين بعد اعتراف العباسيين بدولة المرابطين ، ولعدم اعتراف المرابطين بالدولة الفاطمية نظراً لاختلاف المذهب[١] .

لم يكن وضع الطريق القادم من عُمان أحسن حالا فقد عانى هو الآخر من ويلات الصراعات السياسية ، بين القبائل العربية القاطنة في شبه الجزيرة العربية ، والممتدة على طول الطريق الواصل بين عُمان وبلاد الحجاز ، إذ يصف لنا الاصطخري صعوبة سلوك الطريق القادم من عُمان إلى البحرين بقوله: "وكذلك ما بين عُمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم"[٢] .

لم تسلم عُمان هي الأخرى من الصراعات السياسية ، التي منعت التواصل بينها وبين الدول الأخرى بما فيها بلاد المغرب ، وقد تم التعرض لتلك الصراعات السياسية الداخلية والخارجية في الأسطر السابقة عند معالجتنا لتضييق الدول الأموية والعباسية الخناق على العُمانيين ومنعهم من الاستقلال .

- **خطر قطاع الطرق:**

في القرون التي تلت مرحلة الفتوحات الإسلامية ودخول الإسلام إلى شتى ربوع بلاد المغرب ، ظهرت أخطار متعددة ومتنوعة من أشدها قطاع الطرق ، من ذلك ما يرويه ابن حوقل – في القرن الرابع الهجري– واصفا الطريق المار بصحراء مدينة قابس بقوله: "وفي باديتهم شر شمر ودين قذر؛ وذلك لأنهم لا يخافون من الشراية[٣] والقول

١) السعيد لمليح: التواصل الفكري والروحي...، م. س، ص١٥٥.

٢) الاصطخري: المسالك والممالك، م. س، ص٣١. "ويؤكد ابن حوقل على ذلك " انظر: صورة الأرض، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٩٢م، ص٤٧.

٣) لم نتمكن من الحصول على معنى هذه الكلمة، ولعلها خطأ مطبعي.

بالوعد والوعيد مع الغيلة لبني السبيل والاعتراض على أموالهم في الكثير والقليل"[١]، ويؤيد الشماخي هذا الرواية حين ذكر أن أحد الأشخاص تعرض للسطو والضرب من قبل قطاع الطرق ما بين مدينتي قابس وفزان وجرح سبعة عشر جرحا ولم ينجيه من الموت سوى هروبه منهم والتجائه إلى كهف كان قريباً منه[٢].

ويظهر خطر قطاع الطرق مرة أخرى في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، الذي أقض مضجع مرتادي الطرق البرية في بلاد المغرب، وأقلقهم لفترة كبيرة من الزمن، وتمثل ذلك في ما كانت تقوم به قبائل بني هلال وبني سليم من السطو على القوافل التجارية وقوافل الحجيج[٣]، وأصبح المرور عبر المناطق التي تسيطر عليها هذه القبائل ضربا من المستحيلات.

ولم تكن الطرق الواصلة بين المناطق التي يهيمن عليها الإباضية بمنأى عن قطاع الطرق، فقد كانت قبائل بني هلال وبني سليم، محدقة بجبل نفوسة وتتعرض لكل من يحاول دخوله أو الخروج منه، وزادت قوتها وسطوتها على هذه المنطقة بعد سقوط الدولة الرستيمة[٤].

أما في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فيصف لنا العبدري وضع الطريق في بلاد المغرب من فاس إلى الإسكندرية بقوله: "أو ليس من الأمر الخارج عن كل قياس أن المسافر عندما يخرج من مدينة فاس، لا يزال إلى الإسكندرية في خوض ظلماء وخبط عشواء لا يأمن على ماله ولا على نفسه، ولا يأمن راحة في غده إذ لم يرها في يومه وأمسه"[٥]، ويتضح من هذا النص المعاناة التي كان يجدها المار بالطريق البري، وأن الأمان فيها يكاد ينعدم، فعابرها يخاف على نفسه، فكيف على ماله؟!.

---

١) ابن حوقل: صورة الأرض، م. س، ص٧٢.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٨٢.

٣) مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٢٨٧، ٣٣٤.

٤) المصدر نفسه: ص٣٣٣.

٥) العبدري: **رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية**: تح: محمد الفاسي، الرباط، المملكة المغربية، سنة: ١٩٨٦م، ص٤، السعيد لمليح: التواصل الفكري والروحي...، م. س، ص٨٧.

ولم يكن الطريق الخارج من عُمان والمتجه نحو الحجاز أو بلاد المغرب أحسن حالا ، فقد انضمت قبائل بنو هلال وبنو سليم – قبل نزوحهم إلى بلاد المغرب– إلى القرامطة الذين كانوا يسيطرون على جزء من شبه الجزيرة العربية ، وقد انتهجوا سياسة السطو والتعرض لقوافل الحجيج العابرة لمناطقهم ، ويشير المقريزي إلى ذلك بقوله: "وقد انضم إلى القرامطة في شرقي شبة الجزيرة العربية قبيلتا بني هلال وبني سليم ، ولم يكن لانضمام هؤلاء البدو إلى حركة كهذه أثر يذكر في عقائدهم ، اللهم إلا ما ظهروا به من رغبة في الشغب ، وخضوع لإرادة غير موجهة ، وكان منهم جماعة تنتشر في طريق الحج المؤدي إلى مكة لقطع الطريق والإغارة"(١) .

وكثيرا ما تزودنا الكتب بوفاة بعض العُمانيين المتجهين إلى الديار المقدسة(٢) ، ومهما يكن السبب في ذلك إلا أنه من الوارد أن يكون من ضمنها الاعتداءات التي يواجهها الحجاج من قطاع الطرق ، خاصة أثناء اجتيازهم تلك القفار الموحشة والرمال المتحركة في شبة الجزيرة العربية .

- **خطر القرصنة:**

إن خطر قطاع الطرق في البر رافقه في المقابل خطر القراصنة في البحر فقد كانت المسطحات المائية المطلة على بلاد المغرب أو على عُمان أو الواصلة بينهما تعاني معاناة شديدة من القراصنة، من ذلك ما حدث بعُمان في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إبان عهد الإمام غسان بن عبدالله اليحمدي(١٩٢هـ /٨٠٦م– ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) (٣) ، فقد كان القراصنة الهنود يتعرضون للسفن العابرة للمسطحات المائية

---

١) المقريزي: تقي الدين عبد القادر ، **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، تح: عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، سنة: ١٩٨٩م، صص١٢٥–١٢٦.

٢) الشقصي: منهج الطالبين...، م. س، ج٥، ص ١٥.

٣) إمام وفقيه من الفجوح، وهم من ولد اليحمد من قبائل زهران بن كعب من بطون الأزد. بويع بالإمامة بعد وفاة الإمام الوارث بن كعب الخروصي، سار بالإمامة سيرة مرضية، فأعز الحق وأزال الفساد، أقام في نزوى وأخصبت البلاد في عهده، استطاع إخماد المعارضة الداخلية التي كانت تتمثل في بني الجلندى وبني هناءة، سميت نزوى في عهده ببيضة الإسلام لكثرة العلماء بها. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ص٣٤١.

العُمانية ويقومون في الوقت نفسه بغزو المدن الساحلية من أمثال جلفار ودبا، مما حدا بالإمام غسان إلى تكوين أسطول بحري مقاوم لأولئك القراصنة، وتمكن هذا الأسطول من القضاء عليهم وتخليص عُمان من شرهم(١). ويدعم هذا الأمر ويؤكده ما يرويه لنا الفقيه الشقصي عن أحد الربابنة العمانيين الذي اعتدى بعض اللصوص على سفينته واستولوا عليها، ثم بيعت في مدينة عدن(٢).

وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يتعرض الإصطخري للزعيم اليمني الذي تمكن من السيطرة على جزيرة كيش المقابلة للسواحل العُمانية، وقد امتهن هذا الزعيم مهنة القرصنة وأصبح يهدد كل السفن التي تحاول الرسو في موانئ عُمان، فانقطعت السفن عن عُمان بعد أن كانت محطة للكثير من السفن القادمة والمتجهة من وإلى الصين والهند وعدن(٣)، ومنطقيا أن يؤثر هذا الحدث على جميع السفن العُمانية التي تحاول الخروج من عُمان سواء للتجارة أو الحج عبر بحر عُمان الذي تقع فيه هذه الجزيرة.

كذلك كانت السفن العُمانية تعاني من القراصنة الهنود، الذين كانوا يتمركزون على الطريق الممتد من عُمان إلى ميناء عدن اليمني، ويقابل ذلك في البر قطاع الطرق من قبيلة مهرة الذين كانوا يتعرضون للمسافرين والحجاج العُمانيين المتوجهين إلى مكة عن طريق اليمن(٤)، ويصف لنا الشقصي ذلك بقوله: "وقد قيل إن الذين يقطعون السبل من شط عُمان في الزمان الأول في البحر من بوارج الهند، وجهال مهرة أو غيرهم من الفساق إلى حد عدن من ناحية البر من ناحية عُمان"(٥).

لم تكن المسطحات المائية المطلة على بلاد المغرب بمنأى عن هذا الخطر الكبير، فقد

---

١) السالمي: تحفة الأعيان ...، م. س، ج١، ص١٢١.

٢) الشقصي: منهج الطالبين، م. س، ج٢، ص٢٣٦.

٣) الإدريسي: نزهة المشتاق ...، م. س، ج ١، ص١٦.

٤) العوتبي، **الضياء**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة:١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ط١، ج١٣، ص١٥١.

٥) الشقصي: منهج الطالبين...، م. س، ج٢، ص٢٣٨. ولأن كان الشقصي لا ينتمي إلى الفترة التاريخية التي ندرسها (ت: ق ١١هـ) إلا أنه يتضح من النص أنه يتحدث عن العصر الإسلامي الوسيط.

تعرضت السفن المغربية لخطر القرصنة الصليبية، وأصبحت السفن مهددة في البحر المتوسط وبحر القلزم (البحر الأحمر) من جراء السيطرة الصليبية على بلاد الشام ومعظم سواحلها المطلة على البحر المتوسط، وقد تم التعرض في الأسطر السابقة للهجمات الصليبية على سفن الحجاج في بحر القلزم (البحر الأحمر) في عنصر الصراعات السياسية كعائق للتنقل.

ويتبين مما سبق أن الطريق بين عُمان وبلاد المغرب لم يكن من السهولة بمكان قطعه، بل كانت كل مرحلة من مراحله محفوفة بالكثير من المخاطر، الأمر الذي لم يكن مشجعا للمسافر اجتيازه إلا لضرورة أو لأداء مناسك الحج، ويمكن التعويل على هذا العائق على أنه كان من الأسباب الموجبة لانقطاع التواصل المباشر بين عُمان وبلاد المغرب في بعض الفترات التاريخية.

٣- الموانع الاقتصادية والاجتماعية:

ونعني بها كل المعوقات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تقف حجر عثرة في تنقل سكان بلاد المغرب إلى عُمان والعكس، والتي كان في الكثير من الأحيان العامل المثبط في التواصل أو حتى التفكير فيه، ومن هذه الموانع ما يلي:

أ- البداوة وقلة الإمكانيات والاشتغال بأمور الحياة اليومية:

إن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها عُمان وبلاد المغرب في بعض الفترات التاريخية والتي يقل فيها، بل ويندر في بعض الأحيان الزاد والراحلة تشكل عائقا أمام الناس لبلوغ أي مكان خارج نطاق البلاد، وأصبح همّ الحصول على لقمة العيش يشغل بال الكثير عن التفكير للتوجه نحو المشرق وخاصة للحج أو للزيارة أو للسياحة التي تحتاج إلى مبالغ طائلة لإنجاحها، ولنبدأ أولا ببلاد المغرب لمعرفة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها والتي أعاقت اتجاه الناس إلى بلاد المشرق.

وفي هذا المنحى تتجلى الفتوحات الإسلامية حيث توجهت كل الطاقات الاقتصادية والاجتماعية لإنجاحها، وكانت بحد ذاتها مانعاً يمنع الناس من التوجه إلى المشرق لاشتغالهم بهذا الأمر، وعليه فإن دخول أهل المغرب في الإسلام، جعلهم جنودا في

صفوف المسلمين الفاتحين ، لفتح البلدان الأخرى في هذا النطاق .

كما أن طبيعة المجتمع المغربي الذي تشكل البداوة جزءا كبيرا منه ، كانت تمثل عائقا للتواصل ، وذلك أن حياة التنقل المستمرة للبحث عن الرعي والكلأ والماء ، تختلف عن حياة الاستقرار ، فيبقى همّ الحصول على أساسيات الحياة كالبحث عن المكان المناسب للسكنى يشغل بال هؤلاء مما يجعلهم بعيدين كل البعد عن التفكير في السفر إلى المشرق أو غيره ، الذي يعدونه في نظرهم من كماليات الحياة ، وخاصة عندما يكون الهدف من التوجه نحو المشرق الزيارة أو السياحة . وفي هذا يقول ابن خلدون: "إن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم ، العاجزون عما فوقه ، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ، ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليهما لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشىء عنه"(١) . وقد أحسن أحد الباحثين وصف تلك الفئة حين يقول: "ويسود بلاد المغرب خصوصا هضابه الفسيحة ظاهرة اجتماعية اقتصادية مما نعني بها ظاهرة البداوة ، وذلك أن سكان هذه المناطق من القبائل العربية والبربرية لا يستطيعون الاعتماد على موارد الإقليم النازلين فيها فيضطرون إلى النقلة والترحال انتجاعا للكلأ وطلبا للعيش الميسور الذي يتوفر في جهات أخرى أوفر ثراء ، فإذا أقبل الصيف اشتد الجفاف في الجهات الهضبية أو شبه الصحراوية وجف العشب وقل الماء فلا يجد السكان مفرا من شد الرحال صوب الشمال حيث يتوفر المطر ويطيب المرعى وتتيسر الحياة ، فإذا جاء الخريف وأوشكت الأمطار أن تندى بطاح الهضاب بالمطر المنبت للكلأ عادت جموع المهاجرين مرة أخرى إلى ديارها لقضاء فصل الشتاء ويقضي السكان هكذا حياتهم بين رحلتي الشتاء والصيف" (٢) .

ب- الضرائب والإهانات التي كان يجدها المسافر المتنقل بين المشرق والمغرب:

شكلت الضرائب التي لم تخلو أبدا من الإهانات والنيل من شخص المسافر المتنقل من بلاد المغرب إلى المشرق أو العكس هاجسا كبيرا ، ولا يمكننا في سياق طرحنا

١) ابن خلدون: المقدمة ، م. س، ص١١٦ .

٢) مصطفى أبو ضيف: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية...،م. س، صص٢٤٠- ٢٤١

للعائق الاقتصادي والاجتماعي إلا أن نتعرض لتلك الإهانات والضرائب والمكوس التي كانت تؤخذ على المسافرين سواءً عبر البر أو البحر، والتي بدورها أدت إلى التقليل من أعداد الحجيج والمسافرين نحو المشرق، فأصبح المسافر يحسب ألف حساب لتلك المبالغ التي ستؤخذ عليه بدون وجه حق[١]، والتي يمكن أن تستنزف جزءًا كبيرا من أمواله التي يحملها معه، فيذكر ابن حوقل أنه كانت تؤخذ ضريبة على المسافر عبر إطرابلس المتجه نحو القيروان أو القادم من الأخيرة إلى إطرابلس[٢].

وبعد اجتياز المسافر لبلاد المغرب ودخوله الأراضي المصرية عبر ميناء الإسكندرية، يجد في هذا الميناء معاناة شديدة من قبل القائمين عليها، تمثلت هذه المعاناة في أخذ الأموال بغير وجه حق وسوء المعاملة مع دقة التفتيش بصورة مجحفة ومخزية، ولم يسلم من هذه المعاملة السيئة حجاج بيت الله الحرام[٣].

ولم يكن هذا الأمر واقعاً في ميناء الأسكندرية فحسب، إذ يروي لنا ابن جبير معاناة المسافر في أرض الصعيد كذلك، حين يذكر ما يعانيه العابر لبعض بلدان الصعيد "المعترضة في الطريق الحجاج والمسافرين، كإخميم وقوص ومنية ابن الخصيب من التعرض لمراكب المسافرين وتكشفها والبحث عنها، وإدخال الأيدي أوساط التجار، فحصاً عما تأبطوه أو احتضنوه من دراهم أو دنانير، ما يقبح سماعه وتشنع الأحدوثة عنه، كل ذلك برسم الزكاة دون مراعاة لحولها أو ما يدرك النصاب منها، . . . وربما ألزموهم الأيمان على ما بأيديهم، وهل عندهم غير ذلك، ويحضرون كتاب الله العزيز تقع اليمين عليه، فيقف الحجاج بين أيدي هؤلاء المتناولين لها مواقف خزي ومهانة تذكرهم أيام المكوس"[٤]. ويكشف هذا النص الضغوط النفسية، والإهانات التي يجدها المسافر فينعدم الأمن النفسي الذي يتمنى المسافر والحاج أن يجده من إخوانه المسلمين القاطنين لهذه البقاع، ليكونوا عونا له على مواصلة الطريق وتسلية له من عناء

---

١) ابن جبير: رحلة ابن جبير، م. س، ص١٣، السعيد لمليح: التواصل الفكري والروحي...، م. س، ص١٣٨.
٢) ابن حوقل: صورة الأرض، م. س، ص٧١.
٣) ابن جبير: رحلة ابن جير، م. س، ص١٣، السعيد لمليح: التواصل الفكري والروحي...، م. س، ص١٣٨.
٤) ابن جبير: رحلة ابن جير، م. س، ص٣٨.

السفر ومشاقه، لا أن يكونوا عقبة ومحنة أخرى تضاف إلى المحن والعقبات التي يجدها في طريقه منذ خروجه من موطنه.

ولم يكن يُعفى أي أحد من دفع المكوس والضرائب، ومن لا يقدر على الدفع يتعرض لأشد أنواع العذاب، بل يمكن أن يتعرض للسجن حتى يتمكن أحد من الدفع عنه، أو يبقى في سجنه فترة من الزمن قد تؤدي في بعض الأحيان إلى فوات الحج عنه[١]، وهذا الأمر ينهض دليلاً على تلك الصعوبات الأمنية التي يجدها الحاج والتاجر على حد سواء، والتي تعكس الظلم الذي يقع على المسافرين من قبل سكان البلدان التي تمر بها تلك القوافل.

وعندما يقترب الحاج أو المسافر بصورة عامة من عيذاب، فإن صحراءها القاحلة ومدينتها الحارة وسكانها الغلاظ وميناءها المخيف تقف حجر عثرة في طريق المسافرين، فالذي ينجو من صحرائها المليئة بالضباع، والتي قد يخطئ في عبورها الدليل الماهر[٢]، فإنه لن يسلم من سكان المدينة الذين يبالغون كثيرا في أخذ المكوس والضرائب، ويسيئون في الوقت نفسه لشخص الحاج والمسافر لما يلاقيه من العذاب وسوء المعاملة، ولئن نجى مما سبق فإنه لن ينجو من بحارة المراكب الذين ينقلونهم عبر البحر بشكل مزري وهم يرددون "علينا بالألواح وعلى الحجاج الأرواح"[٣].

ولم تكن الضفة الأخرى لبحر القلزم (البحر الأحمر) – ميناء جدة – والتي ينزل فيها المسافر القادم من عيذاب ليواصل طريقه إلى مكة أفضل؛ فهي كما يقال كالمستجير من الرمضاء بالنار، فالولوج إليها أمر في غاية الصعوبة بسبب كثرة الشعاب[٤]، ثم ما إن تطأ قدما القادم إليها حتى تؤخذ عليه ضريبة إلزامية، ومن لم يقدر من الحجاج على سدادها، كان جزاؤه أن يسجن في جدة، حتى تنقضي أيام الحج ثم يرحّل مع

---

١) الإدريسي: نزهة المشتاق ...، م. س، ج١، ص١٣٥.

٢) ابن الوردي: خريدة العجائب...، ص٤٥، الإدريسي: نزهة المشتاق ...،م. س ج١، ص١٣٢.

٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير، م. س، ص٤٨، الحميري: الروض المعطار...، م. س، ص٤٢٤.

٤) ابن جبير: رحلة ابن جبير، م. س، ص٥١.

الحجاج العائدين إلى ميناء عيذاب[١]، فيرجع الفرد حزينا متأسفا لما حدث له من تضييع لفرصة أداء الحج ذلك العام.

ج-الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي كانت تعيق التنقل بين عُمان وبلاد المغرب:

وبعد استقرار الأمن في بلاد المغرب وانتشار الإسلام في جميع ربوعها ظهرت أخطار أخرى، من بينها الدمار الذي حل ببلاد المغرب جراء ما قامت به قبائل بنو هلال وبنو سليم، الأمر الذي كان له الأثر الكبير على الاقتصاد المغربي العام، وقد تزامن مع هذا الوضع الاقتصادي المتردي، هيمنة المدن الإيطالية والنورمان على التجارة في البحر المتوسط[٢].

كما تعد الأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها بلاد المغرب في بعض الفترات التاريخية عائقا آخر، فقد تعرضت بعض المصادر التاريخية للجفاف والمجاعات التي حدثت في بلاد المغرب في العصور الوسيطة والتي بدورها شكلت العائق الكبير والسد المنيع أمام توجههم إلى بلاد المشرق، ويمكننا معرفة مدى عظم وكثرة تلك المجاعات من خلال الجدول (رقم ٣) التالي:

م	نوع الأزمة	تاريخ وقوعها	المصدر
١	مجاعة	١١٥هـ/ ٧٣٣م	ابن عذاري: البيان المغرب، م. س، ج١، ص٥١.
٢	مجاعة/ قحط	٢٦٠هـ/٨٧٣م	ابن عذاري: البيان المغرب، م. س، ج١، ص١١٦.
٣	مجاعة / قحط	٢٦٦هـ/٨٧٩م	ابن عذاري: البيان المغرب، م. س، ج١، ص١١٧.
٤	وباء وغلاء	٣١٧هـ/٩٢٩م	ابن عذاري: البيان المغرب، م. س، ج١، ص١٩٤.
٥	مجاعة	٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م	ابن عذاري: البيان المغرب، م. س، ج١، ص٢٥٦.
٦	مجاعة	٤٢٥هـ/١٠٣٣م	ابن عذاري: البيان المغرب، م. س، ج١، ص٢٧٥.
٧	مجاعة	٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م	الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٩٤.

١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، م. س، ص١٨.

٢) محمد الشرمان: النشاط الاقتصادي...،م. س، ص٦٢.

٨	مجاعة	٤٦٩هـ/١٠٧٦م	ابن عذاري: البيان المغرب، م.س، ج١، ص٣٠٠.
٩	مجاعة	٤٩١هـ/١٠٩٧م	ابن عذاري: البيان المغرب، م.س، ج١، ص٣٠٢.
١٠	مجاعة	٥٤٣هـ/ ١١٤٨م	ابن عذاري: البيان المغرب، م.س، ج١، ص٣١٣.
١١	مجاعة	٦٠٧هـ/١٢١٠م	محمد الشرمان: النشاط الاقتصادي، م.س، ص١١٨.
١٢	مجاعة / قحط	٦١٦هـ/ ١٢١٩م	محمد الشرمان: النشاط الاقتصادي، م.س، ص١١٨.
١٣	مجاعة / قحط	٦١٧هـ/١٢٢٠م	محمد الشرمان: النشاط الاقتصادي، م.س، ص١١٨.
١٤	مجاعة / قحط	٦١٩هـ/ ١٢٢٢م	محمد الشرمان: النشاط الاقتصادي، م.س، ص١١٨.
١٥	مجاعة / قحط	٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م	محمد الشرمان: النشاط الاقتصادي، م.س، ص١١٨.
١٦	مجاعة/ قحط	٦٣٧هـ/١٢٣٩م	محمد الشرمان: النشاط الاقتصادي، م.س، ص١١٨.

يظهر من الجدول السابق كثرة المجاعات التي وقعت في بلاد المغرب والتي لا يكاد يخلو منها قرن من الزمن، ومن المنطقي أن تقل حركة التنقل خلال تلك الفترات، بسبب الوضع الاقتصادي المتردي واهتمام كل فرد بالبحث عما يسد رمق حياته، كما أن هذا الوضع يُنبئ بتزايد أعداد قطاع الطرق الذين يبحثون هم كذلك عما يقتاتون عليه من خلال التعرض للمارة والمسافرين.

ونظرا لكثرة تلك الظروف، فقد ابتكر سكان جبل نفوسة –التابع للدولة الرستمية– أسلوبا لتفادي تلك السنين، حين قاموا ببناء مخازن للغلال لاستعمالها وقت الأزمات[١].

ومن ضمن العوائق الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعرقل اتجاه الإباضية نحو بلاد المشرق كثرة الثورات التي قاموا بها ضد الخلافة الإسلامية (الأموية والعباسية) التي لا ريب أنها كانت تستنزف الكثير من الأموال، وتؤدي إلى قتل الكثير من الأنفس، ولم

١) مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م.س، ص٣٠٥.

تتوقف تلك الثورات إلا بعد أن تمكنوا من إقامة دولتهم الأولى (الدولة الرستمية) [١].

وكان لسقوط الدولة الرستمية في أيدي الفاطميين وتشتت الإباضية في مناطق شتى من بلاد المغرب، عائقٌ اقتصاديٌ واجتماعيٌ آخر، يعيق الاتجاه نحو المشرق، فبعد أن نعِمَ الإباضية في ظل دولتهم الإباضية بالخير والرفاه الاقتصادي والاجتماعي، وبلغت عاصمتهم تاهرت أوجها الاقتصادي في تلك الفترة من الزمن، يصور لنا ابن حوقل وضعها الاقتصادي السيء المتردي بعد سقوط الدولة الرستمية حين يقول: "وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه، وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء، بتواتر الفتن عليهم، ودوام القحط، وكثرة القتل والموت"[٢]، "وكانت بالأمس القريب مدينة جليلة المقدار، عظيمة الخيرات، حتى سميت "عراق المغرب"[٣].

إن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي ذكرناها آنفا في بلاد المغرب شكلت العائق الكبير أمام أتباع المذهب الإباضي من التفكير في التوجه نحو بلاد المشرق سواء للحج أو لزيارة إخوانهم في عُمان، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف كان الوضع الاقتصادي والاجتماعي في عُمان خلال نفس المرحلة التاريخية ؟

لم تسلم عُمان هي الأخرى من الأزمات الاقتصادية والظروف الاجتماعية التي حتمت على السكان الاشتغال بهموم جمع الطعام، والبحث عن الأمن والاستقرار فقد ظهرت الكثير من الصراعات الداخلية والغزوات الخارجية، ومن المنطقي أن يصاحب الثورات والغزو الخارجي مجاعة وغلاء شديد، فمنذ القرون الهجرية الأولى تعرضت عُمان لعدة حملات من قبل الدولة الأموية بسبب تطلعها الدائم للاستقلال، ومن تلك الحملات الحملة العسكرية التي وجهها الحجاج بن يوسف الثقفي، فبعد أن تمكنت عُمان من صد بعضها، عجزت عن صد المدد الذي جاء من الشام إثر تلك الهزائم التي أوقعها العُمانيون بجيوش الحجاج، وعندما انتصرت تلك الجموع على العُمانيين دخلوا عُمان

---

١) لمعرفة تلك الثورات انظر: الفصل الثاني من الباب الثاني من الدراسة.

٢) ابن حوقل: صورة الأرض، م. س، ص٩٣، مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٢٠٦.

٣) مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٢٠٦.

وعاثوا فيها فسادا ونهبوها. ويصف لنا الإزكوي ذلك بقوله: "ودخل مجاعة وعبد الرحمن[١] بالعسكر إلى عُمان ففعلا فيها غير الجميل ونهباها نعوذ بالله من ذلك"[٢].

وتعرضت عُمان للفوضى والنهب والفساد والظلم عقب مقتل الإمام الجلندى بن مسعود على يد جيوش الدولة العباسية عام (١٣٤هـ/٧٥٠م)، وأصبحت الفوضى والتناحر بين القبائل والقوى الداخلية في عُمان هي السمة البارزة في تلك الفترة التاريخية، فقد قام محمد بن زائدة وراشد بن شاذان ابني النظر الجلندانيان بالسيطرة على زمام الأمور وعاثا ظلما وجورا في البلاد، وقام غسان الهنائي بدخول مدينة نزوى ونهبها وقتل الكثير من الناس فيها عام (١٤٥هـ/ ٧٦٣م)[٣].

ومن أشد المحن التي مرت بها عُمان وأعظمها على سكانها، ما قام به محمد بن نور الذي قاد جيوش الدولة العباسية للسيطرة على عُمان عام (٢٨٠هـ/٩٨٣م)، فعندما تمكن من هزيمة الجيوش العُمانية، دخل البلاد وعاث فيها الفساد، ويصور لنا الإزكوي ذلك الوضع بقوله: "فلما انهزم أهل عُمان رجع محمد بن نور وجعل أعزة أهلها أذلة وقطع الأيدي والأرجل والآذان، وسمل الأعين، وجعل على أهلها النكال والهوان، ودفن الأنهار وأحرق الكتب وذهبت عُمان من أيدي أهلها"[٤]. وهذه الرواية أبلغ دليل على المستوى الاجتماعي السيء الذي آلت إليه البلاد بعد دخول هذه الجيوش، ويوضح أحد الباحثين التأثير الاقتصادي لهذه الحملة على عُمان، حين تعرض لخروج العُمانيين من أهم المراكز التجارية لهم إبان دخول الجيوش العباسية إلى عُمان، فقال: "كما هجر أهل صحار المركز التجاري والإداري المهم في عُمان إلى الموانئ التجارية الشبيهة بولايتهم كسيراف والبصرة وهرمز ليمارسوا أعمالهم فيها وفي ذلك إضعاف للاقتصاد العُماني وقدرته على سد متطلبات أهل عُمان وفقدان للطاقات البشرية النازحة

---

١) "مجاعة هو قائد جيوش الحجاج، وعبد الرحمن هو قائد المدد الذي جاء من الشام إثر هزيمة جيوش مجاعة". لمعرفة المزيد عن هذه الحملة الرجوع إلى الفصل الأول من الباب الأول من الدراسة.

٢) الإزكوي: تاريخ عُمان...، م. س، ص٤٠.

٣) المصدر نفسه: ص٤٣.

٤) الإزكوي: تاريخ عُمان...، م. س، ص٧٥.

من عُمان إلى هذه المناطق"[١]. ولا غرو في أن تؤثر هذه الحادثة على اقتصاد عُمان ووضعها الاجتماعي، مما يؤدي إلى جعل تفكير وهمّ كل عُماني في كيفية طرد هذا المحتل وإرجاع الأمور إلى مجراها ضمن أولوياته، وهو ما قاموا به فعلا بعد فترة وجيزة من خروج محمد بن نور حين قاموا بقتل عامله على عُمان[٢].

وفي عام(٦٧٤هـ/١٢٧٥م) وقع غلاء شديد في عُمان، إثر غزو أهل شيراز لها ودخولهم نزوى ومحاصرتهم لمدينة بهلا، فأعقب خروجهم غلاء شديد[٣]؛ نظرا لما قاموا بها من سياسة سيئة في جمع المال من السكان وتخريب مزارعهم وممتلكاتهم.

وبعد عام واحد من الأحداث الآنفة الذكر، تعرضت نزوى –عاصمة البلاد في تلك الفترة– مرة أخرى لهجوم مباغت من أولاد الريس فدخلوا سوق نزوى وأحرقوه وأحرقوا كل المخازن التابعة للمسجد الجامع، وعرجوا على الكتب فمزقوها وأحرقوها كذلك، ولا شك أن هذا الهجوم أعقبه دمار وضعف اقتصادي بسبب الدمار الذي حدث في السوق وملحقاته[٤].

وفي ختام هذا الفصل يتضح لنا الصعوبات والعوائق التي منعت أو قللت التواصل بين عُمان وبلاد المغرب، التي تعددت وتنوعت بين الطبيعية التي لا دخل للبشر فيها، إلى العوائق التي يكون الإنسان هو السبب الرئيسي فيها، ولا عجب في ظهور تلك الصعوبات والعوائق التي أضعفت التواصل بين عُمان وبلاد المغرب نظرا لطول المسافة وبعد الشقة بينهما، فلا يتجه متجه من بلاد المغرب إلى عُمان أو العكس إلا لأمر يستحق التضحية بالنفس قبل المال، ولذا فإنه ليس كل من توجه نحو المشرق أو العكس كان ضامناً العودة إلى موطنه، فهو إن سلم من مشاق الطريق الطبيعية لم يسلم مما تحويه تلك الصحاري والغابات من قطاع للطرق لا يراعون إلاً ولا ذمة في مسافر، ولعل

---

١) مهدي هاشم، الحركة الإباضية ...، م. س، ص٢٥٣.
٢) الإزكوي: تاريخ عُمان...، م. س، ص٥٨.
٣) الإزكوي: تاريخ عُمان...، م. س، ص٧١، السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٣٥٩.
٤) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٣٥٩.

من الأمور التي تحز في النفس ويندى لها الجبين ما كان يلاقيه المسافر أو الحاج بصورة خاصة من سوء المعاملة من إخوانه المسلمين سواء كان ذلك في الأراضي المصرية أم عندما يتوجه إلى الضفة الأخرى من بلاد الحجاز .

ولكنه وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي يكتنفها الطريق إلا أننا وجدنا تواصلا مستمراً بين المنطقتين ، ولم ينقطع مطلقا ، بل يمكن أن نقول إنه كان يضعف في بعض الأحيان ويزداد في أحيان أخرى ، وهذا دليل على وشائج الصلة وقوة الترابط بين القطر العُماني وبلاد المغرب عبر العصور الإسلامية ، وهو ما سيتناوله الباب الثاني بالدراسة والتحليل .

الباب الثاني

الصلات الثقافية
بين عُمان وبلاد المغرب

الفصل الأول

الرحلات العلمية المتبادلة بين علماء
عُمان وعلماء بلاد المغرب

الرحلات العلمية المتبادلة بين علماء عُمان وعلماء بلاد المغرب

بعد إن طفنا في الباب الأول من هذه الدراسة على فكر التواصل في المذهب الإباضي ثم دوافع التواصل بين القطرين، وأخيرا موانعه، جاء الوقت لندخل في العمق، لنسبر أغوار ذلك التواصل، ونظهر على السطح جوانب مشرقة منه، بقيت شاهدة على عمق العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب، ولا نبالغ إن قلنا أن الجانب الثقافي أخذ نصيب الأسد من ذلك التواصل، ولا عجب في ذلك فقد قيل في الحديث "منهومان لا يشبعان طالبهما طالب العلم وطالب الدنيا"[١]، ومن هذا فقد ظهر تواصل واضح بين المنطقتين في الجانب الثقافي، وحرص منقطع النظير يصاحبه تلهّف كبير للحصول على ما عند الآخر من علم.

ومما سبق فقد تنوعت سبل ذلك الحرص، فمنهم من لم يرض إلا أن يقف بنفسه على تلك العلوم، ورغب في أن يضرب أكباد الإبل، ويُتعب نفسه ويُنفق ماله من أجل أن يبلغ إلى ذلك العالم، ليحظى بالتلقي عنه مباشرة، فنتج عن ذلك ما يسمى بالرحلة في طلب العلم، فما "سلك رجل طريقا يبتغي فيه العلم، إلا سهل الله له به طريقا إلى الجنة"[٢]، ولهذا الصنف سنقف وقفة متأنية في الفصل الأول من هذا الباب، موضحين الرحلات العلمية التي خرجت من عُمان إلى بلاد المغرب أو العكس، بدافع طلب العلم والاستفادة من الآخر، ونبين ما نتج عن هذه الرحلة من لقاءات علمية بين فطاحل علماء المشرق وعلماء المغرب، أو بين أولئك الطلبة المتلهفين إلى ما عند أساتذتهم، الذين ضربوا أروع الأمثلة لصفات طالب العلم التي ينبغي أن يتحلى بها في طلبه.

أما النوع الثاني فقد رضي من حرصه بأن يتواصل مع العلماء بالرسائل، خوف الطريق وما يَعتريه من نَصب وتعب وقلة أمن وقطّاع طرق وغيره، فلا يُعاب على هذا

---

١) الدارمي: الإمام الحافظ عبد الله بن عبدالرحمن، **سنن الدرامي**، تح: فواز أحمد رمزي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، سنة: ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م، ج١، ١٠٨.

٢) المصدر نفسه: ج١، ص١١١.

الصنف إن اكتفى بالرسائل، إذا علمنا أن الحج إلى بيت الله الحرام يسقط للسبب نفسه، أو قد تكون الرسالة في بعض الأحيان مؤدية للغرض، وخاصة إن خرجت من عالم إلى عالم آخر، لا يبتغي بها سوى أن يستفسر عن مسألة أشكلت عليه أو يبحث عن مؤيد لفكرته ومُصْبِغ عليها سمة الاتفاق من عالم آخر، وهذا الموضوع سيكون هو عنوان الفصل الثاني من هذا الباب، وسنتطرق فيه إلى تلك الرسائل التي خرجت من عُمان إلى بلاد المغرب، أو من بلاد المغرب إلى العُمانيين سواء تلقوا هذه الرسائل في موطنهم عُمان أم في البصرة أو بمكة المكرمة، وسنتعرض لنصوص تلك الرسائل قدر الإمكان، وقدر ما تجود لنا به المصادر، موضحين كنه الرسالة وسبب إرسالها وطريقة تعامل المستقبل لها، ثم أثرها على المنطقة التي خرجت منها حين عادت إليها.

وهناك صنف آخر من طلاب العلم رغبوا في الحصول على زبدة ما أنتجته عقول العلماء، ليضيف فكرا إلى فكره وعلما إلى علمه، فأرسل الرسل وأنفق المال ليحصل على كتاب خرج من هناك أو هناك، لعالم أودع فيها مكنونات ما يزخر به عقله، وما منّ الله له به من علم، فعكف على الكتب مطالعا ما تحويه، وهذا هو موضوع الفصل الأخير من هذا الباب، وسنتطرق فيه إلى الكتب المهاجرة من عُمان إلى بلاد المغرب والعكس، كما سنتعرض إلى الآراء التي اقتبسها أو استدل بها علماء المغرب من علماء المشرق أو العكس.

الرحلات واللقاءات العلمية بين علماء عُمان وعلماء بلاد المغرب

لا نستغرب عندما نجد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يولون للعلم جل اهتمامهم، إذ يتلاشى ذلك الاستغراب عندما تقرع مسامعنا أول آية نزلت على معلم البشرية وباني حضارتها محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهي قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]، ومن هذه الآية الكريمة وغيرها من آيات الكتاب العزيز الحاثة على التعلم، التف الرعيل الأول من الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم– حول معلمهم الأول ينهلون من معين علمه، الذي يأتيه من رب العزة وحيا يتنزل به جبريل –عليه

١) سورة العلق: الآية (١)

السلام– إلى قلب نبيهم وحبيبهم محمد – صلى الله عليه وسلم –، وما أن استوعبته عقولهم وحفظته قلوبهم حتى انطلقوا بذلك العلم في مناكب هذه الأرض ينشرونه بهمة ونشاط لا تعرف الكلل ولا الملل، وفي مسامعهم يتردد قول المصطفى – صلى الله عليه وسلم – "بلّغوا عني ولو آية"[١]. فلا غرابة إذن أن تمسّكت شعوب البلدان المفتوحة بطلب العلم؛ نظرا لكون فاتحيها هم جيل الصحابة ومن جاء من بعدهم من التابعين.

وما إن تفتّحت عيون المسلمين الجدد على هذا الدين، حتى توجهوا إلى منبعه الأول، إذ تاقت نفوسهم واشرأبت قلوبهم للتوجه نحو الحجاز، تلك الأراضي التي تشرفت بنزول الوحي، وحظيت بشرف احتضان نبيهم وقدوتهم – صلى الله عليه وسلم –، ليأخذوا هذا الدين غضًّا طريًّا من رعيله الأول، فظهرت الرحلات العلمية منذ تلك الفترة من الزمن، وبعد أن رجع هؤلاء النخبة من بلاد الحجاز إلى موطنهم، قاموا بتبليغ ما تعلموه إلى إخوانهم، ووضعوا يدهم في أيدي الفاتحين لينهضوا بأقوامهم ويخرجوهم من ظلمات الكفر إلى أنوار الإسلام، وعلى إثر هذا قامت نهضة علمية في كل بقاع العالم الإسلامي، ومن بينها بلاد المغرب التي رحل إليها الكثير من العلماء، من بينهم تلك الثلة المباركة التي بعث بها الخليفة عمر بن عبدالعزيز– رضي الله عنه–[٢]، واستمر التواصل العلمي بين بلدان العالم الإسلامي، وكانت الرحال تشد نحو كل عالم يظهر هنا أو هناك في شتى بقاع العالم الإسلامي؛ لينهلوا من علمه، وعلى إثر هذا قامت علاقات ثقافية بين شعوب العالم الإسلامي، وبعد انقسامه إلى دول قامت بين بعض تلك الدول علاقات ثقافية خاصة، كما هو الحال بين عُمان وبلاد المغرب– الذي هو موضوع الدراسة– واستمر هذا التواصل طيلة فترة العصور الإسلامية، "يزور أهل المشرق أهل المغرب ليعرفوا ما هم عليه ويزور أهل المغرب أهل المشرق ليستفيدوا منهم

---

١) الدارمي: سنن الدارمي، م. س، ج١، ص١٤٥.

٢) الخشني: **كتاب طبقات علماء أفريقية**، محمد بن الحارث بن أسد الخشني، وكتاب طبقات علماء افريقية، وكتاب طبقات علماء تونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت، ص٢١، سيدة كاشف: إباضية عُمان...، م. س، ص٢٥١، عبد العزيز المجدوب: **الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، سنة: ١٩٨٥م، ط٢، ص١٩، أحمد إلياس: الإباضية في المغرب...،م. س، ص١٠، بشير التليسي: الاتجاهات الثقافية ...، صص٦٢–٦٤.

العلم"[١]. وسنوضح في هذا الفصل الرحلات العلمية التي حدثت بين عُمان وبلاد المغرب، واللقاءات العلمية التي حدثت بين أقطاب علماء كلا المنطقتين.

١- الرحلات العلمية للعُمانيين إلى بلاد المغرب وما نتج عنها من لقاءات علمية:

سنتحدث في هذا العنصر عن الرحلات التي قام بها العُمانيون، أو كانوا سببا في إنفاذها إلى بلاد المغرب، سواء أكان المنطلق عُمان أم البصرة أم أي منطقة أخرى من بقاع العالم الإسلامي، التي كان يعيش فيها العلماء العُمانيون، وما نتج عنها من لقاءات علمية بين أقطاب علماء القطرين، كما سنتعرض في بعض الأحيان إلى بعض الطلبة المشارقة – من غير العُمانيين – الذين تتلمذوا على أيدٍ عُمانية، وكانت لهم رحلات نحو بلاد المغرب، حاملين معهم لواء الفكر العلمي لمشايخهم وأساتذتهم العُمانيين.

ولعل أول ما يلفت النظر في هذا الصدد أولئك الأشخاص الذين تحمّلوا عبئ توصيل الرسائل التي كان يبعث بها الإمام جابر بن زيد العُماني (ت: ٩٣هـ/٧١١م) إلى أتباعه في بلاد المغرب[٢]، على الرغم من الصعوبات التي كانت تكتنف الطريق، والمراقبة الأموية الشديدة لكل تحركات الإباضية في تلك الفترة، وتعد هذه الرحلة من أوائل الرحلات العلمية بين العُمانيين والمغاربة في القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد. ولا يهم في هذا الصدد حامل الرسالة هل هو من العلماء أم لا، إذ ما يهمنا فيها أن الغرض الأول والأخير منها هو علمي صرف، خاصة عندما نعلم أن معظم الرسائل المتبادلة بين الطرفين هي في أصلها إجابات على مسائل في الدين[٣].

وفي هذا المنحى فإن الرحلة التي سجلتها الكثير من المصادر التاريخية واعتنت بها، بل واعتبرتها الرحلة الأولى من نوعها وبداية للتواصل العُماني المغربي، هي رحلة الداعية

---

١) مقرن البغطوري: **مخطوط سير نفوسة**، نسخه الأستاذ محمود ابن الشيخ المؤرخ سالم بن يعقوب الجربي، سنة النسخ: ١٩٧٤م، لدى الباحث نسخة رقمية من المخطوط، و١.

٢) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب..، م. س، ص٣٧، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٥.

٣) جابر بن زيد: **رسائل الإمام جابر بن زيد**، وزارة التراث والثقافة، روي، سلطنة عُمان، مخ.م.س.ع، الرقم العام (٩١٩٨) والرقم الخاص (٢١٦ ج ر).

الإباضي سلمة بن سعد الحضرمي، وهذه الرحلة كانت رحلة علمية، الغرض منها الدعوة إلى الفكر الإباضي في بلاد المغرب، ولئن كان هذا الداعية يمني الأصل إلا أن منطلق الرحلة كان من البصرة وبإيعاز من زعيم المذهب الإباضي آنذاك الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي[١].

يورد الباحث محمد المنذري أن سلمة بن سعد لم يكون وحيدا في هذه الرحلة بل صحبه وفد كان هو رئيسه، واستدل بقول الشيخ أبو اسحاق أطفيش الذي ورد في مقدمة كتاب الوضع[٢]. ولكن هذا الرأي يتنافى مع النصوص الصريحة التي أوردتها المصادر التاريخية من قدوم سلمة ومعه عكرمة مولى ابن العباس يتعاقبان بعير واحد[٣]، كما أن هذا الأمر لم يكن الأول من نوعه في تاريخ الإباضية فقد بعث الإمام أبو عبيدة أيضا أبا حمزة الشاري داعيا للمذهب الإباضي في بلاد الحجاز[٤].

لم يتوقف الأمر عند هذا الداعية- سلمة بن سعد-، بتبليغ الفكر الإباضي الذي حمله من أساتذته ومشايخه العُمانيين وغيرهم فحسب، بل استطاع بمقدرته العلمية والدعوية من إقناعهم بالفكر الإباضي. تجلى ذلك في إقناع مجموعة منهم للتوجه نحو البصرة للتلمذ على يد زعيم الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي[٥]، وقد تنقل سلمة بن سعد في العديد من مدن بلاد المغرب، وفي كل مدينة يحط رحاله فيها

---

١) أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٤٠-٤١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١١، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص٩٠-٩١، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٣٥، عمرو النامي: دراسات عن الإباضية، م. س، ص١٠٠، ١١١، أحمد إلياس، الإباضية في المغرب ...، م. س، ص٥٧، عبدالعزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية...، م. س، ص١١١، محمد بوحجام: التواصل الثقافي... ، م. س، ص١٢.

٢) انظر: تاريخ صحار...، م. س، ص٣٣٧.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٤١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١١.

٤) الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٤، ص٣٠٢، ناصر الندابي: الإمامة الإباضية في اليمن...،م. س، ص٥٥.

٥) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص١٩-٢٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٩١، سيدة كاشف: إباضية عُمان...، م. س، صص٢٧٥- ٢٧٦، عمرو النامي: دراسات عن الإباضية، م. س، صص١٠٠- ١٠١، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٣.

كان يعقد فيها لقاءات متواصلة مع سكانها، وهو ما نتج عنه تلك البعثة التي أرسلها إلى البصرة، "إذ ضمت طالبا من المغرب الأوسط، وثانيا من المغرب الأدنى، وثالثا من طرابلس، مع ابن رستم وهو فارسي الأصل قيرواني المنشأ"[١].

وركّز هذا الداعية جهوده في قبائل البربر، وكثّف من لقاءاته واحتكاكه بهم، وأبرز تلك القبائل قبيلتا هوارة ونفوسة، وقد وجد آذانا مصغية من البربر؛ نظرا للفكر التسامحي الذي يدعو إليه، ودعوته إلى مقاومة الظلم ونشر العدل بين المسلمين والمساواة بينهم، وإلغاء الطبقية بين الجنس العربي والجنس البربري[٢].

ومن هذا يتضح أن هذه الرحلة كانت علمية، وأثمرت نتاجا علميا واسع النطاق، بفضل النقلة الثقافية التي أحدثها هؤلاء الطلاب بعد عودتهم إلى بلادهم بعد أن قضوا نهمهم من العلم في البصرة كما سنفصل.

وقبل الانتقال إلى الأعمال العلمية التي قام بها هؤلاء الطلاب في بلاد المغرب ودورهم في تشجيع الرحلات العلمية بين الطرفين، ينبغي علينا التأكيد على الدور الذي قام به الولاة المهالبة العُمانيون في التواصل الثقافي بين عُمان وبلاد المغرب وفي تشجيع بعض العلماء على الارتحال معهم من المشرق إلى بلاد المغرب؛ نظرا لطول المدة التي قضوها في هذه الولاية، والتي استمرت قرابة ثلاثة وعشرين عاما[٣]، ومثّل الوالي عمر بن حفص بن عثمان المهلبي الأزدي (ت: ١٥٤هـ/ ٧٧١م) -أول ولاة المهالبة على بلاد المغرب [٤]- الذي من المحتمل أن يكون قد اصطحب معه عند خروجه من المشرق عدداً من العلماء من بني جلدته؛ ليستنير بهم في إدارة شؤون الولاية، وليكونوا عونا له في تثبيت أركان سلطته، وتعليم الناس أمور دينهم، ولئن صحتْ هذه الاحتمالات فإن هذا يعد

---

١) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٥٣.

٢) أحمد إلياس: الإباضية في المغرب...، م. س، ص٢١، سيدة كاشف: إباضية عُمان...،م. س، ص٢٨٣، ٢٧١، عبدالعزيز المجدوب: الصراع المذهبي بأفريقيا، م. س، ص١١١.

٣) ابن عذاري: البيان المغرب..، م. س، ج١، ص٨٨ .

٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٥، ابن عذاري: البيان المغرب..، م. س، ج١، ص٧٥، الزاوي: تاريخ الفتح العربي..، م. س، ص١٨٥.

من أهم الرحلات العلمية الجماعية العُمانية إلى بلاد المغرب .

ولم يكن عمر بن حفص المهلبي الوحيد في هذا المنحى فقد برز أيضا الوالي يزيد بن حاتم المهلبي (ت: ١٧٠هـ / ٧٨٦م) الذي أولى اهتماما بالعلماء وطلاب العلم ، وكان بلاطه "زاخرا بالعلماء والأدباء كما هو شأن الولاة الآخرين ، فاستقدم عددا كبيرا منهم"[١] . كما ارتحل إليه آخرون ، لينعموا بهذا الاهتمام من لدن هذا الوالي[٢] ، ومن بين أولئك العلماء: العالمان العُمانيان: إبراهيم بن قطن المهري ، وأبو الوليد عبدالملك بن قطن[٣] ، بل إن أحد أحفاد هذا الوالي كان من علماء اللغة والأدب ويدعى محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن يزيد بن حاتم المهلبي[٤] ، ومن المنطقي أن تكون هناك لقاءات علمية بين هؤلاء العلماء وعلماء السكان الأصليين المغاربة في القيروان وما حولها من مدن .

وبعد دور المهالبة يأتي دور حملة العلم إلى بلاد المغرب الذين وجههم سلمة بن سعد للدراسة على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، فما إن عادوا إلى موطنهم حتى بدأوا يبثون ما تعلموه إلى إخوانهم وأقربائهم ، ومن أهم الإنجازات التي تحققت على يد أولئك الطلبة هو قيام الدولة الرستمية التي أسسها أحدهم ويدعى عبدالرحمن بن رستم ، وكان لهذه الدولة اليد الطولى في التواصل الثقافي بينها وبين عُمان ، وتشجيع الرحلات العلمية بين علماء القطرين ، وعندما تمت مبايعة عبدالرحمن بن رستم إماما وحاكما لهذه الدولة ، و" اشتهر عدله واتصلت أخباره بذلك ، وتواترت أخباره بالمشرق والمغرب بعث له أهل البصرة بثلاثة أحمال مال"[٥] . وتدل هذه المساعدة على عمق العلاقة بين أولئك الطلاب وبين مشائخهم وأساتذتهم في البصرة ، ويتضح من

---

١) يوسف حوالة: الحياة العلمية في إفريقية...، م. س، صص١٠٨-١٠٩.

٢) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص١٢٦، محمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية...، م. س، صص١٠٨-١٠٩، محمد المنذري: علاقات عُمان الخارجية...، م. س، صص٣٤٢-٣٤٣.

٣) محمد المنذري: علاقات عُمان الخارجية....، م. س، ص٣٤٣.

٤) رجب عبد الحليم: الإباضية قي مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، ص٤٩.

٥) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٥.

هذا النص الآنف الذكر، أن هدف هذه البعثة هو المساعدة المادية لهذه الدولة الوليدة لكي تقوم على قدميها وتحافظ على الوجود الإباضي في بلاد المغرب.

ويبدو للقارئ لأول وهلة أن هذا المدد كان ماديا صرفا، إلا أن قراءة متأنية في الروايات، تُظهر أنه كان في الوقت نفسه رحلة علمية، فقد تزعمه نفر من علماء المذهب الإباضي في البصرة، إذ لم يكن هدف حاملي هذه المساعدة هو إيصالها إلى الدولة الرستمية فحسب، بل كان الهدف الأساسي هو معاينة هذا الأمر عن قرب ومعرفة مدى استحقاق عبدالرحمن بن رستم هذه المساعدة والتأكد من صحة ما اشتهر عنه من عدل وتقوى وورع، ويتضح هذا الأمر من النص الحواري الذي يورده ابن الصغير بقوله: "وقال بعضهم لبعض: قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلا، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلا، فانهضوا بما معكم من هذه الأموال حتى ترِدوا المدينة التي سكنها، فإن كان على ما نقل لنا من حسن طريقته وصحة سيرته فادفعوها إليه، وإن كان على غير ذلك فانظروا إلى أفعاله وما يتولاه من أحكام بين رعيته ثم آتونا بذلك كله"[١]، ولهذا فإن أعضاء هذا الوفد بمجرد ما بلغوا الدولة الرستمية ووصلوا إلى مشارف مدينة تاهرت – العاصمة الرستمية– " خلّفوا المال بخارج المدينة"[٢] لينظروا في الأمر ويتأكدوا منه.

ويظهر مما سبق أيضا، أن الوفد كان قادراً على اتخاذ القرار في شأن عبدالرحمن بن رستم وهل هو مستحق للمال أم لا، دون الرجوع في ذلك إلى مركز الدعوة في البصرة، ولا يتأتى هذا إلا بوجود العلماء الثقات العارفين بدقائق أمور المذهب الإباضي، وقد وضحت هذه المقدرة في سرعة اتخاذ القرار، فبعد أن رأوا ما تقر به أعينهم من الصفات والخصال الحسنة لهذا الإمام ومدى تواضعه " فقالوا له: نحب أن تأذن لنا حتى نخلو فيما بيننا ثم نكلمك بعد ذلك فقال: افعلوا، فجلسوا نجيا فقال بعضهم لبعض يكفينا من السؤال ما رأينا من إصلاحه لداره بنفسه ومطعمه وملبسه

١) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٢.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٥.

وحلية بيته، فما نرى إلا أن ندفع إليه المال"[١]. فهذا النص يوضح وجود هذه النخبة من العلماء التي صحبت هذا الوفد وكانت قادرة على اتخاذ القرار بصورة سريعة.

ويعزز هذا الأمر ويدّعمه – من وجود هذه النخبة من العلماء في هذا الوفد– أنهم بمجرد ما وصلوا إلى البصرة وأخبروا أصحابهم بما عاينوه من صفات حسنة وشخصية عادلة لهذا الإمام، وثقوا في قولهم ولم يشك أحد في ذلك، وتُرجمت هذه الثقة في إيفاد المدد الثاني إلى تاهرت، وبنفس الأشخاص الذين خرجوا بالمدد الأول، وهذا يدل على عظم الثقة في ذلك الوفد وفي علمائه الذين صحبوه[٢].

ولا يستبعد أن يكون بعض أولئك العلماء هم من العُمانيين الذي استوطنوا البصرة، وهو الأمر الذي لم تسعفنا به المصادر التاريخية والفقهية، ولكن الأمر الذي يرجح إمكانية المشاركة العُمانية في هذه الرحلة هو أن معظم زعامات المذهب الإباضي كانوا من العُمانيين من لدن مؤسس المذهب الإمام جابر بن زيد وحتى انتقال مركز ثقله إلى عُمان بقيادة الإمام الربيع بن حبيب العُماني، تخللتها بعض الشخصيات غير العُمانية من أمثال أبو بلال مرداس بن حدير والإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، علما أن المذهب الإباضي شكّل جسر تواصل بين بلاد المغرب وعُمان كما سبق الذكر.

وقد حدثت لقاءات علمية بين علماء هذا الوفد وعلماء المغرب، وقد تجلّت تلك اللقاءات العلمية في المساعدة المالية الثانية بصورة أوضح، وبينت لنا النصوص حدوث ذلك اللقاء من خلال تصريحها ببعض العبارات التي تدل عليه، فعندما وصل هؤلاء العلماء – في المدد المالي الثاني– إلى تاهرت وجدوها قد تغيرت وظهرت فيها المساكن الفارهة، ووجدوا أن الناس قد تغيّر حالهم من الفقر إلى الغنى، فارتابهم خوفا من

---

١) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٤، عند أبي زكريا "استأذنوه أن يتناجوا عنه، فأذن لهم، فتناجوا عنه فيما بينهم وأجمع رأيهم على أنهم راضون عنه، فاتفقوا أن يدفعوا له المال". انظر: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٨٤، وعند الدرجيني"استأذنوا للتنحي عنه للنجوى، فأذن لهم فتناجوا واتفقوا أن يدفعوا له المال". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٥. وعند الشماخي"فلما أكلوا خلصوا نجيا" السير، م. س، ج١، صص١٢٥–١٢٦.

٢) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٨، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٨٤، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٥، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٦.

تغير سيرة الإمام عبدالرحمن وتبدّلها، فكان الحل للوصول إلى معرفة مدى تأثر الإمام بهذا التغير من عدمه هو الالتقاء بالعلماء الذين يمكن أن يقولوا كلمة الحق في ذلك، قبل التوجه نحو الإمام، وهو ما قام به الوفد فعلا فقد "لقوا رجالا ممن يثقون بهم في دينهم ويسند إليهم في أمورهم فسألوهم عن أحوال عبدالرحمن هل تغيرت، وعن أحكامه هل تبدلت، فقالوا: بل هو على ما عاينتموه عليه ما تغيّر ولا تبدّل"[١] ويتضح من هذا النص أن الوفد قد التقى بهؤلاء العلماء منذ المدد الأول وأنه كانت بينهم لقاءات وحوارات اقتنع من خلالها الوفد بمدى ثقتهم وعلمهم في الدين، ولهذا توجهوا إليهم مباشرة دون غيرهم من الناس.

كما أن هناك حوارات دارت بين هؤلاء العلماء والإمام عبدالرحمن بن رستم، فقد "سألهم عن أحوالهم هل هم مستضعفون أم هم مستظهرون، وهل في سائرهم فقراء أو أصحاب فاقة، أم لا، فأعلموه أنهم مستترون غير ظاهرين وأنهم مستضعفون غير قادرين، وأن بجماعتهم مثل ما بجماعة الناس من الغنى والفقر"[٢]. ويظهر من هذا النص الحواري بعض المسائل الفقهية التي ناقشها عبدالرحمن بن رستم مع هذا الوفد، وهي المسائل التي يطلق عليها الإباضية بمسالك الدين، وهي إمامة الظهور وإمامة الكتمان وإمامة الشراء وإمامة الدفاع، وسألهم على أي حال هم فأوضحوا أنهم في حالة الكتمان، ويتضح من ذلك أن هناك مسائل أخرى تمت مناقشتها لا تسعفنا المصادر على معرفتها، وخاصة كون عبدالرحمن بن رستم من علماء الإباضية، الذين شهد لهم الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فعندما قال له حين عودته إلى بلاده: "افتِ بما سمعت وما لم تسمع"[٣]، بينما قال لزميله أبي الخطاب " افتِ بما سمعت مني"[٤] وقال لزميلهم الثالث أبي داود القبلي: "لا تفتِ بما سمعت مني ولا ما لم تسمع"[٥] فهذا شهادة

١) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٨.
٢) المصدر نفسه: ص٣٩.
٣) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٩.
٤) المصدر السابق.
٥) المصدر نفسه.

من أستاذه بزّ فيها جميع أقرانه الذين درسوا معه، فيتضح من هذا أن عبدالرحمن بن رستم كان حريصا على اغتنام هذه الفرصة، من وجود هؤلاء العلماء بين يديه ليتدارس معهم بعض المسائل الفقهية، كونهم قادمين من البصرة التي يوجد بها أغلب علماء المذهب الإباضي العُمانيين وغيرهم، ولعل بعضهم كان في هذا الوفد، كما أنه من المنطقي أن تكون هناك أسئلة أخرى طُرحت في هذا اللقاء كون مجالس العلماء شأنها لا تخلو من سائل يسأل، أو مُستمع يَتلقى العلم، أو مسألة تُناقش.

ومن الرحلات العلمية التي خرجت أيضا من المشرق إلى بلاد المغرب، رحلة العلامة أبي غانم الخراساني[1] الذي تتلمذ على يدي طلاب الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، والذين كان معظمهم من العُمانيين، فجاز على جبل نفوسة، وأودع عند عمروس بن فتح كتابه الموسوم بالمدونة، ثم توجّه إلى تاهرت للالتقاء بالإمام عبدالوهاب الذي بويع بالإمامة (١٧١هـ/٧٨٨م – ٢٠٨هـ/٨٧٢م) عقب وفاة أبيه عبدالرحمن بن رستم[2]، وإنّ حمل أبو غانم لكتابه في هذه الرحلة، فيه دلالة على الهدف الذي من أجله شدّ الرحال إلى بلاد المغرب، وهو الأمر الذي يضفي عليها الصبغة العلمية، كما أن توجهه مباشرة إلى جبل نفوسة وبالأخص إلى الطالب النجيب الشغوف بالعلم، عمروس بن فتح يؤكد هذا الأمر ويعززه.

أما بالنسبة للقاءات العلمية التي حدثت بين هذا العالم وعلماء المغرب فقد تمثلت في

---

١) هو العلامة أبو غانم بشر بن غانم الخراساني (ت: ق ٣هـ) من خراسان. قدم البصرة لتلقي العلم على يد أئمة علماء الإباضية وخاصة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، من آثاره: المدونة. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية... ،م.س، صص٦٨–٦٩.

٢) الوسياني، **سير الوسياني**، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بو عصبانة، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط١، ج١، صص ٢٣٤–٢٣٥، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٢٣، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٩٤، عمرو النامي: دراسات عن الإباضية، م. س، ص١١٧، صص١٣٣–١٣٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٨٩، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٨، صالح باجيّه: **الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية** (بحث تاريخي مذهبي) دراسة للحصول على شهادة الكفاءة للبحث العلمي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، سنة: ١٩٧٦م، ط١، ص٥٤، محمد بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٣٦، ص٤٩.

الالتقاء بعلماء جبل نفوسة، ولا تسعفنا المصادر بأسماء هؤلاء العلماء الذين جلس إليهم أبو غانم، ولكن يمكن أن نستشف من خلال إيداع أبو غانم مدونته عند عمروس بن فتح (ت: ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) أن الأول كان يتفرّس في هذا الطالب النجابة وحب التعلم، ولا يتأتى هذا الأمر إلا من خلال الأسئلة والمناقشات التي كان يطرحها عليه، واحتفاء عمروس وإصغائه لأبي غانم، كما يغلب على الظن أن التقاء أبي غانم بالإمام عبدالوهاب فيه مظنة حدوث نقاشات علمية لكون الرجلين من علماء المذهب.

وتزودنا المصادر التاريخية برحلة علمية أخرى خرجت من بلاد المشرق ولكنها للأسف لا تحدد المنطلق الذي خرجت منه، هل من عُمان أم البصرة أم غيرها من البلدان التي يستوطنها الإباضية، إلا أن هذه المصادر توضح أن هذه الرحلة كانت رحلة علمية قام بها رجل من علماء المشرق الإباضية، كما صرح بذلك الشماخي أنه كان من المشائخ [١]، وكان الهدف من هذه الرحلة " يتمثل في الاطلاع على مستويات علماء المغرب"[٢]، فنزل أولا جبل نفوسة ثم توجه نحو تاهرت، وعندما بلغ تاهرت سأله الناس عن الجبل فقال :" الجبل هو أبو زكرياء[٣] وأبو زكرياء هو الجبل، وأما أبو مرداس فكالغزال نفسي، نفسي، وأما أبو العباس ففتى مقر عيني" [٤] ولما كرَّ راجعا

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٢. "اختلفت المصادر في عدد هذا الوفد، وانفرد الشماخي بقوله أنهم كانوا رجالا". انظر: السير، ج١، ص١٤٥، ١٥٢. أما بقية المصادر فتروي بأنه رجلا واحدا فقط، ومن هذا لا يمكن التعويل على قول الشماخي؛ لأنه من المتأخرين مقارنة بالمصادر الأخرى التي خالفته. انظر: أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٥، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، صص٢٩٣-٢٩٤، وهو القول الذي أخذ به الدكتور بوتشيش: انظر: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٢، بينما أخذ الباحثان فرحات الجعبيري ومحمد بو حجام بقول الشماخي. انظر: العلاقة بين إباضية المغرب، م. س، ص٩٣، التواصل الثقافي...، م. س، ص٢٩.

٢) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٩٤.

٣) هو أبو زكريا يصليتن التوكيتي نسبة إلى قرية توكيت، من علماء القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي. قال عنه الدرجيني: "كان عَلمًا لكلِّ الفضائل، ومعلمًا لكلِّ ناهل، كان مرجعَ أهل جبل نفوسة في النوازل، يفتي للناس فيما استجدَّ من الأمور، وكان الساعد الأيمن لواليها أبي عبيدة عبد الحميد الجنَّاوني، في عهد الإمام عبد الوهَّاب بن عبد الرحمن بن رستم فيما يعرض على الوالي من القضايا العلميَّة والسياسيَّة. شهد له الإمام عبد الوهَّاب بالعلم لمَّا أرسل إلى واليه قائلاً: "وإن كنت ضعيفًا في العلم فعليك بأبي زكرياء يصليتن التوكيتي" انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، م. س، ج٢، ص٣٧٠.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٥.

نحو الجبل سأله الناس عن تاهرت فقال لهم: "ليس بها أحد غير الإمام ووزيره، مزور بن عمران"[١] ويؤكد هذان النصان على نوع هذه الرحلة وأنها كانت رحلة علمية، فلم يتعرّض هذا الرجل عند إجابته على أسئلة الطرفين إلى النشاط التجاري الذي عاينه في تاهرت أو إلى النهضة العمرانية التي بلغت أوجها في عصر الدولة الرستمية[٢]، وإنما كانت إجابته تنصب في إيضاح النهضة الثقافية فقط، وإن كل ما وصلت إليه الدولة من تطور مادي لا يعنيه وليس من رواده أو المعجبين به.

وقد عقد هذا العالم عدة لقاءات قصد من خلالها التعرف على أبرز العلماء في الدولة الرستمية بصورة عامة، وحتما لا يمكن حدوث ذلك إلا بعد أن يختبر ما تحويه عقولهم من علم، وأنفسهم من تقوى وورع، ويفهم هذا الأمر من النص الذي أورده أبو زكريا عنه حين قال: "فجاز الجبل وتفحص أهله وتأملهم وتوجه إلى الإمام بتاهرت فلما وصلهم تصفح أهلها وتفرسهم"[٣]. فهذا النص يدل على أن هناك لقاءات كثيرة عقدها هذا العالم مع علماء الجبل وتاهرت ليتمكن في الأخير من إصدار حكمه فيهم، وبعد هذه اللقاءات والحوارات والنقاشات مع علماء الدولة الرستمية، ترشّح لديه ثلاثة علماء من الجبل، ومن العاصمة تاهرت لم يختر سوى الإمام ووزيره كأفضل علماء العاصمة[٤].

ولئن كانت تاهرت ومدن الدولة الرستمية بلغت شأوا كبيرا في التطور فإن ذلك كله كان بفضل العلم واهتمام أئمتها به، فقد شُهر عن الأئمة الرستميين اهتمامهم بالعلم وطلابه، بل كانوا هم أنفسهم من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان في أرجاء الدولة الرستمية، وكانت مجالسهم تعج بالعلماء وطلاب العلم، يقول أبو زكريا في ذلك: "وكان بيت الرستميين بيت العلم في فنونه من الأصول، والفقه، والتفسير،

---

١) يقصد بالإمام هنا عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم. أنظر: أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٥، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج٢، ص٢٩٤.

٢) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٨، صص٤٠-٤١.

٣) سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٥.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٩٤، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٢، ١٤٥.

وعلم اختلاف الناس، وعلم النحو والإعراب والفصاحة وعلم النجوم"[١]. ومن هذا المنطلق فإن هذه المجالس العلمية جذبت إليها الطلاب من المغرب والمشرق، إذ تروي لنا المصادر التاريخية عن وجود أحد طلاب العلم من المشارقة في مجلس الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم[٢]، وهذا يوضح أن هذا الرجل جاء لطلب العلم على يد هذا الإمام.

ويروي الشماخي حوارا دار بين هذا المشرقي والإمام، فقد كان الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن يعظّم أحد علماء جبل نفوسة ويدعى أبو مرداس مهاصر السدراتي من علماء القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد كان قصيرا[٣]، فتسائل المشرقي عن سبب هذا التعظيم فرد عليه الإمام: "كيف لا أجل من تجله الملائكة، ولا أعرف في الدنيا مثل هذا إلا رجلا بالمشرق، وهذا أرجح منه يسيرا"[٤]. وبعد مناقشات دارت بين العلامة أبي مرداس وبين الحاضرين لهذا المجلس خرجوا باتفاق أنهم لا يعلمون أحدا أعلم منه بالمشرق والمغرب[٥]، وهذا دليل على تلقي هذا المشرقي العلم على يدي الإمام عبدالوهاب، ومشائخ الجبل.

ويظهر من رواية الشماخي السابقة أن هذا الرجل المشرقي هو نفسه الذي جاز الجبل وذهب إلى تاهرت وفاضل بين العلماء في الدولة الرستمية، وهو الأمر الذي رجّحه رجب عبد الحليم وبوحجام إذ لم يفرقا بين ذلك المشرقي المفاضل ولا بين هذا الرجل الذي كان في مجلس عبدالوهاب[٦]، ولكن هناك تناقض بسيط في هذه الرواية إن صح أن هذا العالم هو شخص واحد في الروايتين، وهو كيف يليق بعالم قد بلغت منزلته من العلم والتقوى والورع، أهلته أن يفاضل بين علماء الدولة الرستمية بأكملها،

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٩٩.
٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٢، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٩٥.
٣) السير، م. س، ج١، ص١٥٢.
٤) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٢.
٥) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٢، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٩٥.
٦) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقاتهم...، م. س، ص١٤٤، التواصل الثقافي..، م. س، صص٢٩-٣٠،

أن يزدري رجلا سواء أكان عالما أو غيره لأنه قصير القامة؟!.

استمرت الرحلات العلمية من بلاد المشرق طيلة عهد الدولة الرستمية، بل بلغت هذه الرحلات أوجها في هذه الفترة، فبالإضافة إلى الرحالات السابقة التي ذكرناها تأتي رحلة أخرى (ق ٤هـ/ ١٠م)[١] عقب سقوط الدولة الرستمية، وهذه الرحلة كانت لأحد العلماء الإباضية يدعى ابن الجمع[٢]، قدم إلى بلاد المغرب تاجرا، فنزل أول أمره في مدينة (توزر) ثم استقر به المقام في مدينة سجلماسة[٣]، وتتلمذ على يديه عدد من أشهر علماء الإباضية في بلاد المغرب من أمثال الشيخ أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي[٤]، والشيخ أبي يزيد مخلد بن كيداد[٥] صاحب الثورة الكبرى ضد الفاطميين[٦]، وقد قدم ابن الجمع قاصدا بلاد المغرب الأقصى بالذات، فقد مكث فيها

---

١) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٦٦، محمد بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٣٧، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم، م. س، ص١٥١، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان...، م. س، ص١٥٥.

٢) لم تذكر لنا المصادر أكثر من ذلك فيما يتعلق باسمه، بل واختلفت فيما بينها، منها من ذكر بأنه يدعى ابن الجمعي. انظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، م. س، ج١، ص١٠٩، ومنها من اتفق على تسميته بابن الجمع. انظر: أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص١٩٣-١٩٤، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٢٣٧.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٩٣، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج١، ص١٠٩، الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص٢٣٧، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، صص١٦٥-١٦٦، نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي...، م. س، ص١٥٨.

٤) هو أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي من علماء القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي، من نفوسة تابديوت بليبيا أحد العارفين والعلماء البارزين، كان ذكيا مجتهدا في فنون العلم ترك ديوانا يسمى ديوان أبي الربيع، روى عنه ابن سلام وفي ذلك يقول: "رويت الحديث من ولاية أبي حاتم من أوله إلى أخره عن سليمان بن زرقون" انظر: الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٢٣٧، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، صص١٦٦-١٦٧.

٥) هو أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكاري، ثائر من زعماء الإباضية وأئمتهم إمازيغي الأصل كان يغلب عليه الزهد ولد ونشأ في قسطيلية وكانت تابعة لتزور، وسافر إلى تاهرت معلما للصبيان، ثم أخذ بالحسبة وتغيير المنكر سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م ولما مات المهدي الفاطمي عام ٣٢٢هـ/٩٣٤م خرج بناحية جبل أوراس. انظر: الزركلي: الأعلام...، م. س، ، ج٧، ص١٩٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، صص١٦١-١٦٢.

٦) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٩٤، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج١، ص١٠٩، الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص٢٣٧، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م.

حتى وافته المنية في مدينة سجلماسة، ومكث طيلة حياته معلما لأهلها، وبعد وفاته أوصى بجميع مكتبته إلى تلميذه أبي الربيع سليمان بن زرقون[١]. فيتبين من هذا أن هذا العالم قد قدم إلى بلاد المغرب وهو محمّل بعدد كبير من الكتب والمصنفات، وهذا دليل جلي على هدفه الذي من أجله تكبد المشاق والصعاب، فلا شيء سوى العلم وتبليغه إلى الناس، وما امتهانه لمهنة التجارة إلا ليبلغ مأربه وغايته هذه.

وبعد وفاة ابن الجمع في مدينة سجلماسة، توجه تلميذه النجيب أبو الربيع نحو مدينة قسطالية "فطفق الناس يسألونه عن فنون العلم فكل من سأله أجاب، واضطربت قسطالية كلها من أجله، وكان لها رجل مؤدب قبل ذلك لأبي الربيع في صغره قبل أن يتعلم، لم يتماسك أن يقول: إنما قرأ عندي وأنا علمته ويكرر ذلك أينما جاز"[٢]، كما أن أبا الربيع قد تمكن من تكوين شخصية محبوبة ومحترمة بين أهالي مدينة سجلماسة، وقد رجعوا إليه بعد خروجه عنهم في مسألة شائكة ورأوا أن لا حل لها إلا بالرجوع إليه، ويروي لنا الدرجيني هذه القصة حين قال: "وبلغنا أن أهل سجلماسة بعد انفصال أبي الربيع عنها اختلفوا في مسألة حتى تفاقم الأمر بينهم وكادوا يقتتلون، ثم أنهم رضوا بأن يوجهوا رسولين بسؤالهم عن المسألة المذكورة إلى أبي الربيع، فما أجاب به فيها وقفوا عنده وعملوا به، فقدم الرسولان بالسؤال فأجاب الربيع في المسألة بجواب قطع اختلافهم وأوجب ائتلافهم" [٣]. ومن هذا يتضح جهود العالم ابن الجمع في تنشئة أبي الربيع وحسن تدريسه وتربيته له.

وإذا كانت المصادر قد أشارت ولو إشارات خفيفة لهذا العالم الذي جاء من المشرق (عُمان أو البصرة)[٤]، إلى المغرب بصفته تاجراً، فإن هناك علماء آخرين لم تتعرض لهم

س، ص١٦٦.

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٩٤، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١١٠، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٢٨، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢١.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص١٩٣-١٩٤.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج١، صص١١٠-١١١.

٤) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم، م. س، ص١٥٠.

المصادر التاريخية لا من قريب ولا من بعيد، إلا أنها تتعرض للعلماء الذين تتلمذوا على يديهم، وتتعرض كذلك إلى تأثيرهم على الحركة العلمية في بلاد المغرب وتعميق الصلة الثقافية بين البلدين، وإن اشتغالهم بالتجارة لم يمنعهم من تعليم الناس في الطريق، وبهذا فقد تواءمت رحلتهم التجارية مع الرحلة العلمية، ويعد العلامة عمر بن يكتمن[١] أحد الذين تتلمذوا على يد هؤلاء[٢]، يقول ابن سلام: "إن عمر بن يمكتن إنما تعلّم القرآن من طريق مغمداس يتلقى فيها من رفاق العرب من المشرق، فيكتب عنهم لوحه من القرآن وينصرف، فإذا درس ما كتب وتعلّم رجع إلى المحجة، فيكتب من المارة الرفاق لوحة وينصرف؛ فأدى به ذلك التعلم للعلم والقرآن"[٣]. وما هذا العالم إلا مثال على جهود أولئك العلماء التجار، الذين لم يألوا جهدا في تعليم الناس في كل مكان يحطون رحالهم فيه لبيع بضاعتهم، وإن هذه الطريقة التي يصفها الدكتور بوتشيش "بالطريقة الفريدة والذكية"[٤]، والتي كان يتبعها أهل جبل نفوسة، لهي دليل على حرصهم الشديد على التعلم بأي وسيلة كانت، ولعل من بين هؤلاء التجار القادمين من المشرق، التجار العُمانيين الذي اشتهروا عبر تاريخهم بالتجارة في شتى أرجاء المعمورة.

وقد بلغ عمر بن يمكتن النفوسي منزلة من العلم، إذ يروي ابن سلام بأنه كان"عالما من علماء المسلمين"[٥]، وقد كان لهذا العالم دور في الحركة الثقافية في الجبل من خلال عقده لحلقات التعليم، ويذكر ابن سلام وينقل عنه الشماخي أن هذا العالم كان أول من علّم القرآن بجبل نفوسة قبل عام ٢٤٠هـ[٦]، إلا أن هذا الأمر يتناقض مع

---

١) وهو العلامة عمر بن يمكتن، من أعلام جبل نفوسة بليبيا، عينه الإمام أبو الخطاب المعافري واليا على سرت وشارك معه في معاركه منها معركة مغمداس عام ١٤٢هـ، ومعركة تاورغا سنة ١٤٤هـ، التي استشهد فيها مع أبي الخطاب. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية....، م. س، ج٢، ص٣١٤.

٢) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م.س، ص١٥٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٧، رجب عبدالحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م.س، ص١٤٩، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٧.

٣) الإسلام وتاريخيه...، م. س، ص١٤٩، ونقل عنه الشماخي في كتابه السير: انظر: ج١، ص١٢٧.

٤) التواصل الحضاري...، م. س، ص١٧.

٥) الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٤٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٧.

٦) انظر: الإسلام وتاريخه، م. س، ص١٤٩، السير: م. س، ج١، ص١٢٧.

الروايات الأخرى التي تروي لنا أن الداعية سلمة بن سعد الحضرمي قدم الجبل في بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وكان يدير تحركاته الدعوية من خلال جبل نفوسة وقد جعله مقرا له، فلا يعقل أنه لم يكن يعلّم الناس القرآن[١].

أما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي يمر العلامة العُماني الطبيب أبو محمد عبدالله بن محمد الأزدي الصحاري (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) بالأراضي المغربية، وهو في طريقه إلى بلاد الأندلس، إلا أن المصادر لا تذكر لنا أي شيء عن لقاءاته العلمية في بلاد المغرب، ويعد كتابه "الماء" أول معجم طبي لغوي في التاريخ، وهو تلميذ الطبيب الكبير ابن سينا[٢].

وفي القرن القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، تبوح لنا المصادر بوجود العالم العُماني أبي الإصبع إبراهيم بن عيسى الأزدي، في مدينة سجلماسة، وعاش فيها حتى وافته المنية في عام (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)[٣].

وتولى أبو الأصبع منصب القضاء في مدينة سجلماسة، وبطبيعة مجلس القضاء أنه لا يخلو من العلماء الذين قد يستعين بهم القاضي في بعض القضايا الشائكة، وهو الأمر الذي يدل على إمكانية حصول لقاءات علمية بينه وبين علماء مدينة سجلماسة في مجلسه القضائي[٤].

ولم تتوقف الرحلات العلمية العُمانية إلى بلاد المغرب عند انتهاء العصور الإسلامية الوسطى– فترة الدراسة– ففي القرن التاسع الهجري يشد العلامة العُماني محمد بن

---

١) لمعرفة جهود هذا الداعية انظر: الشماخي: السير، م. س، ج١، صص٩٠–٩١، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٣٥، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٤٧، أحمد إلياس: الإباضية في المغرب العربي، م. س، ص٥٧.

٢) الأزدي: أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري: **كتاب الماء**، تح: هادي حسين حمودي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ط١، صص١٣–١٤.

٣) ابن الأبار: **المقتضب من تحفة القادم**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، سنة: ١٩٨٢م، ص١٨٤، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٢.

٤) ابن الأبار: المقتضب...، م. س، ص١٨٤، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٢.

عبدالله السمائلي الرِحال إلى بلاد المغرب، ويلتقي بالشيخ أحمد بن سعيد الدرجيني صاحب كتاب طبقات المشائخ بالمغرب[١]، وقد كانت له لقاءات علمية مع عدد من العلماء المغاربة عدا صاحب الطبقات، إذ عقد هذا العالم مناظرة يصفها الشماخي بالمهمة، مع العالمين المغربيين أبي يوسف يعقوب ويونس بن محمد في علم الطب، تمكن من خلالها العالم العُماني من التغلب على هذين العالمين المغربيين[٢].

ويتبين مما سبق أن هناك تواصلا مستمرا ورحلات عديدة من بلاد المشرق سواء كانت من البصرة أم عُمان إلى بلاد المغرب، كما يتبين مما ذكرنا آنفا كثرة اللقاءات العلمية التي كان يعقدها علماء الإباضية المشرقيين مع إخوانهم علماء المغرب في بلادهم، فكل الزيارات والرحلات العلمية المشرقية المتجه نحو بلاد المغرب تضم بين طياتها لقاءً علمياً أو تدريسا أو مناقشة مسألة، وهذا هو ديدن العلماء في كل العصور.

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هل كانت هناك رحلات معاكسة من بلاد المغرب إلى عُمان؟؟، وهو ما سيجيب عليه العنصر الآتي.

٢- الرحلات العلمية المغربية نحو العلماء العُمانيين:

لم تكن الرحلات العلمية مقتصرة على العُمانيين نحو بلاد المغرب بل كانت هناك رحلات معاكسة من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق، الغرض منها الارتحال في طلب العلم من العلماء العُمانيين، في موطنهم الأصلي أو مقر إقامتهم بالبصرة أو على يد العلماء العُمانيين المجاورين في مكة المكرمة أو القادمين إليها في موسم الحج، وقد كانت الرحلات المغربية إلى المشرق أغلبها مصبوغ بالصبغة العلمية كما يوضح ذلك البغطوري بقوله: "يزور أهل المشرق أهل المغرب ليعرفوا ما هم عليه ويزور أهل المغرب أهل المشرق ليستفيدوا منهم العلم"[٣].

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص٢٠٣، رجب عبدالحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، ص١٥٢، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، ص٣٨، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٢٢٧.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص٢٠٣.

٣) مقرن البغطوري: سير نفوسة، مخ. س، و١، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٣٢.

أ- الرحلات واللقاءات العلمية للمغاربة إلى عُمان:

لقد كانت هناك رحلات علمية نحو عُمان نتج عنها لقاءات علمية بين علماء عُمان وعلماء المغرب على أرض عُمان، ولكن عندما نقارنها باللقاءات والرحلات العُمانية نحو المغرب فإنها لا تساوي شيئا أمامها، وذلك لعدة أسباب من بينها، أن المصادر لم تسعفنا بتحديد وجهة علماء المغرب ومكان التقائهم بإخوانهم العُمانيين، فهي تكتفي في الكثير من الأحيان بقولها توجه نحو المشرق أو له رحلة نحو المشرق أو قام بزيارة للمشرق دون تحديد المنطقة التي نزلها هذا العالم من بلاد المشرق، والأمر الآخر هو الظروف الصعبة التي يحفها الطريق المتجه نحو عُمان، والتي تعرضنا لها في فصل الموانع، فاكتفى هؤلاء العلماء المغاربة الالتقاء بإخوانهم العُمانيين أحيانا على أرض الحجاز أو في مدينة البصرة.

فمن الرحلات العلمية المغربية التي صرّحت المصادر[١] باتجاهها نحو عُمان في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٢]، هي تلك البعثة العلمية المغربية المكونة من سبعين طالبا والتي توجهت للتعلم في مدينة بُهلا العُمانية على يد العالم العُماني عبدالله بن محمد بن بركة السليمي[٣] المشهور بابن بركة، وقد كان اهتمام هؤلاء الطلاب منصبًا في تلقي العلم من شيخهم، ولم يأبهوا بالرسائل المتتالية القادمة من ذويهم، حتى إذا حان رحيلهم فتحوا تلك الرسائل فوجدوا فيها ما يسر من أخبار ومنها ما يسيء، وبالإضافة

---

١) الكدمي: **كتاب الاستقامة**، تح: محمد أبو الحسن، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٩٨٥م، ج١، مقدمة الكتاب ص٥، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، صص١٥٥-١٥٦، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص٣٤١. "وينقل الدكتور فرحات الجعبيري هذه الرواية مشافهة عن طريق الشيخ الناصر المرموري الذي ينقلها عن طريق شيخه الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش". انظر: العلاقة بين إباضية المغرب ... م. س، صص١٦٧-١٦٨.

٢) ينسب الدكتور فرحات الجعبيري ابن بركة إلى القرن الثالث الهجري، والصواب ما أوردناه، انظر: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٦٨.

٣) هو العلامة أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة السليمي البهلولي، كان أصوليا وفقيها ومتكلما، من أشد المتحمسين إلى الفرقة الرستاقية. يعتبر أول من كتب في أصول الفقه من الإباضية، حمل العلم عنه الشيخ أبو مالك غسان بن محمد الصلاني، والإمام سعيد بن عبد الله. من آثاره: كتاب الجامع المشهور بجامع ابن بركة. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ص٢٨٥.

إلى كون ابن بركة عالما كان أيضا من أغنياء عُمان في تلك الفترة، وقد سخّر تلك الأموال في خدمة العلم وطلابه، فلم يكن مجلسه حكراً على طلاب المغاربة، بل كانت هناك ثلة من الطلبة العُمانيين أيضا، ونظرا لكثرة هؤلاء الطلاب المغاربة الملتفين حول هذا العالم لقب بشيخ المغاربة[١].

وبعد قرن من هذه الرحلة، يبرز أحد العلماء المغاربة متجها إلى المشرق يدعى الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت:٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) الذين اشتهر بكثرة ارتحاله، فقد سافر إلى الأندلس وإلى السودان وإلى الديار المقدسة بمكة المكرمة، كما كانت له رحلات إلى بلاد المشرق[٢]، وهذا يفتح مجالا أمام إمكانية رحلته نحو عُمان، أو البصرة، وهذه الرحلات هي التي أكسبته العلم الذي اشتهر به، فقد كانت جميع رحلاته رحلات علمية هدفها وغايتها طلب العلم[٣].

أما الرحلة التي لا تخلو من الصبغة العلمية والتي يمكن أن نختم بها هذا العنصر كونها تأتي في نهاية العصور الوسطى (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، هي رحلة الرحالة المغربي ابن بطوطة، نظرا لكونه من علماء المغرب الذين حطوا عصى ترحالهم في عُمان لفترة من الزمن، وتعرّض من خلال كتابه الموسوم بـ (تحفة النظار) لبعض الجوانب الثقافية التي تميزت بها عُمان[٤].

---

١) الكدمي: الاستقامة، م. س، ج١، مقدمة الكتاب ص٥، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م.س، صص١٥٥-١٥٦، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب ... م. س، صص١٦٧-١٦٨، سعيد الهاشمي: **علاقة المغرب العربي بدول الخليج العربية** "سلطنة عُمان أنموذجا" أحد بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول بعنوان: "دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية الواقع والمستقبل" المنعقد في تونس ٢-٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ / ٢-٤ يونيو ٢٠٠٣م، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٤٣.

٢) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٢٨٤، خميس العدوي: **رؤية تاريخية**، الأجيال للتسويق، سلطنة عُمان، ذو القعدة ١٤٢٣هـ - يناير ٢٠٠٣م، ط١، صص٨٠-٨١.

٣) خميس العدوي: رؤية تاريخية، م. س، ص٨١.

٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة...، م. س، صص٢٣٤-٢٤٤، السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، صص٣٦٤- ٣٧٥، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٢٠٩، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٨.

وقد التقى ابن بطوطة ببعض الرجال الذين يضفي إلى أسمائهم لقب شيخ، الذي يوحي بكونه عالم من العلماء، وإن هذه اللقاءات مظنة لوجود نقاشات علمية بها، فقد إلتقى في مدينة ظفار العُمانية بشيخين أخوين هما الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي بكر والشيخ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، كما نزل في ضيافة قاضي المدينة الشيخ أبو هاشم عبد الملك الزبيدي[١]، وتعرض ابن بطوطة كذلك للفقيه محمد العدني الذي كان يشغل منصب وزير سلطان ظفار في تلك الفترة[٢]، فلا يستبعد حدوث نقاشات علمية بين ابن بطوطة وهؤلاء العلماء.

والتقى ابن بطوطة كذلك بشيخ عُماني رابه أمره نظرا لعدم تحدثه معهم، وإنما كان جل تواصله معهم بالإشارت والإماءات، وقد صلّى خلفه ابن بطوطة ووصفه بأنه كان "حسن الصوت مجيدا للقراءة"[٣] وقد حاول ابن بطوطة إجراء حوار معه لكنه ما إن اقترب منه حتى دبّ الخوف فيه فآثر الانصراف مع أصحابه، وهذه الرواية تدل على حرص ابن بطوطة على التحاور والتناقش العلمي مع من يتسم فيه النبوغ والعلم[٤].

واتضح كذلك حبه للعلم في ذكره لكل من لديه خصلة من خصال العلم، فقد تعرض ابن بطوطة لذلك الحاج الذي كان معه في المركب وهو في البحار العُمانية وقال عنه: إنه كان "يحفظ القرآن ويحسن الكتابة" [٥]، فهذا دليل على أن رحلته لم تكن من أجل السياحة والترفيه، بل كانت أيضا سعياً للالتقاء برجالات العلم العُمانيين.

إن الوضع السياسي والأمني في عُمان إبان زيارة ابن بطوطة، كان سيئا لدرجة كبيرة؛ نظرا لضعف الدولة النبهانية التي كانت تحكم عُمان في تلك الفترة، فقد تمنى الإمام السالمي أن لو كانت زيارته في غير هذا العصر حين قال: "وليته دخلها أيام

---

١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ...، م. س، ص٢٣٦.
٢) المصدر السابق: ص٢٣٩.
٣) المصدر نفسه: ص٢٤٠.
٤) المصدر نفسه: ص٢٤٠.
٥) المصدر نفسه: ص٢٤١.

الأئمة العادلين حتى يرى غير ما رأى، وينظر السيرة النيرة، والحق الواضح، ومكارم الأخلاق، ومعالي الصفات، ومقامات الكمال، وعواطف الإحسان والأفضال"[١]، ولهذا فلا غرو إن لم يتمكن ابن بطوطة من الالتقاء بالعلماء العُمانيين بسبب تلك الظروف السياسية الحرجة، والتي كان العلماء العُمانيون مضطهدون فيها من قبل سلاطين النباهنة، بل كانوا يتعرضون للقتل إذا ما حاول أحدهم إظهار الحق كما هو حال العلامة ابن النضر[٢] صاحب كتاب الدعائم الذي لقى حتفه على يد "خردلة"[٣] أحد ملوك النباهنة[٤]، كما أن الدليل الذي كان يصحب ابن بطوطة، لم يكن من الناس الذين لديهم تلك العزيمة في إيصاله إلى تلك النخبة من علماء عُمان، نظرا لتلك الخصال السيئة التي ذكرها ابن بطوطة عنه فقد حاول مرارًا أن يقوم بسرقته أو التحايل عليه في الطريق[٥].

ولئن ندرتِ الروايات التي تحدثنا عن الرحلات العلمية المغاربية إلى عُمان، إلا أن ما ذكرناه آنفا دليل كافٍ على وجودها، ودليل في الوقت نفسه على إغفال المصادر التاريخية لها.

ب- الرحلات العلمية المغربية نحو علماء عُمان المقيمين في البصرة وما نتج عنها من لقاءات علمية:

لقد زخرت البصرة – معقل الإباضية الأول- بعدة رحلات علمية من قبل علماء بلاد

---

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٣٦٤.

٢) هو العلامة أحمد بن سليمان بن عبد الله بن النضر (ت: ٦٩٠هـ) من أهل سمائل، مشهور بحافظته واطلاعه الواسع في علوم الفقه واللغة العربية. يحكى عنه أنه كان يحفظ أربعين ألف بيت من شعر العرب، غير القصائد الطوال، وهو أحد الذين قيل عنهم أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ومن أشهر ما بقي من مؤلفاته كتاب الدعائم، وهي منظومة في الفقه والعقيدة، ويقال أنه حين قتل كان عمره خمسا وثلاثين سنة. انظر: محمد صالح: معجم أعلام الإباضة...، م. س، قسم المشرق، ص٥٤.

٣) هو خردلة بن سماعة بن محسن النبهاني، أحد ملوك بني نبهان، معروف بجبروته وطغيانه، عاش في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجري. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية....، م.س، ص١٢٢.

٤) السالمي: تحفة الأعيان...، م.س، ج١، ص٣٦١.

٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة...، م. س، ص٢٤٢.

المغرب، ونتج عنها لقاءات علمية مفيدة مع العلماء العُمانيين هناك، كونها شغلت لفترة طويلة من الزمن منصب المركز القيادي للدعوة الإباضية من لدن مؤسس المذهب الإباضي الإمام جابر بن زيد وحتى عهد الإمام الربيع بن حبيب العُماني الذي آثر الانتقال إلى عُمان بعد وفاة الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م)[١]، فانتقل معه مركز القيادة، ولكن ذلك الانتقال لمركز القيادة لم يعني خلو البصرة من الوجود الإباضي، فقد استمر حتى بعد هذا التاريخ كما ستوضحه الأسطر القادمة.

وأول هذه الرحلات العلمية (ق ١هـ / ٧م) رحلة العلامة أبو محمد عبدالله بن عبد الحميد مغطير النفوسي الجناوي المشهور بابن مغطير النفوسي[٢] إلى البصرة، وقد كان الدافع لخروجه هو تحفيز الداعية الإباضي سلمة بن سعد الحضرمي له، للارتحال إلى البصرة لطلب العلم والتتلمذ على يد زعيم الإباضية آنذاك الإمام أبوعبيدة مسلم بن أبي كريمة، فتوجه إلى البصرة ومكث بها ما شاء الله من السنين، ثم رجع منها وتصدّر الإفتاء لإخوانه الإباضية في بلاد المغرب، واستمر في ذلك إلى حين مقدم حملة العلم الخمسة المغاربة من البصرة، ويصفه الشماخي بقوله: "وكان شيخا فاضلا فقيها مفتيا، كان ممن أخذ عن أبي عبيدة مسلم. ثم قدم الخمسة المذكورين، فانتقل عن الفتيا وقال: إني أخذت عن أبي عبيدة ولم يحرر لي المأخوذ به عنده من الأقوال، وهؤلاء أخذوا آخرا وقد حرر المختار عنده من الأقوال"[٣]، ويظهر من هذه الرحلة أنها كانت رحلة علمية خالصة هدفها الأول والأخير هو طلب العلم.

ولقد التقى ابن مغطير النفوسي بعلماء عُمان في البصرة، فقد تتلمذ هذا العالم على

---

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١٦، مهدي هاشم: الحركة الإباضية...، م. س، ص٨١.

٢) هناك اختلاف بسيط في اسمه فعند الشماخي يرد اسمه بابن مغطير، انظر: السير، ج١، ص١٢٨. وأخذتْ بهذا الاسم المراجع الآتية: فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب....، م. س، ص٤٠، محمد بو حجام: التواصل الثقافي، م. س، ص١٣، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري، م. س، ص١٩. بينما يذكره سليمان الباروني بابن مغيطر. انظر: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٣٥، ويؤيد محمد دبوز رأي سليمان الباروني، انظر: **تاريخ المغرب الكبير**، دار إحياء الكتب العربية، سنة:١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ط١، ص٣٨٦، ونحن نأخذ بالرأي الأول كونه من مصدر الشماخي وهو بطبيعة الحال أقدم من صاحب كتاب الأزهار الرياضية الذي أخذ منه دبوز هذا الرأي.

٣) السير، م. س، ج١، ص١٢٨.

يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[١]، ولكون البصرة كما أسلفنا مركز للقيادة الإباضية فقد حوت العديد من إباضية عُمان إبان وجود ابن مغطير بها أو بعده، من بينهم الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)[٢]، والعلامة ضمام بن السائب الندابي(ق٢هـ/ ق٨م)[٣]، والعالم حيان بن سالم الطائي(ق٢هـ/ ق٨م)[٤]، والعالم الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (١٠٠هـ/ ٧١٨م- ١٧٠هـ/٧٨٦م)، والعالم الأديب أبو العباس المبرد (٢١٠هـ/ ٨٢٥م- ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، والعالم اللغوي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣هـ/٨٣٨م-٣٢١هـ/٩٣٣م)[٥]، فوجود أمثال هؤلاء العلماء في البصرة، دليل على إمكانية التقاء العلماء المغاربة بهم، وخاصة في مجلس أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

أما الرحلة العلمية الكبرى التي جاءت بعد رحلة ابن مغطير النفوسي[٦]، فهي رحلة أربعة من المغاربة إلى مدينة البصرة بإيعاز -أيضا- من الداعية الإباضي سلمة بن سعد، وهم عبدالرحمن بن رستم- فارسي الأصل- وعاصم السدراتي من سدراتة غربي أوراس، وأبو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوب إفريقية، وأبو درار إسماعيل

---

١) الشماخي: السير، ج١، ص١٢٨، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٣٥، محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، م. س، ص٣٨٦، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٤٠، محمد بو حجام: التواصل الثقافي، م. س، ص١٣، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري، م. س، ص١٩.

٢) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣٥، زايد الجهضمي: حياة عُمان الفكرية...، م. س، ص٨٦.

٣) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣٥.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٣٩، وعند الشماخي اسمه خيار بن سالم. انظر: السير، م. س، ج١، ص٨٧.

٥) مجموعة مؤلفين: عُمان في التاريخ، م. س، ص٢٤٤.

٦) يرى السيابي أن ابن مغطير توجه مع حملة العلم إلى البصرة، ولكنه لم يستمر معهم،؛ نظرا لبعض الظروف التي ألمت به، فاضطر بسببها إلى الرجوع إلى بلاد المغرب وأخذ في نشر ما تعلم من أستاذه في تلك المدة التي قضاها، إلا أن السيابي لم يحل إلى المصدر الذي اعتمد عليه في رأيه هذا، ولعل هذا من باب الاجتهادات الشخصية. انظر: أحمد السيابي: **التواصل العلمي العُماني المغاربي "البداية والاستمرار"**، أحد بحوث الملتقى العلمي الثامن بعنوان: التواصل العُماني المغاربي في العصر الحديث، المنعقد في جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٣-١٤ ذو القعدة ١٤٣٢هـ/ ١١-١٢ أكتوبر ٢٠١١م، نسخة إلكترونية على قرص ممغنط، صص٤-٥.

بن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس[١]، ومكث هؤلاء الأربعة خمس سنوات[٢]، (١٣٥هـ/ ٧٥٢م- ١٤٠هـ/ ٧٥٧م)[٣] يتلقون فيها العلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وعند عودتهم إلى بلاد المغرب انضم إليهم أبو الخطاب عبدالأعلي المعافري اليمني، ليصبحوا خمسة أشخاص، وهم الذين يطلق عليهم في المصادر التاريخية الإباضية بحملة العلم إلى المغرب[٤].

إن هذه الرحلة التي قام بها هؤلاء كانت غايتها الأولى هي طلب العلم، وقد أنيط إليهم – بعد عودتهم – تدريس إخوانهم الإباضية في بلاد المغرب، وتبليغ ما تعلموه في البصرة[٥]، ولم تمض سوى فترة بسيطة حتى بدأ نتاجهم العلمي يظهر، فقد تخرج على يديهم عدد من العلماء من بينهم أبو خليل الدركلي وعبدالوهاب بن عبدالرحمن ومحمد بن يانس[٦]، فكانت بهذا رحلتهم من المغرب إلى البصرة رحلة علمية هدفها التعلّم، ورحلتهم في طريق العودة من البصرة إلى بلاد المغرب هي رحلة علمية –أيضا– هدفها تبليغ ما تعلموه إلى إخوانهم الإباضية في بلاد المغرب، فكانت رحلتا الذهاب والإياب كلها تصب في طلب العلم.

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٥٥–٥٦، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص١٩– ٢١، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١١٣–١١٤، صص١٢٦–١٢٧، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، صص٤٧–٥١، محمد بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٢، مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٣٨١.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١١٣–١١٤، بينما اكتفى الدرجيني بالقول أنها كانت عدة سنوات دون أن يحدد عددها بصورة دقيقة. انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٠.

٣) محمد بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٢.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١١٣–١١٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٥١، محمد بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٢، مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٣٨٢. ولعل من ضمن أسباب إرسال سلمة بن سعد ثم أبو الخطاب مع هذه المجموعة المغربية هو الوجود الإباضي الكبير من القبائل اليمانية في بلاد المغرب، فقد وضحنا في الفصل الأول الوجود الكبير من العُمانيين اليمانية من قبائل مهرة في بلاد المغرب. انظر الفصل الأول.

٥) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٦، مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٣٨٢، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان...، م. س، ص١٤٩.

٦) مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٣٨٢.

لقد كانت هناك حملة للعلم إلى عُمان مماثلة لقرينتها المغربية تكونت كذلك من أربعة طلاب، إلا أن المصادر تورد أنهم تتلمذوا على يد الإمام الربيع بن حبيب، وهم : أبو المنذر بشير بن المنذر النزواني، ومنير بن النير الريامي، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، ومحمد بن المعلى الكندي[١]، ولعل أحد من هؤلاء الطلاب قد التقى بابن مغطير الجناوي أو حملة العلم المغاربة، خاصة أن المصادر الإباضية بصورة عامة والعُمانية بصورة خاصة لا تمدنا بالفترة التي خرج فيها حملة العلم العُمانيين من موطنهم إلى البصرة، كما أنهم قد يكونوا تتلمذوا على يد الإمام الربيع بن حبيب بإشراف وإيعاز من الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في مجلس العلم الذي يعد أحد المجالس التي وضعها أبي عبيدة لتنظيم الدعوة الإباضية في البصرة[٢].

وقبيل إمامة أبي الخطاب المعافري (١٤٠هـ/٧٥٧م – ١٤٤هـ/٧٦١م) خرجت رحلة علمية إلى البصرة والتقوا بزعيم الإباضية أبي عبيدة مسلم وأعلموه بالتنازع الذي حل بالإباضية في المغرب، وهو الاختلاف الشائك في مسألة الحارث بن تليد الحضرمي، وقاضيه عبد الجبار بن قيس المرادي، وعلى إثر هذه الرحلة العلمية بعث الإمام أبو عبيدة مسلم برسالة إلى أهل المغرب، واستدللنا على هذه الرحلة من قول أبي عبيدة في الرسالة: "أما بعد فقد قدم علينا من قبلكم من يهتم بأمركم، ويحزنه شأنكم، فسألناهم عنكم"[٣]. فهذا النص يؤكد على هذه الرحلة العلمية التي قام بها بعض علماء بلاد المغرب نحو البصرة مقر العلماء العُمانيين.

---

١) عبد الله بن مداد: **سيرة المحقق عبد الله بن مداد**، سلسة تراثنا، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، يونيو ١٩٨٤م، العدد ٥٦، ص١٠، زايد الجهضمي: حياة عُمان الفكرية...، م. س، ص٨٦، نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي...، م. س، صص١١١–١١٦.

٢) مجموعة مؤلفين: عُمان في التاريخ، م. س، ص٢٣٤، سيف البوسعيدي: حملة العلم إلى المغرب...، م. س، ص١٣.

٣) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٦٣، وقد نقلها الجعبيري من نسخة الشيخ سالم بن يعقوب الذي قام بنسخها من مخطوط بالديار المصرية، والرسالة لا تحمل هذا الأمر فقط، وإنما هناك مسائل أخرى وردت فيها، وقد قام الباحث مبارك الراشدي بتحقيق هذه الرسالة، ولكنه لم يورد هذا النص الذي أورده فرحات الجعبيري، ولعل هذا النص موجود في نسخة الشيخ سالم بن يعقوب التي أخذ الجعبيري منها نص الرسالة، و لم يثبت عند الراشدي، الذي قارن في تحقيقه بين كل تلك النسخ وخرج بنص يرى أنه هو الأقرب إلى النص الأصلي. انظر: أبو عبيدة مسلم....، م. س، صص٥٠٩–٥٣١.

وفي مجلس أبي عبيدة مسلم التقى أولئك العلماء المغاربة بإخوتهم العُمانيين وغيرهم، فقد دار حديث بينهم وبين من كان في المجلس، تمكن من خلاله أبو عبيدة ومن حضر معه معرفة الخلاف الذي نشب بين إباضية المغرب في قضية الحارث بن تليد وعبدالجبار، ومدى تأثيره في النفوس، وما زرعته هذه القضية من شقاق وافتراق في صفوفهم، فتأثر كل الحاضرين بهذا النبأ وأحزنهم ما وصل إليه إخوانهم أهل المغرب من الفرقة والاختلاف، ووضح ذلك من الرسالة التي بعثها أبو عبيدة بعد سماعه هذا الخبر فقد ورد فيها: "أما بعد فقد قدم علينا من قبلكم من يهتم بأمركم، ويحزنه شأنكم، فسألناهم عنكم فأخبرونا خبرا راعنا، وراع من قبلنا من إخوانكم، حتى بلغ حزنه من ذلك ما لا نستطيع أن نصفه، مما وقع بينكم من التحاور والتنازع والاختلاف"[1]. ويمكن أن نستشف من هذه الرواية أن هناك حوارات ونقاشات دارت بين الطرفين – الوفد المغربي– وإباضية البصرة في قضية الحارث وعبدالجبار وسألوهم عن أدلة كل طرف في هذه القضية؛ ليتمكنوا من المشاركة في حلها، فرسالة أبي عبيدة إليهم لم يكتبها إلا بعد أن استوعب كل تفاصيل هذه القضية من خلال أولئك النفر الذين قدموا إليه، ويظهر ذلك من نص الرسالة التي بعث بها وما حوته من تفاصيل في هذه القضية، وهو الأمر الذي سنتطرق له في الفصل القادم.

وفي عهد أبي الخطاب المعافري، رحل بعض علماء المغرب إلى مدينة البصرة، والتقوا هناك بزعيم الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وجرى لقاء علمي بين الطرفين، وكان أعضاء الوفد المغربي قد خرجوا من بلادهم حاملين معهم البشرى بنبأ مبايعة أبي الخطاب المعافري بالإمامة وائتلاف الإباضية بعد الشقاق والخلاف الذي حدث فيما بينهم، ومن المنطقي أن تكون هناك حوارات بين هذا الوفد وبين إباضية عُمان في البصرة، الذين كانوا في مجلس أبي عبيدة، وطرحوا العديد من الاستفسارات للاطلاع على كل تفاصيل هذا الحدث المهم، أضف إلى ذلك أن هذا الوفد كان حاملا معه بعض الأسئلة التي يرغبون في معرفة الإجابة عنها من علماء البصرة[2]، وهو الأمر

---

١) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٦٣.

٢) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم ...، م. س، صص٥٠٩–٥٣١، فرحات الجعبيري: العلاقة بين

الذي يؤكد حصول ذلك الحوار والنقاش.

ومن الرحلات العلمية التي تشير إليها المصادر التاريخية بشيء من الضبابية، ولا توضح لنا تفاصيل أصحابها وشخصياتهم، تلك البعثة التي أرسلها الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم إلى الإمام الربيع بن حبيب، هدفها شراء كتب للإمام، إلا أن هذه المصادر تكتفي بذكر المبلغ المالي الذي بلغ ألف دينار[١]، ولكنها تتوقف عند هذا الحد دون التعرض لأولئك الذين حملوا هذه الرسالة إلى البصرة، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الرواية هل يعقل أن يرسل الإمام المبالغ؟ دون أن يكون معها بعض العلماء الذي يمكنهم أن يختاروا الكتب التي تحتاجها المكتبة الرستمية خشية تكرارها ؟

ويمكننا أن نرد على هذا السؤال ونؤكد وجود تلك النخبة من علماء المغرب في هذا الوفد، من خلال الاختيار الدقيق والمتميز للكتب وعدم تكرار هذه الكتب في البيت المغربي، ويعزز هذا الدليل الرواية التي رواها أبو زكريا، وهي أن الإمام أتى على كل تلك الكتب قراءة واطلاعا. يقول أبو زكريا في ذلك: "فلما جاءته نشرها وقرأها حتى أتى على آخرها بأجمعها"[٢]، ولم تقل الرواية انتقى منها أو اختار منها، وهذا أبلغ دليل على عدم تكرارها لديه، كما أنه في الوقت نفسه دليل على أنها كانت من الكتب التي يحتاجها الإمام، إذ لم تحتو على تخصصات أخرى خارجة عن المجال الديني، وكل هذا يثبت وجود علماء مبصرين عارفين بما يحتاجه الإمام من كتب.

وتنبئنا الروايات عن رحلة علمية أخرى نحو البصرة، هدفها المساعدة في فض مشكلة بين أتباع المذهب في بلاد المغرب، فقد ظهرت على الساحة الرستمية مشكلة أخرى، وهي تعيين بعض أهالي مدينة طرابلس خلف بن السمح واليا على المدينة خلفا لأبيه[٣]،

إباضية المغرب..، م. س، صص٦٨–٧٢، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٦.

١) ذكر ابن سلام أن المبلغ كان اثنى عشر ألف دينار أو درهم. انظر: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣١، أما المصادر الأخرى فاتفقت أنه ألف دينار. انظر: أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٠٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج١، ص٥٦، الشماخي: السير: م. س، ج١، ص١٤٢.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٠٠.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١١٩، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١،

وقد أقدموا على هذا الأمر دون الرجوع إلى الإمام بدعوى انفصال مدينة طرابلس عن العاصمة تاهرت، ووقوع الأراضي التابعة للدولة الأغلبية بينهما[١]، فرفض الإمام هذا الأمر[٢]، مما حدى بأهل طرابلس إلى إرسال رسالة إلى العالم أبي سفيان محبوب بن الرحيل ليحل هذا الإشكال الواقع بينهم وبين الإمام [٣]، ويذكر الباحث رجب عبد الحليم أن أبا سفيان كان يومها في البصرة[٤].

تلقى أبو سفيان الرسل والرسالة التي بعثها أهل طرابلس، ودار حوار بينه وبين حاملي الرسالة وبت في الأمر وكان رده: "بتخطئة من ولّى خلفا، وإصابة من لم يولّه، وأمرهم باتباع إمامهم رضي الله عنه"[٥]، فرجع ذلك الوفد حاملا رسالة الرد التي لم تكن تصب في مصلحتهم، إلا أنهم أبلغوها إخوانهم في طرابلس، ومن هذا نخلص أن هذه الرحلة كانت رحلة علمية تضاف إلى الرحلات العلمية بين بلاد المغرب وإخوانهم من بلاد المشرق، كما أن الحوار والنقاش مع أبي سفيان وهذا الوفد فيه مظنة حدوث تلاقح فكري وتناقش حول هذه القضية، للوصول إلى رأي صائب يمكن أن يجنب المنطقة مغبة حدوث نزاع وانشقاق بين تلك الأطراف في الدولة الرستمية.

ويروي لنا ابن الصغير رحلة علمية أخرى قام بها أحد علماء بلاد المغرب الإباضية ويدعى عبد الله بن الأوز في عهد الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب، ولكن ابن الصغير لم يوضح الوجهة التي توجهها بالضبط، بل ذكر أنه كانت له "رحلة

ص٦٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٦، محمد بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٢٧.

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٢، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٢٠٤، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، ص١٤٢.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٦٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٧، محمد بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٢٧.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٢، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٧٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٧، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٢٠٤، محمد بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٢٧، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، ص١٤٢.

٤) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٤١.

٥) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٢.

نحو المشرق"[١]، ورجح الباحث رجب عبد الحليم أن وجهتها إما إلى عُمان أو البصرة أو هما معا [٢]، ولا شك في إمكانية التقاء هذا العالم بعلماء البصرة آنذاك.

ونختم هذا العنصر بالرحلة العلمية التي قام بها العلامة بكر بن سهل بن حماد الزناتي المغربي في عام(٢١٨هـ/ ٨٣٣م)[٣]، الذي التقى في البصرة بعدد من العلماء الكبار في تلك الفترة من بينهم العالم مسدد الأسدي البصري، كما التقى بعدد من الأدباء والشعراء من بينهم الشاعر المشهور دعبل الخزاعي والشاعر الأديب علي بن الجهم، والشاعر الكبير أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، ومن الأدباء الأديب سهل بن محمد السجستاني[٤]، ولئن كانت المصادر لا تذكر لنا أحد أسماء العلماء العُمانيين الذين التقى بهم في البصرة، إلا أن إمكانية حدوث ذلك وارد وبشدة خاصة كون هذا العالم إباضي المذهب، فالتقاؤه بعلماء مذهبه يعد من المسلّمات، ويظهر مدى ولائه لمذهبه هو عودته إلى بلاد المغرب إبان الدولة الرستمية وانتهت حياته بنهاية الدولة الرستمية (٢٩٥هـ/٩٠٨م)[٥].

ج- رحلات علماء عُمان والمغرب العلمية إلى مكة المكرمة وما نتج عنها من لقاءات علمية :

وهناك رحلات علمية أخرى كانت تسير جنبا إلى جنب مع أداء العلماء فريضة الحج، فكان العلماء المتوجهون إلى الحجاز يسعون من خلالها إلى الالتقاء بالعلماء

---

١) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٩٩.

٢) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، س١٥٥.

٣) هو العالم الأديب بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي، يعد من شعراء الطبقة الأولى في عصره، كان عالما فقيها بالحديث ورجاله، ولد بتاهرت ورحل عنها إلى البصرة في عام ٢١٧هـ/٨٣٢م، ونهل من روافد العلم هناك، ثم انتقل إلى بغداد وأثبت وجوده في بلاط الخليفة المعتصم بالله العباسي ومدحه، ثم عاد إلى القيروان ومنها إلى تاهرت وتوفي بها عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م. انظر: سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٦٩، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، صص١٥٤-١٥٥.

٤) سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٦٩، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...، م. س، ص١٥٥، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٠.

٥) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٥٥" وقد شرحنا هذه النقطة بالتفصيل في الفصل الثاني من الدراسة.

الآخرين سواء أكانوا من المجاورين لمكة أو القادمين إليها لأداء الفريضة، وقد "كان موسم الحج فرصة للعلماء المغاربة للمزيد من التبحّر في العلوم، فكانوا يجدون في إباضية عُمان خير من يسدي لهم هذه الخدمة، خاصة المجاورون"[١].

وقد حدثت في مكة المكرمة وما جاورها من عرصات مقدسة في موسم الحج عدد كبير من اللقاءات العلمية بين علماء عُمان وعلماء المغرب وغيرهم من العلماء الإباضية، وذلك لعدة أسباب من بينها:

١- اهتمام الإباضية بالحج سواء بالنسبة للعُمانيين أو المغاربة[٢].

٢- اهتمام زعماء الإباضية بالحج وحرصهم على وجود فرد منهم في كل المواسم للالتقاء بالأتباع ونشر المذهب الإباضي[٣]، وقد تجلى ذلك في شخصية جابر بن زيد الذي لم يتخلّف عن أي موسم للحج إبان حياته[٤]، وسار على نهجه الزعماء الذين جاءوا من بعده، وقد كانت تعقد في موسم الحج لقاءات علمية تنوعت بين دروس لأصحاب المذهب[٥]، ومناظرات مع المذاهب الأخرى، من ذلك ما رواه لنا الدرجيني من مناظرة ظريفة حدثت بين زعيم الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وزعيم المعتزلة واصل بن عطاء، وتمكن أبو عبيدة من خلالها على إفحام خصمه ورد حجته في مسألة القدر[٦].

٣- وجود المجاورون بمكة المكرمة، من العلماء العُمانيين والمغاربة وغيرهم من علماء

---

١) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٣٥، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص٩٢، الجعبيري: علاقة عُمان بشمال أفريقيا...، م. س، ص٣٨، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٦.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب...، م. س، ج٢، ص٢٤٥، الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص١٩٩، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٣٤.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج٢، ص٢٠٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٦٨، زيانة الحارثية: الإمام جابر بن زيد... ،صص١٥٠ -١٥١.

٥) محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٣٣.

٦) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج٢، ص٢٤٦.

الإباضية، إذ يروي لنا ابن سلام أن عددهم بلغ مائة وخمسين رجلا منهم خمسة وعشرون من أهل عُمان، وقد تعرّض ابن سلام لهؤلاء ردا على من أنكر وجود المجاورين في الديار المقدسة من أهل المذهب الإباضي[١].

٤- وجود مكان محدد في موسم الحج يجتمع فيه الإباضية من شتى البقاع الإسلامية، وهي الخيام التي كان يقيمها أبو سفيان محبوب بن الرحيل القرشي في منى خلال أيام التشريق الثلاث[٢].

ونظرا لهذه الأسباب فقد كانت الرحلات واللقاءات العلمية مستمرة وكثيرة ضمتها الأراضي المقدسة في مكة المكرمة، فإن لم تكن في موسم الحج ففي غيرها من أيام السنة بسبب وجود المجاورين لمكة، من ذلك ما ترويه لنا المصادر التاريخية عن تلك الرحلة العلمية التي قام بها عدد من علماء المغرب في عهد الدولة الرستمية، فبعد أن بويع الإمام عبد الوهاب بن عبدالرحمن بالإمامة (١٧١هـ/٧٨٨م - ٢٠٨هـ/٨٢٤م) بعد وفاة أبيه، ظهر له معارضون، بزعامة يزيد بن فندين، ونادى هو وأتباعه ببطلان بيعة الإمام لسببين هما، أولا : وجود أشخاص أعلم منه، وثانيهما: محاولة إجبار عبد الوهاب على إيجاد فئة من الناس تعينه في الحكم ولا ينفذ أي أمر مطلقا دون الرجوع إليها، وهو الأمر الذي رفضه الإمام[٣]، فحدث شقاق في صفوف الإباضية، واقترح بعضهم الرجوع إلى علماء المذهب المشارقة للاطمئنان برأيهم والعمل بنصيحتهم"[٤]، فوافق عبد الوهاب على هذا الأمر فأرسل رجلين ليستفتوا مشايخ الإباضية المشارقة في ذلك، وتمكن هذان الرسولان من إيصال هذه الرسالة إلى العلامة الربيع بن حبيب

---

١) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣٠.

٢) المصدر نفسه: ص١٣٠، إبراهيم بو تشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٤، مقدادي وآخرون: النصوص التاريخية في كتاب المصنف، م. س ص٣٠٥.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٨٩، الكندي: بيان الشرع ، م. س، ج٦٨، ص٢٠٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٤٧-٤٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣١، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٨٦.

٤) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٨٦.

الفراهيدي العُماني، في مكة المكرمة إبان موسم الحج[١].

ومن المنطقي أن يكون هذان الرسولان من العلماء الأفاضل، وذلك لأمرين اثنين أولهما: أن هذه المسألة تحتاج إلى استفسار من قبل مشايخ الإباضية المشارقة، ومعرفة دقائق أمورها، ليتمكنا من إعطاء الرأي الفقهي الصحيح في هذه المسألة الشائكة، فالرسالة الخطية قد لا تكون قادرة على إيصال الصورة الكاملة الجامعة لهذه القضية، وثانيها: وجوب أن يكون هذان الرسولان من العلماء المبصرين الأتقياء الذين يعطون الصورة الحقيقة لهذه القضية دون أن يركنوا إلى طرف دون آخر، وهو الأمر الذي صرّح به الشماخي حين قال: "وقد كلّف أهل المغرب لحمل ما كتبوا رسولين أمينين عند الجميع" [٢]، وبهذا فإن هذه الرحلة تعد من الرحلات العلمية من إباضية المغرب إلى إباضية عُمان.

وبالإضافة إلى تلك الرحلة السابقة تبرز لنا رحلة علمية أخرى في عهد عبدالوهاب بن عبدالرحمن إلا أنها تختلف كثيرا عن الرحلة السابقة، فقد أرسل الإمام رجلاً من أهل تمزدا من جبل نفوسة ليتستفتي أهل المشرق في رغبته للحج بعد أن عارضه علماء جبل نفوسة في ذلك، خوفا عليه من الدولة العباسية[٣].

ولئن نجحت تلك الرحلتين السابقتين لبلوغ مآربهما في الالتقاء بعلماء الإباضية من أهل المشرق ورجع أصحابها إلى بلادهم بسلام، فإن هذا الأمر لم يتم لأحد العلماء المغاربة الآخرين، وهو أبو اليقظان محمد بن أفلح ابن عبدالوهاب الذي توجه إلى

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٩٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣١، الإزكوي: مخطوط كشف الغمة...، مخ. س، و٣٢٨، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٨٦، سالم الخروصي: **الشيخ العلامة أبو عمار عبد الكافي التناوتي** (٥٠٠-٥٦٩هـ) عصره وحياته وفكره، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، مسقط، سلطنة عمان، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ط١، ص٨٤.

٢) الشماخي: السير،م.س، ج١، ص١٣١.

٣) ابن سلام: الإسلام وتاريخه ...، م.س، ص١٣١، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص١١٤-١١٦، الدرجيني: طبقات مشائخ المغرب، م. س، ج١، صص ٦٥-٦٦، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٤٠.

الحج ، إلا أنه لم يعد إلى بلاده ، فقد تمكنت جنود الدولة العباسية من الإمساك به ، وحملوه مكبلا في القيود إلى بغداد وسجن فيها[١] ، وهو الذي يعد من العلماء الكبار كحال أجداده أئمة الدولة الرستمية ، وقد "كانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله طائفة يقرؤن وطائفة يصلون وطائفة يتحدثون في فنون العلم"[٢] .

وفي نفس السياق تبرز رحلة أخرى لأداء مناسك الحج ، إلا أنها تصطبغ بصبغة علمية إذ تمكن صاحبها من الالتقاء بعلماء الإباضية العُمانيين في مشعر منى ، إلا أن صاحب الرواية – ابن سلام– لا يذكر لنا اسمه ، وإنما يذكر أنه رجل عالم من أهل نفوسة ، وهو صاحب لأبي حماد النفوسي ، وقد كان برفقة هذا العالم رجل آخر يدعى حبيب المهدي ، وقد التقى به أبو سلام بعد عام ٢٧٣هـ / ٨٨٦م[٣] .

والتقى هذان العالمان في مضارب [خيام] أبي سفيان محبوب بن الرحيل بمنى ، بإخوانهم من إباضية عُمان[٤] ، وهذا ينهض دليلا على تلك اللقاءات العلمية التي كانت تعقد في هذه المضارب ، والدور الريادي الذي قامت به في تدعيم التواصل الثقافي المغربي العُماني .

ومن أولئك العلماء الإباضية المغاربة الذين زاوجوا بين الرحلة الدينية والرحلة العلمية

---

١) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٦٤، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٨٣، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص٩١، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٥٠.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٤٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٨٩. "ذكر الدكتور بوتشيش أن هذا الأمر واقع عند باب الأمير عبد الرحمن بن رستم والصحيح ما ذكرناه كما بينتْ ذلك المصادر السابقة (أبو زكريا والشماخي) انظر: التواصل الحضاري...، ص٣١.

٣) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣٠، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم... م. س، ص٨٩، ص١٦٣، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٤٦، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٤.

٤) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣٠، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص٨٩، ص١٦٣، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٤٦، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٤، مقدادي وآخرون: النصوص التاريخية في كتاب المصنف...م.س، ص٣٠٥.

أيضا: العالم النفوسي عمروس بن فتح ، الذي حرص على تلقي العلم من العلماء الإباضية في موسم الحج ، من ذلك لقائه بالعالم المجاور لمكة محمد بن محبوب بن الرحيل[١] .

وقد كان ذلك اللقاء من أبرز اللقاءات العلمية التي سجلتها المصادر التاريخية الإباضية بين علماء المغرب وعلماء المشرق ، فعندما توجه عمروس بن فتح على رأس وفد من حجاج المغرب ، كان حريصا على تلقي العلم من علماء عُمان ، وقد تمكن من الجلوس في حلقة العالم العُماني محمد بن محبوب ، ولم يكن الأخير على معرفة مسبقة بعمروس بن فتح ، إلا أنه تمكن من معرفته عندما طرح عليه سؤالا تبين من خلاله مكانته العلمية فقال محمد بن محبوب: "إن كان أبو حفص في شيء من هذه البلاد فلا يصدر هذا السؤال إلا عنه ولا يرد إلا منه" ، فلما عرفه قرّبه إليه وجعل عمروس يسأل ومحمد بن محبوب يجيب ، فقال عمروس بن فتح لأصحابه: "احفظوا السؤال وأحفظ لكم الجواب" ، فلما رجعوا بلادهم جعل عمروس بن فتح يتناقش مع أصحابه تلك المسائل ويذكرها لهم مسألة مسألة ورد محمد بن محبوب عليها .

ونترك الدرجيني يحكي لنا تفاصيل ذلك اللقاء الذي ضم هذين العالِمين ، حين يقول: "وذكروا أن عمروسا وأصحابه توجهوا إلى بلاد المشرق حجاجا فلما نزلوا مكة ، وجدوا بها محمد بن محبوب – رحمه الله– ، فدخلوا عليه في مجلس فوجدوه مع أصحابه فسلموا عليه ، فهش بهم وقربهم إجلالا للجنس ، دون معرفة الأشخاص ، فلما تبوأوا مقاعد المذاكرة ، سأل عمروس أبا عبدالله عن مسألة فقال ابن محبوب: إن كان أبو حفص في شيء من هذه البلاد فلا يصدر هذا السؤال إلا عنه ولا يرد إلا منه ، فقالوا له: إنه هو السائل ، فرفع ابن محبوب مجلس عمروس لما عرفه ، وزاد دنوه من مجلسه ، ثم جعل عمروس يسأل في مسائل الدماء عن مسألة بعد مسألة ، حتى قال له ابن محبوب: هذا من مكنون العلم لا يعلن به في قوم جهال ، فعند ذلك قال عمروس

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٢٤، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١٩٣–١٩٤، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٣١٣، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١١٢، بو حجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١١٣، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان...، م. س، ص١٨٥، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٦٣.

لأصحابه احفظوا السؤال وأحفظ لكم الجواب، حتى نقدم على إخواننا فنخبرهم بما حفظنا ففعلوا، فلما قدموا بلادهم قال لهم عمروس: هلم ما تكلفتم به، فقالوا له: لم نحفظ شيئا سوى قولك احفظوا المسائل لنرد بها على إخواننا، ثم إن عمروسا أعادها مسألة، فمسألة، عن آخرها"[١]. ويتبين من هذا اللقاء حرص العالم عمروس بن فتح على الاستفادة من العالم محمد بن محبوب، ورغبة الأول في نقل ما يتعلمه إلى إخوانه في بلاد المغرب.

وفي سياق الرحلات الحجية المصبوغة بالصبغة العلمية، تطالعنا رحلة العلامة نصر بن سجميمان إلى الديار المقدسة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والذي كان حريصا على الالتقاء بعلماء الإباضية العُمانيين المجاورين لمكة والقادمين إليها للحج[٢]، وكان نصر بن سجميمان كما يصفه الشماخي " إمامَ علمٍ وتقى . . . نفوسي من أصلابونن" [٣].

وقد التقى هذا العالم بعلماء عُمان في موسم الحج ودارت بينه وبينهم محاورة علمية[٤]، فقد سألهم "عن السخط والرضا . . . فقالوا: فعلان. فسألهما عن القرآن قالوا: غير مخلوق"[٥]، وإذا كانت المصادر لا تذكر لنا سوى هذين السؤالين، إلا أنه من البديهي أن تكون هناك أسئلة أخرى، أو على الأقل شرح وافٍ لهذه الأقوال التي كانت تشغل بال الأمة الإسلامية في تلك الفترة.

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٢٤، "ورواه كذلك الشماخي وسليمان الباروني" انظر: السير، م. س، ج١، صص١٩٣-١٩٤، الأزهار الرياضية...، م. س، ص٣١٣.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٣٧، رجب عبدالحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م.س، ص١٦٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٧٧، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣.

٣) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٣٧،

٤) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٣٧، رجب عبدالحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٦٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب ....، م. س، ص١٧٧، إبراهيم بو تشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣.

٥) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٣٧،

ونذيّل هذا العنصر برحلة ولقاء علمي آخر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[١]، ضمته جنبات المشاعر المقدسة، وهو رحلة العلامة أبي يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي الوارجلاني[٢]، والعلامة يخلف بن يخلف النفوسي التمجاري[٣] إلى الحج، والتقيا بركب الحجاج العُمانيين ومعهم علماؤهم من بينهم العالم العُماني ناجية بن ناجية[٤]، وقد كان وجود هذا العالم العُماني والعالمين المغربيين سببا في رضى كلا الطرفين عن أدائهم للمناسك، فكل مسألة تحدث في أي منسك من مناسك الحج، أو أي مسألة دينية أو دنيوية كان المفزع إلى هؤلاء الفقهاء فيجد المستفتي جوابه مباشرة[٥]، ويروي لنا الدرجيني ذلك على لسان الراوي أبو عبدالله حيث يقول: "فحججنا حجة لم يحججها مغربي قبلنا ولا بعدنا، وذلك أنه لا يضيق الحال بأحد من أصحابنا أو تنزل عليه نازلة من مسائل المناسك أو غيرها من مسائل الدنيا إلا ولّها أحد الفقهاء الثلاثة، فيجد عنده الشفاء فيما يأتي أو يذر"[٦].

---

١) رجب عبدالحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٦٤.

٢) أحد علماء القرن السادس الهجري ببلاد المغرب، نشأ بقرية " تين باماطوس" من قرى وارجلان، أخذ العلم عن الشيخ عبدالله النفوسي، والشيخ أبي عمران موسى النفوسي بطرابلس، برع في الفقه والأصول، كان مولعا بالدراسات المقارنة، وجر عليه هذا الأسلوب متاعب كثيرة، إذ وجد نفورا من قبل بعض فقهاء زمانه؛ نظرا لكثرة مطالعته كتب أهل الخلاف، إلا أنه عندما بيّن هدفه غيّروا موقفهم منه، واعترفوا له بالفضل. من آثاره أجوبة فقهية حققها الدكتور عمرو خليفة النامي. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، صص٢٨٧–٢٨٨.

٣) هو العلامة يخلف بن يخلف النفوسي التمجاري العزابي، من علماء (ق: ٦٩هـ) أصله من جبل نفوسة بليبيا وهو جد العلامة أحمد بن سعيد الدرجيني صاحب الطبقات، تعلم العلم على يد مشايخ أريغ ووارجلان، كان فقيها بارعا وقاضيا نبيها، والناس يأتونه من مختلف الأماكن والقبائل والمذاهب، كان من الأغنياء، فله جنان في غابة نفطة – جنوب تونس–. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص٤٦٦.

٤) لم نتمكن من إيجاد تعريف لهذه الشخصة، و لم ترد في المصادر إلا بهذا الطريقة فقط دون أي معلومات أخرى عنه.

٥) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٩٨، الشماخي، السير: م. س، ج٢، ص١٠٧، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، صص١٦٤–١٦٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب ...، م. س، ص١٨٨، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٤.

٦) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٩٨، ووردت هذه الرواية أيضا عند الشماخي انظر: السير: م. س، ج٢، ص١٠٧.

ومن المنطقي أن يتخلل هذا اللقاء بين هؤلاء العلماء الثلاثة في الموسم ، محاورات ونقاشات بينهم في كل المسائل الدينية وخاصة فيما يتعلق بالمناسك ، وأقوال العلماء والفقهاء فيها .

ويتضح مما سبق كثرة اللقاءات العلمية التي حدثت في مكة المكرمة ، وخاصة في موسم الحج ، وإن هذه اللقاءات كانت لقاءات علمية استغلها كل طرف للاستفادة من الطرف الآخر ، وكان علماء المنطقتين حريصين كل الحرص على الالتقاء في الموسم ، وكان إباضية المشرق يهيئون المكان المناسب للّقيا كما هو الحال في مضارب أبي سفيان التي يقيمها في منى .

ونخلص من هذا الفصل بأن الرحلات العلمية بين علماء عُمان وعلماء المغرب ظلت مستمرة طيلة فترة العصر الإسلامي الوسيط ، وأن كل عَلَمٍ من علماء القطرين كان حريصا على تلقي العلم متى ما وجد سبيلا إلى ذلك .

كما أن تلك الرحلات العلمية بين عُمان وبلاد المغرب زادت من قوة الترابط بين الطرفين ، وكانت فرصة سانحة للتّناقش والتحاور في كل المسائل الفقهية والعلمية الأخرى .

أما بالنسبة للقاءات العلمية فيظهر مما أوردنا أنها كانت كثيرة جدا ولا يوجد مكان معين لها ، فالبصرة ضمت عدة لقاءات علمية بين الطرفين ، كذلك الديار المقدسة التي زخرت بالعديد من هذه اللقاءات ، ولم تكن اللقاءات العلمية تنحصر في هذين المكانين ، بل أوضحنا اللقاءات العلمية المتكررة في بلاد المغرب لعلماء عُمانيين ومشارقة ، كما لم تخلو عُمان من بعض تلك اللقاءات العلمية .

ونخلص من هذا الفصل أيضا أن اهتمام المصادر التاريخية المغربية بهذه الرحلات واللقاءات كان منقوصا ، فقلما توضح لنا تفاصيل تلك الرحلات أو اللقاءات ، كما أنها لا تحدد الوجهة الدقيقة لتلك الرحلات العلمية أو أماكن اللقاءات العلمية ، مما يترك الباب مفتوحا على مصراعيه للتخمين الذي يبقى قابلا للمراجعة والتصويب .

الباب الثاني

الصلات الثقافية
بين عُمان وبلاد المغرب

الفصل الثاني

تبادل الرسائل والفتاوى بين
العُمانيين والمغاربة

تبادل الرسائل والفتاوى بين العُمانيين والمغاربة:

هذا الفصل هو امتداد للفصل السابق الذي تحدثنا فيه عن الرحلات واللقاءات العلمية بين العُمانيين والمغاربة، فهو فصل ثقافي –أيضا– يتم الحديث فيه عن الرسائل والفتاوى المتبادلة بين الطرفين، والتي كانت بديلا آمنا عندما يتعذّر التواصل عبر الارتحال والالتقاء بينهم سواء في بلاد المغرب أو عُمان أو البصرة أو الحج، بسبب الظروف السياسية أو الطبيعية وهو الأمر الذي بيّناه في الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الدراسة.

كانت هذه الرسائل تزيد من عمق التواصل الثقافي بين البلدين، وتحافظ عليه عندما يتعذر الالتقاء كما أسلفنا، وقد تنوعت من حيث مادتها، ولكنها غالبا ما تحتوي على قضايا دينية في الدرجة الأولى، فمعظم هذه الرسائل هي عبارة عن فتاوى في مسائل فقهية وعقدية حدثت في عُمان أو بلاد المغرب، تعبّر عن رغبة كل طرف في معرفة رأي الطرف الآخر فيها. كما أنها في بعض الأحيان عبارة عن استئناس برأي الطرف الآخر، ولكن تلك المسائل الفقهية والاختلاف فيها بين فئات المجتمع الواحد كانت تجرّ حيناً إلى حدوث مشكلات عويصة ينتج عنها في بعض الأحيان قيام حرب بين الأطراف المتنازعة، فتتحول تلك المسائل الفقهية إلى مسائل سياسية، تترك البلاد عرضة للانقسام والضعف مما يسمح للعدو بفرصة سانحة للانقضاض على تلك الدولة والاستيلاء عليها ونزعها من أيدي أصحابها.

وسنعرض في هذا الفصل كل الرسائل المتبادلة بين الطرفين بغض النظر عن مكان خروجها خاصة بالنسبة للعُمانيين الذين كانت رسائلهم تخرج بعض الأحيان من أماكن أخرى غير عُمان، كالبصرة ومكة المكرمة، كما سنتعرض لبعض الرسائل التي تعتبر امتداداً تاريخياً لهذا التواصل العُماني المغربي رغم كونها وجّهت من أيدٍ غير عُمانية لكنها تتلمذت على أيدي علماء عُمان أو عاشت في وسط بيئة تعج بالوجود العُماني. أما الرسائل التي كانت تخرج من بلاد المغرب فلا إشكال فيها، فكل الرسائل التي وجهها المغاربة إلى إخوانهم العُمانيين كانت تخرج من بلاد المغرب دون سواها.

كما سنحاول في هذا الفصل التعرض لهذه الرسائل بأسلوب التحليل وأخذ كل ما من شأنه تدعيم وتعميق التواصل الثقافي بين عُمان وبلاد المغرب.

أولا: الرسائل والفتاوى المغربية الموجهة إلى العُمانيين ورد أهل عُمان عليها:

إن المتتبع للرسائل المتبادلة بين أهل المغرب وعُمان، يجد أن أكثر الرسائل المتبادلة كانت موجهة من أهل المغرب إلى العُمانيين، وأن أهل عُمان كان جلّ شأنهم الرد على هذه الرسائل المتتالية من قبل إخوانهم المغاربة، إلا أن ذلك لا يعني أننا ننفي بعث أي رسالة من العُمانيين أنفسهم، فهناك عدد لا بأس من الرسائل التي أُرسلت من عُمان دون أن تكون ردا على رسالة معينة، وسنتعرض في هذا العنصر أيضا إلى كل الرسائل المغربية التي وجّه بها أهل المغرب إلى المشرق، ثم نتبعها مباشرة بالرد الذي جاء عليها من بلاد المشرق.

أ- حول إشكالية الرسالة المبعوثة من أهل المغرب إلى العُمانيين في قضية الولاية والبراءة:

إن الموضوع العام الذي تتحدث فيه هذه الرسالة هو الولاية والبراءة في الدين، أما محورها الرئيسي الذي تدور عليه رحاها، فهو قضية الحارث بن تليد الحضرمي وقاضيه عبد الجبار بن قيس المرادي اللذان وُجِدا مقتولين وسيف كل واحد منهما في جسد الآخر، فاختلفوا فيمن قتل الآخر؟ ومن يستحق الولاية منهم ومن يستحق البراءة[1]، وظلت هذه المسألة تشغل فكر الكثير من أهل المغرب، بل أنها بلغت "أهل المشرق فاختلفوا كما اختلف أهل المغرب"[2].

ونظرا لكون الرسالة الموجهة من أهل المغرب إلى أهل المشرق في هذا الخصوص لم تذكرها المصادر، وإنما احتفظت لنا برد إباضية المشرق فقط، فإن الشك يحوم حولها، ومن هذا المنطلق فإننا نتساءل هل هناك رسالة خرجت فعلا من بلاد المغرب إلى البصرة

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٤، البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و١٧٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١١٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٥٥، سيدة كاشف: إباضية عُمان...، م. س، ص٥٨١.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١١٤.

في شأن الحارث بن تليد وعبد الجبار أم لا؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عليه هنا.

يرى بعض الباحثين[١] أن هناك رسالة أرسلت بهذا الشأن إلى أهل البصرة، من أجل نزع فتيل هذه المشكلة التي عكّرت صفو القلوب في بلاد المغرب وكدّرت العقول وأشغلتها في المشرق، إلا أن هؤلاء الباحثين في الوقت نفسه لا يتعرضون لأدلة تثبت ما ذهبوا إليه.

وبناء على ذلك فلا يمكن التعويل على قول أولئك الباحثين، إذ لا يمكننا الجزم بأن هناك رسالة أرسلت من أهل المغرب إلى البصرة في قضية الحارث بن تليد وعبد الجبار، فأبو زكريا يقول: "وقد حدّث بعض أصحابنا أن مسألة الحارث وعبد الجبار اتصلت إلى أرض المشرق (فكان) بينهم فيها اختلاف وفرقة، وفي المغرب أشد من ذلك حتى كتب إليهم أبو عبيدة مسلم وأبو مودود بالكفِّ عن ذكرهما"[٢]، وأورد الدرجيني نفس الرواية قوله: "حدّث بعض أصحابنا أن مسألة الحارث وعبد الجبار اتصلت إلى المشرق فكان بين أصحابنا الذين في المشرق بهذه المسألة اختلاف وفرقة وفي المغرب أشد من ذلك، حتى كتب إليهم أبو عبيدة وأبو مودود حاجب الطائي –رضي الله عنهما– بالكف عن ذكرها"[٣]، ويؤكد هذا القول الشماخي حين يقول: "فبلغت مسألتهما أهل المشرق، فاختلفوا كما اختلف أهل المغرب، فكتب أبو عبيدة وحاجب الكف عن ذكرهما"[٤]، فيظهر من هذه الروايات الثلاث أن أبا عبيدة وأبا مودود قد كتبا هذه الرسالة من تلقاء أنفسهم دون أن يكون هناك رسالة جاءتهما بهذا الخصوص؛ نظرا لما وصل إليهما من أخبار بتضخّم هذه المسألة وتشعّبها وإحداثها لشرخ في صفوف إباضية المغرب كما أحدثته في إباضية المشرق.

ويؤكد هذا الأمر ذلك النص الذي ورد في رسالة الرد، والذي جاء فيه: "فقد

---

١) وهؤلاء الباحثون هم: فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٥٨، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٥، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٥.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٥٨.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٤.

٤) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١١٤.

قدم علينا من قبلكم من يهتم بأمركم ويحزنه شأنكم، فسألناهم عنكم فأخبرونا خبرا راعنا، وراع من قبلنا من إخوانكم" [١] فعند إمعان النظر في هذا النص يتبين أن هناك رجالاً قدموا من أهل المغرب، فسألهم أبو عبيدة عن حال الإباضية هناك فأخبروه بخبر انشقاقهم واختلافهم في قضية الحارث وعبد الجبار، فلم يجد بدا من إرسال هذه الرسالة محاولة منه لتقديم النصح وجمع الكلمة لما يعرفه من الوقع الذي ستحدثه هذه الرسالة في قلوب إباضية المغرب، كونه يمثل رئاسة المذهب في المشرق والمغرب، ولذات السبب وقّعها الإمام أبو عبيدة باسمه على الرغم من مشاركة أبي مودود له وبعض علماء البصرة، كما يظهر ذلك من النص السابق وورود بلفظ الجماعة.

ويدعّم هذا الرأي أن الرسائل الأخرى التي كانت متبادلة بين الطرفين، كان كل طرف يذكر وصول الكتاب إليه من الطرف الآخر حين يكتب الرد، من ذلك الرسالة الجوابية التي بعث بها أبو عبيدة نفسه على رسالة وصلت إليه من المغرب: "أتانا كتابكم تذكرون فيه عظيم ما منَّ الله عليكم" [٢]، وفي الرسالة نفسها يقول أيضا: "أتانا كتابكم بمسائل"[٣]. وفي رسالة أخرى من الربيع بن حبيب إلى أهل المغرب يقول فيها: "قد بلغنا ما كان من قبلكم وفهمنا ما كاتبتمونا به"[٤]، بينما تخلو هذه الرسالة التي وجه بها أبو عبيدة من ذلك كله، فقد جاء في مقدمتها هذه العبارة: "إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين سلام عليكم نحمد الله"[٥].

ومن هذا نستنتج أنه لم تكن هناك رسالة موجهة من أهل المغرب إلى أبي عبيدة مسلم في قضية الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس، وإنما كانت رسالة أبي عبيدة من تلقاء نفسه كما قلنا سابقا.

---

١) الشيخ سالم بن يعقوب: مخطوط الرسالة نسخها الشيخ من الديار المصرية، في دفتر رقم ٢ دون أن يحيل على مصدره نقلا عن: فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٥٩.

٢) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم..، م. س، ص٥١٣.

٣) نفسه: ص٥١٣.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م، س، ص٩١.

٥) سالم بن يعقوب: مخطوط من الديار المصرية، م. س. دفتر رقم٢.

- **رسالة أبي عبيدة مسلم إلى أهل المغرب في قضية الولاية والبراءة:**

تعد هذه الرسالة الأولى من نوعها التي وجهها إباضية البصرة إلى أهل المغرب، وقد أرسلت هذه الرسالة كما بينا سابقا من قبل أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وأبي مودود حاجب الطائي[١]، وقد كتبت هذه الرسالة قبيل مبايعة الإمام أبي الخطاب المعافري بالإمامة (١٤٠هـ/٧٥٧م-١٤٤هـ/٧٦١م) وبلغت المغرب بعد مبايعته مباشرة؛ نظرا لخلوها من أي عبارة تدل على عقد الإمامة لأبي الخطاب، فوصلت في وقت مناسب إذ دعمت رأي أبي الخطاب في السكوت عن هذه القضية، إذ اشترط عليهم أبو الخطاب عند مبايعته بالإمامة أن يوافق على هذه البيعة شريطة أن يتم التوقف عن الحديث في مسألة الحارث وعبد الجبار وعدم الخوض فيها مطلقا[٢]، وهو الأمر الذي أمر به أبو عبيدة كما سنوضحه في تحليل الرسالة، فكانت هذه الرسالة عونا له في القضاء على هذه المشكلة.

وقد جاء في مطلع الرسالة: "سلام عليكم فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وإنا نوصيكم بتقوى الله والاجتماع على طاعته"[٣]، وهذه المقدمة يمكن أن نستخلص منها ما كان يشعر به كاتبها من الألم والأسى على ما وقع لإخوانه؛ نظرا للدخول في جوهر الرسالة مباشرة ونصحهم بتقوى الله والاجتماع على الحق، دون أن تسبقها مقدمة تحوي أخبار المنطقة المرسلة منها كعادة الرسائل التي سنتعرض لها لاحقا.

كما توضح الرسالة الحزن الذي خيّم على مركز الدعوة، ويظهر ذلك من قولهم: "أما بعد، فقد قدم علينا من قبلكم من يهتم بأمركم، ويحزنه شأنكم، فسألناهم عنكم فأخبرونا خبرا راعنا، وراع من قبلنا من إخوانكم، حتى بلغ حزنه من ذلك ما لا نستطيع أن نصفه، مما وقع بينكم من التحاور والتنازع والاختلاف في أمر لا يختلف في

---

١) سنعتمد على نص الرسالة التي أوردها الدكتور فرحات الجعبيري والتي نقلها عن الشيخ سالم بن يعقوب والتي نقلها الأخير من الديار المصرية، في دفتر رقم ٢ دون أن يحيل إلى مصدرها. انظر: العلاقة بين إباضية المغرب..، م. س، صص٥٨-٦٦.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٣.

٣) سالم بن يعقوب: مخطوط من الديار المصرية، مخ. س، دفتر رقم ٢.

أحد يبصر دينه ويعرف ربه ويخاف عقابه، وما لم يختلف في مثله أحد من هذه الأمة قبلكم" [١]، فهذه العبارات كافية لتوضيح مدى قوة العلاقة بين إباضية البصرة وإباضية المغرب، وأن ما يحدث لأحد الأطراف من أمر محزن، يتألم له الطرف الآخر على الرغم من بعد الشُقّة بينهما، كما يمكن أن نستنتج من هذا النص أيضا إمكانية مشاركة العلماء العُمانيين القاطنين بالبصرة في بعض عبارات هذه الرسالة إذ يظهر أن هذا الأمر أشغل كل إباضية البصرة.

واستمرت عبارات الرسالة على هذا المنوال، تارة بعبارات النصح والإرشاد "فلم تزالون تعرفون من الله الزيادة والنصر على عدوكم والوهن في عدوكم حتى استوجب الله بذلك الشكر له والطاعة له وحسن الإجابة لدعوته لما اصطنع عندكم من آلائه الحسنى وفضله العظيم" [٢]، وتارة بعبارات التحذير والتخويف من مغبة الفرقة والتشتت، وأن النصر لا يتأتى إلا بجمع الكلمة ولمِّ الشمل" واعلموا أن الفشل والتنازع بعد الكلمة الجامعة واليد الواحدة أعظم المعصية وأعجلها نقمة وأشدَّها عقوبة، فاتقوا الله عباد الله"[٣].

أما رأي الإمام أبي عبيدة مسلم في قضية الحارث وعبد الجبار التي هي لبُّ المشكلة، فهو السكوت عن هذا الأمر وعدم الجهر به أمام الناس، ومن أراد أن يتخذ لنفسه رأيا في هذه القضية فليكن فيما بينه وبين الله، ولا يظهر ذلك لغيره من الناس"وهو الذي نريد منكم ونطلبه إليكم بأن تكونوا من الرجلين على علم، ولا يظهر أحد منكم على أحد براءة، ولكن ما بينه وبين الله، فارجعوا إلى ما كنتم عليه ودعوا ذكرهما" [٤].

وفي نهاية الرسالة ينهى أبو عبيدة أهل المغرب عن الغلو في الدين والخروج عن مبادئه السمحة، ثم يختمها بمثل ما بدأها، وهو دعوتهم إلى تقوى الله عزوجل فبها يتم

---

١) المصدر نفسه: دفتر رقم ٢.
٢) المصدر نفسه: دفتر رقم٢.
٣) المصدر نفسه: دفتر رقم٢.
٤) المصدر نفسه: دفتر رقم٢.

التوفيق والعصمة من الوقوع في الزلة "واحذروا الغلو والزيغ عن سبيل المسلمين، وأن يقول القائل منكم، إذا كنت عند الله محقا لم أبال، فإن الله لا يرضى أن يخالف حكمه؛ لأن الله نهاكم عن أن تعرّضوا أنفسكم للبراءة، فبالله توفيقنا وإياكم، عصمنا الله وإياكم بالتقوى"[١].

ب- رسالة من أهل المغرب تحوي مسائل فقهية:

هذه الرسالة هي الأولى التي أرسلها أهل المغرب إلى أهل المشرق في عهد الإمام أبي الخطاب المعافري (١٤٠هـ/٧٥٧م - ١٤٤هـ/٧٦١م) ولكن الأمر الذي يؤسف له هو فقدان نص هذه الرسالة، ولم يحتفظ لنا القدر إلا بالرد المشرقي عليها، لذلك سنحاول أن نستنبط من الرد مضمون هذه الرسالة وأسباب توجيهها وفحواها.

يظهر من مقدمة الرد على هذه الرسالة[٢]: "أتانا كتابكم تذكرون فيه عظيم ما منَّ الله عليكم من جمع كلمتكم وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم"[٣]. إن أهل المغرب بعثوا بها بعد أن تمكنوا من مبايعة الإمام أبي الخطاب المعافري بالإمامة، وبعد أن استقرت أوضاعهم في المغرب، فكانت هذه الرسالة بالإضافة إلى كونها فقهية هي في الوقت نفسه بشرى بهذا النبأ، فقد بدأها أهل المغرب بهذا الخبر ليكون مقدمة لها، وبشرى يزفها أهل المغرب إلى إخوانهم أهل المشرق.

أما بالنسبة للأسئلة التي وردت فيها فهي معظمها مسائل متعلقة بأمور الزكاة، وقد بلغت في تعدادها إحدى وأربعين مسألة[٤]، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

---

١) المصدر نفسه: دفتر رقم ٢.

٢) سنعتمد على نص الرسالة المحققة التي حققها الدكتور مبارك الراشدي في كتابه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بعد أن قارنها بنظائرها من النسخ المخطوطة في كل من مصر وتونس. انظر: صص٥٠٩-٥٣١.

٣) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٥١٣، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٦٩، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٦.

٤) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٧٠.

- مسائل: في جمع الزكاة "ذكرتم في كتابكم العشر وكيف جمعه"[١].
- مسألة: في جامع الزكاة هل له نصيب منها؟ "وأما ما ذكرتم هل لمن جمعه من أمناء المسلمين الذين بين أظهر قومنا سهم أو كرا"[٢].
- مسألة: في البلد التي لا تكون خاضعة للإمام هل يجوز إرسال أهلها الزكاة للإمام؟" وأما ما ذكرتم من إمام المسلمين إذا لم يملك بلدا هل لمن بها من المسلمين أن يبعثوا بعشورهم إليه"[٣].
- مسألة: في جامع الزكاة هل عليه ضمان ما جمع إذا أصاب الزكاة مكروه؟ "وأما ما ذكرتم من العشور وغيرها من الزكاة تجمع في يد أمين القوم برأيهم ثم يصيبه أمر فيذهب"[٤].
- مسألة: هل يجوز أن يعطي الرجل الزكاة لوالديه وهل لهم أن يأخذوا من الزكاة بعد جمعها إذ أن الولد ساهم فيها "وأما ما ذكرتم من الوالدين هل لهم في عشور أولادهم شيء في جماعة أو فرادى"[٥]، إلى غيرها من الأسئلة التي طرحتها تلك الرسالة.

هذا بالنسبة للرسالة التي بعث بها أهل المغرب، وسنتعرض لتفاصيلها في رد أهل المشرق عليها.

- **رد أهل المشرق على رسالة أهل المغرب في مسائل فقهية:**

لقد وصلت الرسالة الآنفة الذكر إلى البصرة، وكان زعيم الإباضية آنذاك الإمام أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، فتولى هو الرد على تلك الأسئلة، وعلى الرغم أن أبا عبيدة

---

١) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٥١٤.
٢) المرجع نفسه: ص٥١٨.
٣) نفسه: ص٥١٨.
٤) نفسه: ص٢٠.
٥) نفسه: ص٥١٤.

مسلم شخصية غير عُمانية، إلا أنها كانت واسطة العقد في زعامة المذهب الإباضي فهو الذي أتى بعد الإمام جابر بن زيد العُماني وقبل الإمام الربيع بن حبيب العُماني في قيادة المذهب الإباضي من مركزه في البصرة قبل انتقاله إلى عُمان، كذلك لما نتوقعه من الدور الريادي الذي قامت به شخصية الإمام الربيع بن حبيب في الأحداث الجارية في عهد الإمام أبي عبيدة مسلم، كونه كان أفضل تلامذته وأقربهم منه، فقد ذُكر الربيع بن حبيب عند أبي عبيدة يوما فقال عنه: "تقينا وأميننا وثقتنا"[١]، كما كان ينوب عنه في الحج في حال مرضه، وكان يثق فيه ثقة كبيرة من ذلك ما ورد في السير على لسان أبي سفيان قوله: "جاء نصر أبو محمد الأزدي إلى أبي عبيدة يسأله عن مسأله فأجابه ثم قال: ائت بالربيع فلما حضر سأله فأجاب بغير جواب أبي عبيدة فراجعه أبو عبيدة فيه، فقال: الذي حفظت عنك كذا، قال: أوقد حفظت؟ قال: نعم، قال للرجل: انظر ما قال الربيع فخذ به فإنه عني حفظ، وكان أبو عبيدة في وقته شكاية"[٢]. كل هذه الروايات تدل على إمكانية تدخّل الربيع في مراسلات الإمام أبي عبيدة مع أهل المغرب ولو من باب الاستشارة أو المحاورة مع شيخه أو كتابة الرسائل له، وخاصة أن هذه الرسالة قد وجهت إلى أهل المغرب قبيل وفاة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م)، ولعل الشكاية التي ذكرناها آنفا كانت في نهاية عمره، وأن كبر السن قد أنهك جسده وأنه كان غير قادر على الرد فكان يوكل الأمر إلى الربيع بن حبيب في مخاطبة الإباضية باسمه.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة نُسبتْ إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وعنونتها بعض المصادر برسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في الزكاة[٣].

لا تذكر لنا المصادر التاريخية الأشخاص الذين بعثوا بهذه الرسالة إلى الإمام أبي عبيدة

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٩٥.

٢) المصدر نفسه: ص٩٦.

٣) مخطوط رسالة الشيخ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في الزكاة، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢١٥٨٢/ب صفحة ٢٢٥-٢٢٩، نقلا عن مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٥١٢، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: رسالة مسلم بن أبي كريمة في الزكاة للإمام أبي الخطاب المعافري، سلسلة (تراثنا) العدد: ٣٤، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٩٨٢م، ص٣.

مسلم بن أبي كريمة، ولكن الرد الذي ورد من البصرة، كان موجها إلى أبي الخطاب المعافري(١٤٠هـ/٧٥٧م – ١٤٤هـ/٧٦١م) وأتباعه، إلا أن أبا عبيدة لم يشأ كتابة اسم أبي الخطاب المعافري في الرد واستبدله بشخصية عاشت في عصر هذا الإمام، ويدعى الشيخ إسماعيل بن سليمان المغربي؛ تمويها لكي لا يعثر عليها أحد من أتباع الدولة العباسية قبل أن تصل إلى يد أبي الخطاب فيتوصلون إلى العلاقة بينه وبين أبي عبيدة مسلم[١]، فيتعرّض الأخير للأذى من قبل السلطة العباسية في العراق؛ نظرا لوجوده في البصرة التي هي بالقرب من العاصمة العباسية بغداد.

وقد طفحت مقدمة الرسالة بكلمات الفرح والاستبشار والابتهاج من قبل أبي عبيدة مسلم بوجه الخصوص وإباضية البصرة بوجه العموم على اجتماع كلمة إباضية المغرب ولمّ شملهم بعقد الإمامة لأبي الخطاب المعافري، وكانت هذه المقدمة "معبّرة تعبيراً صريحاً عن أواصر المودة بين الإمام في البصرة وأهل المغرب"[٢]، فقد جاء في مقدمة الرسالة "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، أتانا كتابكم تذكرون فيه عظيم ما منَّ الله عليكم من جمع كلمتكم، وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم، ولعمري ما كثرتهم وإن كثروا ممن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم، فاقتدوا بهم تهن عليكم كثرتهم على خلافكم. نسأل الله العون والتوفيق لكم في جميع أموركم، وأن يكفينا وإياكم بأسهم، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم، ويشفي صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، فلعمري لقد سرني ما انتهيتم إليه من أمركم، وإن كان ذلك لم يخف عنا غير أنَّا لم نظن الذي كتبتم به إلينا، والله سيتم الخير كله بعونه وتوفيقه" [٣].

---

١) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٥١١.

٢) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٦٩.

٣) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٥١٣، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٦٩، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٦. أورد الدكتور محمود إسماعيل هذا الجزء فقط من الرسالة نقله من مخطوط بدار الكتب المصرية. انظر: الخوارج في بلاد المغرب...، م.س، صص٣١١–٣١٢. وهذا المخطوط هو نفسه الذي نقل منه الدكتور مبارك الراشدي هذه الرسالة.

إن صيغة الجمع التي استخدمت في كتابة الرسالة "أتانا كتابكم . ."، والتي عادة ما تستعمل للدلالة على التفخيم والمكانة العالية لكاتب الرسالة، قد توحي أيضا بكثرة المهتمين بها، وبأن أبي عبيدة لم يكن وحده المعني بهذا الأمر، بل إن هذا الفرح شمل كل من معه من إباضية البصرة بما فيهم العُمانيون، وهو الأمر الذي يؤكد "اهتمام العُمانيين الدائب بأمر المغاربة، حيث كانوا يتتبعون أحوالهم أولا بأول، ولم تكن تخف عنهم خافية في هذا الشأن"(١).

كما يتضح من هذه الرسالة وصول أخبار إباضية المغرب إلى مركز الدعوة في البصرة بصورة متتابعة، وإن كانت بدون تفاصيلها الدقيقة، ويظهر ذلك من قول أبي عبيدة: "وإن كان لم يخف عنا، غير أنّا لم نظن الذي كتبتم به إلينا" (٢). ومن هذا النص نفهم أيضا أن الرسالة التي بعث بها أهل المغرب كانت تحمل تفاصيل كل الأحداث التي حدثت لإباضية المغرب.

ومما يؤكد على وصول تفاصيل الأحداث الدقيقة الواقعة إبان إمامة أبي الخطاب المعافري في هذه الرسالة أو عن طريق الرسل الذين حملوها؛ هو عدم إجابة أبي عبيدة على بعض الأسئلة الواردة فيها، بدعوى أنها ستؤدي إلى الفرقة، ويقصد هنا مسألة الحارث بن تليد وقاضيه عبد الجبار(٣)، التي أحدثت فرقة في صفوف الإباضية في بلاد

---

١) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٦.

٢) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٥١٣، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب...، م.س، ص٣١١، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٦٩، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٦.

٣) واستنتج مبارك الراشدي من هذه العبارة أن هذه الرسالة أرسلت قبل رسالة الحارث وعبدالجبار وأن الأسئلة التي لم يرغب أبو عبيدة الإجابة عليها هي هذه المسألة. انظر: مبارك الراشدي: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة...، م. س، ص٥١٢. إلا أننا نرى غير ذلك، فهذه الرسالة جاءت بعد الرسالة الأولى لخلو الرسالة الأولى من أي عبارة تدل على تولي أبي الخطاب الإمامة، كما أن مسألة الحارث وعبد الجبار قد اختفت من المصادر بعد طلب أبو الخطاب السكوت عنها، بعد مقدم رسالة أبي عبيدة وتدعيم رأي أبي الخطاب في الوقوف عنها أيضا، و لم تظهر إلا بعد ذلك بسنوات عديدة عندما أراد بعض الناس إحياءها، لكن في النهاية اتفقوا على رأي الوقوف. انظر: الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٩١. ونؤيد الدكتور مبارك الراشدي في أن بعض تلك الأسئلة التي لم يرغب أبو عبيدة الإجابة عليها كانت تخص هذه القضية إلا أن أبا عبيدة ارتأى عدم الإجابة عليها لئلا يشعل هذه الفتنة بعد أن خمدت.

المغرب كما بينا سابقا، وحفاظا على رأيه السابق في هذه المسألة وهو السكوت عن طرحها علانية، وإنّ كل من أراد أن يتخذ موقفا منها فإنه يكون بينه وبين الله، ولا يظهر لعامة الناس، فقد جاء في نص الرسالة: "أتانا كتابكم بمسائل فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها، ومنها ما رأيت ألا أجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير إلا الذي رأيته أصلح لجماعتكم وأقوم لشأنكم وأعطف لقلوبكم وأجمع لأموركم وما توفيقي إلا بالله، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه"(١).

ثم يسترسل الإمام أبو عبيدة في الرد على الأسئلة الفقهية المتعلقة –في أغلبها– بمسائل الزكاة، وقد ضمت هذه الرسالة بين طياتها إحدى وأربعين مسألة كما بينا ذلك آنفا، منها على سبيل المثال، مسائل في جمع الزكاة، ومسائل في تفريق الزكاة، ومسائل في أي بلد توزع، إلى غيرها من المسائل(٢).

ولم تحتو الرسالة على خاتمة، وإنما توقفت الرسالة عند مسألة فقهية وهي: هل يجوز بناء المساجد من أموال الزكاة ؟، فكان رد الإمام: "فالقول في ذلك: أنه لا يحل بناء المسجد من الزكاة؛ لأنها لا تنصرف مصرفا عما سمى الله به نصا مما أمر إليه، وإنما سبب توجيهها من الله وفرضيتها لتقوية الفقراء لا لاتخاذ المساجد وغيرها"(٣) ولعل الرسالة مبتروة غير مكتملة إذ من المعلوم أن لكل رسالة خاتمة، ولو بعبارة واحدة تدل على انتهاء الرسالة، وهو الأمر الذي تخلو منه هذه الرسالة مطلقا.

ج– الرسائل الموجهة من العُمانيين إلى أهل المغرب في عهد الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم(١٧١هـ/٧٨٨م – ٢٠٨هـ/٨٧٢م):

كان عهد الإمام عبد الوهاب بن رستم حافلا بالتواصل الثقافي بين أهل المغرب والعُمانيين، وقد ظهرت في عهده ثلاث رسائل بُعثت من أهل المغرب إلى إخوانهم

---

١) مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، صص٥١٢–٥١٣، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب...، م. س، صص٣١٣–٣١٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٧٠.
٢) للمزيد من ذلك انظر تحقيق الرسالة: مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س،صص٥٣١–٥٧٢.
٣) المرجع نفسه: ٥٣٠.

العُمانيين ، تنوعت بين الاستفتاء والاستشارة وطلب النصيحة ، وهذه الرسائل كالتالي:

١-رسالة أهل المغرب إلى العُمانيين في مسألة من اعترض على إمامة عبد الوهاب بن عبدالرحمن:

قبل الدخول في تفاصيل الرسالة، نذكر أسباب إرسالها والأحداث التي سبقتها وحتّمت على أهل المغرب إيفادها إلى المشرق ، فعندما أحس الإمام عبد الرحمن بن رستم بدنو أجله ، جعل الإمامة من بعده شورى في نفر من العلماء وهم: مسعود الأندلسي وأبو قدامة يزيد بن فندين اليفرني ، وعمران بن مروان الأندلسي ، وعبدالوهاب بن عبدالرحمن ، وأبو الموفق سعدوس ابن عطية ، وشكر بن صالح الكتامي ، ومصعب بن سدمان[١] ، وبعد مفاوضات استقر رأي أغلب الإباضية على مسعود الأندلسي وعبد الوهاب بن عبدالرحمن ، ومالت القلوب إلى مسعود ، وعندما رأى ذلك الأمر هرب واختفى عنهم ، فرأى الناس تولية عبد الوهاب ، فلما علم هو بذلك خرج من مخبئه ليكون أول المبايعين لعبد الوهاب ، وعند ذلك اعترض ابن فندين عليهم ، وطلب تكوين مجموعة تكون مع الإمام ، لا يقضي بأمر دون الرجوع إليها ، إلا أن كافة من حضر البيعة رفضوا هذا الأمر ، فتمت البيعة لعبد الوهاب ، فقام الأخير بشؤون الإمامة واختار الولاة ورتب مملكته ، ولم يكن ابن فندين من ضمن المقربين لدى الإمام ، فلم يعط أي منصب في الدولة ، فغاضه هذا الأمر ، وبدأ بإثارة القلاقل في الدولة ، ونادى بوجوب تكوين جماعة تحكم مع الإمام ، وأن إمامة عبد الوهاب باطلة؛ لأن في الدولة من هو أفضل منه علما ، واستطاع أن يجمع حوله عدداً من عامة الناس[٢] .

ولم يتوقف ابن فندين عند هذا الحد ، بل رفع السيف في وجه الدولة الرستمية ،

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٨٤-٨٥، ويرى الدرجيني أن عددهم ستة، فلم يورد اسم مصعب بن سدمان. انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٤٦-٤٩، بينما يذكر الشماخي أن عددهم ثمانية، فيرى أن أبا قدامة شخصية ويزيد بن فندين شخصية أخرى فيصبحوا ثمانية بعد إضافة مصعب بن سدمان الذي أورده باسم مصعب بن سرمان. انظر: السير، م. س، ج١، ص١٣٠.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٨٦-٨٩، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٤٦-٤٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣٠.

فحدثت حروب بين الطرفين، فتدخل نفر من المصلحين بينهما، واقترحوا إيقاف الحرب وإرسال رسالة إلى أهل المشرق في هذا الأمر، فما أجابوهم به اتبعوه ووقفوا عنده، فوافق الطرفان على هذا المقترح[١].

فكتبوا الرسالة واختار الطرفان رجلين أمينين لإيصالها إلى المشرق[٢]، ولكن لم يكن نصها بأحسن حالٍ من الرسائل السابقة، فلم تحتفظ لنا المصادر التاريخية بنص هذه الرسالة، ولكنها احتفظت بنص الرد عليها من قبل علماء المشرق، ومن خلال ذلك الرد يمكننا معرفة أهم عبارات تلك الرسالة، أو بالأحرى مضمونها العام.

ضمت الرسالة سؤالين اثنين[٣] وهما اللذان دار عليهما الخلاف:

السؤال الأول: ما قولكم في تكوين جماعة من المسلمين تكون مع الإمام في الحكم ولا يقطع أمر دون الرجوع إليها، وتكون شرطا من شروط مبايعته؟

السؤال الثاني: ما قولكم في اختيار إمام للمسلمين وفي القوم من هو أفضل منه علما ؟

- **رسالة في الرد على من أنكر إمامة عبد الوهاب بن عبدالرحمن:**

خرج الرسولان برسالة أهل المغرب إلى مكة المكرمة، ويظهر من ذلك أن الوقت كان موسم حج، فوصلا مكة والتقيا بإخوانهم من الإباضية وكان المقدّم عليهم يومها الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي العُماني، وقد حضر الموسم معه عدد من العلماء منهم أبو غسان مخلد بن العمرد الغساني[٤] وأبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي[٥]، فأخبر

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٨٩، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣١.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣١.

٣) حاولنا صياغة سؤالين يكونان قريبين من تلك الأسئلة التي وردت في الرسالة إلى أهل المشرق بحيث لا تظهر في عبارات صياغتهما الميل إلى طرف دون الآخر.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م، س، صص٨٩-٩٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣١، الإزكوي: كشف الغمة ...، مخ. س، و٣٢٨، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٧.

٥) هو وائل بن أيوب الحضرمي من أهل حضرموت باليمن، عالم فقيه عاش في (ق: ٢هـ) أخذ العلم عن أبي

الرسولان بما جاءا به، وذكرا الخلاف الذي وقع بين أهل المغرب في هذا الأمر، فقرأوا الكتب التي مع الرسل واجتمع هؤلاء العلماء للرد على هذه المسألة[١].

وهذا هو نص الرسالة التي بعث بها هؤلاء العلماء ردًا على رسالة أهل المغرب كما ورد عن أبي زكريا[٢]، وسنضيف إليه بعض الإضافات من المصادر الأخرى[٣] التي أوردت هذه الرسالة؛ محاولة منا لإعطاء صورة قريبة لنص الرسالة الأصلية "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين[٤]، أما بعد: يا أخواننا، قد بلغنا ما كان من قبلكم، وفهمنا ما كاتبتمونا به[٥]، أما ما كتبتم به من أمر الشرط في الإمامة ألا يقضي أمر دون جماعة معلومة، فالإمامة صحيحة والشرط باطل[٦]، فلو صح في

عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وهو أحد الذين روى عنهم أبو غانم في مدونته. كان من أبرز العلماء الذين اجتمعوا لعقد الإمامة لغسان بن عبد الله في عُمان، وله سيرة مشهورة ضمن مجموعة من سير علماء الإباضية تنبئ عن رسوخ قدمه وسعة اطلاعه. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ص٤٩٣.

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م.س، صص٨٩–٩٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣١، الإزكوي: كشف الغمة ...، مخ. س، و٣٢٨، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٧.

٢) هو أبو غسان مخلد بن العمرد الغساني، أحد العراقيين الذين تتلمذوا على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، من علماء القرن الثاني الهجري، روى بشر بن غانم في مدونته كثيرا من أقواله، حدثت مناظرات بينه وبين عبد الله بن عبد العزيز من تلامذة أبي عبيدة. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ص٤٣٧.

٣) والمصادر هي: أبو زكريا: مخطوط السير وأخبار الأئمة، دار الكتب المصرية، رقم٩٠٣٠ح، ورقة١٦، نقلا عن: محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب...، م س، صص٣١٣–٣١٤، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨.

٤) عند أبي زكريا والباروني "كلمة (سيدنا) بدل (نبينا) انظر: السير ...، مخ. س، و١٦، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨، أما عند الدرجيني "صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما" انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩.

٥) هذه العبارة وردت عند أبي زكريا وسليمان الباروني. انظر: السير...، مخ. س، و١٦. الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨. أما عند الدرجيني "فقد اتصل بنا ما وقع قبلكم وما كتبتم فيه فأما ما ذكرتموه من أمر الشرط". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩.

٦) عند أبي زكريا وسليمان الباروني"أما ما كتبتم به من أمر الشرط فليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا الشرط في الإمامة أن لا يقضي أمرا دون جماعة". انظر: السير ...، مخ. س، و١٦، الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨. "ووردت هذه العبارة عند الدرجيني وزاد فيها كلمة معلومة بعد الجماعة ثم زاد الإمامة صحيحة والشرط باطل". انظر طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩.

الإمامة شرط، لما قام لله حق ولا أقيم له حد، ولتعطّلت الحدود وبطلت الأحكام ولضاع الحق[١]، والجماعة يتعذر اتفاقها[٢]، على أن الإمام إن قدم إليه سارق، لا يصيب[٣] أن يقيم عليه الحد، فيقطع يده، حتى تحضر الجماعة التي ذكروا[٤] أو زنى أحد فلا يرجم ولا[٥] يجلد، حتى تحضر الجماعة[٦]، ولا يجاهد الإمام عدوا، ولا ينهى عن فساد[٧] إلا بحضرة الجماعة المعلومة[٨]، فالإمامة صحيحة والشرط باطل[٩]، وأما ما ذكرتم من تولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو أعلم منه فذلك جائز[١٠] إذا كان [١١]في القناعة والفضل بمنزلة حسنة[١٢]، وقد ولي أبو بكر الصديق، رضي الله

---

١) تتفق المصادر على هذه الفقرة "فلو صح .... لضاع الحق" أبو زكريا: السير..، مخ. س، و١٦، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨.

٢) لم ترد هذه العبارة إلا عند أبي زكريا. انظر: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٩١.

٣) عند الدرجيني" فلا يمكنه". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩.

٤) عند أبي زكريا والباروني "الجماعة التي ذكرناها". انظر: السير...، مخ. س، و١٦، الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨، وعند الدرجيني حتى تحضر الجماعة". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٠.

٥) عند الدرجيني "أو يجلد". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٠.

٦) عند أبي زكريا والباروني "تحضر أيضا" انظر: السير ...، مخ. س، و١٦، وكذلك عند سليمان الباروني انظر: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨.

٧) عند الدرجيني "منكر" انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٠.

٨) الدرجيني يضيف عبارات لا ترد في المصادر الأخرى وهي "إلا بمحضر الجماعة، فيكونوا كلهم إماما وكلهم لا إمام فهذا إبطال وتتبعه غير الاستقامة ورمي الإمامة به بغي والسؤال عن هذا غي". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب...، م. س، ج١، ص٥٠. ويظهر أن هذه الزيادة من الدرجيني نفسه إذ لم ترد في المصادر الأخرى مطلقا ولا عبارات قريبة منها.

٩) لا ترد هذه العبارة "فالإمامة صحيحة والشرط باطل" في هذا الموضع عند الدرجيني. انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٠.

١٠) هناك إجماع على هذه العبارة "وأما ما ذكرتم.... فذلك جائز" أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٩١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج١، ص٥٠، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨.

١١) ترد كلمة "الثاني" في هذا الموضع عند أبي زكريا والباروني. انظر: السير ...، مخ. س، و١٦، الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨.

١٢) لا ترد هذه العبارة عند الدرجيني، بل ترد عبارة أخرى وهي "إذا كان مستكملا لشروط الإمامة، وكان من أهل الفضل والدين والعدل والسياسة والمنزلة المرضية". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٠.

عنه، وزيد بن ثابت أفرض منه، وعلي بن أبي طالب أقضى منه[١]، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه أعلم منه، وهذا ليس فيه اختلاف لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –" أفرضكم زيد، وأقضاكم علي، وأقرأكم أُبي، وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل" وقوله – صلى الله عليه وسلم –: "معاذ بن جبل سيد العلماء[٢]"، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[٣].

وهناك عبارة أوردها أبو زكريا ولم يحدد موضعها من الرسالة وهي قوله:" وذكروا أن الإمامة لا تبطل إلا بحدث في الإسلام، بعد الإعذار والإنذار منهم والإصرار والاعتبار من إمامهم، فحينئذ يزول من الإمامة"[٤].

وبعد إن انتهى هؤلاء العلماء من تدوين هذه الرسالة طلب الشيخ أبو غسان مخلد من العلامة عبد الرحمن بن محمد بن مسلمة، إعادة نسخها لتبقى حجة للمسلمين من بعدهم[٥]، ولعل هذا الأمر هو الذي ساعد على بقاء نص هذه الرسالة وحافظ عليها من الضياع لوجود نسختين منها في المشرق والأخرى في المغرب.

ويتضح من نص الرسالة بعد مقارنته ببعض المصادر التي أوردته أن النص الأصلي للرسالة كان قصيرا ومقتضبا، وأن كثيرا من الإضافات كانت من قبل ناقلي هذا

---

١) من هذا الموضع حتى نهاية الرسالة ترد بلفظ آخر عند الدرجيني وهي"ومعاذ بالحلال والحرام أعرف منه، وأبي بكتاب الله أقرا منه، كل شهد له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بذلك ومع هذا فلم يكن أحد منهم أولى منه بالإمامة، فالجواب إثبات الولاية وإبطال الشرط، ولو انعقدت عليه، وتخطئة من اختلفه وأحله غير محله". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٠.

٢) وردت زيادة عند أبي زكريا وسليمان الباروني في هذا الموضوع "سيد العلماء سيحشر غدا – يوم القيامة– أمام العلماء" انظر: السير ...، مخ. س، و١٦، الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨.

٣) "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" وردت عند عند أبي زكريا وسليمان الباروني فقط. انظر: السير ...، مخ. س، و١٦، الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٥٨.

٤) سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٩٢. بينما أوردها الدرجيني بصيغة أخرى "ومما ضمنوه جوابهم أن الإمامة لا تبطل إلا بحدث في الإمام بعد الإعذار والإنذار، وتمادي المحدث على الإصرار والاستكبار، فيحنئذ يجب القيام عليه، وإبطال ما صار من أمر المسلمين إليه". انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٠.

٥) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣١.

النص؛ نظرا للمدة الطويلة التي مضت عليه، وكثرة ناقليه.

ونستخلص من الرسالة أن العلماء الذين كتبوها اعتبروا هذه الرسالة هي مسألة فقهية فحسب، إذ لم تحتو على كلمات النصح والإرشاد، وإنما كانت كلها أدلة فقهية وتحليل لها، كذلك نستخلص من عدم كتابة الرد إلى شخص معين أن هذه الرسالة موجهة إلى الطرفين المتنازعين، وليست إلى الإمام عبد الوهاب وحده، ولعل العلماء لم يحبذوا كتابة الرسالة باسم الإمام على الرغم من أنه على صواب في نظرهم؛ ابتعادا من الوقوع في المداهنة لطرف دون الآخر، واحتراما لرأي الطرف المعارض للإمام.

وبهذا تكون هذه الرسالة من الرسائل العُمانية الموجهة إلى بلاد المغرب كون المشرف على إرسالها هو الإمام الربيع بن حبيب، وما مساعدة العلماء الآخرين له إلا من باب الاستئناس برأيهم ومشاركتهم في الخير، لما عرف عن الربيع من طول باعه في العلم بشهادة أستاذه وشيخه الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة كما بينا ذلك سابقا.

٢- استفتاء من الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن في إمكانية ذهابه لأداء مناسك الحج:

وتطالعنا المصادر التاريخية بتلك الرسالة التي أرسلت من بلاد المغرب في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وبأمر منه، إلى إخوانه إباضية المشرق، وكان موضوع هذه الرسالة هو رغبة الإمام في التوجه إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، إذ بدأ الإمام فعلا في الاستعداد لذلك فخرج من تاهرت ومرّ في طريقه بجبل دمرا وعيّن عليه واليا ثم توجه إلى جبل نفوسة ليطلعهم على ما عزم عليه من أداء الفريضة، إلا أن هذا الخبر وقع على علماء الجبل كالصاعقة فاعترضوا على هذا الأمر، ووقفوا سدا منيعا أمام تنفيذ هذه الرغبة، وكل ذلك خوفا عليه من أن يقع في أيدي أتباع الدولة العباسية أثناء توجهه إلى الحج، كما أن الفراغ السياسي الذي سيتركه في الدولة لن يتمكن أحد من ملئه، وستتوقف بذلك أمور كثيرة في الدولة، هذه الأسباب وغيرها هي التي حاجج به علماء الجبل الإمام عبد الوهاب ليمنعوه من التوجه إلى الحج[١].

---

١) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣١، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص١١٤-١١٦، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٦٥-٦٦، الشماخي: السير، م. س، ج١،

وعندما وقع هذا الاختلاف بين الإمام وأهل الجبل ومع إصرار الإمام على أداء الحج، توافق رأيهم على إرسال رسالة إلى إباضية المشرق للاستنارة برأيهم في هذا الأمر ويكون الرد فيصلا بين الفريقين، ولم يكن الإمام عبد الوهاب بأقل منزلة في العلم والفضل إلا أنه رأى "أن فتيا غيره في نازلة مختصة به أولى، وأنهى للنفس عن الهوى"[١]، فبعث رسالته إلى المشرق مع رجل من أهل تمزرا من جبل نفوسة، وبلغ الموسم والتقى هناك بالإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي العُماني، وأخبره بخبر ما أرسل من أجله[٢].

-رد على رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن في حكم ذهابه إلى الحج:

لا تورد المصادر التاريخية نص الرسالة التي رد بها الإمام الربيع بن حبيب على رسالة الإمام عبد الوهاب، فقد تعرّض لها ابن سلام ولكنه لم يورد نصها الكامل، بل لم يتعرض إلى كنه جواب الربيع مطلقا[٣]، أما المصادر الأخرى فتورد مقتطفات منها، من ذلك ما أورده أبو زكريا: "أن من كان مثلك في العناء لأمور المسلمين وتحمّل أمانتهم، وخاف على نفسه من المسودة (الدولة العباسية) أن يبعث لحجه وهو حي"[٤]، وعند الدرجيني: "من كان مثلك في العناية بأمور المسلمين ومحل أمانتهم وخاف على نفسه من أهل الجور والبغي، فينبغي له أن يستأجر من يحج عنه وهو حي"[٥]، ويورد الشماخي نصا مشابها لما أورده أبو زكريا ولكن به اختلاف قليل في بعض الحروف: "من كان مثلك في العناء بأمور المسلمين وحمل أمانتهم وخاف على نفسه من المسودة أن يبعث بحجه وهو حي"[٦].

ص١٤٠، رجب عبدالحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٤١، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص٢٦.

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٦٦

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٦٦، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٤٠، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٧.

٣) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣١.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١١٥.

٥) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٦٦.

٦) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٤٠.

ولئن لم يصلنا نص الرسالة المرسلة التي يمكن أن يكون بها بعض العبارات الأخوية، أو المقدمات التي تحوي بعض الثناء على شخص المرسل إليه، إلا أن فحوى الرسالة ومضمونها كان واضحا من النصوص التي أوردناها، وهو عدم جواز ذهاب الإمام إلى الحج وإيفاد رجل يحج عنه؛ وذلك بسبب الخوف عليه من الوقوع في أيدي الدولة العباسية.

وهذه الرسالة تدل على "جدية المفتين العُمانيين وإخلاص نيتهم وصفاء سريرتهم الدينية"[١]، وخوفهم الكبير على الدولة الرستمية من أي أذى قد يلحق بإمامها مما يؤدي إلى زعزعة الأمن فيها، وتَرْكِ فراغ سياسي لا يمكن لأحد أن يشغله في غيابه، وهذا الشعور يدل على قوة وعمق العلاقة بين العُمانيين وأهل المغرب وحب كل طرف الخير للآخر

ولما بلغت هذه الرسالة يد الإمام عبد الوهاب أخذ برأي الإمام الربيع بن حبيب العُماني، يقول الشماخي: "فلما قدمت عليه رسله أخذ بقول الربيع فأرسل رجلا من أهل تمزدا يحج عنه"[٢]، وعلى الرغم من وصول جوابين له، إذ أن الرسول الذي بعث به عبد الوهاب طلب منه أيضا أن يمر في طريقه بالعالم المصري الإباضي هناك ويدعى ابن عبّاد[٣]، فأفتاه بقول: "من كان مثلك على الصفة المذكورة من العناء لأمور المسلمين فليس عليه حج؛ لأن أمان الطريق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه"[٤].

٣- رسالة أهل المغرب إلى العُمانيين في أمر خلف بن السمح:

هذه هي الرسالة الثالثة التي أرسلت من إباضية المغرب إلى إخوانهم العُمانيين، في

---

١) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٧.

٢) المصدر نفسه: ص١٤٠.

٣) هو العلامة عبدالله بن عباد المصري، عاش في آواخر القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، فقيه ومفت، عاصر الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي، وله فتاوى كثيرة منها هذه الفتوى. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص٢٦٩.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١١٦.

عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وقبل التعرّض لهذه الرسالة، سنورد دواعي الإرسال، إذ عزم الإمام عبد الوهاب مغادرة جبل نفوسة بعد أن مكث به سبع سنين منذ قدومه إليه أثناء رغبته في التوجه إلى الحج، وعند ذاك طلب إليه أهل طرابلس تولية والي عليهم، وأشاروا إلى رغبتهم في تولية وزير الإمام وأقرب الناس إليه السمح بن أبي الخطاب عبدالأعلى، فرفض الإمام أول الأمر، ولكن مع إصرار أهل طرابلس عليه لم يجد بداً من ذلك وقال: "يا معشر المسلمين، إنكم قد علمتم أن السمح وزيري، وأحب الناس إلي وأنصحهم، ولن أريد مفارقته، فإذا أردتم أن استعمله عليكم، فإني آثرتكم على نفسي واستعملته عليكم"[١] ومكث السمح واليا على طرابلس فترة من الزمن وقد أحبه الناس ومالت له القلوب لحسن سيرته وعدله بينهم[٢].

وعندما توفي السمح وقد خلّف ابنا له يدعى خلفٌ[٣]، رغب بعض الناس توليته خلفا لأبيه، قبل إعلام الإمام بذلك، الأمر الذي رفضه عقلاؤهم وعلماؤهم لكن العامة أصروا على ذلك وكاتبوا الإمام فيه[٤]، فردّ عليهم الإمام برسالة جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني آمركم بتقوى الله العظيم، والاتباع لما أمركم به، والانتهاء عما أنهاكم عنه، فقد بلغني ما كاتبتموني به من وفاة السمح واستخلاف البعض خلفا، ورد أهل الخير ذلك، فإن من ولى خلفا بغير رضا إمامه، فقد أخطأ سيرة المسلمين، ومن أبى من توليته فقد أصاب، فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص١١٨-١١٩.

٢) المصدر نفسه، ص١١٩.

٣) خلف بن السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، يعتبر إمام الفرقة الخلفية- المنسوبة إليه- تلقى العلم عن أبيه وعن حملة العلم بجبل نفوسة. قام بتمرد ضد الرستميين، وأسس الفرقة الخلفية، واستقل بجزء من حوزة طرابلس وقابس، نشط في يفرن وما جاورها، ولما تفاقم أمره حذره الإمام عبد الوهاب، لكنه لم يستجب؛ فقاتله والي الإمام على الجبل أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي عام ٢٢١هـ/ ٨٣٥م، فانهزم خلف وانحاز إلى مدينة "تيمتي" فسكنت حركته إلى أن مات. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص١٣٤.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص١١٨-١١٩، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٦٧-٦٨، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٢٠٤.

استعمله السمح إلى عمله الذي ولي عليه إلا خلف بن السمح ، فحتى يأتيه أمري ، وتوبوا إلى ربكم وراجعوا التوبة لعلكم تفلحون"[١] .

لم يقتنع بعضهم بكتاب الإمام فبعثوا إليه مرة أخرى بكتاب ليجيزهم على ما فعلوا ، إلا أنه رد عليهم مرة أخرى بالرفض ، وعندها حاول الإمام استعمال الحنكة معهم ، وسبر أغوار فكر وتوجه خلف ومدى إخلاصه وتقواه ، فبعث بكتابين الأول فيه عَزْلُ خلف ، والآخر به تعيينُه . على أن يعطى أولا الكتاب الأول ، فينظروا ماذا يفعل ، فإن استجاب يُعطى الكتاب الثاني ، وإن استكبر وامتنع يترك على ما هو عليه ، ولما قرأ خلفٌ الكتاب الأول رفض العزل ، واعتزى بمن معه ممن شايعوه[٢] .

وعندما رأى خلف وأتباعه إصرار الإمام على العزل اتفقوا على أن يبعثوا برسالة إلى إباضية المشرق ، يستفتوهم في هذه القضية[٣] ، لتكون حجة لهم يقارعون بها الإمام ، في تثبيت خلف في الولاية ، ولكن مما يؤسف له عدم تعرض المصادر التاريخية لنص هذه الرسالة ، إلا أنه من المنطقي أن تكون هذه الرسالة مدعّمة – من قبل مرسليها – بكل الأدلة التي يمكن أن تقنع علماء المشرق برأيهم وحجتهم في تولية خلف لهم ، ويمكن أن نستنبط ذلك من رواية الدرجيني حيث قال: "كتبوا إلى أبى سفيان محبوب بن الرحيل كتابا وجهوه إليه بالمشرق . . . رافعين إليه ما صدر عن الإمام فيهم ، وقدّروا ما هم عليه من إصابتهم بزعمهم ، وحسّنوا تولية خلف ، وَرَجُوا أن يكون منه جواب يوافق نظرهم الفاسد"[٤] ، فيمكن أن نفهم من هذا النص أنهم حملوا معهم رسائل الإمام إليهم في تخطئتهم ، وتحريم خروجهم عنه ، ورفضه لما قاموا به من تعيين خلف

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٦٩.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢١.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٧٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٧، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، صص٢٠٤–٢٠٥، رجب عبدالحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، صص١٤١–١٤٢.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٧٠.

دون إذنه، ومنعه تسليم الصدقات والزكوات لخلف كونه ليس واليا شرعيا من قبل الإمام[١]، كذلك يُفهم من عبارة: "ما هم عليه من إصابتهم بزعمهم" أنهم وصفوا لأهل المشرق ما هم عليه من الحزن والأسى لموت السمح، وأن رفض الإمام مبايعة ابنه خلفا يعد زيادة في حزن أهل المدينة، الذين كانوا يرون أن تولية خلف الولاية هي بمثابة الوفاء لأبيه الذي لم يروا منه إلا كل خير ورشد، ومن الحجج التي أوردوها في هذه الرسالة أيضا قولهم أن مدينة طرابلس منفصلة عن العاصمة تاهرت، إذ تقع بينهم أراضي تابعة لدولة الأغالبة فاستقلالهم عن الإمام أمر مصوغ له[٢]، ومما كتبوا في كتباهم أيضا الاستفتاء في إمكانية مبايعة خلف بن السمح إماما مستقلا عن إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن، بسبب ذلك الانقطاع بين الحوزات[٣]، فكيف كان رد إباضية المشرق على هذه الرسالة؟

- **الرسالة الجوابية لأهل المشرق في قضية خلف بن السمح:**

بلغت رسالة أهل المغرب في قضية خلف بن السمح إلى زعيم الإباضية آنذاك العلامة أبي سفيان محبوب بن الرحيل، الذي تولى رئاسة المذهب بعد وفاة الإمام الربيع بن حبيب، فكتب لهم أبو سفيان جواباً على هذه الرسالة، إلا أن المصادر لم تحتفظ لنا بنصها، ولكن احتفظت لنا بفحواها وخلاصة ما رد به أبو سفيان، كما ورد عند أبي زكريا: "فلما وصلت كتبهم إلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل– رضي الله عنه– كتب إليهم بجواب كتبهم، بتخطئة من ولّى خلفا، وإصابة من لم يولّه، وأمرهم باتباع إمامهم عبد الوهاب –رضي الله عنه–"[٤]. وأما الدرجيني فيورد نصا مختصرا أكثر مما أورده أبو زكريا حيث قال: "فوصلهم جوابه –رحمه الله– بتخطئتهم وتصويب من امتنع عن توليته، وتوجيب طاعة إمامهم"[٥]، وعند الشماخي: "أجابهم بتخطئة من

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢١.
٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٢، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٧.
٣) سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٢٠٤.
٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٢٢.
٥) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج١، ص٧٠.

ولّى خلفا وأمرهم بتقوى الله وطاعة إمامهم"[١].

يظهر من النصوص السابقة التي تورد ملخّص تلك الرسالة، أن مؤلفي تلك الكتب لم تصل أيديهم نص الرسالة الأصلي، وإنما رووا ما تناقلته الألسن عنها، إذ لا يمكن أن يكون نص الرسالة مختزلا بهذه الأسطر البسيطة في أمر كهذا، وفي قضية شائكة يمكن أن تودي بخروج جزء من أراضي الدولة عن سلطة الإمام في تاهرت، كما أن كتاب أتباع خلف كان مدعّما بالأدلة، فلا يسوغ لأبي سفيان محبوب أن يتجاهل تلك الأدلة، ويغض الطرف عنها، ويجيب بتلك الإجابة المقتضبة.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة تدل على حرص إباضية المشرق على وحدة الدولة الرستمية، والحفاظ عليها من أي سوء قد يلحق الضرر بها، وحبهم تجنيب المنطقة ويلات الفرقة والشقاق، وبهذا فإن هذه الرسالة تنم كذلك عن عمق المحبة والإخاء بين إباضية المغرب والمشرق وحب كل طرف للآخر وإخلاصه في النصح له.

- **رسالة من أبي عيسى الخراساني في قضية خلف بن السمح:**

قبل الانتقال إلى الرسائل الأخرى المتبادلة بين أهل المغرب وأهل المشرق نحب أن نورد هنا رسالة أخرى في نفس الموضوع، وفي نفس القضية التي نحن بصدد الحديث عنها، وهي رسالة من إباضية خراسان في قضية خلف بن السمح، فقد بلغت هذه القضية خراسان؛ وذلك نظرا لقوة العلاقة بين أتباع المذهب الإباضي في كل منطقة من مناطق العالم الإسلامي آنذاك، إضافة إلى التواصل المستمر بينهم وبين إباضية البصرة.

وهذه الرسالة هي من الشيخ أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني[٢]، وقد

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج١، ١٥٧.

٢) هو أبو عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني، من علماء القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فقيه ومفت، من تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، كان شيخه أبو عبيدة يثق به كثيرا، يقول أبو المؤرج: "وكان أبو عبيدة من الثقة به والاطمئنان إليه على ما ليس لأحد ممن نزل منزلته من أصحابنا". وقال فيه ابن عبد العزيز: "وليس فينا مثل أبي عيسى؛ حلاله حلال المسلمين، وحرامه حرام المسلمين". انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ص٣٣٥.

أوردها ابن سلام[١]، وتحدث عنها الشماخي وأشار إلى ملخص ما جاء فيها، وصرّح بأنه قد اختزلها واختصرها في تلك الأسطر فقد ذكر في نهاية روايته لها عبارة: "انتهى مختصرا" والتي تؤكد على اختصاره لها[٢].

جاء في مقدمة الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، من أبي عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني وجماعة المسلمين إلى من بلغه كتابي هذا إلى إخواننا من أهل المغرب وأهل ديننا من أهل الحق والرشد، سلام عليكم"[٣]، واسترسل أبو عيسى في المقدمة متطرقا فيها إلى وجوب تقوى الله واتباع منهجه والابتعاد عن الفتنة والتمسك بحبل الله المتين، وبعد تلك المقدمة الطويلة، يذكر ذلك الوفد المغربي الذي زار خراسان وأبلغ أهلها بفتنة السمح: "وجاءنا بعض أصحابكم فذكروا لنا أمرا بلغ إلينا وساءنا من هلاك من هلك قبلكم من أهل دين المسلمين، وخلافهم أئمة الهدى عند المسلمين بالمشايخ الذين أدركنا عندنا، فالله المستعان على ذلك وعلى الله التكلان" [٤] ويتعرض أبو عيسى الخراساني إلى علاقته المتينة بمركز الدعوة في البصرة وتواصله المستمر معهم ورأي علماء البصرة في إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن، كما يظهر أن هذه الرسالة كتبت بعد وفاة الإمام عبد الوهاب بدليل قول ابن سلام: "حتى توفي عبد الوهاب رحمه الله رحمة واسعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد أدركنا أبا أيوب وائل بن أيوب وغيره من الأشياخ ومن بعده محبوبا أبا سفيان بن الرحيل وهم راضون عنه لا ينقمون عليه شيئا والحمد لله"[٥]، بعدها يتطرق أبو عيسى للبِّ الرسالة وجوهرها وهي مسألة خلف بن السمح: "فلما توفي السمح رحمه الله بلغنا أن أصحاب تلك القرية استعملوا خلف بن السمح واشترطوا على ذلك رضى الإمام عبد الوهاب إن أجاز ذلك جاز علينا قوله والطاعة طاعته في طاعة الله

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٦٢.

٢) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، صص١٦١-١٦٦.

٣) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٦١.

٤) المصدر السابق: ص١٦٣.

٥) المصدر نفسه: ص١٦٤.

ومرضاته، فكان لعمري أحسن لو استأذنوا الإمام" [١].

ويظهر من هذه الرسالة بلوغ أهل خراسان نبأ تولية الإمام أفلح بن عبد الوهاب خلفا لأبيه: "ثم كان بعد عبد الوهاب أفلح ابنه –حفظه الله– سار سيرة أبيه من قبله، وعمل بالسنة، وقسّم بالسويّة، وعدل في الرعية" [٢]، وتبين الرسالة أن مشكلة خلف بن السمح استمرت حتى عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب: "فبلغنا أنه أنكر على من دخل في رأي خلف، كما أنكره أبوه ومن قبله من المسلمين، وأبوا ذلك عليهم فخالف خلف وأصحابه، وأبوا إلا رأيهم فالله المستعان" [٣]. ثم بعدها تنتهي الرسالة بعبارة بسيطة، ولا توجد خاتمة لها مما يوحي أنها مبتورة في سطورها الأخيرة.

ونخلص من هذه الرسالة أن التواصل بين الإباضية لم يكن بين أهل عُمان وأهل المغرب فقط، وإنما كان هناك تواصل بين الإباضية في كل مناطقهم، كما تبين أن أهل المغرب لم تكن علاقتهم مقتصرة على إباضية عُمان والبصرة ومصر فقط، بل كانت لهم علاقتهم أيضا مع إباضية خراسان، ولهم زيارات وتبادل للرسائل.

وتتجلى من هذه الرسالة وشائج الصلة وعمق العلاقة بين إباضية خراسان والمغرب وحزنهم على ما حدث من فتنة في طرابلس بسبب قضية خلف بن السمح وأتباعه، كذلك تصرح هذه الرسالة باعترافهم بأئمة الدولة الرستمية وحبهم لهم.

د– رسالة من أهل المغرب إلى عُمان حول مسائل فقهية:

بعث أهل المغرب برسالة فقهية إلى أهل عُمان، وقد بعثت خصيصا إلى العلامة العُماني أبي عبدالله محمد بن أبي سفيان محبوب بن الرحيل(ت: ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، وكان حينها يشغل منصب القضاء في مدينة صحار العُمانية للإمام الصلت بن مالك (٢٣٧هـ/٨٥١م–٢٧٢هـ/٨٨٥م) [٤]، ولكن لم يكن حظ هذه الرسالة أحسن من

---

١) المصدر نفسه: ص١٦٥.

٢) المصدر نفسه: ص١٦٦.

٣) المصدر نفسه: ص١٦٦.

٤) السالمي: تحفة الأعيان ...، م. س، ج١، ص١٦١، فرحات الجعبيري: **حياة محمد بن محبوب القرشي العُماني**

حظ سابقاتها من الرسائل المغربية، فلم تحتفظ لنا المصادر بنصها، كما لم تتعرض المصادر المغربية والعُمانية إلى الأشخاص الذين بعثوا بهذه الرسالة من المغرب، ولكن الأمر الذي يمكن تأكيده أنها بعثت في عهد الإمام المغربي أفلح بن عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم(٢٠٨هـ/٨٢٣م- ٢٥٨هـ/٨٧١م)؛ وذلك بالنظر إلى فترة حياة كل من الإمام أفلح والعلامة محمد بن محبوب، وقد أثبتت الرسالة الجوابية أن هناك رسالة فعلا بُعثت من أهل المغرب إلى محمد بن محبوب، ويظهر ذلك من مقدمة الرد: "إلى جماعة من كتب إليه[١] من أهل المغرب، من أخيهم محمد بن محبوب"[٢]، كذلك تورد رسالة الرد نصا آخر في نفس المعنى: "وقد وصل كتابكم" [٣].

ولئن فقدنا نص رسالة أهل المغرب هذه إلا أنه يمكننا استنباط الأسئلة الفقهية التي حوتها تلك الرسالة، ولكن بطبيعة الحال الرسالة الجوابية لا تعطي صورة كاملة للرسالة المغربية، وخاصة أن الرسائل المتبادلة بين أهل عُمان وأهل المغرب كانت تحوي في الكثير من الأحيان على مقدمة يمكن أن يفهم منها بعض الأحداث التاريخية، وقوة العلاقة بين الطرفين، ومدى متانتها، كذلك الحال بالنسبة للخاتمة التي عادة ما تحوي بعض الكلمات المليئة بالدعاء للطرف المستقبل للرسالة، وفي هذا المنحى يمكن أن نستشف من الرسالة الجوابية شيئا من هذا القبيل، إذ جاء فيها: "وقد وصل كتابكم بالسار لي من خبر سلامتكم وحالكم وجميل ما صنع الله لكم وآلائه عليكم، فحمدت الله على

وعصره، بحث مقدم ضمن ندوة تطور العلوم الفقهية في عُمان خلال القرن الثالث الهجري " الإمام محمد بن محبوب أنموذجا"، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سنة: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ط١، ص٤٠، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب ...، م. س، ص١١٣، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٦.

١) وردت هذه الكلمة بهذه الصيغة في السير والجوابات وفي المخطوط الذي نقل منه فرحات الجعبيري" انظر: السير والجوابات، ج٢، ص٢٢٣، الإمام محمد بن محبوب...، م. س، ص٨٢، بينما في بقية الرسالة يقول: "سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله" ويقول أيضا: "كتبت إليكم رحمنا الله وإياكم وأنا ومن قبلي.." ويقول أيضا: "فالذي بلغنا وقبلناه عن" انظر: مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٢٤ ذكرت إشارة ليست صريحة أن الرسالة أرسلت إلى الإمام الصلت وتولى الرد عليها العلامة محمد بن محبوب. انظر بيان الشرع، م. س، ج٢٨، صص١٩٥-١٩٦.

٢) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٢٣.

٣) المصدر نفسه: ص٢٢٤.

ذلك وسألته المزيد لنا ولكم من كل فضل عتيد، إن ربنا واسع مجيد"[١] فيظهر من هذا أن المغاربة قد دونوا في هذ الرسالة بعضا من الأخبار عن وضعهم في بلاد المغرب وقوة شكيمة الدولة في عهد الإمام أفلح أو شيء من هذا القبيل، الأمر الذي جعل العلامة محمد بن محبوب يفرح لذلك ويدعو بدوامه للجميع.

وقد ضمت هذه الرسالة العديد من المسائل الفقهية، بلغت ثلاثا وخمسين مسألة[٢]، مختلفة الموضوعات، ولكن الطابع الغالب عليها هو أسئلة متعلقة بكل ما يخص الإمام والوالي من أحكام، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- مسألة: عن الإمام والوالي والجابي يجمعون الزكاة ثم يؤثرون بنصفها لإقربائهم وأهل ودهم "وسألتم رحمنا الله وإياكم في كتابكم الذي بلغكم عن الإمام والوالي والساعي إذا وصلت إلى أحد منهم زكاة أموال المسلمين في جميع ما فرضها الله، قسموا نصفها على الفقراء والنصف اتخذوه مأكلة، وجعلوه دولة بين أقربائهم وعشائرهم وأهل ودهم وخواصهم هل ترى ذلك جائز؟"[٣].
- مسألة: في هل يجوز أن يعين الإمام عاملا على وفد الحج؟" وعن الحاج إذا خرجوا إلى مكة فهل للإمام أن يولي عليهم عاملا؟"[٤].
- مسألة: في قوم خرجوا في سفر هل لهم تعين أمير لهم؟ "وعن قوم خرجوا في رفقة في سفر، فهل لهم أن يولوا رجلا يكون عليهم في سفرهم، يملك نزولهم ورحيلهم ويعقدوا له لواء أم ليس ذلك لهم؟"[٥].
- مسألة: عن الوالي الذي يولي السفهاء من قرابته هل تجوز ولايته؟ " وعمن ولّى أمر المسلمين وكان يولي السفهاء من قرابته وعشيرته هل تجوز ولايته على هذا الوجه

---

١) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٢٤.
٢) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١١٤.
٣) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٢٤.
٤) المصدر السابق: ص٢٣١.
٥) المصدر نفسه: صص٢٣١-٢٣٢.

أم كيف قول المسلمين في ذلك؟"[١].

- مسألة: في هل يجوز أن يولي الإمام والياً جاهلاً بالكتاب والسنة؟ "وعن الإمام هل له أن يولي رجلا جاهلا بالكتاب والسنة ثم يعمل برأي نفسه في جميع أموره، كيف الحق في ذلك؟[٢].
- مسألة: في الإمام إذا كان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر هل يُتَولّى "وعن الإمام إذا كان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر أتكون البراءة منه بواجبة على المسلمين وتذهب بيعته من أعناق المسلمين؟"[٣].

إلى غير ذلك من الأسئلة التي تصب كلها في الموضوع نفسه، وإن اقتصار هذه الرسالة على مسائل الإمام والوالي توحي بأنها خرجت بأمر من السلطة الحاكمة في الدولة الرستمية، بل لعلها خرجت من الإمام أفلح بن عبد الوهاب ومن معه من علماء مدينة تاهرت العاصمة، كما أننا يمكن أن نستنج من المسائل الواردة في هذه الرسالة أنها نتاج لقضية خلف بن السمح وأتباعه وآرائهم في شخص الإمام والوالي، وخاصة فيما يتعلق بانفصال الحوزات وإمكانية اختيار إمام لكل حوزة، ويفهم هذا الأمر من السؤال الذي يقول: "وعن الذي فعله أهل عُمان وأهل المغرب أنهم عقدوا الإمامة يومئذ لعبد الله بن يحيى –رضي الله عنه– في زمان أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وعن رأيه، كان كذلك من عقد أهل المغرب لأبي الخطاب ثم ابن رستم من بعده ثم عبد الوهاب بعد ذلك، وقلتم قد جاء في الحديث أن عمر بن الخطاب قال يوم كانت خلافة أبي بكر: إن الله واحد والإسلام واحد ولا يستقيم سيفان في غمد واحد ولا تجوز الأمور إلا على واحد أو كما قال. . . .وهل يقال لهم: إمامان جميعا، كل واحد منهما في مكانه إمام، . . . . وإن كان ذلك جائز فهل على أهل عُمان الرضى بإمامة المغربي وولايته؟

---

١) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٣٥.

٢) المصدر السابق: ص٢٣٥.

٣) المصدر نفسه: ص٢٤٢.

وكذلك أهل المغرب الرضى بإمامة العُماني وولايته؟"[١]، هذه هي الرسالة فكيف كان رد أهل عُمان عليها؟.

- **رد العلامة محمد بن محبوب العُماني على مسائل أهل المغرب الفقهية:**

ذكرنا آنفا أن المصادر احتفظت لنا بنص الرسالة التي ردّ بها أهل عُمان على رسالة أهل المغرب التي حوت مسائل فقهية متعلقة بصلاحيات الإمام والوالي والأحكام المتعلقة بهم، فقد ورد نص الرسالة بأكمله في كتاب السير والجوابات، تحت عنوان "سيرة الشيخ الفقيه محمد بن محبوب –رحمه الله–"[٢]، وهي رسالة طويلة جدا إذ بلغت عدد صفحاتها خمسا وأربعين صفحة[٣]، وأن الذي تولّى الرد على هذه الأسئلة هو العلامة محمد بن محبوب العُماني، ويظهر من ذلك أنها وجهت إليه مباشرة، على الرغم من وجود الإمام الصلت بن مالك الخروصي[٤] على رأس الدولة، ويظهر ذلك من مقدمة الرسالة: "إلى جماعة من كتب إليه من المسلمين من أهل المغرب، من أخيهم محمد بن محبوب. "[٥].

وقد أشار الإمام السالمي لهذه الرسالة، وأورد منها نصا في معرض الاستدلال به على جواز أخذ الغرم من بيت مال المسلمين في حال أمر الإمام بأمر وكان خطأ مع اعتقاد

---

١) نفسه: صص٢٦٥–٢٦٦.

٢) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٢٣. كما ترد أجزاء منها في بيان الشرع. انظر: الكندي: بيان الشرع، م س، ج٦، صص٩٥–٩٦، ج٢٨، صص١٩٥–١٩٧.

٣) (من صص٢٢٣ – ٢٦٨) انظر: مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٢٣. وصف الباحث فرحات الجعبيري مخطوط هذه الرسالة بقوله: "تقع في ست وعشرين صفحة من الحجم المتوسط، مسطرتها ١٩,٥/ ١٠,٥ سم، والصفحة ٢٥ سطرا، بخط مشرقي واضح من ص١١٨ إلى ص١٤٤". انظر: حياة الإمام محمد بن محبوب...، م. س، ص٨٢.

٤) أشار الكندي أن هناك رسائل كان العلماء يردون عليها وهي مرسلة إلى الإمام، ولكنه لم يصرح أن هذه الرسالة بالذات أرسلت إلى الإمام ورد عليها ابن محبوب. انظر: بيان الشرع، ج٢٨، ص١٩٥. ولكن لم يظهر شيء من ذلك في ثنايا الرسالة و لم يتعرض محمد بن محبوب لأي شيء يتعلق بالإمام الصلت أثناء الرد، أو على الأقل يوضح أنه يرد عليها باسم الإمام أو يخبرهم بحاله أو يبعث سلام منه إليهم كعادة الرسائل المتبادلة بين الطرفين.

٥) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٢٣.

الإمام أنه على الحق، وذكره منسوبا إلى محمد بن محبوب: "رووا له عن محمد بن محبوب رحمه الله في كتابه إلى أهل المغرب : "أن من أحدث حدثا فهو مأخوذا به، إلا أن يكون الإمام أمر به، وهو يرى أنه الحق فذلك في بيت المال"[١]، ونجد ذلك فعلا في الرسالة إذ يقول محمد بن محبوب: "وإن فعل ذلك بإذنه ورأى أن ذلك حلال له، فذلك خطأ وهو في بيت مال المسلمين"[٢].

بدأ العلامة محمد بن محبوب الرسالة بالسلام ثم حمد الله وأثنى عليه، وأعقب ذلك التناصح بتقوى الله والسير على هداه والعمل بأوامر الله عزوجل والانتهاء عما نهى عنه وغيرها من النصائح التي تصب في نفس السياق: "سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا الله حمدا كثيرا وهو لذلك أهلا . . . وأوصيكم بتقوى الله . . . وأحثكم على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم عليه . . . واجتناب الكبائر والعمل على البصائر" [٣].

ثم أوضح بعد تلك المقدمة حاله وحال من حوله من علماء المسلمين وعامتهم: "كتبت إليكم –رحمنا الله وإياكم– وأنا ومن قبلي من الخاصّة والعامّة من المسلمين بأحسن حال وأتم نعمة وأجمع كلمة، والحمد لله على ذلك وعلى كل حال"[٤]، وهو في هذا الأمر ينهج منهج الرسالة التي وصلته، فقد أوضحوا له حالهم وأوضاعهم في بلاد المغرب: "وقد وصل كتابكم بالسار لي من خبر سلامتكم وحالكم وجميل ما صنع الله لكم وآلائه عندكم" [٥].

ثم يسترسل العلامة محمد بن محبوب في الرد على المسائل الفقهية مسألة مسألة ويدعّم أقواله بآيات الكتاب الحكيم وأحاديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين وعلماء المذهب.

---

١) تحفة الأعيان..، م. س، ج١، ص٢٤٦.

٢) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٥٢.

٣) المصدر السابق: صص٢٢٣– ٢٢٤.

٤) المصدر نفسه: ص٢٢٤.

٥) المصدر نفسه: ص٢٢٤.

وبعد أن أتى على جميع تلك الأسئلة اختتم رسالته بقوله: "وفقنا الله وإياكم للعدل والصواب والحكمة وفصل الخطاب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد النبي عليه السلام وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته"(١).

ونخلص من هذه الرسالة غزارة علم العلامة محمد بن محبوب وسعة اطلاعه على أقوال العلماء السابقين: "إذ غلب على هذه الأجوبة التحاليل العلمية"(٢) ويتضح كذلك أنه لم يتتلمذ على يد أبيه العلامة أبي سفيان محبوب بن الرحيل، إذ قال:" بلغني" ولم يقل " سمعت" " وقد بلغني عن والدي محبوب بن الرحيل رحمه الله. " (٣).

وتأتي هذه الرسالة في سياق الرسائل الأخرى التي تنم عن عمق التواصل الثقافي بين عمان وبلاد المغرب، والدور الذي قامت به في التواصل الثقافي بين العلماء عندما يتعذر التقاؤهم مباشرة وجها لوجه.

وتبين في الوقت نفسه الرغبة الجامحة لدى إباضية المغرب للاستنارة بآراء إخوانهم العُمانيين في هذه المسائل الفقهية، ورغبتهم في تتبع آراء المذهب فيها، فنقلت هذه الرسالة آراء المدرسة الفقهية الدينية العُمانية، فتشرّبت بها أختها المغربية لتنتج تمازجا فقهيا بين المدرستين(٤).

هـ- رسالة من أهل المغرب إلى إخوانهم العُمانيين في قضية الصلت بن مالك:

وإن كانت رسالة العلامة محمد بن محبوب قد استغرقت صفحات ذوات العدد، فإن رسالة مغربية كانت قرينة لها في العدد وندا لها في الموضوع، وهي الرسالة التي بعث بها أهل المغرب إلى إخوانهم العُمانيين، في الفتنة التي حدثت في عُمان إبان عهد الإمام الصلت بن مالك(٢٣٧هـ/٨٥١م-٢٧٢هـ/٨٨٥م)، وقد ظهر هذا الخلاف في نهاية عصر هذا الإمام، وتتلخص هذه القضية في مدى أفضلية بقاء الإمام في الحكم وقد بلغ

---

١) المصدر نفسه: ص٢٦٨.

٢) فرحات الجعبيري: حياة الإمام محمد بن محبوب...، م.س، ص٨٤.

٣) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص٢٦٨.

٤) وسنوضح النتائج الذي نتجت عن هذه الرسائل بصورة أوضح في الفصل الثالث من الباب الثالث.

من الكبر عتيا، إلا أنه كان قادراً على مزاولة شؤون الإمامة، ولكن فئة من العُمانيين يتزعمها موسى بن موسى بن علي الأزكوي أصرت على عزل الإمام وتعين إمام آخر، وحدثت فتنة كبيرة بين أهل عُمان، فانشقت عُمان إلى فئتين فئة مع المؤيدين لعزل الإمام وفئة أخرى معارضة لذلك، ودخلت عُمان في دوامة من الخلاف والاختلاف[١].

ولحسن الحظ فقد احتفظت المصادر بهذه الرسالة بأكملها إذ وردت ضمن كتاب السير والجوابات، وقد بلغت ستا وأربعين صفحة، ولم يظهر في الرسالة شخص المرسل أو أي شيء يدل عليه، كعادة الرسائل السابقة، لكن الأمر اختلف هنا إذ أن المرسل كان متعمدا عدم ذكر اسمه: "ولم يمنعنا أن نعرفكم أمكنتنا ونسمي لكم بأسمائنا إلا خوفا أن يقع في قلوب منكم ما تحمله معرفة ذلك على الإنكار له والرد لصوابه" ويتضح من هذا النص أيضا أن المرسل لم يكن شخصا واحدا، وانما اجتمع على كتابتها نفر من العلماء.

ورجّح الجعبيري أن هذه الرسالة أرسلت فعلا من أهل المغرب، ودعّم قوله هذا باطلاعه على مخطوط هذه السيرة بمكتبة الإمام غالب بن علي الهنائي الخاصة، وقد دوّن عليها الناسخ بنفسه قوله: "سيرة عندي أنها من إخواننا أهل المغرب"[٢]، كما يمكن أن نستدل على ذلك أيضا من خلال عبارات الرسالة مما ورد من تفاصيل عن فتنة من أنكر إمامة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي: "وبهذه المنزلة كانت الخارجة على عبد الوهاب لاستحلالهم الخروج عليه بالدعوى للشروط التي يقرون على أنفسهم بالظلم فيها، وقولهم نعزلك لأننا أصبنا من هو أعلم منك"[٣]، وفي المنحى نفسه ترد بعض الأدلة التي وردت في رد الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي على هذه القضية التي بعث بها إلى أهل المغرب إليه[٤]، "وقد ولى المسلمون أبا بكر رحمة الله عليه من بعد وفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعاذ بن جبل حاضر وقد قال

---

١) لمزيد من التفاصيل في هذه الفتنة انظر: السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، صص١٩٣–٢١٢.

٢) العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٢٨.

٣) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج١، ص٢١٢.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م، س، صص٩١–٩٢.

رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يأتي معاذ أعلم العلماء" وقال في موضع آخر: "معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام"(١)، مما يدل على اطلاع هذه الفئة على تفاصيل هذه القضية والمراسلات التي جرت بين أهل المغرب والربيع بن حبيب الفراهيدي ولا يتأتى ذلك إلا لمن كان قريباً من هذه القضية، إذ أن الساحة العُمانية كانت جاهلة بالكثير من الأخبار عن أهل المغرب، وهو الأمر الذي دفع بهم إلى طلب كتاب يحوي سيرة أهل المغرب من إخوانهم المغاربة(٢).

ويذكر كتّاب الرسالة أسباب إرسالهم لهذه الرسالة والهدف الذي يسعون من أجله، فالأسباب التي دفعتهم للإرسال هي: بلوغ خبر الافتراق والاختلاف إليهم: "قد بلغنا عن بعضكم خبر أراعنا وبلغ إلينا ونقل علينا الذي وقع بينكم من الاختلاف والتشاجر والتقاطع وترك الاجتماع والإئتلاف"(٣)، والسبب الثاني: المحبة في الدين وأخوة الإسلام التي تجمعهم: "دعانا إلى الكتاب إليكم للود الذي يلقى الله في قلوب المسلمين لبعضهم البعض، وقد جاء في الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله". ويقال أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف"(٤)، والأمر الثالث: خوفا عليهم من الوقوع في الخلاف الذي وقع فيه الخوارج فضلّوا "وقد بلغنا الذي جرى بينكم فاشتد حزننا وإشفاقنا عليكم وتخوفنا أن يقع بينكم ما وقع بين الخوارج قبلنا، وحسن بالله ظننا ورجونا أن لا يشتت الله بكم عدوكم ولا يمكّن الشيطان منكم"(٥).

أما الهدف الذي وضعوه نصب أعينهم وهم يكتبون هذه الرسالة هو رجاء الألفة ونزع الخلاف والفرقة: "وقد كتبنا فما رجونا فيه ألفتكم ورجعتكم وإقبالكم إلى بعضكم بعضا، وإنابتكم أن تكونوا إخوانا علانية وسريرة، ولا تكونوا إخوانا علانية

---

١) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج١، ص٢١٢.
٢) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و١١.
٣) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج١، ص١٨٧.
٤) نفسه: ص٢٢٨.
٥) نفسه: ص٢٢٨.

أعداء سريرة"[١]. فهم لا يرجون من هذا سوى النصح لهم والأجر من رب العزة والجلال والإعزاز لدينه وأهل طاعته: "ولا نسألكم عن ذلك جزاءً ولا شكورا، وإنما أردنا الجزاء من الله على ما قد علم من رغبتنا وإعزاز الإسلام وأهله وإعلاء كلمته في داركم ومصركم"[٢].

كما يصف الجعبيري أسلوب كتّاب هذه الرسالة في ابتعادهم عن ذكر أي اسم من أسماء الأشخاص المتنازعين حول هذه القضية، لا بالتصريح ولا بالتلميح يعد في نظره "منتهى ما يعرف بالموضوعية . . . في معالجة مثل هذه القضايا الشائكة التي تلم بالأمة"[٣].

وقد ورد في الرسالة العديد من الحجج والبراهين والمسائل الفقهية العقدية المتعلقة بالولاية والبراءة، والاختلافات الدقيقة في هذه المسألة، وقد أكد كتّاب الرسالة على ذلك في قولهم: "وسوف نضرب لكم فيه الأمثال، ونوضح لكم فيه الهدى من الضلال، ونفسر لكم مسائله حتى تعرفوه ولا تجهلوه، فاتقوا الله ولا تقطعوا بالبراءة ولا تعجلوا عجلة أهل الخرق والحمق وترك الحق والصدق"[٤].

وفي خاتمة الرسالة يؤكد كاتبو الرسالة مرة أخرى أن هدفهم النصح ليس إلا:

"وقد أبلغنا في النصيحة إليكم وأوعزنا في القول إليكم، وما توفيقنا وإياكم إلا بالله، هو حسيبنا ومولانا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أقوى معين وأهدى دليل، نسأل الله التوفيق"[٥].

---

١) نفسه: ص٢٣١.

٢) نفسه: ص٢٣٢.

٣) العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٣٨.

٤) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج١، ص١٨٨.

٥) المصدر نفسه: ص٢٣٢

ونخلص من هذا العرض الوجيز لهذه الرسالة، عمق الترابط بين أهل المغرب وأهل عُمان، والحب الشديد بينهم، وإن ما يقلق هذا الطرف هو في الوقت نفسه مقلق للطرف الآخر، وإن الذي لا يعلم أنها صدرت من أهل المغرب يعتقد أن كاتبيها عُمانيون لما حملته من عبارات الحزن والآسى لما يحدث في عُمان، وتشعر وكأنهم يعيشون في وسط هذه المشكلة ويرون آثرها في إحداث الاختلاف والفرقة.

وفي نهاية هذا العنصر يتضح لنا كثرة الرسائل التي خرجت من بلاد المغرب إلى أهل عُمان، وإن أغلب هذه الرسائل كانت فقهية، إلا أن بعضها كان له أثر سياسيٌ على مجريات الأحداث في بلاد المغرب، ولكن السؤال هنا هل هناك رسائل بعث بها أهل عُمان إلى إخوانهم المغاربة من تلقاء أنفسهم دون أن تكون ردا على رسالة مغربية؟ العنصر التالي هو الذي سيجيب على هذا التساؤل.

ثانيا: الرسائل والفتاوى العُمانية الموجهه إلى بلاد المغرب ورد أهل المغرب عليها:

رأينا فيما سبق عدد الرسائل التي بعث بها أهل المغرب إلى إخوانهم العُمانيين، واهتمام العُمانيين بالرد عليها، ولكن لم تكن تلك الرسائل تبعث من طرف واحد بل كانت هناك رسائل بعث بها أهل عُمان إلى إخوانهم المغاربة، إلا أنه حين المقارنة بين ذلك يتضح أن الجانب المغربي كان أكثر إرسالا لهذه الرسائل بعكس الجانب العُماني الذي لم تكن له سوى بضع رسائل، ومن تلك الرسائل ما يلي:

أ- رسائل الإمام جابر بن زيد العُماني (ت: ٩٣هـ/ ٧١١م) إلى أهل المغرب:

إن أول الرسائل التي كانت همزة الوصل بين العُمانيين والمغاربة هي تلك الرسائل التي توجه بها مؤسس المذهب الإباضي الإمام جابر بن زيد إلى أتباعه الإباضية، وقد تم العثور على بعض منها مؤخرا في عام ١٩٦٨م بالمكتبة البارونية بجزيرة جربة التونسية على يد الباحث الدكتور عمرو النامي[٦]، فتفتحت أعين الباحثين على تلك

٦) هو الدكتور عمرو خليفة النامي ولد عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) في نالوت بجبل نفوسة بليبيا، تلقى تعليمه الأولي في نالوت، وتتلمذ على يد العلامة علي يحيى معمر، ثم التحق بجامعة بنغازي، وانتقل بعدها إلى

الرسائل[١]، وممن اهتم بها الباحث سامي صقر في كتابه الإمام جابر بن زيد وأثره في الحياة الفكرية والسياسية[٢]، والباحث فرحات بن علي الجعبيري[٣]، كما وصلت نسخة من هذه الرسائل إلى عُمان وهي مرقونة في المكتبة الإسلامية التابعة لوزارة التراث والثقافة، تحت الرقم العام (٩١٩٨) والرقم الخاص(٢١٦ج ر) ، ويضم هذا المخطوط المنسوخ سبعة عشر رسالة، وهذه النسخة هي التي اعتمد عليها عمرو النامي فهي تحتوي على بعض التعليقات التي دونها النامي بيده[٤].

وقد أوضحت هذه الرسائل الفترة الحرجة التي كانت تمر بها الدعوة الإباضية من السرية التامة، فقد كان الإمام جابر بن زيد –مؤسس المذهب– حريصا كل الحرص على عدم وقوع هذه الرسائل في أيدي الدولة الأموية، إذ كان يأمر أصحابه بتمزيق ومحو كل ما يكتبه إليهم، من ذلك قوله: "فلا ترو شيئا مما كتبت إليك"[٥]، وأحيانا أخرى يقول: "وأعلم أنه لا يعجبني أن تترك لي عندك كتابا إلا محوته ولا ترو عني شيئا مما أكتب به إليك"[٦]، وفي رسائل أخرى يقول: "وانظر أمتع الله بك وغفر لنا

جامعة كمبردج البريطانية عام ١٩٦٧م لدراسة الدكتوراه، بدأ تدريسه في جامعة بنغازي ثم نقل إلى جامعة طرابلس، وفي عام ١٩٨١م اعتقلته السلطات الحكومية ولم يعرف مصيره مطلقا. من مؤلفاته: أطروحة الدكتوراه بعنوان درسات في تاريخ الإباضية، ومجموعة قصائد، وله تحقيقات من ضمنها أجوبة ابن خلفون، وأجوبة علماء فزان. انظر: بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، صص٣١٩–٣٢٠.

١) فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب ...، م. س، ص٣٧.

٢) وهو عبارة عن بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، مطبوع من قبل المؤلف نفسه، سنة: ٢٠٠٠م.

٣) قدم الجعبيري تحليلا لهذه الرسائل، وشارك بها كورقة عمل في الملتقي العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديما وحديثا، المنعقد في المملكة الأردنية، تنظيم وحدة الدراسات العُمانية بجامعة آل البيت، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٦٩. كما قام الباحث محمد بن سعيد المعمري بتحقيق هذه الرسائل وإخراجها في بحث موسع بعنوان "رسائل الإمام جابر بن زيد دراسة وتحقيق" لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الشرعية من جامعة توينغن بجمهورية ألمانيا.

٤) إبراهيم بولرواح: **موسوعة آثار الإمام جابر بن زيد الفقهية**، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، سنة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ط١، ص١٨.

٥) رسالة الإمام جابر بن زيد إلى الحارث بن عمرو، مخ. م.س.ع الرقم العام(٩٢٠٣) والرقم الخاص (٢١٦ ج ر)، و ٣.

٦) رسالة الإمام جابر بن زيد إلى سالم بن ذكوان، مخ. م. س.ع، الرقم العام(٩١٩٧) والرقم الخاص (٢١٦ ج ر)، و٢.

ولك ما كتبت لك من كتاب فامحه"[١].

ولا يهمنا في هذا الصدد قلة تلك الرسائل من حيث العدد ولكن ما يهمنا في هذا الأمر هو أن هناك رسائل مصبوغة بالصبغة العُمانية يمكن أن تكون صدرت من البصرة إلى بلاد المغرب في عهد مؤسس المذهب، إذ لا يمكننا تأكيد هذا الأمر أو نفيه؛ نظرا لعدم مقدرتنا على ترجمة تلك الشخصيات التي كان يراسلها الإمام جابر بن زيد.

إن اختفاء هذه الرسائل وظهور بعضها فقط يعود إلى عدة أسباب من بينها:

١- المرحلة السرية التي كانت تمر بها الدعوة الإباضية في عهد مؤسسها الإمام جابر بن زيد خوفا من القضاء عليها في مهدها من قبل الدولة الأموية التي كانت تتتبّع كل الحركات المناوئة لها، كما وضح ذلك جليا في عهد ولاة بني أمية على العراق كزياد بن أبيه وابنه عبيدالله والحجاج بن يوسف الثقفي الذين تتبعوا الإباضية بالقتل والسجن والتنكيل [٢].

٢- طلب الإمام جابر بن زيد تمزيق الرسائل التي تصل أتباعه بعد قراءتها ومعرفة ما فيها خوفا من وصولها إلى أيدي الدولة الأموية[٣].

٣- وجود العديد من المخطوطات الإباضية التي لم تحقق إلى الآن، مرقونة بالمكتبات العامة والخاصة المنتشرة في البلدان التي يقطنها الإباضية من بينها تونس والجزائر وليبيا وسلطنة عُمان، وأبرز مثال على ذلك، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي في سلطنة عُمان، والمكتبة البارونية في جزيرة جربة بالجمهورية التونسية.

وهناك أدلة تدعم إمكانية حدوث هذا التواصل بين الإمام جابر بن زيد وإباضية

---

١) رسالة الإمام جابر بن زيد إلى أحد أصحابه، مخ. م. س.ع، الرقم العام(٩١٩٨) والرقم الخاص (٢١٦ ج ر)، و٢.

٢) انظر: الفصل الثالث من الدراسة.

٣) عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، م. س، ص٩٨، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٣٧.

المغرب[١]، منها ما شهدته العلاقة من قوة بين إباضية المغرب ومركز الدعوة في البصرة في عهد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الذي خلف الإمام جابر بن زيد في رئاسة المذهب الذي يدل على وجود تلك العلاقة التي أسسها مؤسس المذهب في بلاد المغرب[٢]، فقد تواصل إباضية المغرب مع أبي عبيدة مسلم في الكثير من القضايا التي كانت تحدث للإباضية المغاربة كما سنوضحها في الأسطر القادمة.

وفي المقابل لم تذكر المصادر لا من قريب ولا من بعيد عن رسائل من أهل المغرب أرسلت إلى الإمام جابر بن زيد، ولا غرو في ذلك، فإذا كان الإمام جابر يأمر أتباعه بتمزيق الرسائل بمجرد ما تصل إلى أيديهم فكيف به وقد وصلته رسالة من المغرب، حتما سيكون أحرص منهم في ذلك، وخاصة لقربه من مركز السلطة – دمشق– وحرص ولاة العراق على تتبع حركات كل من يشكّون فيه.

ب– رسالة من أهل عُمان إلى أهل المغرب يطلبون فيها كتاب يحوي تاريخ المذهب في بلاد المغرب:

هذه الرسالة التي نتحدث عنها تختلف عن الرسائل السابقة، فتلك الرسائل التي ذكرناها سابقا كانت عبارة عن رسالة نصية حررها أحد الأطراف للطرف الآخر وأملى فيها ما يريده أو ما يستفسر عنه، أما هذه الرسالة فهي رسالة شفهية بعث بها العُمانيون مع الحاج عيسى بن زكريا العُماني الذي خرج إلى بلاد المغرب، وكانت هذه الرسالة عبارة عن طلب وجهه العُمانيون إلى إخوانهم المغاربة في رغبتهم الجامحة لمعرفة أخبار تاريخ المذهب الإباضي في بلاد المغرب، وأشهر رجاله منذ ظهر في البلاد وهلم جرا، وقد أورد البرادي هذه الرواية بقوله: " لما وصل الحاج عيسى بن زكريا من بلاد عُمان بما معه من الكتب . . . فكان مما رغب إليه فيه إخوانه أن قالوا له وجهوا لنا كتابا يتضمن

---

١) يستبعد الباحث محمد بوحجام حصول تواصل بين الإمام جابر بن زيد وإباضية المغرب وذكر أدلة لذلك. انظر: محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، صص١٨–١٩. لكننا لا نوافقه على هذا الرأي؛ وذلك لما ذكرنا سابقا، وما تعرضنا له في الفصل الثاني من الدراسة من تواصل بين العُمانيين والمغاربة منذ القرن الأول الهجري في الفتوحات الإسلامية وما بعدها.

٢) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٥.

سير أوائلنا ومناقب أسلافنا من أهل المغرب من لدن ما وقع فيه مذهبنا إلى هلم جرا فإنه قد عميت علينا أنباؤهم وغابت عنا آثارهم من بعد الشُّقة وعظم المشقة "[١].

وهذا الأمر يدل على عمق العلاقة وصدق المحبة بين أهل عُمان وأهل المغرب، والرغبة الشديدة للعُمانيين لمعرفة أخبار إخوانهم المغاربة وعلماء مذهبهم ومناقبهم، ليكونوا نبراسا لهم يستضيئون بهم في حياتهم.

وفعلا شمّر أهل المغرب عن ساعد الجد، لينفذوا ما طلبه إخوانهم منهم، وتشاوروا في ذلك ووقع الاختيار لإنفاذ هذه المهمة على رجل من علماء المغرب أنذاك، ألا وهو العلامة أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، يقول البرادي في ذلك: "فشاور من بجربة يومئذ من العزّابة الفقهاء ومن يشار إليهم بالبنان إليه من الحذاق والنبهاء، وقرّر طلبة إخوانهم إليهم ووصف لهم الكتاب المشروط عليهم، فنظروا في كتاب الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، فوجدوه مخل ببعض التفصيل قاصرا دون أمد التحصيل، مع أن لسان البربرية أورد ألفاظه موارد التكليف وقلة تحفظه على قوانين العربية أدخل ببعض معانيه مجاهل التعسف فاهتموا بتصنيف كتاب يشتمل على سير الدولة الرستمية ومناقب الأسلاف كما طلب ذلك إليهم فلم يروا أهلا لهذا التصنيف غير أبي العباس" [٢].

وبهذا يعتبر كتاب الدرجيني "طبقات المشائخ بالمغرب" هو رد على تلك الرسالة التي بعث بها أهل عُمان، وهم السبب الأول والأخير في تأليف هذا الكتاب الذي يعتبر اليوم من أهم المراجع التاريخية لتاريخ المذهب الإباضي في بلاد المغرب.

ج- رسالة من أهل عُمان إلى العلامة أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المغربي:

نختم هذا العنصر بهذه الرسالة[٣] التي بعث بها العُمانيون إلى العلامة أبي مهدي

---

١) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و١١.

٢) المصدر نفسه: و١١.

٣) ذكر الباحثان رجب عبد الحليم وإبراهيم بوتشيش إلى أن هناك رسالة أخرى موجهة إلى القاضي أبي الحسن العُماني تتصل بالعلاقة بين الزوجين. انظر: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٦٦، التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٧، وكان مصدرهما هو الشماخي، إلا أنه بالرجوع إلى المصدر والنظر

عيسى، وإن لم تكن هذه الرسالة ضمن الفترة التاريخية للدراسة إلا أننا دوناها هنا لنبين استمرار التواصل بين الطرفين وأن القرن الثامن الهجري لم يعني توقف المراسلات والاتصالات واللقاءات بين أهل عُمان وأهل المغرب.

وقد وردت هذه الرسالة إلى أبي مهدي في سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م"[١]، وكانت عبارة عن أسئلة فقهية في الأصول والفروع، وقد رد عليها الشيخ أبو مهدي في ثلاث وثلاثين صفحة، منوِّهاً في مقدمة الرد بالرسالة التي بعث بها إخوانه العُمانيين[٢].

وهذه الرسالة تثبت تواصل العلاقة واستمرارها حتى مشارف العصر الحديث[٣]، ورغبة كل طرف بالمحافظة عليها، والبحث عن كافة السبل المدعمة لها.

وفي ختام هذا الفصل نخلص بأن الرسائل كانت سببا في تعميق التواصل بين عُمان وبلاد المغرب، وكانت بديلا عندما يتعذر لقاء الأتباع، ولئن كانت البداية الأولى في إرسال الرسائل هي لأهل عُمان إلا أن أهل المغرب حافظوا على استدامتها وبقائها.

كما أوضح هذا الفصل الأثر الكبير الذي أحدثته هذه الرسائل في المنطقتين، واهتمام كل طرف بتتبع أخبار الطرف الآخر، كما يمكن أن نعتبر مدينة البصرة همزة الوصل بين أهل عُمان وأهل المغرب؛ لكثرة من بتلك المدينة من العُمانيين الذين كانت لهم اليد الطولى في هذا التواصل وتعزيزه.

في الرواية، لا يتضح أن هناك رسالة فعلا خرجت بهذا الأمر، وإنما هو رأي للعلامة أبي الحسن العُماني أخذ به العلامة أبو موسى عيسى بن سجميمان النفوسي فيما يعرف عند الفقهاء بدينار الفراش. انظر: السير، م.س، ج٢، ص١٣٨.

١) يصف الجعبيري المخطوط الذي يحوي هذه الرسالة الموجودة في المكتبة البارونية بجربة بقوله: "... يتضمن ٣٣ صفحة، ويمتد من ص ٦٣ إلى ٩٦، صفحاته من الحجم المتوسط، ويبلغ عدد الأسطر ٢١ سطرا بالصفحة" انظر: البعد الحضاري...، م.س، ص١٦٨.

٢) البعد الحضاري...، م.س، ص١٦٨.

٣) وازداد هذا التواصل عبر الرسائل بشكل كبير وملفت للنظر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ولمعرفة نماذج من تلك الرسائل انظر: بشير موسى الحاج: **التواصل العُماني المغاربي من خلال المراسلات في القرن ١٠هـ**، أحد بحوث الملتقى العلمي الثامن بعنوان: التواصل العُماني المغاربي في العصر الحديث"، المنعقد في جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٣-١٤ ذو القعدة ١٤٣٢هـ/ ١١-١٢ أكتوبر ٢٠١١م، نسخة إلكترونية على قرص ممغنط.

ونخلص من هذا الفصل أيضا أن هذه الرسائل تمكنت من التقريب بين المنطقتين على الرغم من بعد الشقة بينهما جغرافيا، فكانت هذه الرسائل عنصراً فاعلا في التقريب بين عُمان وبلاد المغرب، حتى لأنك لتحسبهما متجاورتين من شدة التواصل وعمقه.

ونستنتج من الرسائل المتبادلة أن الفتن التي كانت تعصف بإباضية عُمان والمغرب لم تكن على شيء من متاع الدنيا الزائف أو النزاع على السلطة، بل كانت الغاية الكبرى منها هو السعي الدؤوب إلى السير بهذه الأمة إلى درب الخير والرشاد.

وفي نهاية هذه الأسطر نتساءل ما إذا كانت هناك وسائل ثقافية أخرى تواصل عن طريقها أهل المغرب وأهل عُمان في العصور الإسلامية الوسيطة؟ والفصل القادم يجيب عن هذا السؤال.

الباب الثاني

الصلات الثقافية
بين عُمان وبلاد المغرب

الفصل الثالث

تبادل الكتب وانتقال الآراء والأفكار
بين عُمان وبلاد المغرب

تبادل الكتب وانتقال الآراء والأفكار بين عُمان وبلاد المغرب

رأينا في الفصل الأول –من هذا الباب– الرحلات واللقاءات العلمية بين بلاد المغرب والعُمانيين، ثم في الفصل الثاني الذي ضم الرسائل المتبادلة بينهم، والتي كانت معظمها مصبوغة بالصبغة العلمية، وبعد ذلك التطواف في جنبات الرحلات والرسائل نتوقف هنا لنختم هذا الباب بإلقاء الضوء على الكتب التي ألفها العُمانيون فحرص أهل المغرب على اقتنائها والاستفادة منها، وكذلك الكتب التي دونها أهل المغرب فانتقلت إلى أيدي العُمانيين، ولعل العائق الكبير الذي يواجهنا في هذا الصدد هو تحديد طريقة وصول هذه الكتب إلى كلا الطرفين، ولكن الأمر الذي يمكن أن نقوله بصورة عامة، هو وصولها عبر السبل التي ذكرنها في الفصول الماضية وهي الرحلات أو المراسلات أو في موسم الحج، وسيقتصر حديثنا على الكتب التي تم تأليفها في العصر الإسلامي الوسيط فقط، والتي انتقلت بين عُمان وبلاد المغرب في نفس الحقبة أيضا.

كما سنتعرض في هذا الفصل كذلك إلى تلك الآراء والأفكار التي اعتنقها العُمانيون، فتأثر بها المغاربة، وتمسكوا بها واستدلوا بها في الدفاع عن عقيدتهم، ومقارعة خصومهم المذهبيين، بل وتفاخروا بها في الكثير من الأحيان.

١– تبادل الكتب بين العُمانيين وأهل المغرب:

يمكن القول بأن شغف اقتناء الكتب من قبل المغاربة لمؤلفات إخوانهم العُمانيين كان كبيراً وواضحاً، وبذلوا في سبيل ذلك المال والأنفس، وكانت رابطة المذهب الواحد هي الدافع الكبير لهذا الشغف، بل كان أئمة الدولة الرستمية ممن يشجعون الاطلاع على هذه الكتب، فقد كان الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب ينصح الطلاب بالاطلاع على كتب المذهب الإباضي[1]، فما الكتب التي حرص علماء المغرب للحصول عليها من العلماء العُمانيين؟

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٧٨.

أ- الكتب العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب:

هناك العديد من الكتب التي ألفها العُمانيون وكانت تحويها المكتبات المغربية العامة والخاصة، وفي هذا الصدد تلوح لناظرنا تلك المكتبة التي أسسها الإمام عبد الرحمن بن رستم، وأطلق عليها اسم المعصومة[١]، وذلك لإشباع نهمه ونهم علماء الإباضية المغاربة من علوم علماء المشرق بوجه العموم والعُمانيين بوجه الخصوص، وكان ذلك إبان تأسيسه مدينة تاهرت العاصمة الرستمية، وسنتعرض لتلك الكتب، وغيرها من الكتب التي وجِدت في أيدي المغاربة، وذلك حسب مادتها العلمية.

- الكتب الفقهية والعقدية العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب:

كانت الكتب الفقهية والعقدية من أكثر الكتب التي تناقلتها الأيدي بين بلاد المغرب وعُمان، ويعود ذلك إلى المذهب الواحد الذي يجمع الطرفين، فكان كل طرف يسعى للحصول على الكتب الفقهية والعقدية الإباضية، وخاصة المغاربة الذين كانوا ينظرون إلى المشرق كمركز للدعوة الإباضية، حيث يتمركز أكبر علماء مذهبهم وأجلّهم.

ولعل أول ما يطالعنا في هذا الجانب تلك الكتب التي تم شراؤها من البصرة للإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فقد بلغت أربعين حملا، إذ أن الإمام الربيع بن حبيب عندما بلغته رسالة الإمام في طلب الكتب ارتأى نسخ الكتب له بدل شرائها على أن يتكفل إباضية البصرة بالنسخ استغلالا لتلك الأموال ولإرسال أكبر قدر ممكن من الكتب[٢]، ولم تحدد لنا المصادر التاريخية كنه هذه الكتب والتخصص الذي كانت تتحدث فيه، لكن يمكننا أن نستشف أن معظمها إن لم تكن كلها في الفقه والعقيدة، ويُفهم ذلك من رواية أبي زكريا عن الإمام عبد الوهاب أنه بعد أن أكمل قراءتها قال: "الحمد لله ليست منها مسألة ليست عندي إلا مسألتان لو سُئلت عنهما

---

١) المصدر نفسه: ج١، ص٤٠.

٢) ابن سلام: الإسلام وتاريخه..، م. س، ص١٣١، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبراهم، م. س، صص٩٩-١٠٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٥٦-٥٧.

قستهما إلى نظائرها من المسائل"[١]، فيفهم من هذا أن تلك الكتب التي وصلت للإمام كانت في الفقه، وبالأخص الفقه الإباضي، إذ غلب على إباضية المغرب الاعتماد على كتب المذهب فقط، وكانوا يعيبون على من يطالع كتباً غير كتب المذهب[٢]، كما يتضح من هذه الرواية كثرة المؤلفات الفقهية الإباضية في تلك الفترة التاريخية المبكرة.

ومن الكتب الإباضية الأخرى التي وصلت بلاد المغرب مدونة أبي غانم الخراساني، إذ قدم مؤلفها بلاد المغرب زائرا وقد حمل معه مدونته، وعندما رغب في زيارة الإمام عبد الوهاب بن عبدالرحمن(١٧١هـ/٧٨٧م- ٢٠٨هـ/٨٢٣م) في تاهرت، أودع مدونته عند عمروس بن فتح النفوسي بجبل نفوسة، فقام الأخير بنسخ هذه المدونة[٣] بمساعدة من أخته التي كانت " تملي عليه، وكان إذا جلس للنسخ في موضع لازمه حتى تدركه الشمس فينتقل إلى الظل، والأصل في يدي أخته وعينه في الكتاب لا يتحول حرصا في إحياء العلم"[٤]، ولما رجع أبو غانم الخراساني من تاهرت ووجد آثاراً تدل على نسخ مدونته قال لعمروس بن فتح:" أسرقت هذه؟"[٥] فرد عليه عمروس بن فتح: بنعم، فسماه أبو غانم بسارق العلم[٦].

وقد دوّن أبو غانم الخراساني في هذا الكتاب "قول كل عالم من مشائخه، وأسنده

---

١) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٠٠.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٩٦.

٣) الدرجيني: المصدر نفسه، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٩٤. ويرى أحمد بن سعود السيابي أن أبا غانم تعمد إحضار هذه النسخة معه ليودعها في مكتبة المعصومة بتاهرت؛ لتكون من ضمن مكنونات هذه المكتبة الضخمة، وأن عمروس بن فتح نسخها عندما خرج أبو غانم إلى بعض مدن الجبل. انظر: أحمد السيابي: التواصل العلمي العُماني المغاربي...، م. س، ص٩. وهذا الرأي متعارض مع المصادر السابقة المصرحة بأن عمروس بن فتح نسخها عندما خرج أبو غانم إلى تاهرت، وصرح بذلك الدرجيني بقوله:" فاجتاز على جبل نفوسة فاستودع عمروس الكتاب المذكور، وتمادى إلى تاهرت بعد أن استأذنه عمروس في انتساخ الكتاب المذكور فلم يأذن له. انظر: طبقات المشائخ بالمغرب، ج٢، ص٤٩٦. ولا يستبعد وجود نسخة في المعصومة منقولة من نسخة عمروس بن فتح.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٢٣.

٥) المصدر السابق.

٦) المصدر نفسه.

إليه"[١]، وكان جل مشائخه هم من تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذين من بينهم الإمام الربيع بن حبيب العُماني، وأبو سفيان محبوب بن الرحيل، وأبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي[٢]، وقد بلغ عدد أجزاء هذه المدونة اثنا عشر جزءا[٣]، قام عمروس بن فتح بنسخها كاملة وهي النسخة الوحيدة التي احتفظت بها الأقدار من الضياع، يقول الشماخي في ذلك: "فلما وقع ما وقع بتيهرت وأحرقت كتبها بقيت نسخة عمروس ينتفع بها الإباضية"[٤]. ويمكن أن نفهم من هذه الرواية أن مكتبة المعصومة كانت تحوي نسخة من هذه المدونة إضافة إلى نسخة عمروس بن فتح هذه.

وحق لأحد الباحثين[٥] أن يصف هذه المدونة باللبنة الأولى للعلاقة الثقافية بين بلاد المغرب وبلاد المشرق، كونها ضمت كما أسلفنا المسائل الفقهية والعقدية التي يدين بها مشائخ الإباضية الأوائل من لدن الإمام جابر بن زيد – مؤسس المذهب– وانتهاءً بطلاب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي.

وتورد لنا المصادر التاريخية كتابا في الفقه للعلامة محمد بن محبوب بن الرحيل العُماني تتداوله الأيدي في بلاد المغرب[٦]، ويحث الآباء أبناءهم على قراءته وقراءة ما شاكله من كتب أهل عُمان، فقد روى الدرجيني عن العلامة أبي محمد بن أبي صالح أنه كان يقرأ على ابنه كتاب ابن محبوب، وأن هذا الكتاب كان يقع في سبعين جزءا، فكان أبو صالح يعلّق على ذلك الكتاب قائلا: "هذا كلام محقق، فقيه، أصولي" وفي نهاية الرواية يورد الدرجيني سبب ذلك الثناء العطر قائلا: "ذلك ليعلم أن تآليف أهل المشرق مفيدة، دون ما سواها"[٧].

---

١) المصدر نفسه: ج٢، ص٣٣٩.

٢) عمرو النامي: دراسات عن الإباضية، م. س، ص١٣٤، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٦٧.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٢٣.

٤) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٩٥.

٥) محمد بو حجام: التواصل الثقافي...،م. س، ص٣٧.

٦) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و٢١٨.

٧) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، صص٣٥٧–٣٥٨.

ويتبين من الرواية أن الآباء المغاربة كانوا يورّثون حب كتب إباضية عُمان إلى أبنائهم؛ لينشأ جيلا محبا للكتب العُمانية وأهل عُمان، وتدل الرواية كذلك أن هذه الكتب كانت تتداول في أيدي علماء الإباضية بمكتباتهم الخاصة، بالإضافة إلى وجودها في المكتبات العامة كمكتبة المعصومة.

وإذا كانت مكتبة المعصومة تحوي العديد من الكتب المشرقية التي اقتنتها الدولة الرستمية كونها العاصمة الإدارية والسياسية لها، فإن مدينة من مدنها كانت ندا لها في هذا المجال، فقد ضم ديوان جبل نفوسة ثلاثة وثلاثين ألف كتاب مشرقي، في الفقه[١]، ونستشف هذا الأمر من الرواية التي أتحفنا بها الدرجيني حين قال حاكيا عن أحد علماء المغرب يدعى أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر، واصفا نهمه بالقراءة والاطلاع: "روى أبو عمرو عن أبي العباس أنه قال: كنت أقرأ على الشيخ سعدون وأحضر مجالسه، فأول ما وقعت فيه المذاكرة عنده مسألة ذبيحة الأقلف، هل تؤكل أم لا؟ وقال: في المسألة قولان ولم يزد على هذا شيئا، قال أبو العباس: وكان الديوان في نفوسة مشتملا على تصانيف في المذهب فلازمت الدراسة أربعة أشهر لم أذق فيها نوما ليلا ولا نهارا إلا فيما بين أذان الصبح إلى طلوع الفجر، فنظرت في أثناء ذلك فيما هناك من كتب المذهب التي وصلت من المشرق، فإذا هي نحو ثلاثة وثلاثين ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأتها حينئذ"[٢].

ونستنتج من تلك الرواية العديد من الأمور منها: ذلك الكم الهائل من الكتب المشرقية التي ضمها ديوان جبل نفوسة، فإذا كان جبل نفوسة يحوي هذا العدد الهائل من الكتب فما بالك بمكتبة المعصومة في تاهرت حتما ستكون أكثر وأغزر منه، كذلك يظهر من الرواية أن الكتب التي اطلع عليها العلامة أبو العباس كانت في الفقه، من أجل الحصول على ذلك القول الفقهي الذي ذكره أستاذه، لكن مما يؤسف له أنه لم يخبرنا

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج٢، ص٤٤٥، الشماخي: السير، م.س، ج٢، ص٩٠، السالمي: **اللمعة المرضية من أشعة الإباضية**، مراجعة سلطان بن مبارك الشيباني، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ط٢، ص٢٢، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٩.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٤٥.

عن الكتب الأخرى وتخصصاتها وما تحويه من علم، ومن هذه الرواية يتجلى أيضا الاهتمام الكبير من قبل إباضية بلاد المغرب في اقتناء كتب إخوانهم المشارقة.

وفي النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تمكّن العالم المغربي فرج بن نصر النفوسي[١] المشهور بنفاث من الحصول على نسخة من ديوان الإمام جابر بن زيد الأزدي العُماني، فقد خرج نفاث من بلاد المغرب بعد أن كانت بينه وبين الإمام أفلح بن عبدالوهاب بعض الاختلافات فخرج الأول إلى بغداد وتمكن من الحصول على تلك النسخة بعد تمكنه من الإجابة على بعض الأسئلة التي عجز عن الإجابة عليها جلساء الخليفة العباسي، فكانت جائزته هي نسخ الديوان[٢].

وقدم به نفاث إلى بلاد المغرب، ولكن نظرا للخلاف الذي كان بينه وبين الإمام أفلح بن عبد الوهاب فقد ارتأى نفاث أن يدفن الديوان في مكان لا يعرفه أحد سواه فيعود إليه متى شاء، كل ذلك خوفا من وقوعه في يد الإمام أفلح، وبهذا الأسلوب خسرت المكتبة الإباضية أهم كتبها، فبعد أن انتقل نفاث إلى جوار ربه لم يعرف أحد مكان الديوان[٣]، وكان هذا الديوان خمسة أحمال، وقد دوَّن فيه الإمام جابر بن زيد الكثير من المسائل الفقهية وأودع فيه آراءه الخاصة في تلك المسائل[٤].

ومن الكتب العُمانية التي لاقت رواجا كبيرا في الوسط المغربي هو كتاب الدعائم

---

١) من علماء الدولة الرستمية عاش في (ق: ٣هـ/ ٩م) أخذ العلم عن الإمام أفلح بن عبدالوهاب، ثم عارض الإمام أفلح وانشق عنه، فتوجه إلى بلاط الخلفاء العباسيين فنال حظوة ومكانة، وتمكن من استنساخ ديوان جابر بن زيد من مكتبة دار الحكمة. انظر: بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية...، م. س، ج٢، ص٣٣٨.

٢) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص١٤١–١٤٥، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٨٠–٨١، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٢٦٣، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، صص١٠٧–١٠٨.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٤٥، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج١، ص٨٢، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٢٦٤.

٤) السالمي: اللمعة المرضية ...، م. س، ص٢١، مجموعة مؤلفين: عُمان في التاريخ، م. س، ص٢٣٤، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان ...، م. س، ص١٥٠، عمرو النامي: دراسات عن الإباضية، م. س، صص٧٩– ٨٠.

للعلامة العُماني أحمد بن سليمان بن عبدالله المشهور بابن النضر (ت: ق ٦هـ/ ١٢م)، وكان هذا الكتاب عبارة عن قصائد شعرية في العقيدة وأصول الفقه، فقد ضم قصائد في الولاية والبراءة وقصائد أخرى في أحكام الصلاة[١].

كان إباضية المغرب يولون دعائم ابن النضر اهتماما كبيرا وكانوا يرون أن من "خالف هذا الكتاب فهو خلاف السنة"[٢]، وقد وصل هذا الكتاب بعد سنوات قليلة من تأليفه، فقد روى الدرجيني وجود نسخة منه بتونس في يد العلامة المغربي أبو عمار عبد الكافي التناوتي(٥٠٠هـ/١١٠٦م- ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، وكانت هذه النسخة غير مشروحة، إذ وصلت النسخة المشروحة بشرح ابن وصاف بعد ذلك بسنين عديدة (ق: ٧هـ / ١٣م) ضمن الكتب التي أحضرها العالم العُماني أبو موسى عيسى بن زكريا[٣] أثناء زيارته للمغرب[٤].

وقد تجلّى اهتمام إباضية المغرب بهذا الكتاب في قيامهم بشرحه، فقد تصدّى لهذه المهمة كلٌّ من: العالم المغربي الشيخ أبو زكريا يحيى بن أبي العز الشماخي، من علماء القرن (٨هـ/ ١٤م)، الذي قام بشرحه في جزأين وحذا في هذا الشرح حذو ابن وصاف العُماني إلا أنه حذف أكثر الشواهد[٥]، وقام بشرحه كذلك العالم المغربي أبو الفضل بن أبي القاسم البرادي من علماء القرن(٩هـ/١٥م) وأطلق عليه "شفاء الحائم في شرح بعض الدعائم"[٦]، وفي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي

---

١) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و٢١٨، السالمي: اللمعة المرضية...، م. س، ص٣٢.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٨٧، نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي...، م. س، ص١٦١.

٣) لم أجد له تعريفا.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، صص٤٨٦-٤٨٧، سالم الخروصي: أبو عمار عبدالكافي...، م. س، ص٨٧.

٥) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٩٣، مهنا السعدي: **كتاب (دعائم الإسلام)** لابن النضر العُماني (ق٦هـ / ١٢م) وشروحه، نموذج للعلاقة العُمانية المغربية، بحث غير منشور، لدى الباحث نسخة منه، ص٢٩.

٦) تاديوس ليفيتسكي: **المؤرخون الإباضية في أفريقيا الشمالية**، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة: ٢٠٠٠م ، ط١، ص٧٥، مهنا السعدي: كتاب دعائم الإسلام....، م. س، ص٣٠.

قام كذلك العلامة أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي(ت: ٩٢٨/ ١٥٢٢) بإعراب مشكله، وانتهى من تأليفه عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م[١]، وهذا دليل على ولع أهل المغرب بكتب إخوانهم العُمانيين، والرغبة الجامحة في سبر أغوار ما كتبوا بشرحه وتوضيحه لكل قارئ .

ومن أجل الاختصار والاقتصار على المفيد نورد الكتب الفقهية والعقدية العُمانية الأخرى التي وصلت المغرب في الجدول الآتي:

عنوان الكتاب	المؤلف	الفترة التاريخية التي عاش فيها المؤلف	مادة الكتاب	المصدر
كتاب محمد بن محبوب	محمد بن محبوب بن الرحيل	ت: ٢٦٠هـ/٨٧٣م	الفقه	البرادي: الجواهر المنتقاة. . . ، مخ . س ، و٢١٨ .
كتاب التقييد	عبد الله بن محمد بن بركة المشهور بابن بركة	من علماء القرن: ٤هـ/١٠م	الفقه	البرادي: الجواهر المنتقاة. . . ، مخ . س ، و٢١٨ .
كتاب الجامع	أبو جابر محمد بن جعفر الإزكوي	من علماء القرن: ٣هـ/٩م	الفقه	البرادي: الجواهر المنتقاة. . . ، مخ . س ، و٢١٨ .
كتاب التخصيص	أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي	من علماء القرن:٦هـ/١٢م	العقيدة	البرادي: الجواهر المنتقاة. . . ، مخ . س ، و٢١٨ .
شرح كتاب الدعائم (حل ابن وصاف)	محمد بن وصاف	من علماء القرن:٦هـ/١٢م	الفقه والعقيدة	البرادي: الجواهر المنتقاة. . . ، مخ . س ، و٢٨١–٢١٩ .
جامع أبي الحسن البسياني	أبو الحسن علي بن محمد البسياني	من علماء (ق:٤هـ/١٠م)	في الأديان والأحكام	البرادي:الجواهر المنتقاة. . . ، مخ . س ، و٢١٩ .
سبوغ النعم (مختصر البسياني)	أبو الحسن علي بن محمد البسياني	من علماء (ق:٤هـ/١٠م)	الفقه	البرادي:الجواهر المنتقاة. . . ، مخ . س ، و٢١٩ .
الضياء	سلمة بن مسلم العوتبي	من علماء القرن: ٥هـ/١١م	الفقه	البرادي:الجواهر المنتقاة. . . ، مخ . س ، و٢١٩ .

١) فرحات الجعبيري، البعد الحضاري...، م.س ، ص١٢٧.

عنوان الكتاب	المؤلف	الفترة التاريخية التي عاش فيها المؤلف	مادة الكتاب	المصدر
مقطعات أبي سعيد	ـــــــ			البرادي: الجواهر المنتقاة . . . ، مخ . س ، و٢١٩ .
كتاب كشف الغمة في اختلاف الأمة	ـــــ		العقيدة	البرادي: الجواهر المنتقاة . . . ، مخ . س ، و٢١٩؛ سلطان الشيباني: قبسات من أنوار البدر الزاهر ، مكتبة الأجيال ، سلطنة عُمان ، سنة: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ط١ ، صص٣٢٤-٣٢٥ .

ونخلص من هذا العنصر كثرة الكتب العُمانية التي انتقلت إلى بلاد المغرب ، ويعود السبب في ذلك إلى حرص أهل المغرب على اقتناء كتب إخوانهم المشارقة .

- **كتب الحديث العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب :**

لم تكن الكتب العُمانية المتخصصة بالفقه والعقيدة العُمانية هي الوحيدة التي انتقلت إلى بلاد المغرب ، بل كانت هناك كتب في الحديث كانت لها المكانة العظمى في قلوب المغاربة ، من تلك الكتب كتاب مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي العُماني .

وقد لقي هذا الكتاب اعتناءً كبيرًا من قبل علماء المغرب ، إذ أن الإباضية يعتبرون هذا المسند أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، ويصف السالمي هذا الكتاب بقوله: "أصح كتب الحديث سنداً ، وأعلاها مستنداً ، فما أحق متنه أن يوصف بالعزيز ، وما أجدر سنده أن يدعى بسلاسل الإبريز ، لشهرة رجاله بالفقه الواسع ، والعلم النافع ، والورع الكامل ، والفضل الشامل ، والعدل والأمانة ، والضبط والصيانة"[1] .

ويحوي هذا الكتاب الأحاديث النبوية الشريفة التي دوّنها الإمام الربيع بن حبيب عن أستاذه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، والتي رواها الأخير عن الإمام جابر بن زيد عن

١) السالمي: **شرح الجامع الصحيح** ، مسند الإمام الربيع بن حبيب، الناشر: سعود بن حمد السالمي، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٩٩٣م، ج١، ص٢ .

الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – كالسيدة عائشة أمّ المؤمنين وأبي هريرة وأنس بن مالك وغيرهم[١].

وقد تجلّى اهتمام أهل المغرب بهذا الكتاب في قيام العلامة المغربي أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني (ت: ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م) بترتيب هذا المسند وتبويبه[٢]، وضمَّ إليه بعض روايات الربيع بن حبيب عن ضمام بن السائب الندابي عن جابر بن زيد وروايات أبي سفيان محبوب بن الرحيل عن الربيع وروايات الإمام أفلح بن عبد الوهاب عن أبي غانم الخراساني، وغيره من مراسيل جابر بن زيد[٣].

وبهذا فقد ساهم الوارجلاني بترتيبه هذا في الحفاظ على هذا الكتاب من الضياع والتحريف، وحفّز أصحاب الحديث بالاطلاع عليه بعد أن أصبح منظما ومهيئا للقراءة من قبل طلبة العلم.

وبالإضافة إلى ذلك المسند فإن المصادر التاريخية تروي لنا في القرن الخامس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كتابا آخر للربيع يحوي أحاديث نبوية شريفة كانت متداولة بين أيدي العزابة في بلاد المغرب وكان يسمى بآثار الربيع، وفيه أحاديث مروية عن ضمام بن السائب عن جابر وهي روايات أبي صفرة عبد الملك بن صفرة[٤]، وقد كانت العزابة تولي هذا الكتاب اهتماما كبيرا وتُجِلّ رواته وتفتخر بهم، من ذلك ما رواه الدرجيني أن أحد أعضاء العزابة كان يقرأ هذا الكتاب فيورد متن الحديث دون السند فنهره أحدهم بقوله: "مالك لا تذكر أئمتك"[٥].

---

١) الربيع بن حبيب: **الجامع الصحيح**، ترتيب: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص١٥، ٢٢، ٢٤، ٢٩،٣٩، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...،م. س، ص١٨٥.

٢) البرادي: الجواهر المنتقاة....، مخ. س، و١٧٢. الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٠٩.

٣) الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح، م. س، ص٤، السالمي: شرح الجامع الصحيح، م.س، ج١، ص٣.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤١٦، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٠٩، ج٢، ص٧٧، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٦٩.

٥) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤١٦.

وفي الحديث أيضا تبرز مدونة أبي غانم الخراساني التي حوت بعض الأحاديث التي رواها أبي غانم عن طلبة أبي عبيدة مسلم عن جابر بن زيد، وهذا الكتاب كما أسلفنا يضم أيضا آراء فقهية وعقدية[١].

- **كتب التاريخ والسير العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب:**

لم يكن الإباضية ممن يولون كتابة التاريخ اهتماماً كبيراً، بل كان جل اهتمامهم بالفقه والعقيدة والأحاديث وما شاكلها من العلوم الدينية واللغوية، ويصرفون نظرهم عن كتابة تاريخهم، وهو الأمر الذي أدى إلى انطماس آثارهم وغياب الكثير من الأحداث التاريخية، وظهور ثغرات كبيرة في تاريخهم لم يتمكنوا من سدّها بما لديهم من كتب بسيطة، ويتعرض السالمي إلى هذا الأمر بقوله: "لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية، وبيان ما لابد من بيانه للناس، أخذا بالأهم فالأهم فلذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة ولا تاريخا شاملا"[٢].

إلا أن هذا الأمر لم يمنع من وصول تلك المؤلفات التاريخية العُمانية القليلة إلى بلاد المغرب، ومن أهم تلك الكتب سيرة أبي سفيان محبوب بن الرحيل التي وجدت رواجا كبيرا في بلاد المغرب، وكان الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ينصح بقراءتها والاهتمام بها[٣].

وقد شكّل هذا الكتاب المصدر الرئيسي للمادة التاريخية لكتب التاريخ المغربي عند كتابتهم عن أهل المشرق، فقد اعتمد عليه الدرجيني في كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، فكانت جل رواياته المشرقية عن أبي سفيان[٤]، واعتمد عليه أيضا الشماخي

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٤٩.

٢) السالمي: تحفة الأعيان....، م. س، ج١، ص٤.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٧٨، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٠٩، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٣٠.

٤) على سبيل المثال انظر: ج١، ص٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، وغيرها كثير.

في كتابه السير بصورة كبيرة أيضا[١]، ولكن مما يؤسف له أن كتاب أبي سفيان هذا يعدُّ من الكتب المفقودة.

- **كتب اللغة والأدب العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب:**

ومن الكتب العُمانية التي ظهرت في الوسط المغربي في مجال الأدب واللغة كتاب العين للعلامة العُماني الخليل بن أحمد الفراهيدي[٢] (١٠٠- ١٧٠هـ/ ٧١٨-٧٨٦م)، ويعد كتاب العين من أهم المعاجم اللغوية، وقد قام أحد العلماء المغاربة ويدعى أبو الأصبع إبراهيم بن عيسى (ت: ٦٢٧هـ/١٢٢٩هـ)، بنسج قصيدة في ترتيب هذا الكتاب[٣]، مما يدل على وجوده في بلاد المغرب في تلك الفترة الزمنية.

ومن الكتب العُمانية في اللغة والأدب التي أوردها البرادي أيضا، وذكر أنها كانت في بلاد المغرب، كتاب النور للعلامة العُماني عثمان بن أبي عبدالله الأصم العقري النزوي، وكان هذا الكتاب يتحدث عن علم الكلام[٤].

ولعل هناك كتباً أخرى في مجال اللغة والأدب بلغت المغرب إلا أن المصادر التاريخية لم تسعفنا بها، إذ لم يكن الخليل هو الوحيد من العُمانيين الذين برزوا في هذا المجال في العصر الإسلامي الوسيط، فهناك العلامة العُماني أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ / ٨٣٨-٩٣٣م) ومن أهم مؤلفاته كتابي الجمهرة والاشتقاق في اللغة، وكذلك العلامة العُماني الكبير أبو العباس المبرد (٢١٠ - ٢٨٦هـ /٨٢٥-

---

١) انظر على سبيل المثال لا الحصر: ج١، ص٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩٥، ٩٦، ٩٩، وغيرها كثير.

٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي اليحمدي، ولد سنة مائة للهجرة، وهو من قرية ودام من أعمال ولاية المصنعة، نشأ بها ثم انتقل إلى البصرة، وكان إمام زمانه في النحو، وهو الذي أسس المدرسة البصرية، ويعد سيبويه أحد تلامذته، وهو واضع علم العروض، ومن أشهر مؤلفاته معجم العين، وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل. انظر: محمد ناصر: معجم أعلام الإباضية...، م. س، صص١٢٩-١٣٠.

٣) ابن الأبار: المقتضب...، م. س، ص١٨٤، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٣٠.

٤) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و٢١٩، السالمي: اللمعة المرضية...، م. س، ص٢٨. وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان بطباعة كتاب النور، عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٨٩٩م) صاحب كتاب الكامل في اللغة والأدب[١].

- كتب عُمانية تحث على طلب العلم انتقلت إلى بلاد المغرب:

يروي لنا البرادي كتابا للعلامة العُماني عبد الله بن محمد بن بركة المشهور بابن بركة (من علماء القرن: ٤هـ/١٠م)، المعروف بجامع ابن بركة، كان موجودا بأيدي علماء بلاد المغرب[٢]، ويؤكد هذا الأمر اقتباس العلامة المغربي أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (من علماء القرن: ٦هـ/١٢م) بعض النصوص منه، كما يروي ذلك الدرجيني عن أبي الربيع أنه كان يقول بعد انتهاء مجلس العلم: "وقد قال ابن بركة العُماني– رضى الله عنه– قلما تعسف أحد مذاهب المسلمين بغير فهم إلا حرم التوفيق، وقال أيضا **:** أعوذ بالله من مسامحة الآراء، وتقليد الآباء والكبراء، واتباع الأمراء"[٣]، وهذا دليل على وجود هذا الكتاب في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ولعله من الكتب التي حملها طلاب ابن بركة المغاربة الذين تتلمذوا على يديه في مدينة بهلا العُمانية[٤].

ب- الكتب المغربية المنتقلة إلى عُمان:

نفتقر في هذا العنصر إلى المصادر التي تحدثنا عن الكتب المنتقلة من بلاد المغرب إلى العُمانيين؛ نظراً لبعض الظروف السياسية السيئة التي مرت بها عُمان في بعض فتراتها التاريخية، فقد تم حرق العديد من الكتب والمكتبات العُمانية خلال الصراعات الداخلية والغزوات الخارجية التي تعرضت لها عُما ن، ويكفي أن نذكر في هذا الصدد الكتب التي أحرقها محمد بن نور إبان غزوه لعُمان[٥]، والمكتبة الضخمة للعلامة العُماني ابن

---

١) مجموعة مؤلفين: عُمان في التاريخ، م. س، صص٢٤٤– ٢٤٥.

٢) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و٢١٨.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٧٩.

٤) الكدمي: كتاب الاستقامة، م. س، ج١، مقدمة الكتاب ص٥، رجب عبدالحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، صص١٥٥–١٥٦، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب ... م. س، صص١٦٧–١٦٨.

٥) الإزكوي: تاريخ عُمان...، م. س، ص٥٧، السالمي: تحفة الأعيان ...، م. س، ج١، ص٢٦١.

النضر التي أحرقها الملك النبهاني خردلة بن سماعة[١]، ولكن سنحاول جاهدين تتبع بعض تلك الكتب من خلال تعرّض بعض علماء العصر الوسيط لها من خلال كتبهم.

- **كتب الفقه والعقيدة المغربية المنتقلة إلى عُمان:**

من الكتب الفقهية المغربية التي كانت متداولة لدى العُمانيين جوابات الأئمة عبد الوهاب وابنه أفلح وحفيده محمد بن أفلح، فقد كان العلامة العُماني أبو بكر الكندي يستدل بأقوالهم في كتابه بيان الشرع[٢]، ويظهر أنها جُمِعت في كتاب واحد، وقد تعرض السالمي لهذا الكتاب، وأورده ضمن الكتب المغربية التي ذكرها في كتابه اللمعة المرضية وعنونها بجوابات الأئمة عبد الوهاب وابنه أفلح وابنه محمد بن أفلح بن عبد الوهاب وقال عنه أنه: " سفر تام"[٣].

ويتعرض العلامة الكندي في كتابه بيان الشرع –أيضا– إلى بعض الكتب المغربية لكنه مما يؤسف له عدم ذكر عناوينها كقوله: "من كتب أهل المغرب"[٤]، فلم يسمَّ هذا الكتاب ولا مؤلفه.

ومن الكتب الدينية المغربية التي وصلت إلى عُمان أيضا كتاب الجهالات للعلامة المغربي تبغورين بن عيسى الملشوطي (من علماء القرن: ٦هـ/ ١٢م)، فقد ذكره العلامة العُماني السعدي في كتابة قاموس الشريعة[٥]، كما أن السعدي كان كثيرا ما يشير إلى أنه رجع إلى كتب الأصحاب المغاربة، وأخذ منهم إلا أنه مما يؤسف له عدم تعرّضه

---

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٣٦١.

٢) انظر: ج٣، ص٤٣٥، ٤٣٦، ج٢٧، ص١١، ج٦٨، ص١٨٩، ٢٠١، ٢٠٠، ٢٨٧.

٣) انظر: ص٣٦.

٤) انظر: ج٦٨، ص٣٠٤.

٥) السعدي: **قاموس الشريعة الحاوي على طرقها الوسيعة**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، سنة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٤، ص١٤٣، رجب عبدالحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...، م. س، ص١٧٤. قد يعترض معترض أن السعدي من علماء القرن الثالث عشر الهجري، لكن نقول لعل هذا الكتاب وجد في الوسط العُماني قبل ذلك، فمؤلفه ينتمي إلى العصر الوسيط.

لأسماء تلك الكتب[١].

- **كتب التاريخ والسير المغربية المنتقلة إلى عُمان:**

ومن الكتب المغربية في التاريخ والسير التي بلغت عُمان كتاب طبقات المشائخ بالمغرب للعلامة المغربي أحمد بن سعيد الدرجيني، ويظهر ذلك من خلال كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة للعلامة العُماني سرحان بن سعيد الإزكوي[٢]، إذ يتبين أن ما كتبه الأخير عن الدولة الرستمية ما هو إلا طبق الأصل لما كتبه الدرجيني في كتابه[٣]، كما لا ننس أن تأليف هذا الكتاب – طبقات المشائخ– جاء بطلب من العُمانيين، فإمكانية بلوغه عُمان واردة إن لم تكن مؤكدة[٤].

٢– انتقال الأفكار والآراء بين العُمانيين وأهل المغرب:

لا نبالغ إذا قلنا أن انتقال الآراء والأفكار الفقيهة والعقدية قد أخذت نصيب الأسد من التواصل العُماني المغربي، فقد كانت من أكثر الجوانب ظهورا وأكثرها اشتهارا، فقد كان أهل المغرب يأخذون بآراء العُمانيين وأفكارهم ويعتبرونها حجة في الكثير من الأحيان، وفي أحيان أخرى يستدلون بها من أجل تأييد آرائهم، فقد كان أهل المشرق يشكّلون المرجعية الكبرى لأهل المغرب، ولكن لا يعني ذلك أن العمانيين لا يأخذون من أهل المغرب، فقد طفحت كتبهم بالكثير من الأقوال المغربية.

أ– انتقال الآراء والأفكار العُمانية إلى أهل المغرب[٥]:

نجد الكثير من الآراء والأفكار العُمانية مدوّنة في الكتب المغربية، مستدلين بها في

---

١) السعدي: قاموس الشريعة ...، م. س، انظر على سبيل المثال لا الحصر: ج٤، ص٥٦، ٧٧، ٩٨، ١٤١، ١٨١.

٢) الإزكوي: كشف الغمة...، مخ. س، انظر على سبيل المثال: و٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢.

٣) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٧٤.

٤) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و١١.

٥) من باب التنبيه فإننا لن نتعرض للآراء والأفكار التي نقلها أهل المغرب عن جابر بن زيد العُماني كونها كثيرة جدا فلا يخلو كتاب في الفقه أو العقيدة أو الحديث إلا وتجده يأخذ بقول جابر.

بعض أقوالهم، ومدعّمين بها في الوقت نفسه لآرائهم وأفكارهم، ولا غرو في ذلك فقد كان العُمانيون يشكّلون اللبنة الأولى للمذهب الإباضي، ويكفي أن نذكّر هنا بمقولة العلامة أبي سفيان محبوب بن الرحيل: "وكانت المحكّمة واحد لو حكم رجل من المغرب تولاه من كان منهم بالمشرق ولو حكم بالمشرق تولاه من كان بالمغرب"[١]. هذه المقولة تدل على تماسك رجالات الطرفين، وولائهم لبعضهم البعض وإقرارهم لكل عمل يقوم به الطرف الآخر.

- **الآراء والأفكار الفقهية والعقدية العُمانية التي أخذ بها أهل المغرب.**

حفظت لنا المصادر التاريخية والفقهية والعقدية المغربية العديد من الآراء التي نقلها العلماء المغاربة عن إخوانهم العُمانيين، ولنبدأ في هذا الصدد من أول داعية للمذهب الإباضي في بلاد المغرب سلمة بن سعد الحضرمي[٢]، فقد توجه إلى بلاد المغرب لينشر الآراء والأفكار الإباضية إلى بلاد المغرب، وهذه الأفكار كما هو معلوم قد أنتجتها العقول العُمانية من لدن الإمام جابر بن زيد مؤسس المذهب.

ثم بعد ذلك يأتي العلامة ابن مغطير الذي يعد أول طالب مغربي يلتحق بمجلس الإمام أبي عبيدة مسلم في البصرة، فرجع إلى المغرب وهو يفتي بأقوال وآراء شيخه أبي عبيدة، واستمر كذلك حتى مقدم حملة العلم إلى المغرب[٣]، وهكذا بالنسبة لحملة العلم المغاربة الذين قدموا المغرب وأخذوا يفتون ويعملون بآراء شيخهم وأستاذهم الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي[٤].

ومن الآراء والأفكار الفقيهة والعقدية العُمانية التي انتقلت إلى بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، القول بأن القرآن غير مخلوق وأن السخط

---

١) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م.س، ،ج١ ، ٣٠٠، سيدة كاشف: إباضية عُمان...، م. س، ص٢٦٩، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري ...، م. س، ص٣١

٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، صص٩٠-٩١، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية....، م. س، ص٣٥.

٣) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٤، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٣٥.

٤) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٩، سيدة كاشف: إباضية عُمان....، م. س، ص٢٧٧.

والرضى فعلان، وقد نقل هذا الرأي العلامة نصر بن سجميمان النفوسي عندما التقى بعلماء عُمان في موسم الحج فسألهم عن ذلك[١]، ثم يعلق الشماخي على هذه الرواية ويذكر أن بعض العُمانيين قالوا بخلق القرآن، فيتضح من ذلك انتقال هذه الأفكار بتفاصيلها إلى بلاد المغرب، فحين يذكر الشماخي أن أهل عُمان منهم من قال بخلق القرآن ومنهم من لم يقل بخلقه[٢]، يوضح وصول أدق الآراء في هذه المسألة، وخاصة أنه يقول: "بعض العُمانيين" وهذا يعني أن الفرقة القائلة بهذا القول قليلة، وعادة ما يطغى قول الأغلبية على قول الفئة الأقل، لكن هذا الأمر كله وبتفاصيله بلغ أهل المغرب، ليكون دليلاً على قوة التواصل الفكري بين القطرين.

ويروي لنا الدرجيني أيضا أن العالم المغربي سعدون (من علماء القرن: ٥هـ/١١م) قد أخذ برأي أهل المشرق في حكم ذبيحة الأقلف، وقال إن فيها قولين وهما لأهل المشرق، ويتبين ذلك من قيام أحد طلبته بالبحث عن ذلكم القولين في كتب أهل المشرق الموجودة بديوان جبل نفوسة[٣].

وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي يطلعنا ابن خلفون على بعض الأقوال الفقهية التي أخذها عن علماء عُمان، يأتي في مقدمتهم العلامة الربيع بن حبيب والعلامة ابن بركة[٤].

وينقل الدرجيني في كتابه طبقات المشائخ بالمغرب الكثير من الأقوال الفقهية والعقدية عن العلامة أبي سفيان محبوب بن الرحيل[٥]، وسار على هذا النهج أيضا الشماخي في كتابه السير[٦].

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٣٧، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٦٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب ....، م. س، ص١٧٧، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٣٧.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٤٥، الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص٩٠، السالمي: اللمعة المرضية...، م. س، ص٢٢، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٩،

٤) ابن خلفون: أجوبة ابن خلفون، م. س، ص٧٣، ٩٤.

٥) على سبيل المثال لا الحصر: ج١، ص٧٠، ج٢، ص٢١٠، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٧، ٢٧٢، ٢٥٠.

٦) على سبيل المثال لا الحصر: ج١، ص٧١، ٧٦، ٧٨، ٨٢.

وأخذ العلامة أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) ببعض آراء العلامة العُماني ابن النضر الفقهية والعقدية من خلال كتابه الدعائم، وأوردها في كتابه القيّم قناطر الخيرات[١].

- **الآراء والأفكار المذهبية العُمانية التي أخذ بها أهل المغرب:**

وظهر التواصل الثقافي أيضا من خلال الأخذ بالآراء والأفكار المذهبية العُمانية وتطبيقها على أرض الواقع في بلاد المغرب، وكان هذا الأخذ على مستوى القيادات المذهبية في البصرة أو على المستوى الفردي في بلاد المغرب.

أما على مستوى القيادات فقد تجلّى هذا الأمر في محاولة إحياء الإمامة الإباضية في بلاد المغرب بعد سقوطها في عُمان عام (١٣٤هـ/٧٥١م)، وظهر ذلك في إعلان إمامة أبي الخطاب المعافري في عام (١٤٠هـ/٧٥٧م) في مدينة طرابلس، وكل ذلك جرى بتنسيق وتنظيم من قبل القيادة الدعوية في البصرة على يد زعيمها الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[٢].

وأما على المستوى الفردي فقد أخذ أبو عبيدة المغربي(ق: ٣هـ/ ٩م) بما فعله أبو حمزة المختار بن عوف السليمي العُماني من خروجه على بني أمية، ومحاربته لهم إبان إمامة الإمام طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي (ت: ١٣٠هـ/٧٤٧م) في اليمن، واحتج بهذا الفعل على أتباع خلف بن السمح، الذين رأوا أن إراقة الدماء مقدمة على قيام دين الله وتمكينه في الأرض[٣].

---

١) الجيطالي: **قناطر الخيرات**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ط٢، ج١، المقدمة. سالم الخروصي: أبو عمار عبدالكافي...، م. س، ص٨٧، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...، م. س، صص١٧١-١٧٢.

٢) وظهر ذلك من خلال المراسلات بين أبو عبيدة وأهل المغرب للتنسيق في إعلان إمامة أبي الخطاب. انظر: مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، ص٥١٣، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب...، م.س، ص٣١١، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٦٩، محمد بوحجام: التواصل الثقافي...، م. س، ص١٦.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص١٣٠-١٣٢.

ومن الأفكار التي أخذها أهل المغرب عن إخوانهم العُمانيين وطبقوها بحذافيرها هي فكرة التأليف الجماعي، عن طريق اجتماع عدد من العلماء في مكان معين وقيامهم بتأليف كتاب واحد، فقد قام العُمانيون بذلك في عهد الإمام غسان بن عبدالله (١٩٢– ٢٠٧هـ/ ٨٠٨ – ٨٢٢م)، حيث قاموا بتأليف كتاب في مدينة دما [السيب حاليا]، أطلقوا عليه كتاب الأشياخ[١]، وحذى إباضية المغرب حذوهم فقاموا بتأليف جماعي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في جزيرة جربة التونسية أطلقوا عليه ديوان الغار، وبعده بقرن خرج أيضا مؤلف جماعي آخر لأهل المغرب أطلقوا عليه اسم ديوان الأشياخ أو العزابة، إذ اجتمع عدد من العلماء من مناطق شتى ببلاد المغرب كنفوسة وقنطرار وأريغ وتجديت، وقاموا بتأليفه[٢].

ونجد الشماخي يوضح هذه العلاقة المذهبية ويسعى للربط بين المنطقتين وذلك حينما قارن بين الوضع السيئ لإباضية المغرب بعد هزيمتهم في معركة مانو(٢٨٣هـ/٨٩٦م)، التي كانت سببا في سقوط الدولة الرستمية[٣]، بالوضع المتردي الذي لحق بأهل عُمان بعد دخول جيوش الدولة العباسية إلى عُمان (٢٨٠هـ / ٨٩٣م) وسقوط الإمامة الإباضية فيها[٤]، وكأن لسان حاله يقول: أنَّى لهذا الطائر أن يطير إذا كان كلا جناحيه قد كسرا؟!.

ومن الأفكار التي انتقلت من المشرق إلى بلاد المغرب، وكانت حين مقدمها من المشرق بسيطة فتوسعت وتطورت في بلاد المغرب هي فكرة إنشاء مجتمع إباضي متماسك في وسط مجتمع مخالف لهم ومحارب لفكرهم، فقد أنشأ أبو عبيدة مسلم

---

١) مجموعة مؤلفين: عُمان في التاريخ، م. س، ص٢٣٦.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، مقدمة الكتاب، وتعرض الشماخي للعلماء المشاركين في هذا العمل الكبير وبلدانهم ودور كل عالم في ذلك. انظر: السير، م. س، ج٢، ص٩٦.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص١٥٧، ١٥٩– ١٦٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٨٩– ٩٠، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١٥٢.

٤) ابن مداد: سيرة ابن مداد ، م. س، ص٢٩، الإزكوي: تاريخ عُمان ...، م. س، ص٥٥، السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٢٥٨، مختار نور الدين وآخرون: عُمان عبر التاريخ...، م.س، ص٧٢.

بن أبي كريمة ذلك المجتمع في البصرة[١]، وأخذ أهل المغرب تلك الفكرة وطبقوها فيما يسمى بنظام العزابة (في القرن: ٥هـ/ ١١م)[٢]، فطوّروا تلك الفكرة وجعلوا لها أنظمة وقوانين ساعدت في النهاية وبشكل كبير في الحفاظ على الوجود الإباضي في المغرب وبقائه حتى يومنا هذا[٣].

ويأخذ البرادي برأي الداعية الإباضي عمران بن حطان –الذي عاش آخر حياته في عُمان– في مسألة نسبة الوهبية إلى الإباضية، إذ يرى أن من لقب الإباضية بهذا اللقب فهو نسبة إلى عبدالله بن وهب الراسبي زعيم أهل النهروان في عهد علي بن أبي طالب– كرم الله وجهه– واحتج البرادي بهذا القول على بعض أهل المغرب الذين كانوا يقولون إن نسبة الوهبية إلى الإباضية راجع إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وليس إلى عبدالله بن وهب الراسبي[٤].

ب– انتقال الآراء والأفكار المغربية إلى عُمان:

وفي نفس المنحى كانت هناك أفكار وآراء مغربية انتقلت هي الأخرى إلى عُمان، وتبنّاها علماء عُمان، ودوّنوها في كتبهم، وسنتعرض في هذا العنصر لتلك الآراء والأفكار التي سطّرها أهل عُمان في كتبهم أو عملوا بها في حياتهم في شتى ميادين الحياة.

– الآراء والأفكار الفقهية والعقدية المغربية التي انتقلت إلى عُمان:

لقد كان أهل المشرق يتابعون مجريات الحياة في المغرب، بل كانوا حريصون كل الحرص على تتبّع ظهور العلماء الذين تثمرهم بلاد المغرب، بل كانوا يفتخرون بهم في

---

١) نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي ... ، م. س، ص١٢٠، مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم...، م. س، صص١٧٢–١٧٣.

٢) فرحات الجعبيري: **نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة**، المعهد القومي للآثار والفنون، المكتبة التاريخية، المطبعة العصرية، تونس، سنة: ١٩٧٥م، ص٣٤.

3) Muammar; Ali Yahya، Ibadism in History،Ministry of Awqaf and Religious Affairs، Sultanate of Oman، first edition، 2007، pp 69–76.

٤) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و١٧٤.

الكثير من الأحيان، من ذلك ما يورده الشماخي أن أحد علماء المشرق كان يقول: "لا أعلم بمن يخرج دماء أهل القبلة في زماننا هذا إلا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب وأبو يزيد الخوارزمي، يعني والله أعلم أنك لا تتقدم على سفك الدماء إلا بفتيا أحد الرجلين من غزارة علمهما وورعهما وتحفظهما"[١]، وهذه المقولة تدل على اعتماد أهل المشرق على رأي علماء المغرب، بل والمفاخرة بهم وبعلمهم، وجعلهم حجة في أصعب المسائل الفقهية والعقدية، واتخاذ رأيهم فيصلا فيها.

وعند ظهور مشكلة الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس المرادي (ق: ٢هـ/ ٨م) واختلاف أهل المغرب فيهما، أورد أهل عُمان تلك الأقوال ورجحوا بعضها، وفي ذلك يقول الدرجيني: "وبلغني عن ناس من أصحابنا الذين بالمشرق، بل قد وقفت عليه من قولهم أنهم رجحوا قول أصحابنا في القتيلين والمقتولين"[٢]، وهذا دليل على انتقال آراء أهل المغرب إلى عُمان واتخاذ أهل عُمان لأنفسهم موقفاً منها.

ويجعل العلامة العُماني أبو سعيد الكدمي (من علماء ق: ٤هـ/١٠م) علماء أهل المغرب حجة في الدين وممن لا مراء في شهادتهم، عند تعرّضه لهم في مسألة قبول الشهادة منهم عند جهل الناس لكنههم[٣].

وفي هذا المنحى نقل العلامة العُماني أبو بكر الكندي العديد من الآراء الفقهية والعقدية المغربية في كتابه بيان الشرع، فقد أخذ ببعض أقوال الإمام عبدالرحمن بن رستم واستدل بها في بعض المسائل الفقهية[٤]، كذلك أورد آراء فقهية للإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، يقول الكندي: "ومن جواب الإمام عبد

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٤٣، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٨٤.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٥. وأورد هذا النص كذلك البرادي بنفس العبارات، ولا ندري لماذا لم ينسبها إلى الدرجيني وخاصة أن فيها لفظ"وقفت على ذلك" أو لعل البرادي وقف أيضا على هذا القول بنفسه. انظر: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و١٧٢.

٣) الكدمي: الاستقامة، م. س، ج١،ص ص١٧٧-١٨٧.

٤) الكندي: بيان الشرع...، م. س، ج٢٨، ص١٣٦، فهد السعدي: **العُمانيون من خلال كتاب بيان الشرع**، دليل تأريخي إلى تراجم العُمانيين من خلال كتاب بيان الشرع للعلامة الكندي، سنة: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، د. د، ط١، ص١٢٣.

الوهاب بن عبد الرحمن المغربي وذكرت من أحرق لحم الخنزير"[١]، وأورد أيضا في نفس النص قولا آخر عن عبد الوهاب يقول: "ومن جوابه رحمه الله في التعالج بشحم الخنزير أو الخمر فلم يجز ذلك وقال: إن الشحم حكمه حكم اللحم؛ لأن الله حرّم لحم الخنزير وشحمه، أحدث المعنى لا اللفظ بعينه فينظر فيه"[٢]، وغيرها من الآراء الفقهية.

وأورد العلامة العُماني أبو جابر محمد بن جعفر في كتابه الموسوم بالجامع عددا من آراء الإمام عبد الرحمن بن رستم المغربي[٣]، كما يأخذ بآراء أهل المغرب دون أن يحدد اسم العالم، من ذلك قوله: "ومن جواب – لعله من أهل المغرب"[٤].

وانتقلت أيضا آراء فقهية وعقدية إلى عُمان للعلامة المغربي أبي عبيدة نافع ابن نصر المغربي، من ذلك ما ورد عند الكندي حين يقول: "قال أبو عبيدة المغربي تفسير ذلك فيما أرى والله أعلم يعنون الإمام إذا رأى الرعية لم تستقم لله على الطاعة التي ينالون لها ثواب الله أن على الإمام أن يدعوهم إلى الوفاء لله بطاعته"[٥].

ونقل عن أبي عبيدة المغربي أيضا صاحب المصنف حيث يقول: "ومن كلام أبي عبيدة المغربي: وكل من دخل في الإمامة والعمالة، وله فيها رأي، إذا كان يعجبه ذلك الرأي"[٦]، وفي موضع آخر يورد مسألة عقدية مختصرة: "مسألة مختصرة من كتاب أبي عبيدة نافع بن نصر المغربي: سألت عن الكتمان والظهور"[٧].

وانتقلت إلى أهل عُمان آراء العلامة المغربي عمروس بن فتح، فينقل صاحب المصنف عنه بعض المسائل من ذلك قوله: "مسألة عمروس المغربي: فأما شبه العمد من الخطأ فهو

---

١) الكندي: بيان الشرع...، م. س، ج٣، ص٤٣٥.

٢) الكندي: بيان الشرع...، م. س، ج٣، صص٤٣٥–٤٣٦.

٣) ابن جعفر: **الجامع لابن جعفر**، تح: عبدالمنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، د.ت. س، ج١، ص١٤٤.

٤) ابن جعفر: الجامع، م. س، ج١، ص١٨٦.

٥) الكندي: بيان الشرع...، م. س، ج٦٨، ص١٨٩.

٦) النزوي: المصنف، م. س، ج١٠، ص٥.

٧) المصدر نفسه: ج١٠، ص٥٢، انظر كذلك، ج١٠، ص٦٠، ٦٦، ١٥٨، ٢٣٦.

بأن يضرب بما لا يقتل مثله ثم يموت مكانه ففيه وقع الاختلاف"[١]، وينقل عنه في موضع آخر حيث يقول: "عمروس بن فتح: اختلف العلماء في قتل الغيلة فقول هو إلى السلطان وليس إلى الأولياء ولا يعفى ولا عفو له"[٢].

ووصلت أيضا بعض الآراء الفقهية للإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن، من ذلك ما يذكره الكندي حين يورد رأيه في الذبيحة التي ذبحت بدون أن يذكر اسم الله عليها نسيانا، فذكر أن رأي الإمام أفلح فيها "أن ذلك جائز وهو ذبح ذُكّي إذا كان إنما ترك التسمية ناسيا، وأما إن كان تركها متعمدا فلا تحل"[٣].

هذه النصوص خير دليل على انتقال الأفكار والآراء المغربية إلى أيدي علماء عُمان، واعتراف أهل عُمان بها وتبنّيها والاستدلال بها، بعد أن كان أهل المشرق يأخذون بزمام رئاسة العلم نراهم هنا يعترفون بالعقول المغربية التي ظهرت في تلك الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي، الأمر الذي يوضح مدى المكانة العلمية التي بلغها العلماء المغاربة.

- الآراء والأفكار المذهبية المغربية التي انتقلت إلى عُمان:

تبنّى إباضية عُمان العديد من الأفكار التي نادى بها أهل المغرب، فعندما بايع المغاربة الإمام عبد الرحمن بن رستم إماما لهم، تبنّى أهل عُمان هذا الرأي واعترفوا به وأيدوهم فيه[٤].

ولما توفي عبد الرحمن بن رستم وبايع المغاربة ابنه من بعده جاءه التأييد والاعتراف من قبل علماء عُمان وعامتهم[٥]، ويبرز ذلك في مقولة الإمام الربيع بن حبيب العُماني حين

---

١) النزوي: المصنف، م. س، ج٤١، ص١٧.

٢) المصدر نفسه: ج٤١، ص٢٠.

٣) الكندي: بيان الشرع...، م. س، ج٢٧، ص١١.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٥.

٥) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٩٧-٩٨، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٥، الإزكوي: كشف الغمة...، مخ. س، و٣٣١، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص١٦٣.

قال: "عبد الوهاب إمامنا وتقينا وإمام المسلمين أجمعين"[١]، وتظهر هذه الثقة الكبيرة التي يوليها أهل عُمان لإخوانهم المغاربة في كونهم لا يشكون في طريقة اختيارهم لإمامهم، ويثقون بأنها كانت حسب الطريقة الإباضية المحضة، بأن يتم ذلك عن طريق الشورى وبتزكية من أهل الحل والعقد.

كما تجد إباضية عُمان يتعرّضون لأسماء أئمة المغرب عندما يذكرون نسب وصول الدين إليهم، من ذلك قول العلامة ابن مداد العُماني: "فأول العلماء الذين أخذ عنهم أصحابنا دينهم عبدالله بن العباس . . . ثم أبو الشعثاء جابر بن زيد . . . وعبد الرحمن بن رستم إمام أهل المغرب"[٢]، وعندما يتعرض العوتبي لأهل الولاية في الدين يذكر من بينهم أهل المغرب من ذلك قوله: "أهل الولاية محمد النبي – صلى الله عليه وسلم – وأزواجه وأولاده والمهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . . .، وجابر بن زيد وعبدالله بن إباض . . .، وعبد الرحمن بن رستم إمام أهل المغرب"، وينهج السالمي نهج ابن مداد في ذكر السلسلة التي عن طريقها وصل الدين إلى العُمانيين، وذلك حينما قال: "ذِكْر من أخذ عنه أهل عُمان دينهم الصحيح من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنقل الثقات الفضلاء من العُمانيين وغيرهم أخذوا ذلك عن أبي بكر وعمر بن الخطاب . . . ثم الجلندى بن مسعود الإمام العُماني وأبي الخطاب وعبد الرحمن بن رستم الإمامين المغربيين وأصحابهم"[٣]، وهذا يؤكد ما كان ينقله أهل عُمان من أهل المغرب، إذ يجعلونهم من ضمن السلسلة التي أوصلت لهم هذا الدين منذ عهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

ونخلص من هذا الفصل مدى قوة التواصل الفكري بين أهل عُمان وبلاد المغرب والذي تمثل في انتقال الكتب بين الطرفين وتبنّي آراء وأفكار كل طرف للآخر.

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٦، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٨٣، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...، م. س، ١٣٩.

٢) ابن مداد: سيرة ابن مداد، م. س، صص٥–٦.

٣) السالمي: تحفة الأعيان ...، م.س، ج١، ص٨٢.

ونستنتج أيضا أن هناك حرصًا كبيرًا من قبل أهل المغرب على اقتناء كتب إخوانهم العُمانيين ، تجلّى ذلك من خلال وصول المؤلفات العُمانية بعد تأليفها بفترة زمنية قصيرة مقارنة بالبُعد الجغرافي بين المنطقتين .

كما يعكس هذا التواصل الفكري مدى القناعات التي كانت لدى علماء كل طرف بما بلغه الطرف الثاني من علم ودراية تؤهله لأن يكون مصدرا للفتوى ورأيه حجة للطرف الآخر .

ويتضح أن الظروف السياسية التي مرت بها كلتا المنطقتين من غزو وتشتت ودخولهما في صراعات داخلية كانت سببا في خسران العديد من المؤلفات والكتب التي كان بقاؤها يشكل لنا توضيح أكثر لعمق هذه العلاقة بين الطرفين .

الباب الثالث

مظاهر العلاقات الاجتماعية
بين عُمان وبلاد المغرب

الفصل الأول

الرحلات الاجتماعية والإقامة والهجرات
المتبادلة بين العُمانيين والمغاربة

الرحلات الاجتماعية والإقامة والهجرات المتبادلة بين العُمانيين والمغاربة

لم يكن العامل الثقافي الأسلوب الوحيد الذي جسَّد التواصل بين قطبي العالم الإسلامي، المشرقي والمغربي –عُمان وبلاد المغرب–، إذ ظهر على الوجود عامل آخر كان يوازي في قوته الجانب الثقافي، ولا نبالغ إن قلنا أنه الأقوى والأوثق، ذلك هو التواصل الاجتماعي الذي ضربت جذوره في أعماق التاريخ، مشكلاً همزة الوصل والحلقة الأقوى والأبقى في ذلك الترابط بين سكان عُمان وبلاد المغرب. ولا غرو في ذلك، فالتواصل الاجتماعي يكون نابعاً من القلب، لا يكدّر صفوه مصلحة أو فائدة مادية مرجوة، فتبقى آثاره مغروسة في قلوب الطرفين، وتتيح لكل طرف معرفة الآخر عن قرب، والتعرّف على تفاصيل حياته اليومية، مما يؤدي إلى وجود عادات وتقاليد متشابة، بسبب ذلك التمازج بين حضارتين، يفرّق بينهما البُعد الجغرافي، ولكن يجمعهما الحب والإخاء.

ومن أجمل ما قيل بالترغيب في التواصل والسفر والتنقل بين أصقاع المعمورة، قول الإمام الشافعي[1]:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرّج همّ واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

فإن قيل في الأسفار ذلٌ ومحنة ... وقطع الفيافي وارتكاب شدائد

فموت الفتى خير له من مقامه ... بدار هوان بين واشٍ وحاسد

ومما سبق فإننا سنعرض في هذا الباب أهم الجوانب الاجتماعية، التي ساهمت في تعميق العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب، ويأتي في مقدمة هذه الجوانب، الرحلات

---

١) الإمام الشافعي: **ديوان الإمام الشافعي**، اعتنى به: مصطفى المصطاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط٣، سنة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٩.

والهجرات الاجتماعية بين المنطقتين، وسينضوي بين طيات هذا العنصر الرحلات ذات الطابع الاجتماعي منذ الفتوحات الإسلامية وحتى ظهور المذهب الإباضي، ونختمه بالتعرض إلى تلك الهجرة الكبيرة لقبيلة بني المهلب العُمانية إلى بلاد المغرب.

كما سنتناول في هذا الباب الرحلات ذات الطابع الديني الاجتماعي، والتي تمثّلت في رحلات الحج، وإظهار مدى الترابط العُماني المغربي فيها، وحرص كل طرف على تعميق ذلك التواصل الاجتماعي في أيام الموسم المباركة، كما سنسلط الضوء على رحلة ابن بطوطة إلى عُمان، وإبراز تلك الصورة الحية التي نقلها عن المجتمع العُماني طيلة مدة إقامته بعُمان.

ونظرا للجانب المذهبي الذي كان سببا رئيسيا في توثيق العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب؛ فقد أفردنا له فصلاً كاملاً، نوضح فيه مدى تأثير الجانب المذهبي على الحياة الاجتماعية في المنطقتين وتشابهها في الكثير من الأحيان.

وفي نهاية هذا الباب سنفرد فصلاً كاملاً لتحليل وإظهار أبعاد ذلك التواصل الثقافي والاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب، وإيضاح النتائج المترتبة عن ذلك الترابط.

الرحلات الاجتماعية المتبادلة بين العُمانيين المغاربة:

سنتعرض في هذا الفصل كما بينا سابقا للهجرات والرحلات المتبادلة بين عُمان وبلاد المغرب، مركزين على تلك الرحلات العُمانية المتتالية إلى بلاد المغرب منذ الفتوحات الإسلامية، وحتى انتشار الإسلام في ربوع بلاد المغرب بأكمله، ثم ظهور المذهب الإباضي في بلاد المغرب الذي مثّل السبب الأكبر المحفّز لخروج إباضية عُمان إليها، ثم نعرّج على الهجرة الكبرى لقبيلة آل المهلب؛ التي خرجت مؤيدة لولاتها، ولتكون لهم عونا في إدارة الولاية، وجندا مخلصا في حروبهم ضد من يتجرأ على النيل منهم، وسنمر في هذا الفصل أيضا مروراً سريعا على تلك الرحلات المغربية التي خرجت من مسقط رأسها قاصدة الالتقاء بالعُمانيين، سواء في بلادهم أو في البصرة التي كانت تعج بالعُمانيين كما أوضحنا ذلك.

وسنتطرق في هذا الفصل أيضا إلى الرحلات الحجية، وصور التعاون فيها من

تقديم يد العون لكل من يرغب في الحج، وما إلى ذلك، كما سنوضح أوجه الإخاء والتضحية التي تبرز في طريق الحج بين أفراد القافلة الحجية، وسنركز في هذا الجانب على اللقاءات ذات الطابع الاجتماعي بين العُمانيين والمغاربة في أيام الموسم وخاصة أيام التشريق بعرصات منى الطاهرة.

وسنختم هذا الفصل بالحديث عن رحلة ابن بطوطة المغربي إلى عُمان، متحدثين فيها عن الجوانب الاجتماعية التي وصفها لنا، وجوانب الحياة اليومية التي شاهدها في المدن العُمانية التي ألقى فيها عصا الترحال.

أ- الهجرات العُمانية نحو بلاد المغرب:

لقد تعددت صور الهجرات العُمانية إلى بلاد المغرب، وتمثلت أبرز تلك الصور في التالي:

١- الرحلات والهجرات ذات الطابع الاجتماعي للعُمانيين نحو بلاد المغرب:

تعود جذور العلاقة الاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب إلى عصور تاريخية غابرة، إذ أقدم أحد فراعنة مصر على شنِّ حملات عسكرية على الصحراء الغربية لمصر (بلاد المغرب) مستعملا فيها جنوداً عُمانيين جلبهم من مدينة ظفار العُمانية[١]؛ نظرا للعلاقة الكبيرة والرحلات المستمرة بين مصر وظفار لجلب اللبان الذي تشتهر به الأخيرة بصورة كبيرة، وقد طاب المقام لبعضهم فاستوطنوا البلدان التي استولوا عليها. ومن المرجح أن يكون ذلك الفرعون قد وضع حامية من جنده لحماية المناطق المسيطر عليها، مما ينهض دليلاً على إمكانية بقاء بعض أولئك الجند من ضمن هذه الحامية.

وعند بزوغ فجر الإسلام، وخروج المسلمين لتبليغه إلى أصقاع المعمورة، شكّلت القبائل العُمانية جزءاً من أولئك الجند الفاتحين لبلاد الشام والعراق وبلاد المغرب، فمنذ

---

١) محمد سليمان، **صفحات مطوية من تأثيرات الحضارة العُمانية في المغرب**، بحث مقدم ضمن حصاد ندوة الدراسات العُمانية، ذو الحجة ١٤٠٠هـ - نوفمبر ١٩٨٠م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مج٤، ص٤٥، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، صص٨٠-٨١.

الوهلة الأولى لفتح المغرب شاركت تلك القبائل مع القائد عمرو بن العاص في فتح برقة وما حولها[١]، ثم ساهمت في فتح بلاد المغرب الأوسط والأقصى، الأمر الذي مكّن هذه القبائل من الاندماج مع سكان بلاد المغرب الأصليين منذ القرون الإسلامية الأولى، مما كان له الأثر الأكبر في تكوين العلاقات الأخوية، خاصة بعد دخول سكان بلاد المغرب الإسلام، وانخراطهم في الجيوش الفاتحة لمواصلة الفتح في نواحي بلاد المغرب أو الأندلس[٢].

وفي نفس السياق برزت رحلات عُمانية أخرى نحو بلاد المغرب، وذلك بعد انتشار الإسلام في ربوع البلاد، إذ توجه العديد من العُمانيين لزيارة إخوانهم في المذهب، وتوجهت كذلك أفواج من القبائل العُمانية برفقة ولاة آل المهلب الذين تم تعينهم ولاة على بلاد المغرب.

وسنتعرض للمهالبة في سياق شرحنا للعنصر التالي، أما العُمانيون الذين توجهوا نحو بلاد المغرب بدافع المذهب المشترك، فإن المصادر لم تسعفنا بتوضيح تلك الرحلات الاجتماعية، بعكس الرحلات العلمية التي دونتها وحرصت على تثبيتها، وظهر ذلك بصورة جلية في عدد الرحلات العلمية التي سطرناها في الفصل الأول من الباب الثاني من هذه الدراسة، ولعل بعض تلك الرحلات العلمية كانت تزاوجا بين الهدفين، فالمدد الذي أرسله إباضية عُمان وغيرهم من مدينة البصرة إلى الدولة الرستمية عند قيامها على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم هو في أساسه تعاون ومساعدة أخوية، وكان أغلب الأشخاص الحاملين له هم من عامة إباضية عُمان والبصرة وتزعمه ثلة من العلماء[٣].

---

١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، م. س، ص١٧١، ابن عذاري: البيان المغرب ...، م. س، ج١، ص٨، نهلة شهاب: تاريخ المغرب العربي، م. س، ص٤١.

٢) لمزيد من التفاصيل الرجوع إلى الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الدراسة، ويلاحظ القارئ أننا تحاشينا التفصيل في هذه النقطة تجنبا للتكرار.

٣) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٢، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٨٤، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٥، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١٢٥–١٢٦.

وعلى الرغم من نقص المصادر المتحدثة عن هذا الجانب، إلا أن هناك بعض الإشارات تدل على قيام العُمانيين بزيارة إخوانهم الإباضية في بلاد المغرب، وتبادل الهدايا فيما بينهم، فعندما أرسل الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن مبلغاً من المال إلى الربيع بن حبيب العُماني كهدية له، قام الأخير بشراء هدايا من أسواق البصرة، وبعث بها إلى الإمام في تاهرت[١]، فمن هذا يمكن اعتبار هذا الوفد الذي ارتحل من البصرة متوجها إلى بلاد المغرب لإيصال الهدايا، من الرحلات الاجتماعية الأخوية بين العُمانيين والمغاربة، كما أن الهدية في حد ذاتها دليل واضح للعلاقة الأخوية والاجتماعية بين العُمانيين والمغاربة، وتوضح مدى قوة الصلة والترابط فيما بينهم.

واستمرت الرحلات العُمانية نحو بلاد المغرب طيلة العصر الإسلامي الوسيط، بل إن بعض العُمانيين طاب لهم المقام في المغرب فاستقروا بها، ووضح ذلك بصورة جلية في قبيلة الباروني[٢] النازلة في جبل نفوسة من بلاد المغرب، إذ يعود أصلها إلى قبيلة البرواني القاطنة في عُمان منذ أقدم العصور[٣].

٢- هجرة آل المهلب العُمانيين إلى بلاد المغرب:

لقد كان للهجرة المهلبية العُمانية المنظّمة دور في تعميق العلاقة الاجتماعية بين العُمانيين وسكان بلاد المغرب؛ نظراً للدور الريادي الذي قاموا به في هذه المنطقة، فقد كان السبب الرئيسي الذي جعل خلفاء بني العباس يرسلون آل المهلب إلى بلاد المغرب هو رغبتهم في إرساء الأمن والاستقرار في البلاد[٤]، ويصفهم أحد الباحثين بقوله: "وكان المهالبة في جملتهم أهل استقرار وخبرة بشؤون الإدارة"[٥].

هاجرت أعداد كبيرة من آل المهلب مع ولاتها إلى بلاد المغرب، فقد صحِب الوالي

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٥.

٢) يطلق على جبل نفوسة اليوم الجبل الغربي، ويقع في ليبيا، انظر الخريطة في الملاحق.

٣) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، م. س، ص٥٦.

٤) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص١٠٣ وما بعدها، حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص٧١، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٣.

٥) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص٧١.

عمر بن حفص المهلبي (١٥١هـ / ٧٦٨م – ١٥٤هـ / ٧٧١م) خمسمائة فارس[١]، وخرج عدد غفير مع الوالي يزيد بن حاتم المهلبي(١٥٤هـ / ٧٧١م – ١٧٠هـ / ٧٨٦م) بلغ ستين ألفا[٢]. ومن المعلوم أن هذه الجنود كانت تصحب أسرها معها، وتظل مع الوالي حتى تنتهي ولايته، أو قد تبقى حتى يُعَيّن والياآخر من العائلة نفسها، وبعضها الآخر يطيب له المقام فيقضي طول حياته في مهجره. إن هذه الأفواج الكبيرة من آل المهلب التي هاجرت، كانت قادرة على إحداث تغيير جذري في الحياة الاجتماعية في المناطق والمدن التي نزلتها، فالعادات والتقاليد والمبادئ والصفات التي كانت تدين بها كان لها الأثر الكبير في التأثير والامتزاج بينها وبين عادات وتقاليد سكان بلاد المغرب الأصليين.

ومن الصفات النبيلة التي اشتهر بها ولاة المهالبة، الكرم والجود والسخاء والشجاعة[٣]، وقد تجلّت هذه الصفات بصورة جلية في شخص الوالي المهلبي يزيد بن حاتم، حيث يصفه ابن عذاري بقوله: "هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، . . . وحاله في كرمه، وجوده، وشجاعته، وبُعد صيته، ونفاذ رأيه، وتقدمه، معروف غير منكر، وكان كثير الشبه بجده المهلب ابن أبي صفرة في حروبه وكرمه، وكان له أولاد مذكورون بالشجاعة والإقدام"[٤]. ولم يكن هو الوالي الوحيد من بني المهلب الذي يحمل هذه الصفات النبيلة [٥]، بيد أن مدة ولايته التي بلغت ستاً وعشرين سنة (١٥٤هـ / ٧٧١م – ١٧٠هـ / ٧٨٦م)، كانت جديرة باستقطاب أقلام المؤرخين،

---

١) السلاوي: الاستقصا...،م. س، ج١، ١٨٦.

٢) المصدر نفسه: ج١، ص١٨٨.

٣) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص١١٥، ابن الجوزي: **أخبار الظراف والمتماجنين**، تح: بسام عبدالوهاب الجاني، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٩٧م، ص٨٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة...، م. س، ج٢، ص١، السلاوي: الاستقصا...، م. س، ج١، ص١٨٩.

٤) البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٧.

٥) فالوالي روح بن حاتم المهلبي كان من الكرماء الأجواد أيضا. انظر: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص١٣٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص٢٣١، ابن خلكان: **وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٠٠م، ط١، ج٢، ص٣٠٥، سيف البطاشي: تاريخ المهلب القائد ...، م. س، ص١٦٢.

وذيوع صيته في أرجاء بلاد المغرب.

وقد اندمج هؤلاء الولاة مع السكان، فقد كان الناس في مدينة القيروان –التي ينزل بها ولاة بني المهلب– يشاركون الولاة في أفراحهم وأحزانهم، فقد توفي ابن الوالي المهلبي روح بن حاتم (١٧٠هـ / ٧٨٦م – ١٧٤هـ / ٧٩١م) فقدم الناس لتعزيته، إلا أنه من رباطة جأشه وصبره، وجدوه يبتسم فاستحوا من تعزيته، فأنشأ يقول:

وإنا لقوم ما تفيض دموعنا على هالك منّا وإن قصم الظهر[١]

تمكن آل المهلب من الاندماج في المجتمع المغربي اندماجا كسروا به حاجز الطبقية، واستطاعوا أن ينصهروا في المجتمع بصورة جعلت الناس تنظر إليهم على أنهم عائلة مغربية، فلم يتعالوا على الناس ولم يستعبدوهم، وما أدل على ذلك من قول الشاعر الحماسي[٢]:

نزلت على آل المهلب شاتيا بعيدا عن الأوطان في الزمن المحل

فما زال بي معروفهم واقتصارهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي

ولم يتوقف الأمر عند مشاركة الولاة للسكان والاندماج في حياتهم اليومية فحسب، بل كان لهم أثر أكبر من ذلك، فقد سعوا إلى النهوض ببلاد المغرب، وتنظيم مدنها، والارتقاء بالحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها، ويشهد على ذلك ما قام به الوالي يزيد بن حاتم المهلبي في مدينة القيروان، حيث دعم النشاط الصناعي بصورة كبيرة، وشجّع الصنّاع على مزاولة صناعاتهم وحرفهم، وتمثّل ذلك الدعم والتشجيع في أمرين اثنين، الأول: جعل لكل صناعة مكاناً خاصاً بها، وذلك لتهيئة البيئة الملائمة لكل مهنة. والأمر الثاني: إنشاؤه لعدد من الأسواق؛ بهدف تحفيز أولئك الصنّاع على الاستمرار في صناعتهم وتسهيل مهمة بيع إنتاجهم في مدينتهم، وكذلك

١) السلاوي: الاستقصا...، م. س، ج١، ص١٨٩.

٢) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨٤.

لتسهيل حصول السكان الآخرين على ما يرغبون من السلع[١].

إن قيام الوالي المهلبي يزيد بن حاتم بإنشاء الأسواق، وتنظيمه لشؤون مدينة القيروان، جعل الكثير من التجار يتهافتون عليها؛ لبيع بضاعتهم وشراء إنتاج أولئك الصنّاع. وعندما اكتظت المدينة بالسكان، نظرا لهذا الرقي والتطور الذي طالها بيد هذا الوالي، أصبح جامعها القديم غير قادر على استيعاب تلك الأعداد الكبيرة من المصلين، فأمر بتجديد الجامع[٢] لكي يتلائم مع التطور الذي لحق بباقي مرافق المدينة.

واهتم هذا الوالي كذلك بالزراعة، وكان حريصاً على متابعة هذا النشاط بنفسه، إذ كان كثير التجوال بين الرياض التي تعج بها مدينة القيروان؛ فيأمر المزارعين بما يراه مناسباً وينهاهم عما يراه خطأ. كذلك لم يغفل جانب الرعي، إذ خصص للأغنام مكاناً مناسباً للرعي على مشارف المدينة[٣]، وبالمثل فقد قام الوالي يزيد بن حاتم بتنظيم تونس على غرار ما قام به في مدينة القيروان[٤].

لم يكن انتهاء مدة الولاة المهالبة تعني نهاية الوجود المهلبي في بلاد المغرب، بل إن الكثير منهم طاب لهم المقام، وبقوا فيها لمئات السنين، يشهد على ذلك وجود بعض منهم في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بدولة الأدارسة، فقد اعتلى أحد أفرادها ويدعى ثعلبة بن محارب بن عبدالله الأزدي العتكي المهلبي منصب الولاية على عدوة الأندلس في عهد علي بن عمر بن إدريس (٢٦١هـ/ ٨٧٤م – ٢٧٠هـ/٨٨٣م)، ثم عزل، وعين بدلا عنه، ابنه عبد الله ثم محارب بن عبد الله بن

---

١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٧٠، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، ص١٢٣، ص١٢٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص٧٢، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥.

٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٧٠، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب...، م. س، صص١٢٣–١٢٤، ١٢٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص٧٢، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي...، م. س، ص١٠٥.

٣) ابن عذاري: البيان المغرب...، م. س، ج١، ص٨١.

٤) المصدر نفسه: ج١، ص٨٧.

ثعلبه (ت: ٢٩٢هـ/٩٠٤م) [١].

وفي السياق نفسه استوطن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي العتكي المهلبي مدينة المهدية قبل انتقاله إلى مدينة قرطبة، وهو والد الشاعر المشهور أبي القاسم محمد بن هانئ، وقد ولد الشاعر أبو القاسم بالأندلس وبها تلقى تعليمه إلا أنه عاد وسكن المغرب فيما بعد وتوفي فيها عام (٣٦٢هـ/ ٨٧٢م)[٢].

ومما سبق يتبين الدور الاجتماعي الذي قام به المهالبة في بلاد المغرب، وحرصهم على مصلحة البلاد وسكانها، الأمر الذي أتاح لهم محبة السكان والولاء لهم، فتمكن الناس من الحياة بسعادة وأمن وأمان.

ب- الرحلات ذات الطابع الاجتماعي للمغاربة إلى العُمانيين:

كانت هناك رحلات متبادلة بين عُمان وبلاد المغرب، ولم تكن من طرف واحد فقط، فتذكر لنا المصادر العديد من الرحلات المغربية العلمية نحو أهل عُمان، التي بيّناها في الفصل الأول من الباب الثاني من هذه الدراسة، إلا أنه عندما يأتي الحديث عن الرحلات ذات الطابع الاجتماعي، فإن المصادر لا تجود لنا إلا بالنزر اليسير[٣].

ولم تخلو الرحلات العلمية من مسحة اجتماعية، سواء بالنسبة لرغبة الطرف الأول في معرفة أخبار الطرف الآخر، أو بالنسبة لحفاوة الاستقبال من الجهة المستضيفة.

وفي هذا المنحى هناك ما يدل على هذا التواصل الاجتماعي بصورة فردية أو جماعية، والمتمثل في تشابه أسماء الأسر والقبائل بين عُمان وبلاد المغرب، مثل: أسرة الغساني والحارثي والعلوي والزواوي والسالمي والراشدي والحميري والشكيلي والزبيدي[٤]، بل ذهب أحد الباحثين على أن أسرة العزفي التي أسست إمارة قوية في

---

١) السلاوي: الاستقصا...، م. س، ج١، ص٢٣٦.

٢) ابن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبدالسلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٤، ص١٤٧.

٣) منها ما ذكرناه سابقا من الهدية التي بعث بها الإمام عبدالوهاب ثم هدية الإمام الربيع بن حبيب.

٤) عبد الهادي التازي: **الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان**، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، ذو الحجة

سبتة تنحدر من أصول عربية، إذ تنسب إلى قابوس بن النعُمان بن المنذر[١]، ووضع الباحث لنفسه علامة استفهام في العلاقة الممكن إيجادها بين أسرة الشحوح العُمانية القاطنة محافظة مسندم، وقبائل الشلوح المغربية في المغرب الأقصى، وخاصة من حيث اللغة الخاصة التي يتقنها هؤلاء ولا يعرفها أحد سواهم، مع وجود بعض التشابه بينهما[٢]، ولكن مهما يكن من أمر فإن هذه الافتراضية تبقى غير واقعية ما لم تدّعم بأدلة قاطعة تثبتها، ولم نجد لها دليلاً.

ج- رحلات ذات طابع ديني اجتماعي:

وسنتناول في هذا العنصر اهتمام طبقات المجتمع العُماني والمغربي بفريضة الحج، وتقديم بعض أفراد المجتمع يد العون لكل من يرغب في الخروج للموسم، ثم نوضح صور الإيثار والتضحية التي كان يرسمها أفراد القافلة الحجية على كل فرد من أفرادها، ثم نتوجه إلى الموسم لنبرز من خلاله جوانب التلاحم الاجتماعي العُماني المغربي، وفي الختام نمر على المجاورين لنوضح الدور الذي قاموا به في دعم العلاقة الاجتماعية المغربية العُمانية.

١- اهتمام طبقات المجتمع العُماني والمغربي بحضور الموسم:

كان هناك اهتمام ظاهر بالحج من قبل العُمانيين، سواء أولئك القاطنين في البصرة أو الموجودين في عُمان، ففي البصرة كان الإباضية يتعاونون على الخروج إلى الموسم، إذ كان لكثير من أتباع المذهب نجائب يحملون عليها إخوانهم من الإباضية المعدمين الذين لا يجدون مطايا لهذه الرحلة الدينية؛ فيروي لنا الدرجيني ذلك بقوله: "كان أصحابنا من أكثر الناس حجا، وكان لغير واحد نجائب يحمل عليها إلى

١٤٠٠هـ - نوفمبر ١٩٨٠م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مج٣، ندوة الدراسات العُمانية، ص٢٢٢، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٣٨.

١) عبد الهادي التازي: الصلات التاريخية...، م. س، ص٢٢٢.

٢) المصدر نفسه: ص٢٢١.

مكة"[١]، كما يروي الشماخي أن بعض الإباضية المقتدرين يعدّون المطايا ليحملون عليها مشائخ المذهب الإباضي من أهل البصرة[٢]. وهذه النصوص تدل على صور التعاون الاجتماعي بين فئات المجتمع الإباضي في تشجيع أتباع المذهب للتوجه نحو العرصات المقدسة، لتلبية نداء الرحمن لحج بيت الله الحرام.

كما أن اهتمام العُمانيين القاطنين عُمان لم يكونوا بأقل من إخوانهم القاطنين بالبصرة، فقد كانوا يشدون الرحال إلى الموسم على الرغم من قسوة الطريق والتكاليف الباهضة لهذه الرحلة، التي تتروح بين ٣٠٠ – ٤٠٠ درهم[٣]، وهو مبلغ كبير إذا ما قورن بالوضع الذي كان عليه أكثر العمانيين في تلك المدة من الزمن، كل ذلك يعود إلى عمق تدين المجتمع العُماني، وتكاتفه، وتحفيز كل فرد لأخيه بالتوجه إلى الديار المقدسة لتأدية الفريضة.

وعند الانتقال إلى الطرف الآخر – بلاد المغرب– فإننا نجد اهتمامهم يماثل اهتمام إخوانهم العُمانيين، فقد أولوا الحج اهتماماً كبيراً، وكان لهم قدم السبق واليد الطولى في ذلك، على الرغم من بعد المسافة ومخاطر الطريق، وقطّاع الطرق الذين ما فتئوا ينقضّون على قوافل الحجيج بين الفينة والأخرى، إلا أن هذا لم يثنِ إباضية المغرب عن الحج[٤]، وفي حج أهل جبل نفوسة دلالة على ذلك، حيث يشير الدرجيني إلى ذلك بقوله: "كانوا في ذلك الزمان أكثر الناس حجا فكانوا يحجون بنسائهم وذراريهم حتى أنه ولد لهم في ركب واحد ثلاثمائة مولود ذكر"[٥]، ناهيك عن المواليد الإناث اللاتي لم يذكر المؤلف عددهن.

---

١) طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٤٠. وأورد هذا النص كذلك الشماخي، انظر: السير، م. س، ج١، ص٨٩، ١٠٥، ونقلها عن هذين المصدرين، رجب عبد الحليم انظر: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص٨٨.

٢) السير، م. س، ج١، ص١٠٥.

٣) النزوي: المصنف، م. س، ج٨، ص٢٠٢، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٥٢.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١٩٠، ص١٩١.

٥) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٣٥، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٦، فرحات الجعبيري: علاقة عُمان بشمال أفريقيا، م. س، ص٣٨.

وكانوا يعدون العدة لهذه الرحلة الشاقة، فيذكر لنا الدرجيني ذلك المغربي الذي كان يسعى للبحث عن أفضل الخيول، حتى تمكن من شراء أربعين فرسا بهدف اختيار أفضلها وأقواها ليقوم بالحج عليها[١].

وتبرز جوانب التعاون المجتمعي بالمغرب، وتشجيع كل طرف للذهاب إلى الحج أن الواحد منهم كان يستعين بأصدقائه، فيترك أمواله وما غلا ثمنه من حوائجه عندهم، بغية المحافظة عليها ليجدها بعد عودته من الحج، نظرا للمدة الطويلة التي كان يقضيها الحاج في هذه الرحلة المباركة[٢].

كما كان المجتمع الإباضي المغربي يستنكر على كل فرد يخرج إلى الديار المقدسة وهو مخطئ في حق إخوانه وأقاربه، فكانت الرحلة نحو الحج فرصة سانحة لزيادة عمق الإخاء والترابط بين أفراد المجتمع، فيخرج الحاج من بلده وكل شخص يودعه بقلبه قبل أحضانه[٣].

٢- مظاهر الإخاء بين إباضية عُمان وبلاد المغرب أثناء مناسك الحج:

ومن منطلق اهتمام الإباضية بالحج زعامات وأتباعا، أنهم عوّلوا على الموسم وعدّوه فرصة سانحة للالتقاء، بعيدا عن أنظار السلطة المركزية، وفي مكان آمن لا يشك فيه أحد حين اجتماعهم ومناقشتهم لأمورهم الخاصة المتعلقة بسير الدعوة الإباضية وأحوال أتباعها في شتى أصقاع المعمورة، الذي على أساسه يقومون بوضع خطة مستقبلية في كيفية مواجهة الصعوبات التي تعيقه، سياسية كانت أم اقتصادية، من هذا المنطلق يتبين أن الحج كان مقرا لاجتماع الإباضية، ومحفّزا للتواصل بين أتباعه المشارقة والمغاربة[٤].

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٧٦.

٢) المصدر السابق: ج٢، ص٥٠١.

٣) المصدر نفسه: م. س، ج٢، ص٣٩٩، الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٠٧.

٤) مبارك الراشدي: الإمام أبوعبيدة مسلم...، م. س، ص٢٠٠، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣.

وكان الحج أيضا مكاناً رحباً لحل المشكلات التي يعاني منها أتباع المذهب في المغرب وعُمان، ولفض جميع النزاعات التي تحدث فيما بينهم، فقد وصل رسول الدولة الرستمية إلى مكة لعرض مشكلة ابن فندين مع الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (١٧١هـ/٧٨٧م- ٢٠٨هـ/٨٢٣م) على مشايخ الإباضية وفي مقدمتهم الإمام الربيع بن حبيب العُماني (ت: ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)[١]، وفعلا تمكنوا من الوصول إلى رأي موحد في ذلك، ومن هنا يتبين أن الحج كان بمثابة محكمة إباضية، قادرة على فض النزاعات بين أتباع المذهب الواحد، وإن كانت المشكلة واقعة في المغرب، والقضاة يحكمون فيها بالمشرق .

وقد خصص الإباضية مكاناً خاصاً ليلتقوا فيه؛ لاستقطاب كل أتباع المذهب المغاربة منهم والمشارقة، إذ كان محبوب بن الرحيل يقيم خياماً خاصة لذلك، ويصف لنا ابن سلام موقعها الجغرافي بقوله: "خلف الجمرة الكبيرة التي يرميها الحاج أول ما يقدمون من المزدلفة غربي منى وغربي الجمار الثلاث خلف عقبة منى"[٢]، ولعل ابن سلام يقصد من هذا التوضيح الدقيق لموقعها، تبصير كل الإباضية بمكان الالتقاء في الموسم.

وهناك عدة أسباب تحمل كل الإباضية، علماءهم وعامتهم للاجتماع في هذه المضارب، وفي غيرها من الأماكن في العرصات المقدسة بمنى أو عرفات، فكل فئة منهم تجد بغيتها، فطالب العلم يستقي العلم من أفواه مشايخ الإباضية وعلمائهم، وعامة الناس يستفيدون من الخدمات التي يقدمها الإباضية في الموسم، فالإباضية يرون أن الهدي وكفارات الحج توزع على حجاجهم الفقراء، ومن لم يجد فيوزعها على فقراء الحرم[٣].

كذلك وجدنا الكثير من العُمانيين يوقفون أموالاً لإنفاقها يوم عرفة على الواقفين

---

١) أبو زكريا: كتاب سير الآئمة وأخبارهم، م. س، ط٢، ص٩٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣.

٢) ابن سلام: الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣٠.

٣) النزوي: المصنف، م. س، ج٨، ص٢٠٢، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٥٢.

من العُمانيين ، ومن يقف معهم من أصحاب مذهبهم من قبيل المغاربة وغيرهم[١] ، كل هذه الأمور تحفز أتباع المذهب على البقاء في مكان واحد ينعمون فيه بالرد على كل استفساراتهم الفقهية من علمائهم ، ويجدون فيه ما يستعينون به على إتمام حجهم من طعام ومأوى .

٣- المجاورون الإباضية ودورهم الاجتماعي في تعميق الترابط بين أهل عُمان وبلاد المغرب :

كان للمجاورين العُمانيين دور كبير في تدعيم أواصر الإخاء بين إباضية عُمان وإباضية بلاد المغرب ، وكانت تأتيهم الأموال من بلدانهم لتعينهم على البقاء هناك ، وقد تجاوز عددهم المائة فرد ، بنص رواية ابن سلام حين قال: "ومن فقهائنا الفضل بن المعتبر من أهل مكة ، وأبو مروان العباس بن الوضاح من أهل عُمان وهو بمكة مجاور ، وعمر بن الفضل من أهل مكة والمهلب من أهل مكة ، وسفيان بن محبوب الكندي من أهل عُمان وهو بمكة ، نازل بها مع جماعة من أصحابنا خمسون ومائة رجل بمكة منهم خمسة وعشرون من أهل عُمان "[٢] ، فبقاء هؤلاء المجاورين طول العام في الحجاز يجعلهم همزة الوصل بين الطرفين ، كما أن منازلهم كانت مكانا للالتقاء ، وموضعاً آمناً للاجتماع بين أولئك الأتباع في موسم الحج وفي غيره ، وينهض دليلا على ذلك مجلس العلامة أبي الحر علي بن الحصين الإباضي في مكة المكرمة ، الذي كان بدوره يعقد الحلقات العلمية في منزله يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع؛ ليلقّن أتباع المذهب فكرهم الأصيل ويفقههم في دينهم[٣] .

ولم يقتصر وجود المجاورين الإباضية على مكة المكرمة فحسب ، بل كان هناك بعض العلماء الإباضية المجاورين بالمدينة المنورة من بينهم إسحاق بن معذير ، ولقد شنّع ابن سلام على الذين ينكرون وجودهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة ووصفهم

---

١) علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٥٢.

٢) الإسلام وتاريخه...، م. س، ص١٣٠.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب ، م. س، ج٢،ص٢٧٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٩٣.

بأنهم ضعاف القلوب[١].

اندمج المجاورون العُمانيون والمغاربة مع بقية المجاورين الذين كان يعج بهم الحرم المكي والمدني، وقد كانوا يشكلون عدداً كبيراً من سكان الحرم، وكانت لهم بصمة واضحة في الحياة الاجتماعية، كما انخرطوا في العديد من الوظائف الاجتماعية، وكان لكل طائفة شيخ مسؤول عنهم[٢].

أ- رحلة ابن بطوطة كمشهد بارز من مشاهد التواصل الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب:

تعد رحلة أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي المشهور بابن بطوطة (ت: ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)[٣] من أهم الرحلات الاجتماعية المغربية إلى عُمان، كونه تعرض للحياة اليومية في عُمان، فأعطى وصفاً حياً لكل دقائق وتفاصيل الحياة الاجتماعية التي عادة ما يغض المؤرخ عنها الطرف، بل يعد ما كتبه ابن بطوطة عن عُمان أثناء زيارته لها من أهم المصادر التي يعتمد عليها العُمانيون عند حديثهم عن الدولة النبهانية العُمانية (٥٤٩ - ١٠٣٤هـ/ ١١٥٤ - ١٦٢٤م)، وذلك بسبب ندرة المصادر التاريخية العُمانية التي كتبت عن تلك المدة؛ نظرا لكونها تعد- في تاريخ عُمان الإباضي- من الدول ذات الملك العضوض المبتعد عن نهج الإباضية العادل والقائم على الشورى؛ ولذلك تجد أن المؤرخيين العُمانيين يطلقون عليها دولة الجبابرة[٤].

---

١) الإسلام وتاريخه ...، م. س، ص١٣٥، ١٣٨.

٢) لمعرفة المزيد عن دوافع الجوار ودور المجاورين الاجتماعي في مكة والمدينة انظر: منى آل مشاري: المجاورون في مكة والمدينة...، م. س، ص٤٠ وما بعدها، محمد بيومي، المغاربة في المدينة المنورة...، م. س، ص١٢٣ وما بعدها. فوزي الساعاتي: **العلاقة الثقافية والاجتماعية في موسم الحج من خلال علماء بلاد المغرب عبر القرون**، أحد بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثاني بعنوان: "التواصل التاريخي والعلمي بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي" المنعقد في الرياض ٢٦-٢٧ محرم ١٤٢٧هـ/ ٢٥-٢٦ فبراير ٢٠٠٦م، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٧٩ وما بعدها.

٣) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٨٤.

٤) السالمي: تحفة الأعيان... ، ج١، ص٣٥٧، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٨٤.

وسنعالج في الأسطر القادمة المجتمع العُماني بنظرة ابن بطوطة مجانبين كل المآخذ التي أخذت عليه في وصفه، على أن نتعرض لبعضها في الفصل الأخير من هذا الباب عندما نناقش النتائج التي تمخضت عن هذه الرحلة، وسنتناول كل طبقات المجتمع العُماني التي تحدث عنها ابن بطوطة، والعادات والتقاليد التي شاهدها، والمهن والحرف، وطبيعة المساكن ومواد بنائها، والأطعمة التي شاهدها بنفسه، على اعتبار أن كل ذلك يمثل صورة لمشهد عُماني بعيون مغربية ، فماذا شاهد ابن بطوطة ؟ وما هي انطباعاته حول المجتمع العُماني ؟

أ- طبقات المجتمع العُماني كما وصفها ابن بطوطة:

تعرض ابن بطوطة لكل طبقات المجتمع العُماني، ووصفها بما رآه بعينه أو بما سمعه من الناس أو من خلال تعامله معهم، وهذه الطبقات هي:

١- الطبقة الحاكمة في عُمان:

تعرض ابن بطوطة لهذه الطبقة نظير المعاملة التي وجدها منهم أثناء دخوله لمدن عُمان، وأوضح لنا الوضع السيء التي تعيشه عُمان إبان زيارته؛ نظراً لعدم توحدها تحت قيادة واحدة، فحاكم في ظفار وآخر في نزوى، وثالث في هرمز[١]، وصوّر لنا ابن بطوطة اهتمام سلطان ظفار- المغيث بن الفائز - بالنشاط الاقتصادي لمنطقته التي يحكمها؛ حيث كان يستقبل المراكب التجارية بحفاوة وكرم؛ رغبة منه في تشجيعهم على الرسو في هذه المدينة وتكرار نزولهم بها[٢]، إلا أن حاكم ظفار لم يخلُ من الهفوات، وبعض جوانب الظلم التي يسلطها على أهل حاشيته المقربين، أو جنوده الذين يحرمهم من رواتبهم لمدة طويلة[٣]، ويوضح لنا ابن بطوطة صورة حية لتلك الهالة التي كان يضفيها سلطان ظفار على نفسه من ضرب للطبول، ونفخ للأبواق كل يوم، واحتجابه عن الناس، وخروجه في موكب مهيب، وخوف

١) رحلة ابن بطوطة، م. س، ص ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٤٦.
٢) المصدر نفسه: ص٢٣٥.
٣) المصدر نفسه: صص٢٣٥، ٢٣٦.

العامة من الوقوف في طريقه؛ خشية الضرب الذي قد يلحق بهم جراء ذلك، إلا أنه في الوقت نفسه حاول أن يضفي على حكمه الصبغة الدينية من خلال خروجه لصلاة الجمعة، وتعيينه لوزير من الفقهاء يدعى الفقيه محمد العدني[١].

أما سلطان نزوى – أبو محمد ابن نبهان– فلم يكن أقل كرماً من سلطان ظفار، وكان –كما وصفه ابن بطوطة– أحسن حالاً من حيث التقائه بالناس وعدم احتجابه عنهم، إلا أنه في الوقت نفسه لم يتورع عن الفساد والتشجيع عليه[٢].

وكذا هو الحال بالنسبة لسلطان جزيرة هرمز–قطب الدين تمتهن – فقد كان كريماً كسابقيه من السلاطين آنفي الذكر، وكان يقوم على شؤون الضيوف بنفسه، ولم يكن هذا السلطان يولي اهتماما كبيرا بمظهره، فلم يتمكن ابن بطوطة من معرفته، عندما رآه وسط أعوانه ورعيته؛ نظرا لتلك الملابس الرثة التي كان يرتديها، ولم يصور لنا ابن بطوطة تفاصيل أكثر عنه؛ نظرا لكون الجزيرة كانت في حالة حرب[٣].

٢– طبقة العامة في عُمان:

ونعني بها كل أطياف المجتمع ما دون الطبقة الحاكمة وحاشيتها، من علماء وتجار ومزارعين، وقد أبرز ابن بطوطة دور هذه الطبقة في الحياة العامة؛ كونه كان أقرب إليها من غيرها، ووصفهم بصورة عامة بقوله: "وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء"[٤]، وأطلق ابن بطوطة هذا الوصف نظير ما وجده من هذه الطبقة من حفاوة الاستقبال، وحسن التعامل معه ومع غيره من الغرباء، كما وصفهم في موطن آخر بقوله: "ولهم نجدة وشجاعة"[٥]، وتجلت له هذه الصفات عندما كان في أحلك المواقف، وقد بلغ من العطش مبلغاً فإذا هو بفارس عُماني، يقدّم له الماء

١) المصدر نفسه: صص٢٣٨–٢٣٩.
٢) المصدر نفسه: ص٢٤٣.
٣) المصدر نفسه: ص٢٤٦.
٤) المصدر نفسه: ص٢٣٥.
٥) المصدر نفسه: ص٢٤٤.

بصدر رحب فيروي عطشه وعطش صاحبه[١]. ولكون ابن بطوطة من الفقهاء، فقد خالط علماء المدينة التي يحط عصا الترحال فيها، قدر ما تسنح له الفرصة، فنزل بدار خطيب الجامع العظيم بظفار– عيسى بن علي– ووصفه بالكرم والخلق الرفيع[٢]، وذكرنا آنفا وزير سلطان ظفار – الفقيه محمد العدني– الذي كان من الفقهاء الذين احتك بهم الرحالة[٣].

كما تعرض للقائمين على الزوايا، الذين يضيف ابن بطوطة إلى اسمهم لقب شيخ، مثل أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى شيخ زاوية في ظفار[٤]، والشيخ الصالح أبي الحسن الأقصراني في جزيرة هرمز[٥]، والشيخ الذي استراب منه ابن بطوطة– في مرسى حاسك– ووصفه بأنه حسن الصوت، وجيد القراءة عند تلاوته للقرآن[٦].

ويصور لنا ابن بطوطة فئة البحارة الذين قضى معهم الكثير من الأيام، متنقلاً بين مدن عُمان الساحلية، ويروي لنا وجود بحارة هنود يعملون جنبا إلى جنب مع العُمانيين، ويتعرض لبعض المخالفات التي كانوا يرتكبوها، منها أكلهم للطيور بدون ذكاة، إلا أنه في الوقت نفسه يصف لنا صورة التعاون والمساواة فيما بينهم، فهم يأكلون معاً، ولا توجد حواجز وتفضيل بين صاحب المركب أو معاونيه[٧].

ولم يفت ابن بطوطة أن يصور لنا طبقة من عامة السكان، التي تفرّس فيها أنها من اللصوص وقطاع الطرق، فالدليل الذي صحبه من الساحل قبالة مدينة قلهات وحتى مدخل المدينة حاول مرارا سرقته، كما أنه رأى في الطريق جملة من الرجال ليلاً،

---

١) المصدر نفسه: ص٢٤٢، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٩٤.
٢) المصدر نفسه: ص٢٣٥.
٣) المصدر نفسه: ص٢٣٩.
٤) المصدر نفسه: ص٢٣٦.
٥) المصدر نفسه: ص٢٤٥.
٦) المصدر نفسه: ص٢٤٠.
٧) المصدر نفسه: صص٢٤٠– ٢٤١.

فرابه أمرهم وظن أنهم من قطّاع الطرق فآثر التستر عنهم[١]، ويعلق الدكتور بوتشيش على هذه الرواية بقوله: "لا تعني أن الأمن قد انعدم في عُمان إبان حكم النباهنة، ولكن وجود قطاع الطرق ظاهرة توجد في كل زمان ومكان"[٢].

٣- المرأة العُمانية:

أولى ابن بطوطة وضع المرأة العُمانية اهتماماً كبيراً، فقد تعرّض لها في العديد من المواطن في كتابه عند زيارته لمدن عُمان، فصوّر لنا المرأة الظفارية وهي تعين الرجل في صناعة الحليب من ثمرة النارجيل (جوز الهند)، فذكر أنها تكون في شيء "شبه الكرسي، تجلس فوقه المرأة، ويكون بيدها عصا، في أحد طرفيها حديدة مشفرة، فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة، ويجرشون ما في باطن الجوزة، وكل ما ينزل منها يجتمع في صحفة، حتى لا يبقى في داخل الجوزة شيء، ثم يمرس ذلك الجريش بالماء، فيصير كلون الحليب بياضاً، ويكون طعمه كطعم الحليب"[٣].

ثم يصور لنا ما لحق ببعض النساء العُمانيات من فساد جراء فساد الحاكم في نزوى، الذي لم يكتف بفساده بل شجع على ذلك[٤]، إلا أن ابن بطوطة قد جانب الصواب عندما عمم هذه الصورة على جميع نساء عُمان، ووصف الرجال بأنهم عديمو الغيرة على نسائهم، وهو الأمر الذي أثار حفيظة المؤرخ السالمي حين رد قوله قائلا: "وأما الحكاية التي أشار إليها فإن كانت حقا نادرة وقعت من امرأة فاجرة بتسليط سلطان الجور لها، ولا يحكم بالفرد على الجملة، ولا يقاس العفيف بغير العفيف، ثم أنه ذكر أن صاحبة الفساد تتعلق بجوار السلطان الجائر فلا يقدر أهلها على منعها عن فسادها، وإن قتلوها قتلوا بها، فكيف مع هذا ينسب إليهم عدم الغيرة؟"[٥].

---

١) المصدر نفسه: ص٢٤٢.

٢) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٠٩.

٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م.س، ص٢٣٨.

٤) المصدر نفسه: ص٢٤٣.

٥) تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٣٦٥. كما تعرض الدكتور بوتشيش لهذه الحادثة وفنّدها بما لم يدع مجالا للزيادة، فقد أشبعها نقاشا وتفصيلا. انظر: التواصل الحضاري...، م. س، صص١١٧-١١٨.

٤- العبيد والخدم:

أثناء زيارته لعُمان، تطرق ابن بطوطة لهذه الفئة التي عادة ما يغفل عنها المؤرخون، الذين إن تعرضوا لها، فيتعرضون لها بشيء من العفوية دون قصد استهدافها، ولهذا فقد سدّ ابن بطوطة ثغرة في تاريخ هذه الفئة في عُمان[١]، وقد أوضح ابن بطوطة دور هذه الفئة في المجتمع العُماني، فهم يشكّلون جزءاً من حاشية الحاكم الذي يستعين بهم في مهام متعلقة بشؤونه الخاصة، فيرسلهم لاستقبال أصحاب السفن والمراكب القادمة إلى المدينة، ويستعملهم في تلبية ما يحتاجه الضيوف والقيام بشؤونهم[٢].

وقد شكّل الخدم عنصراً فاعلا في اقتصاد المجتمع؛ فكانوا يستعملون في الأسواق لبيع إنتاج سادتهم، فصوّر لنا ابن بطوطة أولئك الخدم من النساء اللواتي كنَّ يبعن في أسواق ظفار، وهن يرتدين السواد من اللباس[٣].

وزاول العبيد أيضا مهنة استخراج الماء لري المزروعات، وهي مهنة تحتاج إلى شيء من الشدة والقوة. ويُستشف ذلك من وصف ابن بطوطة للطريقة التي يستخرج بها الماء عن طريق هذه الطبقة، إذ "أنهم يصنعون دلواً كبيرة، ويجعلون لها حبالاً كثيرة، ويتحزّم بكل حبل عبد أو خادم، ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر، ويصبونها في صهريج يسقون منه"[٤].

كما اعتمد عليهم سكان ظفار في تسلق شجر النارجيل (جوز الهند)، عندما يرغبون في صناعة العسل من هذه الشجرة، لأن هذا الأمر يحتاج إلى تسلق الشجرة صبحا وعشيا، وقد أطلق على هؤلاء النفر اسم (الفازانية) أي خدام النخل[٥].

وزاول هؤلاء الخدم والعبيد مهنة الرعي، فقد رآهم ابن بطوطة في جزيرة هرمز إبان

---

١) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٠٨.
٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م. س، ج١، ص٢٣٥.
٣) المصدر نفسه: ص٢٣٤.
٤) المصدر نفسه: ص٢٣٤. ويطلق على هذه الطريقة في عُمان اسم " الزيجره"
٥) المصدر نفسه: ص٢٣٨.

زيارته لأحد التجار، وهم يرعون الغنم والأبقار لهذا التاجر[١].

كما لم تخلُ منهم الزوايا والرباطات وبيوت الفقهاء وخطباء المساجد، فقد أورد ابن بطوطة ذكرهم في معرض حديثه عن بعض شيوخ تلك الزوايا، وخطيب المسجد الذي كان لديه خدم من النساء، وإن دورهم كان منصباً على القيام بشؤون الضيوف وما يأمرهم به سادتهم[٢].

ب- العادات والتقاليد العُمانية في نص رحلة ابن بطوطة :

سنتعرض في هذا العنصر إلى العادات والتقاليد العُمانية التي أوضحها ابن بطوطة من خلال مشاهداته، والمتمثلة في بعض المعاملات بين الناس، وبعض أساليب الحياة اليومية، ونوع الملابس التي يرتدونها، وأشهر الأطعمة التي يتناولونها.

هناك عادات عُمانية أُعجب بها ابن بطوطة وأخرى عجب منها، أما التي أعجب بها فهي عادة المصافحة بين المصلين في المسجد إثر صلاة الفجر والعصر، وذلك بقوله: "إن من عادات المصلين في المسجد أن يستند الصف الأول إلى القبلة فيقوم الصف الذي يليهم بمصافحتهم وهكذا، أما في صلاة الجمعة فيتصافح الناس جميعا"[٣].

أما العادة التي عجب منها، فهي استعمال العُمانيين سمك السردين علفا للحيوانات سواء المركوبة منها أو المأكوله، وعدّها من العجائب التي لم ير مثلها في أي مكان حط فيه الرحال[٤].

ووصف لنا عادة الناس في استقبال المراكب التي تصل الساحل، فقد كان الناس من عامة وعبيد يستقبلون أصحاب المراكب في موكب حافل، فيكسونهم ويكرمونهم ثلاثة أيام، ثم تستمر الضيافة بعدها في دار السلطان مدة بقائهم في المدينة، وعلل ابن

---

١) المصدر نفسه: ص٢٤٥.
٢) المصدر نفسه: صص٢٣٥-٢٣٦.
٣) المصدر نفسه: ص٢٣٥.
٤) المصدر نفسه: ص٢٣٤.

بطوطة هذا الأمر برغبتهم الجامحة في تحفيز التجار على النزول في المدينة[١].

ودوّن ابن بطوطة بعض العادات التي شاهدها في الزوايا والقائمين عليها، فقد لاحظ عادة إكرام الضيف والتبرّك به، وكذلك عادة اللجوء إلى هذه الزوايا والاستجارة بها من ظلم السلطان، وقد كانت هذه الزوايا مقدسة ومحترمة من قبل السلطان والعلماء وعامة الناس؛ ولذلك فإن المستجير بها في مأمن وحماية حتى يُرد له حقه أو يعفو عنه سلطانه ومولاه[٢].

ومن العادات التي ما فتئ ابن بطوطة يشيد بها في كل مدينة ومنزل ينزل فيه، ويصور لنا بعض الأحيان نماذج منها، عادة الكرم والجود التي اشتهر بها المجتمع العُماني بشتى طبقاته كما بينا سابقا، ومن بين أساليب الكرم التي اعتاد عليها أهالي مدينة نزوى أن يجتمعوا في صحن المسجد للأكل، فيأكل معهم كل صادر وواردٍ[٣].

ولم يخلُ المجتمع العُماني من بعض القصص والحكايات المتوارثة من الأجداد ويرويها الآباء إلى الأبناء، والتي عادة ما تحوي الكثير من المبالغات، لإعطاء بعض الأمور في الحياة اليومية هالة من القداسة والتفضيل، منها تلك القصة التي يحكيها أهل ظفار عن قصة ظهور شجرة النارجيل (جوز الهند) في بلادهم، والتي لا يمكن أن يقبلها العقل بأي حال من الأحوال[٤].

وتحدث ابن بطوطة كذلك عن الأشربة والأطعمة السائدة أو التي تشتهر بها مدينة على غيرها من المدن العُمانية، وكان يردف ذكرها بذكر فوائدها وفي بعض الأحيان طريقة إعدادها أو صناعتها، فقد لاحظ أن الأرز الذي يجلب من بلاد الهند أو الذرة،

---

١) المصدر نفسه: ص٢٣٥.

٢) المصدر نفسه: ص٢٣٦.

٣) المصدر نفسه: ص٢٤٤.

٤) والقصة مفادها أن أصل شجرة النارجيل هي رأس أحد وزراء ملوك الهند، إذ بعد أن قتله الملك، عمد أحد الناس إلى وضع بذرة شجرة النخيل في داخل رأسه، فنبتت شجرة النارجيل من رأسه. انظر: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: ص٢٣٧.

هو أكثر طعام سكان ظفار[١]، وكذلك أهل قلهات الذين يتناولونه مع السمك[٢]، ولم يغفل عن إبراز الأشربة والأطعمة الأخرى في مدينة ظفار، والتي كانت في مجملها مستخرجة من ثمرة النارجيل (جوز الهند) كالعسل والحليب والزيت[٣].

أما سكان المدن الساحلية فكان أكثر طعامهم السمك، فقد كان البحارة يأكلون السمك مع التمر، ويصطادون الطيور ويطبخونها، كما يذكر لنا ابن بطوطة بعض أكلات البحارة التي أعجب بها أيما إعجاب، وهي الذرة المشوية المحلاة بالعسل، وكذلك نوع من السمك مشوي على ورق الشجر، تناوله في مدينة قلهات[٤].

ووصف لنا الملابس التي كان يرتديها العُمانيون والتي كانت تختلف من مدينة إلى أخرى، ففي ظفار يلبس الرجال الفوط في وسطهم ويضعون الأخرى على جسدهم، ولا يغطون رؤوسهم بشيء، وهذه الملابس مصنوعة من الحرير والقطن والكتان[٥]، أما أهل قلهات فالرجال يلبسون ملابساً تستر أجسادهم، ويغطون رؤوسهم بقلنسوة ويحملون بأيديهم العصي[٦]، في حين كان سكان هرمز يلبسون أقبية، ويشدون وسطهم بمنديل، ويتعممون بالعمائم[٧].

وتعرض ابن بطوطة للِّباس الأسود الذي كانت ترتديه النساء الخدم اللواتي يزاولن مهنة البيع في أسواق مدينة ظفار[٨].

---

١) المصدر السابق: صص٢٣٤-٢٣٥.
٢) المصدر نفسه: ص٢٤٣.
٣) المصدر نفسه: ص٢٣٨.
٤) المصدر نفسه: ص٢٤١، ٢٤٣.
٥) المصدر نفسه: ص٢٣٥.
٦) المصدر نفسه: ص٢٤٠.
٧) المصدر نفسه: ص٢٤٦.
٨) المصدر نفسه: ص٢٤٠.

ج- النشاط الاقتصادي والخدمات الأساسية في عُمان كما وصفه ابن بطوطة:

ونعني به المهن والحرف السائدة في عُمان، ومستوى معيشة الناس، وما ترتب على ذلك المستوى من طبيعة المسكن، ومدى توفر الخدمات الأساسية الأخرى.

تعرض ابن بطوطة للعديد من الحرف والصناعات المحلية، من بينها صناعة النسيج التي ازدهرت في مدينة ظفار، فقد كانوا يصنعون ثيابا من الحرير والقطن والكتان، وقد أعجب بتلك الثياب من حيث حسن صنعها[١]، وكذلك الصناعات القائمة على شجرة النارجيل (جوز الهند) في المدينة نفسها، فقد كانت تصنع منها حبالاً تستعمل في إطباق أخشاب المراكب بعضها بعضا؛ عوضا عن المسامير. كما كانت تقوم على ثمرة هذه الشجرة العديد من الصناعات كصناعة الزيت والعسل والحليب، وقد بلغ العسل المستخرج من النارجيل رواجا محليا ودوليا، حيث كان يستقطب تجار اليمن والهند والصين الذين يحملونه إلى بلدانهم ويصنعون منه الحلويات[٢]، ولم تكن هذه هي السلعة الوحيدة التي تصدّر من ظفار إلى الخارج، فقد كانت أوراق شجر التنبول (الراك) التي تنمو في هذه المدينة بكثرة تلقى قبولا وقداسة في أسواق الهند، ناهيك عن الخيول العتاق التي تستوردها الهند أيضا[٣].

وما ذكرناه سابقاً لا يعني أن ظفار هي وحدها من احتكرت الصناعة فحسب في عُمان، ففي جزيرة هرمز ظهرت صناعة الأواني والمنارات المزينة التي توضع عليها السرج، وكانت المادة الخام التي تصنع منها هذه الأدوات، هو الملح الدرابي الذي كان موجودا بوفرة، والذي شبهه ابن بطوطة بالجبال لكثرته[٤].

وإلى جانب زراعة النارجيل في مدينة ظفار كانت زراعة الذرة والموز تشغل حيزا كبيرا من البساتين التي تعج بها المدينة، وقد وصف لنا ابن بطوطة عظم حجم الموز

---

١) المصدر نفسه: ص٢٣٥.
٢) المصدر نفسه: صص ٢٣٧-٢٣٨.
٣) المصدر نفسه: ص٢٣٥، ٢٣٧.
٤) المصدر نفسه: ص٢٤٥.

الذي وزن بحضرته، وطعمه الذي يصفه بأنه طيب وشديد الحلاوة[١]، ولم يغفل ابن بطوطة عن وصف أهم الأشجار التي تشتهر بها ظفار عبر العصور التاريخية وهي شجرة اللبان، التي يستخرج منها البخور[٢].

وكانت أسواق ظفار عامرة بالمنتجات المحلية، يأتي على رأسها التمر والسمك، وكانت العملة المستعملة فيها مصنوعة من النحاس والقصدير، ولا يتعامل بها إلا على نطاق المدينة، وكانت التجارة في ظفار تمثل عصب الحياة الاقتصادية فيها[٣]. أما أسواق مدينة قلهات فقد كانت مليئة بالفواكه المتنوعة التي تأتيها من مدينة طيوي، إلى جانب التمر الذي يأتيها من باقي مدن عُمان[٤]، ونظرا لموقع جزيرة هرمز الاستراتيجي الواقع على خط التجارة القادم من الهند والصين والمتجه نحو العاصمة الإسلامية – دمشق أو بغداد– فقد كانت أسواقها رائجة وتمثل أهم المراكز لتجارة العبور (الترانزيت) ، ففيها يتم التبادل التجاري بين سلع الهند والصين والعراق وخراسان وفارس[٥]؛ ولهذا فقد كانت الحياة فيها صعبة جدا؛ نظرا للطفرة الاقتصادية التي كانت تمر بها، فقد ذكر ابن بطوطة أن: "الغلاء مستولٍ على الجزيرة"[٦].

ومن الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي وصفها لنا ابن بطوطة في عُمان إلى جانب النشاط الزراعي والصناعات القائمة عليها، نشاط الرعي، فقد وصف لنا الثروة الحيوانية المكونة من الأغنام والأبقار التي شاهدها في جزيرة هرمز[٧].

ومما سبق يتبين ما بلغته عُمان من نشاط اقتصادي رائج، إلا أنه مما يؤسف له أن ابن بطوطة لم يصف لنا طبيعة المسكن بصورة دقيقة توازي وصفه للنشاط الاقتصادي،

---

١) المصدر نفسه: ص٢٣٤، ٢٣٦.
٢) المصدر نفسه: ص٢٤٠.
٣) المصدر نفسه: ص٢٣٤.
٤) المصدر نفسه: ص٢٤٣.
٥) المصدر نفسه: ص٢٤٥.
٦) المصدر السابق: ص٢٤٦.
٧) المصدر نفسه: ص٢٤٥.

وإنما اكتفى بذكر تلك المساكن الواقعة على المدن الساحلية، والتي كانت مادة بنائها مكونة من: جلود الجمال وسُقّفت بعظام الأسماك، أو التي بنيت من الحجارة، وسقّفت أيضا بعظام الأسماك، ولم يصف لنا طبيعة هذه المنازل في المدن الداخلية في عُمان، حتى قصور الملوك والسلاطين الذين نزل في ضيافتهم، لم يصف لنا مادة بنائها[١].

أما المستوى الصحي في عُمان فإنه كان ضعيفا؛ إذ أن اعتماد أهلها كان على ما تنتجه بلدهم من أعشاب للتداوي من بعض الأمراض. أما الأمراض الفتاكة، فقد كانت صعبة العلاج، وذكر لنا ابن بطوطة ذلك المرض الذي كان منتشرا في ظفار المعروف عندهم بـ"داء الفيل"، الذي يصيب الأرجل فتنتفخ من جرائه. كما تعرّض لمرض آخر أطلق عليه مرض "الأدر" الذي تعوذ منه ابن بطوطة، وفي هذا دلالة على فضاعة هذا المرض وقدرته على الفتك بالناس بصورة سريعة[٢].

د-الجانب الديني والتعليم في عُمان كما وصفه ابن بطوطه:

ونتعرض في هذا العنصر إلى كل ما دونه ابن بطوطة عن أي سلوك ديني رآه في عُمان، والمساجد والزوايا، وطبيعة التدين لدى عامة الناس، ثم نلقي نظرة على ما كتبه عن المستوى التعليمي لدى السكان.

بصورة عامة، يتضح لنا من خلال وصف ابن بطوطة، أن المجتمع كان يهيمن عليه الجانب الديني، ويظهر فيه تمسكه بالدين الإسلامي، وإن ظهرت بعض المخالفات التي لا تمت إلى الدين بأية صلة؛ فهي بسبب جهل معتقديها.

فذكر أن مدينة ظفار بها العديد من المساجد كاملة التجهيز، فيها أماكن للاغتسال والوضوء، وكانت هذه المساجد مخصصة للصلوات الخمس، أما صلاة الجمعة فقد

١) المصدر نفسه: ص٢٤٠، ٢٤٥.
٢) المصدر نفسه: ص٢٣٥.

كانت تقام في الجامع الكبير[١]. وقد أولى ابن بطوطة اهتماما كبيرا بالمساجد ومادة بنائها على الرغم من إهماله لهذا الجانب عند ذكره لبيوت الملوك والحكام، فذكر أن بمدينة قلهات مسجداً من أحسن المساجد، إذ زينت حيطانه بالقاشاني، وقد بُني على ربوة تطل على البحر[٢]، كما يصور لنا مساجد نزوى وأنها كانت تضم صحناً كبيراً مهيئا لجلوس الناس لتناول الطعام[٣].

وأبدى ابن بطوطة اهتماماً منقطع النظير بمسألة الزوايا وكان حريصاً على زيارتها بنفسه والالتقاء بالقائمين عليها، وفي هذا دلالة على التوجه الديني الصوفي لديه، وأوضح لنا المكانة الكبيرة لهذه الزوايا لدى الطبقة الحاكمة وعامة الناس[٤].

أما على مستوى تمسك السكان بالدين، فيبدوا أن لديه حبا للدين وتمسكا كبيرا به، ويتضح ذلك من اهتمامهم ببناء المساجد، وجعلهم هذه المساجد –إضافة إلى إقامة الصلاة والعبادة– كأماكن للقاء وإكرام الضيوف. أما على مستوى الحكّام، فقد اهتموا بصلاة الجمعة دون غيرها من الصلوات الأخرى فهي الوحيدة التي يحضرونها مع الناس حسب ما يذكر ذلك ابن بطوطة في عدة مواضع من تحفته[٥].

كما لاحظ ابن بطوطة وجود سجاد في كل بيت خصص للصلاة مصنوع من الخوص (سعف النخيل)، وهذا يدل على وجود أناس يؤدون الصلاة في البيوت دون المساجد، أو لعلها تستعمل لتصلي عليها النساء[٦].

وأوضح المذاهب الدينية الموجودة في عُمان فذكر المذهب الإباضي الذي كان سائدا في مدينة نزوى ونواحيها، ومذهب أهل السنة الذي يدين به ملك هرمز وأتباعه[٧]،

---

١) المصدر نفسه: ص٢٣٥.
٢) المصدر نفسه: ص٢٤٣.
٣) المصدر نفسه: ص٢٤٤.
٤) المصدر نفسه: صص٢٣٥– ٢٣٦.
٥) المصدر نفسه: صص٢٣٨–٢٣٩، ٢٤٤.
٦) المصدر نفسه: ص٢٣٥.
٧) المصدر نفسه: صص٢٤٣– ٢٤٤.

ولم يتعرض لمذهب سكان ظفار إلا أنه ركز فيها وفي جزيرة هرمز على ذكر الزوايا ومدى مكانتها في قلوب الناس[٨].

كما لم يغفل أن يشيد بتمسك من يلتقي بهم بالدين، فذكر البحار الهندي الذي يحفظ القرآن، والرجل الذي التقى به في مرسى حاسك وقد وصفه بأنه حسن الصوت ومجيد لتلاوة كتاب الله[٩].

هذا أبرز ما تعرّض له ابن بطوطة عن عُمان، إبان زيارته لها، وأن وصفه لها جعله يتميز عن جميع الرحالة والجغرافيين الآخرين في العصور الإسلامية، الذين يقتصرون على ذكر بعض الجوانب دون الخوض في تفاصيلها، كما جعل مادته هذه مرتعاً يتهافت عليها الباحثون بالتحليل والتفصيل.

وفي ختام هذا الفصل نستنتج دور الرحلات في تعميق العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب، وأنها كانت مستمرة عبر قرون العصور الإسلامية الوسطى، فبدءًا بالرحلات الجماعية إبان الفتوحات الإسلامية إلى الرحلات ذات الطابع المذهبي، مرورا بالرحلة أو الهجرة الكبيرة لقبيلة آل المهلب. كما تبين لنا مدى التأثير الكبير للهجرة المهلبية على بلاد المغرب؛ وذلك نظرا لحرصهم الشديد على الاهتمام بالسكان والمدن التي ينزلون بها. كما أن الشخصية القيادية لبعض أولئك الولاة وحنكتهم السياسية، أدت إلى الاستقرار والأمن وهو الذي عادة ما يثمر حضارة وتطوراً في المجتمع. أضف إلى ذلك صفة الكرم التي اتصف بها ولاة المهالبة والتي استقطبت العديد من العُمانيين للعيش ببلاد المغرب تحت رعايتهم واهتمامهم وسخائهم الذي لا ينقطع، كما سالت ألسن الشعراء فقصدوهم بالمدح والعيش في بلاطهم، فخلّدوا ذكراهم بالعديد من القصائد الشعرية التي سطّرها أولئك الشعراء في حقهم.

ونستنتج مما سبق أيضا أن المذهب الإباضي كان سبباً محفزاً للكثير من العُمانيين لزيارة إخوانهم المغاربة أو العكس، ولئن كانت المصادر لم تتعرض لتلك الرحلات

٨) المصدر نفسه: صص٢٣٦- ٢٣٩، ٢٤٥.

٩) المصدر نفسه: صص٢٤٠- ٢٤١.

بصورة خاصة، إلا أن معظم الرحلات التي صبغت بصبغة علمية هي في حقيقة أمرها، رحلة بهدف التعارف وتمتين العلاقات والاطلاع على أحوال الطرف الأخر. أما رحلة ابن بطوطة فهي بحق أفضل نموذج يعكس تلك الرحلات الاجتماعية؛ نظراً لتلك الصورة الحية التي نقلها لنا عن كل أطياف المجتمع العُماني، وإبرازه لدور كل طبقة في الحياة اليومية. كما أوضح لنا الحرف والمهن والعادات والتقاليد والقيم، والجانب الديني ودوره في حياة الناس، وتأثيره على حياتهم اليومية، وأعطى لنا صورة سريعة عن الجانب التعليمي، ومن هنا يمكن القول أن ابن بطوطة لم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا وتطرق إليه بالتفصيل أحيانا، وبالإشارات العابرة أحيانا أخرى، لكنه تمكن بصفة عامة من رسم لوحة عن المجتمع العُماني تقف شاهدا على مدى العلاقات الاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب.

الباب الثالث

مظاهر العلاقات الاجتماعية
بين عُمان وبلاد المغرب

الفصل الثاني

تشابه مظاهر الحياة الاجتماعية
بين عُمان وبلاد المغرب

تشابه مظاهر الحياة الاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب

لم تكن الرحلات ذات الطابع الاجتماعي هي وحدها من شكّل ذلك الترابط الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب، بل برز جانب آخر كان له الأثر الأكبر في ذلك، ألا وهو المذهب الإباضي، الذي كان يدين به أغلب سكان عُمان وبعض سكان بلاد المغرب، وعندما نَضُم الجانبين معا –الرحلات الاجتماعية، والمذهب الإباضي– ينقشع الغبار وتتضح الصورة جليا، لذلك التشابه في بعض جوانب الحياة الاجتماعية بين المجتمعيين، فالمذهب الإباضي شكّل أرضية الشبه، والرحلات نقلت ومازجت بين أساليب الحياة، وطرق العيش في المجتمعين، كما أنها بصّرت كل فئة عن قرب بما عند الأخرى من عادات وتقاليد وطرق للحياة الاجتماعية اليومية.

ومما سبق، سنتطرق في هذا الفصل إلى جوانب التشابه في الحياة الاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب، آخذين بعين الاعتبار ما للمذهب الإباضي من دور في ذلك التشابه، كما أننا لن نغفل أي تشابه آخر لم يكن للمذهب أدنى سبب فيه، وسنلقي الضوء في هذا الفصل أيضا، على وضع المرأة في المجتمع الإباضي سواء العُماني أو المغربي، ودورها في النهوض به، ونظرة المجتمع إليها، والدور الذي قامت به عبر العصر الإسلامي الوسيط.

أولا: تشابه المجتمع العُماني والمغربي نتيجة الوحدة المذهبية:

نظرا للوجود الإباضي في بلاد المغرب، والذي يقابله سيادة تامة له في بلاد عُمان، فقد كان له تأثير كبير على الحياة الاجتماعية، خاصة أن المذهب الإباضي لم يكن مذهبا فقهيا فقط، بل هو مذهب فقهي وعقدي، ولديه عدة تجارب في الجانب السياسي، وتمكّن من إدارة عدد من المجتمعات –مختلفة المشارب والمذاهب– لسنوات عدة، فله تجربة في اليمن، وله تجارب في بلاد المغرب، وله سيادة في عُمان، هذه الخلفية الكبيرة التي يتمتع بها هذا المذهب، مع حرص أتباعه على تتبع آثار سلفهم الصالح، وأسلوب تعاملهم مع الناس، وجعْلهم الجانب الديني، هو الأساس في الحياة الاجتماعية،

وتمسّكهم بفكر المذهب التسامحي في نظرتهم إلى المخالف، كل هذه الأمور، أدت إلى وجود تشابه كبير في كثير من المعاملات اليومية في المجتمع العُماني والمجتمع المغربي. أضف إلى ذلك أن انغراس الحب والولاء لكل أتباع المذهب الإباضي بعضهم بعضا سواء في عُمان أو بلاد المغرب، كان دافعا إلى تقليد كل طرف للآخر.

وسنتعرض في هذه العنصر أولاً إلى شخص الإمام الإباضي من حيث بيت الإمامة الذي ينزل فيه، وملابسه التي يرتديها، وطريقة تعامله مع السكان بشتى أطيافهم، ونظرة المجتمع إليه، مع إبراز جوانب الشبه بين المجتمعين العُماني والمغربي، ثم بعد ذلك سنتطرق إلى طبقات المجتمع الأخرى.

١- تشابه الوضع الاجتماعي والأخلاق السياسية للإمام (الحاكم) الإباضي في المجتمعين العُماني والمغربي:

إن اختيار الإباضية لإمامهم سواء في عُمان أو بلاد المغرب لم يكن أمرا عشوائيا، وإنما كان يُنتقى أفضلهم علما وورعا وتقوى، وأبعدهم عن الدنيا وملذاتها، متواضعا، يقبل النقد من أي فرد في الرعية، ويستقبل ذلك بكل رحابة صدر[١]. ولكون الحديث هنا عن الجانب الاجتماعي، فإننا سنبدأ بأسلوب مبايعة الإمام والطقوس التي تجرى له أثناء البيعة، فبعد أن يتم اختيار شخص الإمام، يقوم أفضل الناس علماً ويقرأ نص البيعة، ثم يمد يده إلى الإمام المرشح مخاطبا له، وممسكا بيده اليمنى ويقول له: قد بايعتك على طاعة الله ورسوله وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله "فيجيب الإمام المنتخب بالإيجاب قائلا: نعم "[٢]. وبهذه الطريقة البسيطة، تتم مبايعة الإمام رسميا، ثم يقوم بقية الناس الآخرين ممن حضروا البيعة بمصافحة الإمام، مبايعين له على الطاعة والولاء، وبعد الإنتهاء من هذه المراسم يبدأ التكبير والتهليل، كقولهم:" لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد" ثلاث مرات، ثم يقول المنادي: "لا حكم إلا لله

١) محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، م. س، ص٣٢١.

٢) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج٢، ص١٨٧، علي حسن، التاريخ الحضاري لعُمان ...، م. س، ص٥٢.

حبا وموالاة لأولياء الله، لا حكم إلا لله خلعاً وفراقاً لأعداء الله، لا حكم إلا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا حكم إلا لله، والسلام عليك يا رسول الله، ثم يقول: لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، ثلاث مرات"[١]. ثم يخرج الإمام يحيط به الرجال والمكّبر مستمر في تكبيره وتهليله، متجهًا نحو بيت الإمامة[٢]، وبعدها يتجه الإمام إلى المسجد للبيعة العامة، وفي هذه الأثناء يخرج معه الرجال يحملون السيوف على عواتقهم، مع صوت المكبِّر الذي يصدح بالتكبير والتهليل ولا يقطعها حتى يصل[٣].

وما ذكرناه سابقاً، هي الطريقة المتبعة أيضا في بلاد المغرب، حيث يروي لنا ابن الصغير طريقة مبايعة الإمام أبي حاتم يوسف (٢٨١هـ/٨٩٤م- ٢٨٤هـ/٨٩٧م) بقوله:" وبايعوه وكبّروا حوله، وحملوه على الأيدي والأعناق، حتى وصلّوه إلى داره"[٤].

أما لباس الإمام فتظهر فيه البساطة على أشدها، فلا يعدو أن يكون مثل بقية أتباعه، إلا أنه يُميز بكمّة (قلنسوة) خصصت له، ويختتم بخاتم، ويتقلد سيفا[٥]، هذا بالنسبة للباس الإمام العُماني، إلا أنه مما يؤسف له عدم تعرض المصادر المغربية لنوع اللباس الذي يرتديه الإمام المغربي ليميزه عن الآخرين.

وإذا دلفنا إلى بيت الإمامة الذي كان بمثابة مركز للحكم، ومنزل يقيم فيه الإمام طيلة مدة إمامته، ويستقبل فيه الضيوف والوفود حينا آخر، فنجد هذه الدار لا تشبه بأي حال من الأحوال قصور خلفاء بني أمية أو بني العباس؛ فلا جواري ولا خدم ولا حشم في هذا البيت، الذي لم يكن يتعدى غرفة للنوم وأخرى لاستقبال الضيوف.

---

١) النزوي: المصنف، م. س، ج١٠، صص ٩٣-٩٤، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م.س، ص٥٣.

٢) النزوي: المصنف، ج١٠، ص٩٤، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٥٣، محمد المنذري: تاريخ صحار ...، م. س، ص١٣٢.

٣) النزوي: المصنف، م. س، ج١٠، ص٩٤.

٤) أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص١٠٥.

٥) علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٥٣.

وقد وصف لنا ابن الصغير جانباً من ذلك، حين تعرّض للإمام عبد الرحمن بن رستم الإباضي(١٦٠هـ/٧٧٦م-١٧١هـ/٧٨٧م)، وقد زاره وفد من إباضية البصرة، فلما أتوا دار الإمام وجدوه "جالسا على حصير فوقه جلد، وليس في بيته سوى وسادته التي ينام عليها، وسيفه ورمحه، وفرس مربوط في ناحية من داره"[١]، واستمر وضع دار الإمامة المتواضع على هذه الهيئة في عُمان عبر عصور الإمامة، إلا أننا وجدنا تغييراً لهذا الوضع في الدولة الرستمية، فقد اتخذ الإمام أفلح بن عبدالوهاب قصرا له، واتخذ باباً من حديد[٢].

وفي المقابل، كان الأئمة الإباضية حريصين على تطبيق الحق، ولو على أقرب الناس إليهم، فهذا الإمام العُماني الجلندى بن مسعود (١٣٢هـ/٧٤٩م – ١٣٤هـ/٧٥١م)، يأمر بإعدام اثنين من أبناء عمومته عندما بدت منهما الخيانة، وأرادا بالمسلمين سوءاً[٣]، بل تعدّى الأمر إلى تضحية الإمام بحياته من أجل حماية رعيته، حتى ولو كانوا من مرتكبي الجرائم، فقد غرق الإمام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩هـ/٧٩٥م – ١٩٢هـ/ ٨٠٧م) في أحد الأودية الجارفة الذي يمر بالقرب من السجن، وذلك حين أمر جنوده أن يذهبوا لإطلاق المساجين خشية دخول الوادي عليهم، فخافوا على أنفسهم، عندها قال الإمام: "أنا أمضي إليهم إذ هم أمانتي وأنا المسؤول عنهم يوم القيامة"[٤]، فألقى الإمام بنفسه في الوادي لينقذهم، إلا أن الوادي كان شديد الجريان فأغرقه، فلقي حتفه فيه[٥].

وبالإضافة إلى شخصية الإمام المتواضعة الورعة، المانعة له من الوقوع في ظلم رعيته، فقد ساهم العلماء في تتبع أي هفوة للإمام وتقويمه، بل وصل الحد في بعض الأحيان إلى تهديده بالسيف إن لم يقم بالحق، وكان الإمام آذانا مصغية لكل ناصح، فهو يعلم

---

١) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، صص٣٣–٣٤.
٢) المصدر نفسه: ص٦١.
٣) السالمي: تحفة الأعيان ... ، ج١، ص٩٠.
٤) الإزكوي: تاريخ عُمان ... ، م. س، ص٤٦.
٥) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١١٨.

علم اليقين "أن الدولة التي تكمم أفواه علمائها وخاصتها وذوي الحنكة والإخلاص فيها، وتأبى سماع النقد النزيه، هي دولة تسد منافذ النور والهواء الصافي عن نفسها فلا بد أن تختنق فتموت"[١]، ولهذا فإن شخصية الإمام وتمسكه بأهداب الدين ومبادئه، إلى جانب العلماء، يمثلان صمّام الأمان للإمام من الوقوع في الزلل والخطأ، أو الظلم والتكبّر.

ومن الأمثلة على ما سبق، مرور أحد علماء المغرب –يدعى ابن يانس– بمنزل الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن يوم الجمعة، فوجد على بابه رجلاً يرغب في الدخول عليه، إلا أنّه وجد الباب مغلقاً، فغضب ابن يانس لذلك، فحمل حجارة في يده وبدأ يرجم الباب، ويشتم أهل المدينة، حتى خرج له الإمام ولحيته تقطر من الماء، ويعتذر له بأنه كان يغتسل للصلاة، فقال له الإمام: " أين موقعنا أنا وأنت حين شتمت أهل المدينة؟ فأجابه ابن يانس: بأننا سنكون ممن يستحق ذلك الشتم إن لم نأمر بالمعروف وننه عن المنكر"[٢].

وإن كان العلماء بعيدين عن الإمام، ويصلهم خبر وقوعه في أمر يرون أنه خطأ، يبعثون إليه برسالة تظهر فيها الشدة دون إعطاء غضب الإمام أي اعتبار، ولا يخافون في ذلك لومة لائم، فقد أرسل العلامة العُماني محمد بن محبوب (ت: ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) رسالة إلى الإمام المهنا بن جيفر(٢٢٦هـ/٨٤٠م – ٢٣٧هـ/٨٥١م)، عقب وصول خبر قيام الإمام بإحراق الرسائل التي أرسلها أهالي السجناء إلى القابعين في سجون الإمامة[٣]، ومما جاء في هذه الرسالة "وقد حرقت كتب القوم التي وصلت منهم إلى أهليهم، وإنما يُحرق منها، ما كان على المسلمين فيه بيعة أو دلالة، وأما حوائجهم التي كتبوا بها إلى أهليهم، فكان ينبغي أن تسلم إليهم. . . وأنت مؤدب

---

١) محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، م. س، ص٣٢١.

٢) البغطوري: سير نفوسة، مخ. س، وو٨٩–٩٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٤٧.

٣) الكندي: بيان الشرع، م. س، ج٢٨، ص١٤٠، سالم الهيملي: **نزوى تاريخها وإسهامها في الحضارة الإسلامية**، في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، رسالة لنيل درجة الماجستير، قسم الشريعة الإسلامية، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، السنة الجامعية: ١٤٢٣–١٤٢٤هـ/٢٠٠٢–٢٠٠٣م، نسخة مرقونة بمكتبة الباحث الخاصة، ص٧٨.

وإمام، وعنك تؤخذ الآثار . . . واحذر كل أثر لا أصل به في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولا في آثار الصالحين"[١].

وكان الإمام يهتم بكل طبقات المجتمع، فقد كان الإمام عبدالرحمن الرستمي يجلس في المسجد ليتمكن الفقراء والضعفاء والأرامل من التحدث إليه وبث شكواهم له بسهولة ويسر[٢]، ونفس الطريقة نجدها في عُمان أيضا، فالإمام غسان بن عبدالله العُماني (١٩٢هـ/٨٠٧م – ٢٠٧هـ/٨٢٣م)، كان يتألم لظلم وقع على العبيد في الباطنة، إذ كانوا يستعملون في العمل ليلا، فأمر بمنع استعمالهم بعد العتمة، ليكون الليل فترة راحة لهم واستراحة[٣]، ومن هذا المنطلق فقد أثّرت شخصية الإمام الزاهدة في الدنيا على الوضع الاجتماعي للناس، فابتعدوا عن ملذات الدنيا، وحاولوا التشبه بإمامهم، ولا غرو في ذلك، ففي الأثر " الناس على دين ملوكهم".

وكان المجتمع يعيش في رخاء وأمن وعدل وسلام، ما دام الإمام يسهر على ذلك، وبه من قوة الشخصية والحنكة والدراية ما تعينه على مواصلة هذا الجهد، بشرط أن تكون له بطانة تعينه على الخير والعدل، ولهذا فبمجرد ضعف الإمام، يبدأ المجتمع بالترنح تحت ضربات المفسدين، فيعم فيه الفساد، وتكثر فيه المنكرات، وهو ما وقع في بلاد المغرب في نهاية عهد الدولة الرستمية[٤]، ويقابله مجتمع عُماني ابتعد عن العدل، ومارس أهله شتى أنواع المفاسد عندما ضعف الأئمة، وظهر سلاطين الجور، وهيمنوا على الأمور كملوك الدولة النبهانية[٥].

٢–أوجه الشبه بين دور طبقات المجتمعين العُماني والمغربي:

سنتعرض في هذا العنصر إلى طبقات المجتمع العُماني والمجتمع المغربي، والدور

---

١) الكندي: بيان الشرع، م. س، ج٢٨، ص١٤٠.

٢) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٢.

٣) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١٢٩.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م.، ص١٦٩، محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب ...، م.س، ص٢٩١.

٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٣٨.

الذي أنيط بكل طبقة تبعا للنهج الإباضي، وعلاقة كل طبقة بالأخرى، محاولين إبراز جوانب الشبه الاجتماعية بين المجتمعين المذكورين، وتتمثل تلك الطبقات فيما يلي:

أ- طبقة العلماء:

تعد هذه الطبقة من أهم الطبقات المجتمعية في المجتمعين العُماني والمغربي؛ نظرا للدور المهم الذي تقوم به، فقد تعرضنا آنفا لدور العلماء في اختيار الإمام، وفي متابعته ومنعه من الوقوع في الخطأ أو الظلم، وفي المحافظة على مكتسبات المجتمع، والذود عن حياضه، بالقلم واللسان والحسام.

أما أهم الأعمال التي يقومون بها وأبرزها، هو تعليم الناس وتفقيههم بأمور دينهم، وهذا الأمر ليس بغريب على هذه الفئة ولكن الأغرب فيه أنهم كانوا حريصين على إحاطتهم بطلاب العلم، والإنفاق عليهم من طيب مالهم، ويبذلون في ذلك الغالي والنفيس، فهذا العلامة ابن بركة العُماني، من علماء القرن (٤هـ/ ١٠م) كانت لديه مدرسة يجتمع فيها الطلاب وينفق عليهم من خالص ماله[١]، وفي بلاد المغرب، كان العلامة أبو القاسم يزيد بن مخلد (ت: ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) يتحلق حوله الطلبة فيعلمهم، وينفق عليهم من ماله، ويولي لهم جلَّ اهتمامه، حتى قال الناس لأبيه: "ابنك مجنون، يعلم ويطعم ويعطي"[٢].

ومن الأعمال البنّاءة الأخرى التي قام بها العلماء خير قيام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم ينأوا بأنفسهم عن هذا الدور كونه منوطاً بالإمام، بل كانوا يرون هذا من الواجبات الملقاة على عاتقهم. كما كان أفراد المجتمع بشتى طبقاته يفزعون

---

١) ولم يكن الطلبة العُمانيون هم وحدهم من أمّ مجلس العلم لدى ابن بركة، فقد ذكرنا في الفصل الأول من الباب الثاني، الطلبة المغاربة الذين حضروا إلى عُمان للدراسة على يد هذا العالم. انظر: الكدمي: كتاب الاستقامة، م. س، ج١، مقدمة الكتاب ص٥، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، م. س، صص١٥٥-١٥٦، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب وإباضية البصرة وعُمان، من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر الهجري / ٨-١٧م، م. س، صص١٦٧-١٦٨، سعيد الهاشمي: علاقة المغرب العربي بدول الخليج العربية...، م. س، ص١٤٣.

٢) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص٣٤.

إليهم في كل أمر يختلفون فيه، ويجعلونهم الحَكم الذي يحتكمون إليه، والقضاة الذين يؤمنون بعدلهم وإنصافهم، ومن الأدلة على ذلك ما قام به علماء بني مفرج العُمانيون عبر عصورهم التاريخية، منهم العلامة سليمان بن أحمد بن مفرج (ت: ٨٣٩هـ/١٤٣٥م)[١]، ويقابله في المغرب العالم أبو الربيع سليمان بن زرقون من علماء القرن (٤هـ/١٠م)، الذي فزع إليه أهالي سجلماسة بعد ما كادت تعصف بهم ريح الشقاق، وكادوا أن يقتتلوا، فتمكن أبو الربيع من إرجاع الأمور إلى نصابها[٢].

وكان للعلماء تأثيرٌ كبيرٌ حتى على سياسة الدولة الإباضية في كلٍ من عُمان وبلاد المغرب، فعندما اختلف علماء عُمان في شأن الإمام الصلت بن مالك (٢٣٧هـ/٨٥١م-٢٧٢هـ/٨٨٥م)، وهل يجوز عزله لأنه بلغ من الكبر عتيا أم لا؟ أدت هذه القضية إلى دخول عُمان في فترة سياسية حرجة، تفكك فيها المجتمع، وتمكن الأعداء منها والسيطرة عليها[٣]. وهو الأمر الذي حدث أيضا في بلاد المغرب عندما اختلف العلماء في مبايعة الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن، وهل يجوز مبايعته على الرغم من وجود علماء أفضل منه؟، فتزعم المعارضة العلامة ابن فندين، وأدت هذه القضية في النهاية إلى قيام حرب بين الطرفين، ونشوء فرقة تدعى بالنكارية، قادها علماء مؤمنون بها عبر عصورهم التاريخية[٤].

وكلما تغيّب العلماء عن المجتمع أو غُيِّبوا عنه، عمّت الفوضى أرجاءه، وعمّ الفساد بين أفراده فغاصوا في ظلام دامس، يخيّم على ساحاته الجهل والخوف، ويتبيّن مما تقدم أن طبقة العلماء في بلاد المغرب وعُمان قامت بأدوار متشابهة في حفظ الأخلاق

---

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٣٧٨، خميس العدوي: **الحياة الفكرية في بهلى خلال الفترة من (٨٠٠-١٠٢٥هـ)** بحث مقدم لندوة بهلى عبر التاريخ التي أقامها المنتدى الأدبي في الفترة (٢٣-٢٤ شعبان ١٤٢٣هـ / ٣٠-٣١ أكتوبر ٢٠٠٢م، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص٧٥.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج١، صص١١٠-١١١.

٣) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م.س، ج١، صص ٢٣-٨٥، صص١٨٦-٢٣٢، الإزكوي: تاريخ عُمان...، م. س، صص٥١-٥٢، السالمي: تحفة الأعيان...، م.س، ج١، ص١٩٤ وما بعدها.

٤) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، صص٨٦-٨٩، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص٤٦-٤٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٣٠.

والدفاع عن العامة والمستضعفين وإرشاد الفئة الحاكمة.

ب- طبقة الشراة في عُمان والعزابة في بلاد المغرب: علاقات تماثل في الأدوار:

ظهرت طبقة الشراة في المجتمع الإباضي والتي أخذت اسمها من الآية الكريمة ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[١]، فهم قد اشتروا الجنة ببيع أنفسهم والتضحية بها في سبيل الله، ولقد قعّد الإباضية لهذه الفئة قواعد خاصة، وصفات ينبغي أن يتصف بها لمن يرغب في الانخراط فيها، من أهمها أن يكون الشاري:[٢]:

١- مسلما مؤمنا بالله ورسوله.

٢- ورعا في دينه.

٣- تقياً محباً للخير، حريصاً على مرضاة الله.

٤- متجنباً للمعاصي والآثام.

٥- عنده من العلم ما يهتدي به في عبادة ربه.

٦- مقداماً بطلاً شجاعاً، لا يخاف الموت في سبيل الله.

وقد كانت هذه الفئة في بداية أمرها تهدف إلى إحقاق الحق، وإبطال الباطل، ومقاومة الظلم، وكانت تتشكل في وقت الحرب لنصرة الحق، وبقيت في وقت السلم بمهام أخرى تناط بها، وأصبح لها دور كبير في المجتمع الإباضي إبان تكوين الإباضية لدولتهم، وقد كانت مهامها قريبة من مهام المُحتسب، إلا أن الفرق بين الوظيفتين،

---

١) سورة التوبة: الاية (١١١).

٢) السالمي: **غاية المراد في نظم الاعتقاد**، شرح سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عُمان، السيب، سنة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.، صص ١٠٤-١٠٥.

أن المحتسب يأخذ أجراً من الدولة، والشراة يرجون الأجر والثواب من رب العباد[١].
ونجمل أهم الأعمال التي كانوا يقومون بها، سواء في المجتمع العُماني أو في بلاد المغرب، فيما يلي[٢]:

- المحافظة على الدين والأخلاق في المجتمع.
- مراقبة الأسواق، ما يدخل إليها، وما يتم فيها من معاملات تجارية بغية تنقيتها من الحرام، ومراقبة تجارها عن الغش.
- إعانة المحتاج في قضاء حاجته، وهداية الضال إلى ضالته ومراده، وإعانة الضرير والفقير والملهوف.
- المحافظة على نظافة المجتمع، طرقه وأزقته، وتشجيع الناس على الاهتمام بها، وحثهم على تنظيفها وإزالة الأذى عنها.
- الرفق بالحيوان، ومراقبة الناس من أن يحملوا على دوابهم أكثر من طاقتها، ومنعهم من ترك الحيوانات سائبة تضر بمصالح الناس.
- مراقبة الأبنية، والأمر بهدم المباني الآيلة إلى السقوط؛ خوف وقوعها على ساكنيها.
- حراسة المدن ليلا ونهارا؛ خوفا من دخول العدو إليها على حين غرة.

هذه هي أهم الأعمال وأبرزها، التي كان يقوم بها الشراة، وهي أعمال في غاية الأهمية، تدل على مكانة هذه الفئة في المجتمع، فهي تمثل في وقتنا الحاضر أعمال عدد من المؤسسات الحكومية كالشرطة والبلدية، ومؤسسات حماية المستهلك وغيرها.

وفي الدولة الرستمية كانت قبيلة نفوسة القاطنة بجبل نفوسة تشكل الغالبية العظمى

---

١) محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص١٣٨.

٢) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٨٨، الكندي: بيان الشرع، م. س، ج١٢، ص٧٤، البرادي: الجواهر المنتقاة، مخ. س، و١٧٧، السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، صص٨٦-٨٩، المنذري: تاريخ صحار...، م. س، صص١٣٨-١٣٩، محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، م. س، صص٣٦٢-٣٦٣، مسعود مزهودي: جبل نفوسة ..، م. س، صص٣٧٠-٣٧٢.

من هذه الطبقة، فقد كانوا ينخرطون بأعداد كبيرة في مهنة الشراة، ابتغاء مرضات الله ونيل ثوابه[١]، وظل هذا الأمر في المغرب لفترة من الزمن، يدار بهذه الطريقة إلى أن حل محله نظام آخر أكثر تنظيما، وهو ما يسمى في التاريخ الإباضي المغربي بنظام (العزابة)، فقد تسلّم أعضاء العزابة مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشتى صوره في المجتمع الاباضي، بل كانوا يمثلون سلطة تنفيذية قادرة على التغيير في أمور متعددة، بدءًا من التعزير وانتهاءً بالسجن[٢].

ج- العبيد والخدم وتشابه طرق انخراطهم في المجتمعين العُماني والمغربي:

ونعني بهذه الفئة العبيد والخدم من فئة الذكور، والإماء والجواري من فئة الإناث، فقد شهد المجتمع العُماني والمجتمع المغربي أعدادا كبيرة من هذه الفئة، وكان لها دور في سير الحياة الاجتماعية اليومية وتنشيطها.

وقد تعددت جنسيات هذه الفئة، تبعاً للمنطقة التي ينتمون إليها، أما في عُمان فقد كانت تجلب إليها من عدة أماكن، فهناك العبيد المجلوبون من شرق أفريقيا، والعبيد الهنود، وكذلك المجلوبون من خراسان، وفئة أخرى جلبت من فارس[٣]، بل ووجد في المجتمع عبيد من العرب، دون تحديد للأماكن التي ينتمون إليها[٤]. وقد اشتهر في أواسط المجتمع العُماني في العصر الوسيط تقسيم العبيد إلى قسمين: العبيد السود، والعبيد البيض، وذلك تبعا للون البشرة. وكان العبيد السود هم المجلوبون من شرق إفريقيا، أما الفئة الأخرى فهم من المناطق الأخرى المذكورة آنفا[٥]. ولا غرو في تعدد جنسيات هذه الفئة في المجتمع العُماني، فكل الدول والمدن التي يفدون منها هي إما أن

---

١) البرادي: الجواهر المنتقاة، مخ. س، و١٧٧، محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، م. س، ص٣٦٤.

٢) مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٣٧٣، صص ٤٢٣-٤٢٧.

٣) ابن جعفر: الجامع، م. س، ج٥، ص١٨٣، النزوي: المصنف، م. س، ج٣٠، ص٩٤، ١٢١، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، صص١٦٨-١٦٩.

٤) العوتبي: الضياء، م. س، ج١٣، صص٧-٨.

٥) النزوي: المصنف، م. س، ج٢١، ص١٩٧، ج٣٠، ص٩٤، ٢٣٢، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٢٢٩.

تكون مجاورة لها، أو تربطها علاقة تجارية معها.

أما مصدر هذه الفئة في بلاد المغرب، فقد اقتصر على ثلاث مناطق فقط، فهناك العبيد السودان، وهم يشكلون الغالبية العظمى، وفئة أخرى مجلوبة من الروم، والفئة الثالثة كانت من العبيد الصقالبة[١]. وعند إمعان النظر في جنسيات هذه الفئات، نجد أن هذه المناطق التي ينتمون إليها، هي مناطق محاذية لبلاد المغرب أيضا، كما هو الحال بالنسبة لعُمان.

خصصت أسواق خاصة لبيع العبيد والرقيق، سواء في عُمان أو بلاد المغرب، وكان البيع يتم فيها إما عن طريق المساومة، وذلك بأن يُعطي جالبهم مبلغاً من المال في أحد العبيد، فإذا وافق على ذلك، تم البيع، أو عن طريق المناداة، ومن يُعْطي قيمة أكثر، يكون العبد أو الأمة من نصيبه، وقد سمح الفقهاء أن يقوم جالب العبيد بتزيين الإماء من تمشيط لشعرهن أو كحل لعيونهن؛ بهدف إظهارهن بمظهر يشدّ إليهن المشتري. كما أجاز الفقهاء كذلك، إمعان النظر في الإماء، وتقليب أطرافهن لمن يرغب في شرائهن، وقد لقيت هذه التجارة رواجاً كبيراً، وكانت تدر على أصحابها الكثير من الأموال[٢].

لقد عمل العبيد والخدم والإماء في مختلف الميادين والأعمال اليومية في المجتمع، ففي عُمان شارك العبيد في مهنة الزراعة واستصلاح الأراضي الزراعية، وفي استخراج المياه لري المزروعات. كما استعمل بعضهم كخدم في المنازل يعملون في شؤون المنزل، ويجلبون إليه ما يأمرهم به أسيادهم، كما مارس بعضهم مهناً وحرفاً تجارية لأسيادهم، كالنجارة والغزل والنساجة، واسْتُعمل بعضهم في رعي الأغنام[٣].

---

١) الوسياني، سير الوسياني، م. س، ج١، ص٤١٠، الشماخي: السير، ج١، ص٢٣١، مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٣٠٧.

٢) ابن بركة: كتاب التقييد، م. س، ص٩٣، العوتبي: الضياء، م. س، ج١٣، ص١٠، الكندي: بيان الشرع، م. س، ج٥، ص٣٣١، النزوي: المصنف، م. س، ج٢٤، ص١٤٢، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٣٠.

٣) الكندي: بيان الشرع، م. س، ٦٩، ص٢٢٦، النزوي: المصنف، م. س، ج٩، ص١٤٩، ج٢٠، ص١٤٤، ج٣٠، ص٢٧، ٤٨، ٩٦، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، صص٢٩-٣١، محمد المنذري:

أما الإماء والجواري، فقد كان أكثر عملهن في المنازل، للطهي والطحن والخبز، وغيرها من الأعمال المنزلية اليومية، وقد يشتغلن في أعمال أخرى بما يتلاءم مع طبيعتهن الأنثوية، كالمشاركة في جمع التمور أثناء عملية الحصاد، أما بعضهن فقد كن يُسْتعملن للتسري والاستمتاع، أو الاستيلاد في أحيانٍ أخرى(١).

أما في المجتمع المغربي فقد انخرط العبيد أيضا في شتى ضروب الحياة، فوجد العبيد في منزل الإمام للخدمة في منزله، والقيام بشؤون الضيوف والوفود التي تفد إلى بيت الإمامة(٢)، وكان للعبيد دور كبير في النشاط الزراعي فقد اسْتُعملوا في حفر العيون؛ لتوفير المياه الصالحة لري المزروعات، كما ساهموا بدور كبير في الاهتمام بمزارع أسيادهم، ووجدت أعداد كبيرة منهم في جبل نفوسة، لاستعمالهم في عصر الزيتون وخاصة عبيد السودان، كما استعمل بعضهم في رعي الأغنام(٣).

أما الإماء والجواري ببلاد المغرب، فقد استخدمن في المنازل كما هو الحال بالنسبة للمجتمع العُماني، وقد ذكر أنهن كن يقمن بالاحتطاب لمنازل أسيادهن(٤)، ويجلبن الماء العذب لهم(٥)، وكذلك مارسنَ بعض المهن التي كانت تتلاءم مع طبيعة بقائهن في المنازل لفترة طويلة، وهي مهنة الغزل والنسج، فقد ذكر الدرجيني أن لدى امرأة واحدة من أهل المغرب ثلاث عشرة جارية تستعملهن في هذه المهنة(٦).

ولا ننسى في هذا السياق ما ذكره الرحالة ابن بطوطة من التشابه بين أسماء الجواري في عُمان وبلاد المغرب، حين قال متعرضا لأحد الشخصيات التي التقى بها في مدينة

تاريخ صحار...، م. س، ص١٦١.

١) العوتبي: الضياء، م. س، ج١٣، ص٨٨، الكندي: بيان الشرع، م. س، ج٦٩، ص٢٢٦، النزوي: المصنف، ج٢٧، صص٣٦-٣٧، ج٣٠، ص٩٦، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، صص٣٠-٣١، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص١٦١.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٥٩.

٣) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٧٦، مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٣٠٧، ٣٠٢.

٤) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٨٧، مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٤١٩.

٥) الوسياني: السير، م. س، ج١، ص٢٧٣.

٦) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٢١٠.

ظفار العُمانية: "وهو عيسى بن علي، كبير القدر كريم النفس، فكان له جوارٍ مسميات بأسماء خدام المغرب، إحداهن اسمها بخيتة والأخرى زاد المال، ولم أسمع هذه الأسماء في بلد سواها"(١).

وجدير بنا هنا أن نتعرض لتأثير هذه الفئة على المجتمعين العُماني والمغربي، فكون هذه الفئة جاءت من مناطق مختلفة، فقد حملت معها ثقافة وفكر المنطقة التي تنتمي إليها، فقد عرفت عُمان طبول الزنج المنسوبة إلى العبيد المستجلبين من أفريقيا، وما يصاحبها من رقصات لم يكن يعرفها المجتمع العُماني طوال تاريخه في العصر الوسيط، كما ساهموا في نقل بعض العادات الأخرى كالأطعمة والألبسة(٢)، وما ذكرناه في عُمان نفسه وقع في بلاد المغرب من نقلهم لأغاني ورقصات خاصة بهم، أنكرها عليهم أسيادهم(٣).

ويبرز مما ذكرنا سابقا، الوجود الكبير لهذه الفئة، سواء في المجتمع العُماني أو المجتمع المغربي، كما يتضح انخراطهم في معظم جوانب الحياة اليومية، وإسهامهم الكبير في النهوض بالمجتمع حضاريا واقتصاديا، كذلك يظهر التشابه الكبير في الأعمال التي تقوم بها هذه الفئة سواء في المجتمع العُماني أو المغربي.

د- تشابه دور المرأة العُمانية والمغربية داخل مجتمعيهما، خاصة في المجال المعرفي:

عاشت المرأة في عصر الجاهلية في ذل وصَغَار، ولم تكن لها قيمة ولا مكانة، إلا أنه بظهور الإسلام أعطى لها المكانة المرموقة في المجتمع، وشملها بالعدل والمساواة، وأعلى من مكانتها، وجعلها في مصاف الرجال، بل فضّلها بعض الأحيان عليهم،

---

١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م. س، ج١، ص٢٣٥.

٢) النزوي: المصنف، م. س، ج١٠، ص١٧٢، علي خميس اللواتي: **أضواء على المجتمع العُماني في القرنين الرابع والخامس الهجريين**: دراسة لفئات المجتمع، بحث مقدم في الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديما وحديثا، نظمته وحدة الدراسات العُمانية بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن، منشورات جامعة آل البيت، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص٣٢٣.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٤١، الشماخي: السير، م. س، ج٢ ص٨٨.

كتفضيله للأم على الأب[١]، وأصبحت ركيزة مهمة في الحياة اليومية، وعدّها نصف المجتمع، مما حدا بهنَّ للظهور والبروز في المجتمع إبان العصور الإسلامية، وتجلى ذلك فيما قمن به من أعمال رائدة آتت أكلها في المجتمع، ويكفينا في هذا الصدد أن نذكر أمهات المؤمنين زوجات المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، والدور الذي قمن به في حياة الرسول عليه السلام وبعد مماته، ثم سارت الصحابيات ومن جاء بعدهنَّ على هذا النهج، وبرزت عدد من النساء في شتى ميادين الحياة.

ولم يكن المجتمع الإباضي بمنأى عن ذلك الفكر الذي يعطي للمرأة حقها، ويرفع من مكانتها، لترتقي سلم العلم والعزة بعلمها وجدها ومثابرتها في إصلاح بني جنسها، وتنشئتها لجيل صالح قادر على حمل راية الحق غير هيابين ولا وجلين، ولقد اتحفتنا المصادر ببعض الشخصيات النسائية التي كان لهن أثر كبير في نشر الدعوة الإباضية، والاستماتة في تبليغها، بل إن بعضهن لقين حتفهن في ذلك، كالبلجاء الخزامية (ق: ١هـ/٧م) التي قتلها الوالي الأموي على العراق –عبيدالله بن زياد– ورمى بها في السوق، لا لشيء إلا لأنها كانت تدعو جهارا إلى محاربة الظلم وأهله[٢].

ومما سبق، سنتعرض في هذا العنصر لدور المرأة في المجتمع العُماني، ثم دور المرأة المغربية في مجتمعها لنقف على أدوارهما المتشابهة في المجتمعين، ونظرا لأن المصادر لم تتعرض للعنصر النسوي بشيء من التفصيل، فإننا سنحاول جاهدين استنطاق بعض النصوص التي تعطي بعض الإشارات عن الدور الذي تقوم به المرأة في حياة الرجل، منذ نشأتها في بيت أبيها وحتى مغادرته لبيت الزوجية.

ونبدأ الحديث عن المرأة العُمانية، فقد أولى لها المجتمع اهتماما كبيرا، وتكفّل بالذود

---

١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٣، ص٣٦١، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢١٦، الشماخي: السير، م. س، ج١ ص٦١، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم...،م. س، ص٣٢.

٢) نستشف ذلك من حديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم – عن أبي هريرة أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أبوك). انظر: البخاري: صحيح البخاري، م. س، ج٣، ص٢٠٩.

عنها، وإحسان تربيتها، ولهذا دوَّنَ العلماء العُمانيون في مؤلفاتهم صور الاهتمام بها منذ الصغر، فأمروا وليها بتعليمها[٣]، وألزموه الإنفاق عليها ما دامت تحت رعايته حتى تتزوج، فتنتقل مسؤولية الإنفاق إلى زوجها، كما ألزموا الأب بالإنفاق على ابنته المطلقة، إن لم يكن عندها ذرية، أما لو كان عندها أولاد فألزموا مطلقها بالإنفاق على أبنائه، وأوجبوا على الأب أو الزوج الذي يرغب في السفر من أجل التجارة أو الحج أو أي أمر آخر يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن، أن يترك لهم نفقتهم، ووصياً عليهم لرعايتهم[٤].

وفي مقابل تلك الرعاية والاهتمام سنّ لها المجتمع بعض الأمور التي ينبغي أن تراعيها؛ لتصون عرضها من أن يدنّس أو تصبح عرضة لمرضى القلوب، فأمرها بإدناء الجلابيب، ورفع الخُمر فوق الأذقان، وستر الناصية، وكل زينتها ما عدا الوجه والكفيين، كما مُنعت المرأة أن تجلس في السكك، والخروج في وقت سقوط الأمطار أو الريح العاصفة[٥].

كما مُنعت – تبعا للأحكام الفقهية – من السفر لمسافة بعيدة إلا مع ذي محرم، أو أن تسافر مع صحبة من النساء يصحبهن محارم، إن كان لا محيص من سفرها ولم تجد محرما[٦].

ولقد سمح المجتمع العُماني للمرأة أن تنال حضها من التعليم، فبرزت عدد من النساء العالمات على مر العصور الإسلامية، والجدول التالي يوضح نماذجاً من تلك العالمات عبر تاريخ عُمان في العصور الإسلامية:

---

٣) العوتبي: الضياء، م. س، ج١، ص٢٧٠، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ١٦٢.

٤) النزوي: المصنف، م. س، ج٢٣، ص٥٠، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٤٢، سالم الهيملي: نزوى...، م.س، ص٥٠.

٥) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٨٨.

٦) الكندي: بيان الشرع، ج٢٤، ص٦٨.

م	اسمها	صور من اهتمامها بالعلم	وفاتها	المصدر
١	آمنة زوج الإمام جابر بن زيد العُماني	تلقيها العلم على يد الصحابة	ق: ١هـ/٧م	الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢١٣، ٢١٠.
٢	عاتكة بنت المهلب بن أبي صفرة	تتلمذت على يد الإمام جابر بن زيد، وكانت تنفق من مالها على أتباع مذهبها.	ق: ١هـ/ ٧م	الدرجيني:طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٢٥٥.
٣	هند بنت الملهب بن أبي صفرة	تتلمذت على يد الإمام جابر بن زيد. ورُوي عنها بعض الحكم كقولها:" النساء ما زُيِّنَّ بشيء كأدب بارع تحته لب طاهر".	حية في عام: (١٠٢هـ/ ٧٢٠م)	الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج٢، ص٢١٠.
٤	سعيدة المهلبية	كان لها مجلس لتعليم بنات جنسها، كانت من أبرز النساء في الدعوة للمذهب الإباضي	ق: ٢هـ/ ٨م	الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١١٠.
٥	الزهراء السقطرية: فاطمة بنت حمد الجهضمية	أرسلت قصيدة شعرية تستنجد فيها بالإمام الصلت بن مالك لتحرير جزيرة سقطرى من أيدي النصارى.	حية في عام: (٢٣٧هـ/ ٨٥١م)	السالمي: تحفة الأعيان. . . ، م. س، ج، ١، ص٦٥.

ولم تتوقف مشاركة المرأة العُمانية في المجتمع على تربية النشأ والتعلم فحسب، بل شاركت الرجل في معترك الحياة، فبرزت في العديد من المهن كالغزل والنساجة، وطحن الدقيق، وحياكة الملابس، والمشاركة في موسم حصاد الثمار، وعملن بعضهنَّ كأجيرات في منازل الأغنياء[1]، بل بعضهن تعدين هذا الجانب إلى المشاركة

١) النزوي: المصنف، م. س، ج٢١، ص٢٠٤،١٥٢، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، صص٤٠-٤١، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، صص١٦٢-١٦٣، سالم الهيملي: نزوى...،

في النشاط التجاري، فقد تعرضت المصادر لبعض النساء اللواتي مارسن البيع في الأسواق، ولكن لم تكن لهنَّ حوانيت دائمة، وإنما اقتصرت مشاركتهن على البيع لفترة وجيزة، ثم يخرجن من السوق بمجرد انتهاء السلعة التي يعرضنها والتي كان في أغلبها التمور(١).

وإذا انتقلنا إلى القطر الثاني- بلاد المغرب-، فلم تكن المرأة المغربية بأقل حالا من المرأة العُمانية، فقد كان المجتمع يوليها اهتماما كبيرا، وما ذكرناه آنفا عند الحديث عن المرأة العُمانية من حيث الاهتمام بها صبية، وإلزام ذويها الأنفاق عليها، ووجوب تعليمها، ينطبق على المرأة المغربية هنا أيضا(٢).

أما من حيث بروزها في ميادين العلم والتعلم، فلا نبالغ إن قلنا أنها كانت تفوق أختها المشرقية في هذا الجانب؛ نظرا لكثرة النساء العالمات التي تعرضت لهن المصادر، وحضورهن مجالس الذكر والعلم في منازل العلماء، بل كان بعضهن يتخذن من بيوتهن مجالس للعلم، والجدول التالي يوضح نماذج لتلك النساء اللواتي بلغن في العلم منزلة رفيعة:

م	اسمها	صور من اهتمامها بالعلم	وفاتها	المصدر
١	أخت العلامة عمروس بن فتح	كانت تساعد أخيها في نسخ الكتب ومطالعتها.	أواخر ق: (٣هـ/٩م)	الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٢٣.
٢	أخت الإمام أفلح بن عبد الوهاب	فاقت أخاها الإمام أفلح في علم الحساب والفلك والتنجيم.	أوائل ق: (٣هـ/٩م)	الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٦٧.

م. س، ص٥٠.

١) النزوي: المصنف، م. س، ج٢٧، ص٢٠٢، ج٢٩، ص٣٤٠، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، صص٤٠-٤١، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص١٦٣، سالم الهيملي: نزوى...، م. س، ص٥٠.

٢) تتشابه الأحكام الفقهية في جوانب الاهتمام بالمرأة في المسائل الفقهية فأهل المغرب لا يختلفون عن المشارقة في ذلك كونهم ينضوون تحت مذهب واحد، وإن وجد خلاف فلا يعدو في أسلوب الاهتمام وطريقته.

٣	أم زعرور نانا	سُمِح لها بالفتيا في الجوانب الفقهية.	ق:٣هـ/٩م	الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٢١٢-٢١٤.
٤	زورغ الأرجانية	كانت النساء يزرنها للاستفادة من علمها.	ق:٣هـ/٩م	الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٢٠٤.
٥	أم الخطاب زوج أبي يحيى الأزديالي	كانت مرجعا للفتوى والاستشارة في أمور الدين.	ق: ٣هـ/٩م	الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٢١٨.
٦	بهلولة زوج إبان بن وسيم	كانت تُقام في منزلها حلقات العلم.	ق:٣هـ/٩م	الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٨٦.
٧	زيديت بنت عبد الله الملوشائية	اشتهرت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.	أواخر ق: (٣هـ/٩م)	الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١١.
٨	عائشة بنت معاذ بن أبي علي	تتملذت على يد عدد من العلماء، وكانت تناقشهم في أدق المسائل.	أواسط ق: ٥هـ/ ١١م	الوسياني: السير، م. س، ج٢، ص٥٩٢.

وعلى الرغم من اهتمام المرأة المغربية بالعلم والتعليم، لم يشغلها هذا الجانب عن مشاركة الرجل في كسب المعيشة، فقد ظهرت عدد من النسوة يزاولن مهنة النسيج، وقد أبدعن في إنتاج العديد من الملابس المتنوعة[١]، ولكي لا تفرّط النساء في مجالس العلم ومساعدة آبائهن أو أزواجهن، فقد كنَّ يعملن الصوف أثناء حضورهنَّ مجالس العلم[٢]، وقد تستعين المرأة ببعض النساء الأخريات لمساعدتها في عملية النسج[٣]. وقد نافست النساء اليهوديات في المجتمع الرستمي النساء المسلمات في النسيج وصناعة

١) البغطوري: سير نفوسة، مخ. س، و٣٣، بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية ...، م. س، ص١٦٧.
٢) البغطوري: سير نفوسة، مخ. س، و٤٨.
٣) المصدر نفسه: و٦٩.

الملابس، وبلغت ملابسهنَّ شهرة كبيرة في المجتمع[١]. كما كانت تنتج المرأة المغربية ملابس مختلفة الأشكال والألوان، إذ تقوم بصباغتها بالأصباغ التي كان يتقنها اليهود[٢]، ويظهر من بعض النصوص التاريخية أن المرأة المغربية كانت تعين الرجل في شؤون الحراثة والزراعة، فقد روى الدرجيني عن امرأة العلامة مهدي أنها كانت تنقل التراب على رأسها لمساعدة زوجها في إصلاح الأرض[٣]، كما كنَّ يشاركن أيضا في حصاد الثمار[٤].

ونخلص مما سبق، بأن هناك جوانب شبهٍ في وضع المرأة العُمانية والمغربية في المجتمع، وتمثل ذلك في بلوغها مراتب عليا في التعلم والتعليم، وأخيرا ممارستها لبعض المهن التي تتلاءم مع طبيعتها الأنثوية.

هـ – تشابه مواقف طبقة العامة من الأئمة والعلماء:

ونعني بها سواد الناس الذين كانوا يعيشون في المجتمع عدا الفئات الآنفة الذكر، وسنتحدث عن هذه الطبقة من حيث نظرتها إلى الطبقات التي ذكرناها – الإمام والعلماء والشراة، والخدم والعبيد والمرأة – ، وأسلوب تعاملها معهم.

ونبدأ الحديث بنظرة العامة إلى الإمام ومكانته في قلوبهم، ونستطيع القول بأن هذا الأمر قد تساوى فيه المجتمعان العُماني والمغربي، فهم كانوا ينظرون إلى إمامهم بأنه قدوتهم ومثلهم الذي يُحتذى به، وخاصة أن اختياره كان عن طريق الشورى، ولم يصل إلى سلّم الحكم إلا بعد أن زكّاه علماء عصره، واختاروه على من سواه. ففي الجانب العُماني نترك الإمام السالمي يصف لنا موقف الناس من إمامة الإمام المهنا بن جيفر، فيما يرويه عن أبي الحسن، حيث يقول: "قام المهنا بالحق ما شاء الله إلى أن

---

١) المصدر نفسه: و ٧٨.

٢) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، م.س، ج٢، ص٣٠٣، بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية...، م. س، ص١٦٨.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٦٥.

٤) الشماخي: السير، م. س، ج١، س١٨١.

مات، والمسلمون له مجمعون، وبأمره يعملون، والولاة في أيامه هم الصادقون، لم نعلم أن أحدا أظهر عليه منكرا، قال: وقد قيل: إن بعد موته تكلم بعض المسلمين فيه بشيء يكره، فقيل: إن محمد بن محبوب تجهم في وجه ذلك الرجل، وأسمعه كلاما وزجره عن ذلك"[١]، فنستشف من ذلك انقياد الناس خاصتهم وعامتهم لإمامهم، ما دام يسير على الحق ويحكم بينهم بالسوية.

أما في الدولة الرستمية، فنترك ابن الصغير يصف لنا نظرة العامة إلى الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح، ومكانته وهيبته في قلوبهم: "وكان إذا جلس الناس وأمرهم بالجلوس لم ينطق أحد من بين يديه إلا أن تكون ظلامة ترفع إليه، وكان زاهدا ورعا ناسكا سكينا"[٢]، فهذا النص يصف نظرة الناس إلى إمامهم، وتقديرهم إياه، وتسهيله لعرض الناس مظالمهم بين يديه في أي وقت وأي مكان، هذه هي نظرة العامة نحو أئمتهم، فكيف كانت نظرتهم نحو علمائهم؟.

اتسمت نظرة العامة إلى العلماء العاملين الورعين بنوع من التكريم والمكانة العالية، كيف لا؟!، وهم قد وضعوا ثقتهم فيهم، وسلموا لهم زمام الأمور في اختيار من يحكمهم، كما أنهم يمثلون في نظرهم القدوة والمرجع بعد الإمام، وكانت العامة تلقي بكاهل همومها ومشكلاتها عليهم سواء الدينية أو الدنيوية؛ ليجتهدوا في حلها لهم.

ومما سبق، فقد ألقى أهل مدينة سمائل العُمانية، بمشكلة وقعت لهم في أرض زراعية على العلامة محمد بن محبوب (ت: ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، فقام بحلها على الرغم من بُعد المسافة بين سمائل ومدينة صحار التي ينزل بها ابن محبوب[٣]. وفي نفس الاتجاه قام العلامة المغربي عبدالله اللمطي الهواري (ق: ٣هـ/ ٩م) بحل النزاع الذي حدث في البيت الرستمي بصفة خاصة، والمجتمع التيهارتي بصفة عامة، بين الإمام يعقوب بن

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١٤٨.
٢) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٩٢.
٣) ابن جعفر: الجامع، ج٥، ص٢٥٥.

أفلح وابن أخيه أبي حاتم يوسف ، فتمكن من إرجاع المياه إلى مجاريها[١] .

أما فئة الشراة التي كانت لها صولات وجولات بالميادين العامة في المجتمع ، والتي كانت أكثر الفئات التصاقا بالعامة؛ كون طبيعة عملها يقتضي وقاية الناس من الوقوع في الخطأ ، فيظهر أنها قامت بدورها على أكمل وجه ، ولم ترِ لنا المصادر وجهة نظر العامة نحوهم ، ولكن لابد أن تكون وقعت بينهم وبين العامة بعض السقطات ، فطبيعة النفس البشرية تكره من يتتبع عثراتها وهفواتها ، وتميل إلى إعطائها الحرية في كل ما تشتهي ، كذلك لا ننس أن هذا الدور لم يقتصر على الشراة فقط ، فقد كان العلماء يزاولون هذه المهمة من ذات أنفسهم ، فيغيِّرون المنكر متى رأوه بأيديهم وألسنتهم[٢] .

أما من حيث نظرة العامة إلى فئة الخدم والعبيد ، فقد تفاوت بين اللين والعفو وبين الشدة والصرامة ، فمن صور المعاملة الحسنة لهم أن سادتهم كانوا يوفرون لهم المأوى والمسكن المناسب ، والغذاء قدر ما يسد حاجتهم ، وشيئاً من الكساء يتلاءم مع وضع سادتهم في المجتمع[٣] . كما كانت تعفى هذه الطبقة من الخدمة في وقت الليل[٤] ، وتمنح وقتا معينا للراحة في فترة الصباح[٥] ، وتعطى إجازة في المناسبات الدينية كالأعياد ، وأُلزم سيد العبد أن يعلمه أمور دينه إن كان من المسلمين ، كذلك سُمح لبعضهم بالجلوس مع سادتهم لتبادل الحديث وقت المساء[٦] ، وتشابه المجتمع العُماني والمجتمع المغربي في ذلك .

---

١) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص١١٣.

٢) البغطوري: سير نفوسة، مخ. س، و١٣٩.

٣) النزوي: المصنف، م. س، ج٣٠، ص٢٤، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، صص٣٢–٣٣.

٤) الشماخي: السير، ج١، ص١٨٦، السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص١٢٩.

٥) النزوي: المصنف، م. س، ج٣٠، صص٣٧–٣٨.

٦) المصدر نفسه: ج٣٠، ص١٢، ١٦، ج٢٤، ص١٤٢، علي حسن خميس: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٣٣.

ووجد في المجتمع المغربي إماء كنَّ يحضرن مجالس العلم في فترة الليل[١]، بينما وجدت إماء أخريات في المجتمع العُماني من سادتهن عناية خاصة، كونهن على جانب من الجمال أو نظراً لحسن تعاملهن، فيلبسن خير اللباس ويأكلن خير الأطعمة[٢].

كذلك كانت الخادمات المسلمات يلقين رعاية خاصة، فلم يجز الفقهاء أن تكون تحت رجل غير مسلم، وإن حدث ذلك فإنه يلزم ببيعها[٣]، كما أعتقن بعضهن بسبب أنهن كنَّ على درجة كبيرة من الصلاح[٤].

وفي المقابل وجدت بعض المخالفات في حق هذه الفئة من قبل العامة، وسوء معاملة وشدة وصرامة، سواء في المجتمع العُماني أو المغربي، فقد كان جالب هؤلاء العبيد يشدهم في السلاسل خشية هروبهم عليه في الطريق[٥]. كذلك كان بعضهم يحرمون من الإجازة خلال أيام الأعياد، ومنهم من توجه بالشكوى إلى العلماء لينصفوهم من سادتهم، بسبب سوء تعاملهم معهم ونظرتهم الدونية لهم[٦]. كما تعرض بعضهم للضرب والحبس والقيد، وبعضهم إلى الطرد من البلد[٧]، كذلك استخدمت بعض الإماء في أعمال لا تتلاءم مع أنوثتهن[٨].

وبالنسبة للمرأة بصورة عامة، فقد رأينا مدى اهتمام المجتمع بها، ولكن لا يعني ذلك أنها هي الأخرى لم تتعرض لأي أذى من قبل الرجل، إلا أن هذا الأمر معهود في الحياة اليومية ولا غرابة فيه، فلا يمكن أن تسير الحياة على نهج واحد دون أن يكدر صفوها شيء من الخطأ، مرده طبيعة الإنسان الضامرة للخير والشر.

---

١) الشماخي: السير، م.س، ج١، ص١٨٧.
٢) النزوي: المصنف، م. س، ج٢٤، ص٦٥، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٣٢.
٣) النزوي: المصنف، ص٢٠، ص١٤٤، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص١٦١.
٤) الشماخي: السير، م.س، ج١، ص١٨٧.
٥) المصدر نفسه: ج١، ص٢٤٩.
٦) عبدالوهاب بن عبدالرحمن: مسائل نفوسة، م. س، ص١٤٨.
٧) النزوي: المصنف، م. س، ج٣٠، ص١٢، ١٦، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان، م. س، ص٣٣.
٨) النزوي: المصنف، م. س، ج٣٠، ص٢٤، محمد المنذري، تاريخ صحار، ص١٦٠.

وبما أننا تحدثنا عن تعامل المجتمع مع المرأة منذ صغرها، وإلزام وليها بتعليمها، فلا يعني ذلك أن الطفل الذكر لم يلق ذلك الاهتمام الذي لاقته أخته، فقد كان لهم معلم خاص، يتولى تعليمهم القرآن وأمور الدين منذ نعومة أظفارهم[١].

ثانياً: تشابه العادات والتقاليد في المجتمع العُماني والمغربي:

"إن العادات والتقاليد المشتركة بين بلدين لا يمكن أن تولد من فراغ، بل تتأسس في الغالب الأعم من خلال رصيد تراكمي من الإرث الحضاري الذي يفرزه واقع الصلات التاريخية المتجذرة بينهما"[٢]، ومن هذا المنطلق، فإن جوانب التواصل بين عُمان وبلاد المغرب، التي تعرضنا لها في الفصول الماضية جديرة بإحداث تماثل وتناظر في العادات والتقاليد، ويكفي في هذا الصدد، أن نتذكر المقولة التي قالها ابن بطوطة عند زيارته لمدينة ظفار العُمانية؛ لنوضح ذلك الشبه الكبير في هذا الجانب، حين قال عنهم: "ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم"[٣]، وهو نص غني عن التعليق، لما يحمله من دلالة كبيرة تؤيد ما ذكرناه سلفا.

ولهذا فسيتم الحديث في هذا العنصر عن جوانب الشبه في العادات والتقاليد في عُمان وبلاد المغرب، إذ لا يمكن تغطيتها كلها في المجتمعين؛ نظرا لكثرتها وتنوعها.

١- التشابه في الأزياء:

ولنبدأ أولا باللباس، فهناك تشابه كبير في هذا الجانب فبالنسبة للرجال، فقد كانوا يلبسون العمائم على رؤسهم، ويتلحّون بها على أعناقهم، وهذه الطريقة استعملها الإباضية سواء في المغرب أو في عُمان؛ ليميزوا أنفسهم عن غيرهم من المذاهب والفرق الأخرى، فقد روى الشماخي ذلك صريحا في سيره، حين روى حادثة ذكر فيها طريقة لبس العمامة بالطريقة الإباضية الصحيحة "ثم تعمم وتلحى فقال هذا لباس

١) النزوي: المصنف، م. س، ج٣٠، ص١٢، ١٦، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان، م. س، ص٣٣.
٢) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٣٤.
٣) رحلة ابن بطوطة، م. س، ص٢٣٥.

المسلمين (الإباضية) ثم تعمم ولم يتلح ، فقال هذا لباس الشياطين ثم تعمم وترك وسط رأسه ولم يتلح ، فقال هذا لباس الزنادقة" [١]. وفي المقابل روى العلامة العُماني أبو جعفر في جامعه مسألة جاء فيها "من صلى بعمامة ولم يتطوقها فجائز ، وإنما التطوق بالعمائم؛ لأن إمام المسلمين (الإباضية) أمر المسلمين به حتى يُعرفوا ، ولا يُخالف أمر الإمام"[٢] ، وهذا النص يؤيد ما ذكرناه سابقا أن هذه العادة – عادة التلحي بالعمامة– إنما أوجدها الإباضيون أنفسهم دون غيرهم .

ولم يكن الشبه يكمن في لبس العمائم بالنسبة للرجال فحسب ، بل وجدنا تشابها فيما يُلبس فوق الملابس ، فالعُمانيون يلبسون الرداء أو ما يطلق عليه "العباءة" فوق ملابسهم التي كانت تصنع عادة من الصوف[٣] ، ويقابله لبس الجبة بالنسبة لأهل المغرب[٤] ، وهي شبيهة بالعباءة في الشكل وفي مادة الصناعة[٥]. وذهب بعض الباحثين إلى أن هناك تشابها حتى في لون الملابس[٦] ، وفي نفس السياق ظهر تشابه أيضا في لبس النعال التي ينتعلها الرجل العُماني والمغربي أيضا[٧] .

بل ذهب بعض الباحثين[٨] إلى القول أن هناك تشابها آخر بين أهل عُمان وأهل المغرب ، وهو لبسهم للخنجر التي تطوق خصر الرجال ، ولبس الخنجر في عُمان –

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٢٤. انظر الصورة التي توضح طريقة لبس العمامة: الملاحق: ص٣٧٤.

٢) الجامع، م. س، ج٢، صص١٥٠–١٥١، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص١٦٩.

٣) ابن جعفر: الجامع، م. س، ج٢، ص١٤٩، العوتبي: الضياء، م. س، ج٥، ص٣١٩، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص١٧٠.

٤) الغطوري: سير نفوسة، م. س، ورقة٧٧.

٥) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: عبدالستار أحمد فراح، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط٣، سنة: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ج١، ص٣٣٩، وجاء في المعجم الوسيط في تعريف الجبة: "ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم يلبس فوق الثياب والدرع". انظر إبراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، استنابول، تركيا، ط٢، سنة:١٣٩٢هـ/١٩٧٢م: ص١٠٤.

٦) محمد سليمان: صفحات مطوية ... ، م. س، ص٥٤، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٣٧.

٧) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري ... ، م. س، ص١٣٧.

٨) محمد سليمان: صفحات مطوية ...، م. س، ص٥٤، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٣٧.

كما هو معلوم- يعد من الأمور الرسمية التي ما زالت تتمسك بها العامة والخاصة.

٢- التشابه في الأطعمة:

وتمدنا المصادر ببعض أوجه الشبه بين بعض الأطعمة التي تتناول في عُمان ومثيلتها في بلاد المغرب، من بينها الأسماك، ومن بين تلك الأسماك سمك الأسد (الكنعد)، الذي يشبه أحد أنواع الأسماك في المغرب يدعى بتارزت[١]، والنوع الآخر الذي يسمى في عُمان بسمك اللخم[٢]، وفي المغرب بحصى اللبان[٣]، كذلك تشابههم في أكلهم للذرة[٤]، التي عندما تناولها ابن بطوطة قال بأنه لم يذق طعاما أطيب منها[٥].

وبما أننا تحدثنا عن الأطعمة والتشابه فيها، فإنه يجدر بنا الحديث هنا عن عادة الكرم، والاحتفاء بالضيف التي تتشابه فيها المنطقتان بصورة كبيرة[٦]، ولا غرو في ذلك عندما يتبادر إلى أذهاننا حث الإسلام على إكرام الضيف، فهي قد تخرج من كونها عادة إلى كونها قيمة من قيم المجتمع الإسلامي النبيلة[٧].

٣- التشابه في الأسماء:

ونتيجة لهذا التواصل الاجتماعي المتميز بين القطرين، ومدى تعلّق كل طرف بالآخر، ظهر التشابه في الأسماء والكنى، فوجدنا أسماء مشرقية تسمّى بها أهل المغرب مثل اسم العلامة العُماني أبو سفيان محبوب بن الرحيل (ت: بين عامي ١٩٥- ٢٠٥هـ/

---

١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م. س، ص٢٤١.

٢) المصدر نفسه: ص٢٤٠.

٣) عبد الهادي التازي: الصلات التاريخية ...، م. س، ص٢١٥، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري..، م. س، ص١٣٥.

٤) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٣٥.

٥) رحلة ابن بطوطة، م. س، ص٢٤١.

٦) عن صور الكرم في عُمان. انظر: ابن بطوطة، م. س، ص٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٦. وعن صور الكرم في المغرب انظر: الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٦٣، ج٢، ص٣٦٠، ٣٦٣، ٣٧٨، ٤٠٤، ٤١٤، ٤١٨، صص٥٠٧-٥٠٨، الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص٥٩.

٧) نجد كتب الصحاح تفرد بابا في إكرام الضيف. انظر: البخاري: صحيح البخاري، م. س، ج٣، ص٢٤٢، الترمذي: سنن الترمذي، م. س، ص٧٩٠.

٨١٠–٨٢٠م)، فقد وجدنا شخصاً من الإباضية في المغرب يدعى محبوب ابن أبي عبدالله السدراتي (ت: ق: ٥هـ/ ١١م)، وعندما لم يجد المؤلف – الشماخي– له كنية كناه بكنية العلامة العُماني حيث قال: "لم أحفظ له كنية وأنا كنيته بأبي سفيان، كان شيخا مذكورا أخذ العلم وأُخذ عنه"[١]، وكذلك تكّنى المغاربة بكنية الإمام جابر بن زيد العُماني–أبي الشعثاء–، فوجدنا أبا الشعثاء السنتوتي[٢]، وأبا الشعثاء ابن البغطورية الشروسي[٣].

وفي نفس المنحى وجدنا تشابهاً كذلك في أسماء الجواري والإماء، فقد صرّح الرحالة ابن بطوطة بهذا التشابه وأكده، وذلك حين نزل ضيفا على خطيب المسجد الأعظم بمدينة ظفار، فقال: "فكان له جوار مسميات بأسماء خدام أهل المغرب، إحداهنّ اسمها بخيتة، والأخرى زاد المال، ولم أسمع هذه الأسماء في بلد سواها"[٤]، ولا غرو في هذه المسميات الجميلة، فقد كانت هذه الإماء يستعملن في الكثير من الأحيان للتسري أو الاستيلاد، فوجد في المجتمع العُماني أسماء أخرى قريبة منها "كرجع الفؤاد" و"مؤنسة"[٥].

٤– التشابه في اللهجات وطريقة النطق:

كذلك وجدنا بعض الشبه في كلام أهل عُمان وأهل المغرب، ويكمن هذا التماثل في أسلوب إضافتهم لكلمة "لاه" بعد انتهاء الكلام، أو هاء السكت كما جاء عند السالمي، وذلك من باب التنبيه والحث على الفعل[٦]، كقولهم: "تأكل لاه، تمشي

١) السير: م. س، ج٢، ص١٤٤.
٢) الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٥٠.
٣) البغطوري: سير نفوسة، مخ. س، و١٠٣.
٤) رحلة ابن بطوطة، م. س، ص٢٣٥.
٥) النزوي: المصنف، م. س، ج٢٧ (٢) صص٣٦–٣٧، ج٣٠، ص٢٨، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٣٢، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص١٦٨.
٦) تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٣٦٢.

لاه، تفعل كذا لاه"[١]، "وهي نفس الصيغة المستعملة في الدارجة المغربية التي يتوخى منها الشخص تنبيه المستمع إليه والتأكيد عليه"[٢]، "فيقولون تفعل كذا وإلا لا؟"[٣].

٥- تشابه في طرق التزيين والفنون:

ومن العادات التي لفتت انتباه الرحالة ابن بطوطة، ووجد فيها شبها كبيرا بموطنه المغرب زخرفة المباني بالقاشاني الذي شبهه بالزليج عند المغاربة، فقد شاهد في مدينة قلهات العُمانية مسجداً قد زينت حيطانه به، وقد أتقنت صنعته، فنعته بأنه من أحسن المساجد[٤]، وصناعة الزليج ما زالت إلى وقتنا الحاضر، تعد من أهم وأدق الصناعات التقليدية ببلاد المغرب، ويحمل ممتهنها اسم الزلايجي[٥].

كما استنبط الدكتور بوتشيش بعض الجوانب الأخرى التي وجد فيها أوجه شبه في العادات والتقاليد العُمانية والمغربية من بينها الصيد بالصقور الذي عرفته بعض مدن عُمان في الأزمنة الماضية، وممارسة سكان منطقة دكالة الواقعة في غرب المغرب لهذه العادة أيضا، كذلك معاينته لبعض الرقصات العُمانية الشعبية العريقة والشبيهة بنظائرها في بلاد المغرب والتي تسمى برقصة الكدرة[٦].

وفي ختام هذا الفصل نستنتج عدداً من النتائج، يأتي في مقدمتها إثبات التأثير والتأثر الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب عبر عصور التاريخ الإسلامي الوسيط.

أما النتائج الأخرى فتتمثل في دور الجانب المذهبي في التأثير على الحياة الاجتماعية، فلم يقتصر التشابه على الآراء والمعتقدات الفكرية فحسب، بل تعداه ليلامس العادات

---

١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م. س، ص٢٣٤.
٢) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٣٦.
٣) عبد الهادي التازي: الصلات التاريخية...، م. س، ص٢١٧.
٤) رحلة ابن بطوطة، م. س، ص٢٤٣.
٥) عبد الهادي التازي: الصلات التاريخية...، م. س، ص٢١٧، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٣٥.
٦) التواصل الحضاري...، م. س، صص١٣٧-١٣٨.

والتقاليد التي يزاولها الناس في حياتهم اليومية.

وفي نفس السياق لمسنا التشابه الكبير في نظرة المجتمعين العُماني والمغربي إلى طبقات المجتمع المختلفة بدءا من الإمام الذي يأتي في قمة الهرم الاجتماعي، مروراً بالشراة والخدم والعبيد ثم المرأة، ثم القاعدة العريضة للهرم التي تمثل عامة الناس. واستنتجنا كذلك بأن وجود العلماء في الدولة الإباضة وإعطاءهم حقهم من الاحترام والإجلال، وإنزالهم منازلهم وتسليمهم زمام الأمور في الدولة، ينتج عنه قيام دولة متماسكة وملتفة حول إمامها، ناعمة بالأمن والرخاء والسؤدد، وإن إهمال هذه الطبقة وجعلها في ذيل طبقات المجتمع، وإبعادها عن السلطة يعني ذلك تفكك وفساد للمجتمع، وتدهور للدول.

أما في جانب العادات والتقاليد وأوجه الشبه فيما بينها، فإننا نكرر ما قلناه في الفصل السابق من الدور الريادي الذي قام به الرحالة ابن بطوطة، وأنه بكتابه (تحفة النظار) قد بزَّ جميع أقرانه وأنداده من الجغرافيين المسلمين، الذين اقتصروا على التدوين مما يسمعوه من الناس، أو مما قرأوه من الكتب، دون أن يكلفوا أنفسهم في الكثير من الأحيان مشقة السفر إلى تلك المدن التي يكتبوا عنها ومخالطة سكانها، كما أنه غطى كل جوانب النقص التي يعاني منها الباحث عند بحثه في الحياة العامة، التي لا يكترث بها المؤرخون ولا يولونها أي اهتمام. كما يمكن أن نستنتج أيضا، أن العادات والتقاليد المتشابهة بين عُمان وبلاد المغرب ما هي إلا نتاج للتواصل المستمر بين المنطقتين، والذي مرّ عليه مئات السنين، وأن هذه العادات والتقاليد المتجذرة في المجتمعين قد مرت عليها أجيال وزادت فيها وطورتها، وهو الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى اختلافها من جيل إلى جيل إلى أن وصلت إلى وقتنا الحاضر، بمعنى آخر، أن هناك عادات أكثر مما ذكرناها آنفا إلا أن ندرة المصادر وتطور المجتمع، أدى إلى انطماسها أو تغير معالمها.

الباب الثالث

مظاهر العلاقات الاجتماعية
بين عُمان وبلاد المغرب

الفصل الثالث

نتائج التواصل الثقافي والاجتماعي
بين عُمان وبلاد المغرب

نتائج التواصل الثقافي والاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب

من البديهي أن يتمخض عن التواصل العُماني المغربي الفكري والثقافي والاجتماعي نتائج واضحة، بعضها كان مباشراً ملموسا في آنه، وبعضها الآخر أتى أكله بعد حين، ومن هذا المنطلق، فإننا سنعرض في هذا الفصل تلك النتائج التي ترتبت عن هذا التواصل الذي استمر عبر العصور الإسلامية الوسيطة ولم ينقطع، وإنما كانت تأتيه فترات ضعف قد يكون سببها انعدام الأمن في الطريق أو انشغال كل طرف بهمومه، أو بسبب سكوت المصادر عن ذلك التواصل، ولعل الأخير هو الأكثر تأثيرا على ذلك، حيث أن ندرة المصادر التي تعطي الصورة الواضحة الجلية لهذه العلاقة الوطيدة بين القطرين، هي السبب الرئيسي الذي يكمن وراء فقدان بعض حلقات ذلك التواصل.

وسنركز في هذا الفصل على النتائج الخاصة لذلك التواصل، تاركين الجوانب العامة لنعرضها في خاتمة البحث، وسنقسم الفصل إلى ثلاثة عناصر أولا: نتائج التواصل الفكري والمعنوي، وسنقوم باستنباط هذه النتائج من الباب الأول من هذه الدراسة، وخاصة في الفصل الأول منه، والذي تحدثنا فيه عن الفكر التواصلي في المذهب الإباضي، ثانيا: نتائج التواصل الثقافي، وسنستنبطها من الباب الثاني الذي تعرضنا فيه لشتى جوانب التواصل الثقافي بين البلدين، ثالثا: نتائج التواصل الاجتماعي، وسنخرج هذه النتائج من المعلومات التي أوردناها في الفصل الأول والثاني من هذا الباب.

١- نتائج التواصل الفكري بين عُمان وبلاد المغرب نتيجة المذهب الواحد:

سنتعرض في هذا العنصر إلى النتائج الفكرية التي أظهرت توحّد العقول العُمانية والمغربية في بوتقة واحدة، والتي أدت إلى إذابة جميع الفوارق بين المجتمعين، ولا يخفى على القارئ للصفحات الماضية أن الذي جمع هذه العقول، ووحّد فكرها، هو المذهب الإباضي، بعد دين الله الحنيف، لهذا سننطلق من هذه الفكرة لنبين نتائج وحدة طرق التفكير لدى العُمانيين والمغاربة.

ولنبدأ من فكر الحوار الذي تبناه الفكر الإباضي مع المخالف له، ولا غرو في تبني الإباضية لهذا الفكر، ذلك لكونهم عبر تاريخهم يشكلون الفئة الأقل وسط بيئة تعج بالمخالفين لهم، فدفعهم هذا الوضع إلى محاولة إقناع الآخر بالفكر الذي يدينون به، وهذا النهج أدى إلى تفجّر الأفكار عند معتنقيه، وعزز فيهم وجوب إمعان العقل في النصوص القرآنية، وما جاءت به السنة النبوية؛ محاولة منهم لاستنباط الأدلة المقنعة للطرف الآخر، وهذا النهج فتح للعقل أفقاً أرحب للتفكير، وإيجاد الرد المناسب، لكل دليل يحاول الطرف الآخر المخالف أن يُفحم به أتباع المذهب الإباضي، ولكنه في الوقت نفسه أدى إلى الاختلاف في وجهات النظر في صفوف المسلمين في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وبعض نصوص الحديث الشريف، ويتضح هذا الأمر من النقاش الذي دار بين أهل النهروان وأتباع الإمام علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه[١].

كما نتج عن تبني الإباضية لفكر الحوار كذلك، مقدرتهم على الاندماج في مختلف المجتمعات الإسلامية ذات المذاهب والأفكار المختلفة، واستيعاب كل المخالفين لهم، والعيش معهم في وئام وسلام، وتمثل ذلك في المجتمع الإباضي في البصرة، والوجود السني في الدول الرستمية في بلاد المغرب، والدول الإباضية في عُمان، فقدمت هذه الدول أنموذجا حيا لإمكانية التعايش السلمي بين المذهب الإباضي والمذاهب الأخرى في المجتمع الواحد[٢].

وفي نهاية المطاف فإن هذا الفكر الحواري الذي سار على نهجه الإباضية، أفرز لهم رصيداً كبيراً من الأدلة المقنعة للمخالفين، كما تمكنوا بواسطته من إيجاد كل الردود المناسبة للمخالف لهم، بعد أن استوعبوا معظم الأدلة التي قد تصدر من الطرف الآخر، وقد نتج عن هذا الأمر ظهور عدد من المؤلفات الإباضية تتطرق لنقاط الخلاف

---

١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، م. س، ج١، صص١١٥–١١٧، الطبري: تاريخ الطبري، م. س، ج٣، صص١١٦–١١٨، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٤٩، ناصر السابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، م. س، ص٨٧. ولمزيد من التوضيح الرجوع إلى الفصل الأول من الباب الأول، صص ١٩– ٢١.

٢) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...، م. س، ص٦٧، محمد المنذري: تاريخ صحار ... ، م. س، ص٢٥٢ وما بعدها. ارجع إلى الفصل الأول من الباب الأول.

مع المذاهب الأخرى، والرد عليها بأسلوب حواري هادئ مدّعم بالأدلة من القرآن والسنة[١].

ومن النتائج الفكرية أيضا، هي مقدرة الإباضية على نشر الإسلام في أواسط البربر، حيث اتضح ذلك منذ الوهلة الأولى لظهور الإباضية في الساحة المغربية، فما إن وطأت قدم أول داعية للمذهب – سلمة بن سعد الحضرمي– بلاد المغرب حتى قصد معاقل قبائل البربر، فجاب الصحراء وتوغل فيها داعيا إلى الإسلام ومعلما[٢]، ولم يكن معه أحد، سوى لسانه الذي يحاور به، وقلبه المخلص لهذا الأمر المقدس، وبهذا يمكننا القول أنه كان ناشراً للإسلام بفكر إباضي.

ولعل من أبرز النتائج وأهمها في هذا التواصل الفكري الواسع النطاق بين المنطقتين، هو خلق توازن في الفكر الإباضي المغربي في نظرتهم نحو العرب، كون جل الإباضية في المغرب ينتمون إلى الجنس البربري، فلا يخفى على كل مطلع على التاريخ الإسلامي في مراحله الأولى، ما كان يحمله البربر من كره للعرب في بلاد المغرب؛ نظرا لما قام به بعض الولاة من الإساءة إلى البربر وإظهار الإسلام بغير مظهره الصحيح[٣]، فهذا التواصل المغربي مع عُمان وازن بين الكفتين، ومنع البربر من إطلاق فكر التعميم على كل العرب.

وقد صرحت المصادر التاريخية الإباضية المغربية بهذه النظرة السيئة للعرب، في عدد من النصوص التي أظهرت الكره الذي يضمره بعض البربر الإباضية للعرب في بلاد المغرب؛ نظرا لما يقومون به من مخالفات، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر، النص الحواري الذي أورده الشماخي بين إباضية المغرب وهم في بلاد الحجاز، وقد

---

١) انظر على سبيل المثال: مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج١، صص ٢٣–٨٧، ٣٧١–٣٧٨، ج٢، صص ١٢٤–٢٢٢، ٢٦٩–٣١٩،

٢) ابو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٤١، الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١١، ١٢، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية ...، م. س، ص٣٥، فرحات الجعبيري: علاقة عُمان بشمال أفريقيا، م. س، ص١٤.

٣) انظر بعض نماذج سوء المعاملة في الفصل الثالث من الباب الأول.

عاينوا ما يقوم به العرب من تعامل سيء للحجاج، شبيه بما يقومون به في بلاد المغرب، فقد سئل أحد الحجاج الإباضية المغاربة العلامة أبو عمار عبد الكافي (ت: قبل عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م) عن" أموال العرب يتنزهون عنها في بلاد المغرب ويشترونها بمكة، وقد عايناهم يفعلون بالحجاز من غصب أموال الناس ما يفعلونه ببلاد المغرب بل أقبح وأذم، قال أبو عمار: هذه جزيرتهم والأصل ما بأيديهم لهم، والمغرب بلاد البربر وما دخلوها إلا على وجه الغصب والغارة"[١]، فيظهر من هذا النص نظرة إباضية المغرب إلى العرب، وإن دخولهم لها، لم يكن على شكل فتوحات إسلامية، لنشر دين الله بين سكانها، كما هو الحال بالنسبة للبلدان الأخرى التي فتحها المسلمون في بلاد المشرق، وإنما كانت سيطرة واستعباداً واستبداداً للشعب الأصلي للمغرب (البربر).

فتلك هي نظرة البربر نحو العرب بصورة عامة، إلا أننا عندما ننتقل إلى نظرتهم نحو إخوانهم أهل عُمان– وهم من العرب حتما– نجد الخطاب يختلف تماما، فتجد التمجيد والفخر بهم، كما تجدهم يطلقون عليهم اسم "أصحابنا" للدلالة على عمق الترابط والحب والإخاء الذي يجمع بينهم، ونذكر على سبيل المثال هذين النصين اللذين وردا في طبقات المشائخ: "وبلغنى عن ناس من أصحابنا الذين بالشرق"[٢]، "وبلغنا أن رجلاً من أصحابنا من أهل المشرق"[٣]، ويمكن تعميم هذا الأمر على كل المصادر الإباضية المغربية وكذلك العُمانية، فلا تجد لفظ المغاربة أو العُمانيين إلا ومقرونا بكلمة" أصحابنا" أو في بعض الأحيان "إخواننا"[٤].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، من الحب الكبير بين العُمانيين والمغاربة، فقد تعداه إلى مفاخرة كل طرف بعلماء الطرف الآخر، وجعل كل طرف من هؤلاء العلماء

---

١) الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٠٤.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٥.

٣) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٩٣.

٤) مثال على ورود كلمة أصحابنا في كتب العُمانيين انظر: الكندي: بيان الشرع، م. س، ج٥، ص٤٢، ج٨، ص١٩٩،٧٣،٤١،٢٩،١١،٧،٥،ج١٠، ص١١٨،٩٩،٩٣،٨٧،٧٧،٦٧، وورد كلمة إخواننا. انظر: السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، م. س، ج٢، ص٢٣، ٢٦١.

في سلسلة وصول الدين إليهم[١]، من لدن الصحابة حتى القرون الأخيرة للعصور الإسلامية، وبتوحّد هذا الفكر ظهر في الوجود مفهوم علماء الإباضية، وانضوى تحت هذا الاسم علماء المشرق وعلماء المغرب.

ومن النتائج الفكرية لهذا التواصل كذلك، التأثير على طبائع البربر، وتغير توجههم وتفكيرهم القبلي، وقد تجلى هذا التغير في أمرين، الأول: أصبح تعصب البربر للمذهب بدلا عن التعصب للقبيلة، وتمكنوا عن طريق الفكر الإباضي من الاندماج والاتحاد تحت قيادة واحدة، فأصبحت قبائل البربر: مزاته، وهوراة، ولواته، ونفوسة، وغيرها، يداً واحدة على من عاداهم، يجمعهم ويؤلف بين قلوبهم فكر واحد. ثانيا: وافق البربر طواعية ومن ذوات أنفسهم أن يحكمهم رجل ليس منهم، ولا يمت إلى البربر بأي صلة، حيث وضح ذلك جليا في تولي بعض الزعماء العرب الإباضية، الإمامة في بلاد المغرب، مثل: الحارث بن تليد الحضرمي (ت: بين: ١٣١ و ١٤٠هـ/ ٧٤٨و ٧٥٧م) وهو عربي من بلاد اليمن[٢]، وأبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري (١٤٠هـ/٧٥٧م – ١٤٤هـ/٧٦١م) وهو كذلك عربي من بلاد اليمن، بل تجلى هذا الأمر في أبهى صوره وأعظم مواقفه، عندما وافق البربر على أن يحكمهم رجل ليس من البربر ولا من العرب، وتمثّل ذلك في الأئمة الرستميين من لدن عبدالرحمن بن رستم (١٦٠هـ/٧٧٦م – ١٧١هـ/٧٨٧م)، وحتى الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح الرستمي (٢٨٦هـ/٨٩٩م – ٢٩٤هـ/٩٠٦م)، والذين يعود نسبهم إلى العجم (الفرس) [٣].

ونتج عن التواصل الفكري بين عُمان وبلاد المغرب ما يمكن أن نطلق عليه الروح المعنوية الواحدة، فقد انغرس في نفوس المغاربة كما هو الحال عند العُمانيين أنهم ليسوا

---

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٨٣.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٤، البرادي: الجواهر المنتقاة، مخ. س، و١٧٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١١٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب، م. س، ص٥٥، سيدة كاشف: إباضية عُمان ...، م. س، ص٥٨١.

٣) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٢٩، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص ١٩–٢٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٤.

وحدهم في الميدان، فعندما يتعرض أهل المغرب لضغوطات ومعاناة من قبل الدولة الأموية أو العباسية أو من يواليهما، فإنهم ينظرون إلى ما يعانيه إخوانهم في عُمان كذلك، فيخف عنهم ما يجدونه في أنفسهم من تضجر وهمّ. وكذا هو الحال بالنسبة للعُمانيين، فعندما يتعرض المغاربة لغزو من قبل الدولة الأموية أو العباسية، ينظرون إلى ما يعانيه إخوانهم من ألم وشدة، وهم أقلية في وسط بيئة تعج بالمخالفين لهم، فيخف ذلك في نفوسهم، ويزرع في قلوبهم الثقة والصمود في وجه خصومهم.

وفي الوقت نفسه أوجد هذا التواصل الفكري حساً مرهفاً، وعلاقة روحية وعاطفية وطيدة بين العُمانيين والمغاربة، فأصبح كل طرف دائم السؤال عن الطرف الآخر، ومتتبعا لكل أحواله، ومستعدا للتضحية في سبيل بقاء الفكر الإباضي وأتباعه على أحسن حال، وفي أرغد عيش، فبرزت صور التعاون والإيثار والتضحية بين الطرفين، ويمكن أن نستشف ذلك الحس المرهف من الدعم المادي الذي قدّمه أهل عُمان القاطنين في البصرة لإخوانهم المغاربة في بداية قيام الدولة الرستمية، على الرغم من الوضع المادي السيئ الذي كانوا عليه. وفي المقابل ظهر الإيثار أيضا في شخصية الإمام عبدالرحمن بن رستم الذي رفض المدد الثاني الذي بُعث به من البصرة أيضا، بعد أن قويت شوكة الدولة فرأى أن يرجع الوفد بجميع الأموال، وأن توزع على فقراء الإباضية في البصرة فهم أولى بها، فلم تؤثّر فيه شهوة المال، ولم يطمع في أخذه والاستمتاع به، بل تعالى بنفسه وكبح جماحها، وآثر به إخوانه الفقراء الذين هم أحوج إلى هذا المال منه[١].

وفي نفس السياق، فإن هذه المواقف النبيلة التي رسمها علماء الإباضية وأئمتهم والتي ذاع صيتها في القطرين، كانت حافزا على تشبث أتباعه بأهداب المذهب وأفكاره، كما أنها كانت عاملاً محفزاً للنفوس ومعززاً لها، وقد كانت صور البطولات التي أظهرها رجالات المذهب عبر عصورهم التاريخية ماثلة للعيان، حيث وظفها العلماء لإعطاء العامة نماذج يُحتذى بها، من ذلك رد العلامة المغربي أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي (ت بعد: ٢١١ هـ/ ٨٢٦م) على من رغب في التخاذل عن إظهار الحق خشية

١) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٢، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٥، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٢٥.

إراقة الدماء، حين سئل: "أيهما أعظم هراقة الدماء أم الترك للقيام بدين الله تعالى؟ فقال له الرجل: هراقة الدماء أعظم، قال له عبد الحميد : لو كان الأمر كما ذكرت، ما افترق أصحاب النهروان وغيرهم، وأصحاب النُخيلة، وأبو بلال وأصحابه، وعبدالله بن يحيى، وأبو حمزة وأصحابهما، وأبو الخطاب ومن معه، وأبو حاتم ومن تبعه، ولأذعنوا للطاعة دون هراقة الدماء، إنما قاتلوا وقتلوا في القيام بدين الله، ولم ينكلوا خوفا من إراقة الدماء بل قد بذلوا مهجتهم، مجاهدين على آثارهم خير مقتدين، لا نبغى عنهم بدلا ولا عنهم حولا، فمن حاول منا غير ذلك فالله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين"(١)، فيظهر من هذا النص أن العلامة المغربي حاجهم بشخصيات مشرقية؛ لتكون نموذجا يُحتذى بها ونهجا يُسار عليه.

ومن نتائج التواصل الفكري أيضا إعطاء صور وأساليب مختلفة لكيفية تطبيق فكر مسالك الدين، فمرحلة الكتمان طُبقت بطريقتين؛ إحداها في المشرق والأخرى في المغرب، وكل واحدة تختلف عن الأخرى تبعا للظروف التي تحيط بها، والبيئة التي تعيش فيها، فقد طبقها الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في تكوين مجتمع مصغّر(٢) متقوقع على نفسه، محافظ على أفكاره، وسط مجتمع يموج بالأفكار المخالفة، فأوجد نظاماً ملائما لتلك الظروف، ونجح في هذا الأمر نجاحا منقطع النظير، وتمكن بحنكته من إبعاد أنظار السلطة الحاكمة عن أتباعه، وهذا النموذج سار عليه إباضية المغرب، وتمكنوا من إيجاد نظام مكين شبيه في الفكرة بنظام أبي عبيدة مسلم، مختلفاً عنه في الأسلوب والطريقة، وهو ما يطلق عليه نظام العزّابة(٣)، إذ حافظ إباضية بلاد المغرب على أنفسهم من الذوبان في المذاهب الأخرى، وتمكنوا عن طريقه من إنشاء مجتمع متماسك محافظ على مبادئه وآرائه الفكرية، على الرغم من كثرة المخالفين حولهم. كما أدى ذلك إلى استمرار بقائهم حتى يومنا هذا، كذلك يمكن أن نسقط

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٧٤.

٢) نايف السهيل: الإباضية في الخليج العربي...، م. س، ص١٢٠، مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم ...، م. س، صص١٧٢-١٧٣.

٣) أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، م. س، ص٢٦٥وما بعده، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١٦٧ وما بعدها، محمد ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، م. س، ص٢٧٢.

هذه الفكرة على مسالك الدين الأخرى كالظهور والشراء والدفاع.

ونختم النتائج الفكرية بقولنا أن هذا التواصل نتج عنه مدرسة فكرية مثلثة الشكل، رأسه العلوي في البصرة، وطرف قاعدته الأول في عُمان، وطرف القاعدة الثاني في بلاد المغرب.

٢- نتائج التواصل الثقافي بين عُمان وبلاد المغرب:

نعني به كل النتائج التي يمكن استنباطها من التواصل الثقافي بين عُمان وبلاد المغرب، عبر طرقه المختلفة التي تعرضنا لها في الباب الثاني من هذه الدراسة، وسنقسّم هذا العنصر إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول نوضح فيه نتائج التواصل الثقافي التي نتجت عن التواصل عبر الرحلات العلمية، والثاني نتائج التواصل الثقافي عبر الرسائل، والأخير أهم نتائج التواصل الثقافي التي برزت لنا من خلال تبادل الكتب بين المنطقتين.

وقبل الولوج إلى تلك الأقسام الثلاثة نرى أن نسطر نتيجة عامة لهذا التواصل، وهي من النتائج التي يمكن أن تدوّن في كل قسم من تلك الأقسام، وهي عملية التعريب التي عمّت جميع قبائل البربر، فقد شمّر البربر عن ساعد الجد ليتعلموا اللغة العربية، والدافع الكبير لهم أولا وأخير وقبل كل شي هو كونها لغة دينهم الجديد – الدين الإسلامي–، فأقبل البربر عليها بكل همة ونشاط، وساعدهم في ذلك وشجّعهم عليها تواصلهم الكبير مع إخوانهم المشارقة بصورة عامة، والعُمانيين بصورة خاصة، وهذا في حد ذاته من أهم نتائج هذا التواصل.

ومما هو معلوم أن اللغة هي السبيل الأول للتواصل، والوسيلة الأساسية لفهم كل طرف للآخر، والوعاء الناقل لفكر كل فرد وهمومه للآخر، لذا حرص البربر على تعلم اللغة العربية ليتمكنوا من التواصل مع إخوانهم العُمانيين سواء عبر الزيارات والرحلات العلمية، وليتسنى لهم الحديث معهم بأريحية تامة، وتوصيل فكرتهم بصورة مفهومة، أو عبر الرسائل التي كانت لغة كتابتها العربية، أو عبر الاطلاع على كتب إخوانهم المشارقة المكتوبة حتما باللغة العربية، ونخلص من هذه الفكره أن العُمانيين كانوا بمثابة المعزز والمحفز، وأحد الأسباب القوية الدافعة لتعلّم البربر اللغة العربية، واتخاذها اللغة

الرسمية في دولتهم الرستمية، وذلك ليسهل عليهم التواصل مع شتى شرائح المجتمع المشرقي، والاطلاع على كل مؤلفاته الدينية وغيرها.

أ- نتائج التواصل الثقافي عبر الرحلات العلمية:

إن التواصل الثقافي عبر الرحلات العلمية المتبادلة بين عُمان وبلاد المغرب، انبثق عنه العديد من النتائج، من أبرزها ما ذكرناه سابقا من انتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب بسبب الدعاة. بالإضافة إلى ما سبق، فإن هناك نتيجة أخرى تعتبر امتداداً لهذه النتيجة، وهي تبصير معتنقي المذهب من أهل المغرب بمكان تمركز علماء المذهب، وهو ما يفسر لنا خروج عبد الرحمن بن رستم ومن سار معه من طلبة العلم إلى البصرة الذين أطلق عليهم (حملة العلم)[1]، فكيف لهم أن يعرفوا مكان وجود الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأن يشدوا الرحال إلى مدينة البصرة دون غيرها، لولا ارتحال سلمة بن سعد إليهم، وتبصيرهم بمكان وجود مشايخ المذهب، ثم أنّى لأبي عبيدة أن يثق فيهم كونهم قدموا فعلا للتعلم، وأنهم ليسوا عيوناً للسلطة العباسية الحاكمة لكشف أسرار المذهب، التي كانت تتربص به الدوائر، وتتبع تحركاتهم بكل دقة، لولا التواصل المستمر بين دعاة المذهب في المغرب ومركز الدعوة في البصرة، ونخلص من هذه الفكرة أن التواصل عبر الرحلات العلمية نتج عنه رسم خريطة لتحركات العلماء الإباضية، وتحديد أماكن انتشار المذهب، كما تمخض عنه ما يسمى في التاريخ الإباضي بـ (حملة العلم إلى بلاد المغرب).

وفي السياق نفسه نتج أيضا عن التواصل عبر رحلة سلمة بن سعد العلمية إلى بلاد المغرب، إعطاء سكان بلاد المغرب صورة حقيقية وملموسة عما ينبغي أن يكون عليه الداعية إلى المذهب، فقد تمكّن سلمة بن سعد أن يرسم في أذهان المغاربة الأسلوب الناجع في التبليغ، وترك في عقولهم صورة الداعية الذي لا يكل ولا يمل، والمستعد للتضحية بنفسه في سبيل ذلك، فقد كان يتمنى أن ينتشر هذا الفكر الصحيح في بلاد

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص١٩، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١١٣-١١٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٥١، محمد بو حجام: التواصل الثقافي بين عُمان والجزائر، م. س، ص١٢، مسعود مزهودي: جبل نفوسة ...،م. س، ص٣٨٢.

المغرب، ولو يوما واحداً فقط بعدها لا يهمه إن قطعت عنقه[١].

وفي المنحى نفسه، نتج عن هذا التواصل ظهور علماء مغاربة بفكر مشرقي، فقد قام طلاب حملة العلم بتدريس ما تلقوه من أستاذهم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى إخوانهم من أهل المغرب[٢]، فنتج عن ذلك أجساد مغربية بعقول مشرقية تتوق إلى التواصل مع مشاي المذهب في المشرق، وتتحين الفرصة للارتحال في طلب العلم والاستزادة منه من منبعه الأم، كما أن هذه النتيجة أدت إلى تعزيز العلاقة بين بلاد المغرب والبصرة، ورفعت من مكانة مدينة البصرة في قلوب أهل المغرب؛ كونها كانت تشكل المعقل الأهم لقادة المذهب[٣].

وتجلت نتيجة مهمة من تلك الرحلة العلمية –حملة العلم إلى المغرب– وهي إعداد شخصيات قيادية قادرة على إقامة دول وإدارتها، فلم تكن تلك الرحلة العلمية من أجل تعلم العلوم الدينية فقط، بل من أجل إعداد قادة وأئمة للمذهب، فهي بمثابة مدرسة دينية عسكرية، ومن تلك النماذج القيادية، أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي تمكن من إنشاء دولة في طرابلس (١٤٠هـ/٧٥٧م– ١٤٤هـ/٧٦١م)، ومن بعده عبد الرحمن بن رستم الذي تمكن هو الآخر من تأسيس دولة إباضية استمرت فترات طويلة كما بينا ذلك آنفا.

ولنبقى مع شخصية عبد الرحمن بن رستم، لنستنبط من شخصيته نتيجة مهمة، سببها التواصل عبر الرحلات، والجلوس بين أيدي مشرقية، والتتلمذ على يديها، فقد حدثتنا المصادر التاريخية عن شخصيته الزاهدة المبتعدة عن الدنيا غير راغبة فيها، ضاربة بكل صور التمدن والتطور عرض الحائط، فصورت لنا حياة الإمام المتقشف،

---

١) نأخذ هذا الأمر من مقولة سلمة بن سعد: "وددت أن لو ظهر هذا الأمر– يعنى مذهب الإباضية– يوما واحدا من أول النهار إلى آخره، فلا آسف على الحياة بعدها". انظر: الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، صص ١١–١٢، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص٩١.

٢) إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري ...، م. س، ص١٦، مسعود مزهودي: جبل نفوسة...، م. س، ص٣٨٢، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان ...، م. س، ص١٤٩.

٣) وتمثل ذلك في كثرة الرحلات العلمية من بلاد المغرب نحو المشرق، للمزيد من ذلك الرجوع إلى الفصل الأول من الباب الثاني.

النازل في بيت بسيط، وسط قصور أتباعه وسكان مدينته تاهرت[١]، فهذا يظهر لنا مدى تأثره بفكر أئمة أهل البصرة بوجه عام وبأئمة عُمان على وجه الخصوص، ورغبته في السير على خطاهم. فقد عهد عن أئمة المذهب في البصرة وعُمان السير على تلك الطريقة في الحياة، وهو الأمر الذي زرع في قلوب الأتباع الحب والولاء لأئمتهم، حيث اتخذوهم قدوة وأسوة لهم في الشؤون الدينية والدنيوية.

أما النتائج التي ترتبت عن الرحلات العلمية الدينية إلى الديار المقدسة، فهي كثيرة نذكر من بينها، تمكّن إباضية عُمان وبلاد المغرب من تأدية المناسك على الوجه الذي يرضي الله عز وجل، وعلى نهج الرسول –صلى الله عليه وسلم– بسبب وجود علماء عُمان وعلماء بلاد المغرب في الموسم، وخروجهم إلى المشاعر معا، فيجد الحاج سهولة في الوصول إلى الإجابة لأي إشكال قد يعترضه أثناء تأديته مناسك العمرة أو الحج، ونستشف ذلك من وصف أحد المغاربة لحجة حجها في إحدى سنوات عمره (إحدى سنوات النصف الثاني من القرن :٦هـ/١٢م) بقوله: "فحججنا حجة لم يحججها مغربي قبلنا ولا بعدنا"[٢]؛ وذلك نظرا لكثرة وجود العلماء معه من القطرين العُماني والمغربي.

ومن نتائج هذه الرحلات أيضا، تمكن الإباضية المشارقة منهم والمغاربة من معرفة بعضهم البعض عن قرب، والتقاء علماء القطرين في صعيد واحد، فبعد أن تصل الأنباء عن ظهور عالم هنا أو هناك فإن النفوس تتوق للقائه، لتستفيد منه العامة، ولينـاقش معه العلماء مختلف المسائل المعقدة، من ذلك لقاء العلامة العُماني محمد بن محبوب بالعلامة المغربي عمروس بن فتح، فقد بينا أنه لم يكن بينهم لقاء مسبق لكن كل واحد سمع عن الآخر[٣]. كما أن هذا الأمر فتح الباب لطلبة العلم الإباضية العُمانيين والمغاربة،

---

١) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ص٣٤.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٩٨.

٣) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٢٤، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص ١٩٣–١٩٤، سليمان الباروني: الأزهار الرياضية...، م. س، ص٣١٣، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص١١٢، بو حجام : التواصل الثقافي...، م. س، ص١١٣، بخيت الشنفري: الإباضية في عُمان...، م. س، ص١٨٥، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣، رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...، م. س، ص١٦٣.

لتبصيرهم بالعلماء الذين ظهروا، وأماكن سكناهم في مسقط رأسهم، ليشدوا إليهم الرحال، ولينهلوا من معين علمهم.

أتاحت هذه الرحلات للعلماء النقاش وتبادل الآراء في مسائل فقهية كبيرة ومعقدة، "ينبغي أن لا تطرح أمام العامة؛ لأنها فوق مستواهم وإدراكهم، وخشية أن يفهموها على خلاف ما هي عليه، حقيقة وواقعا، فيعملوا بما تمليه عليه أفهامهم"[١]، وقد صرّح ابن محبوب بذلك عند مناقشته للعلامة المغربي عمروس بن فتح، بقوله: "هذا من مكنون العلم لا يعلن به في قوم جهال"[٢].

وشجع التواصل عبر مواسم الحج، سكان القطرين العُماني والمغربي من المكوث جوار بيت الله الحرام بمكة المكرمة، ومسجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة المنورة، فنتج عنه قوم لقبوا بالمجاورين؛ لاتخاذهم مكة والمدينة مسكنا لهم[٣]، وأصبح كل حاج يغتنم فرصة البقاء بجوار الأماكن المقدسة؛ لوجود أُناس من مذهبه، سيكونون معه ويلبون احتياجاته المادية والعلمية.

كذلك أنتجت لنا الرحلات علماء وحفظة لكتاب الله عز وجل، ونعني بهم الطلاب المغاربة من جبل نفوسة الذين تتلمذوا على أيدي التجار القادمين من المشرق، ومن أبرز هؤلاء الطلاب، العالم عمر بن يكتمن، الذي حفظ كتاب الله عن طريق تلقين هؤلاء التجار له في أثناء مرورهم بالقرب من الجبل[٤].

ونتيجة أخرى نختم بها هذا العنصر، هو أن الرحلات ساعدت على سد ثغرات النقص الموجودة في المصادر التاريخية العُمانية، كما هو الحال في رحلة ابن بطوطة التي اعتبرت مصدرا مهماً من المصادر التي اعتمد عليها الباحثون لسبر أغوار دولة عُمانية

---

١) أحمد السيابي: التواصل العلمي العُماني المغاربي" البداية والاستمرار"، م، س، ص١٠.

٢) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٣٢٤، الشماخي: السير، م. س، ج١، صص١٩٣–١٩٤.

٣) ابن سلام: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية، م. س، ص١٣٨، ١٣٠.

٤) ابن سلام: الإسلام وتاريخيه....، م. س، ص١٤٩، الشماخي: السير م. س، ج١، ص١٢٧.

– الدولة النبهانية – استمرت لفترة خمسة قرون (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م– ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٤م)[١]، وليس لها مصدر عُماني يغطي كل أحداثها، كما أن كتابه (تحفة النظار) أصبح مصدراً ذا أهمية كبيرة، كون ابن بطوطة سطّر لنا ما عاينه في عُمان إبان نزوله بها، فوصف لنا تفاصيل حياة العامة، وحالهم مع حكامهم، وحالهم فيما بينهم، وهو الأمر الذي تخلو منه الكثير من المصادر التاريخية، التي ينصب جل اهتمامها – كما هو معلوم– بالطبقة الحاكمة ومن على شاكلتهم.

ب–نتائج التواصل الثقافي عبر تبادل الرسائل:

سنتعرض في هذا العنصر إلى النتائج التي ترتبت عن التواصل بين أهل عُمان وبلاد المغرب عبر الرسائل والفتاوى، ومدى تأثيرها في المكان الذي خرجت منه حين عودتها إليه من الطرف الآخر.

وأول ما يصادفنا في هذا الصدد، رسائل مؤسس الإباضية – جابر بن زيد – إلى أتباعه في بلاد المغرب[٢]، فقد كونت هذه الرسائل قاعدة عريضة من الأتباع الذين برز دورهم في حياة خلفه الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وتمثل ذلك في القدرات العددية، والعتادية الكبيرة التي اكتسبها الإباضية بالمغرب، والتي سمحت لهم بمناجزة الدولة العباسية، وعدم الاكتراث بقوتها وسطوتها، فاستقلوا عنها وأعلنوا إمامة الظهور بزعامة الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري.

ومن أهم النتائج وأبرزها، هي المحافظة على تماسك الإباضية، ووحدتهم في بلاد المغرب وعُمان، فأتت أكلها في بلاد المغرب. وتمكنت هذه الرسائل من المحافظة على الكيانات السياسية التي أقامها الإباضية هناك. ومن بين تلك الرسائل التي لعبت هذا الدور، الرسالة التي بعث بها الإمام أبوعبيدة مسلم بن أبي كريمة في مشكلة الحارث بن

---

١) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٣٥٧ وما بعدها. ولمزيد من المعلومات عن هذه الدولة الرجوع إلى: عبد الله الحارثي: عُمان في عهد بني نبهان ٥٤٩ – ١٠٣٤هـ / ١١٥٤ – ١٦٢٤م، الأحوال السياسية والأوضاع الاقتصادية، م. س.

٢) رسائل الإمام جابر بن زيد، مخطوط بالمكتبة الإسلامية، وزارة التراث والثقافة، روي، سلطنة عُمان، الرقم العام (٩١٩٨) والرقم الخاص (٢١٦ ج ر).

تليد وقاضيه عبدالجبار[١]، وكذلك الرسائل المتتالية التي بعث بها أهل عُمان إلى أهل المغرب إبان قيام الدولة الرستمية، والتي كانت عبارة عن حلول لمشكلات – أغلبها سياسية– كادت أن تودي بهذه الدولة الوليدة[٢].

وفي السياق نفسه، حاول أهل المغرب التدخل في الفتنة التي عصفت بالإمامة الإباضية في عُمان، إبان عهد الإمام الصلت بن مالك، واختلاف العلماء في جواز عزل الإمام أو عدمه حين يبلغ من الكبر عتيا، وشكل هذا الخلاف، منعطفا تاريخيا صعباً ومتشعبا، فلما رأى المغاربة إخوانهم بهذه الصورة عالجوا لهم من النصح أنقاه، ومن الإرشاد أفضله، ومن الأدلة أدمغها، كل ذلك من أجل إيقاف نزيف الدم الذي سال في أرجاء عُمان من جراء هذه الفتنة[٣]، فكانت تلك الرسالة محاولة من المغاربة لرأب الصدع، ولمّ الشمل بعد أن أحزنهم ما حصل مع إخوانهم، فكانت محاولة منهم للمِّ شتات الفئتين المتنازعتين، وإرجاع الوحدة التي كانت تنعم فيها عُمان قبل هذه الفتنة.

ومن النتائج الأخرى لهذه الرسائل، هو الإفادة من مادتها العلمية، بعد مرور فترة زمنية طويلة عليها، وتطبيقها في حيز الواقع لحل مشكلات مماثلة لها، حدثت في المشرق أو المغرب، وذلك من خلال الأخذ بتلك الآراء التي وردت فيها، فقد استدل علماء عُمان بنص من رسالة العلامة محمد بن محبوب إلى أهل المغرب، في تبرير ما قام به الإمام عزان بن تميم (٢٧٧هـ/٨٩٠م– ٢٨٠هـ/٨٩٣م) من حربه لسكان مدينة

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٢٤، البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و١٧٠، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١١٤، فرحات الجعبيري: العلاقة بين إباضية المغرب...، م. س، ص٥٥، سيدة كاشف: إباضية عُمان...، م. س، ص٥٨١.

٢) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني من الدراسة.

٣) مجموعة مؤلفين: السير والجوابات...، م. س، ج١، ص٢١٢.

إزكي[١]، وقتل الكثير من الناس، وإن غُرْم ذلك كله يكون من بيت مال المسلمين[٢]، على الرغم أن المدة الزمنية التي كانت بين هذه الرسالة والرسالة السابقة كبيرة جدا.

كما أن هذه الرسائل أصبحت من المصادر التاريخية والفقهية التي لا غنى لأي باحث عنها، فهي تصور لنا الأحداث التاريخية التي وقعت في فترات إرسالها، والشخصيات التي كانت معنية بهذا الأمر، من الجانب العُماني والجانب المغربي. كذلك دوّن فيها العلماء خلاصة ما وصلت إليه عقولهم، من فتاوى فقهية في تلك الأحداث المستجدة، فتمكنَّا بواسطتها من معرفة مدى التفكير الذي ساد في تلك العصور، ومدى المكانة العلمية التي بلغها أولئك العلماء. كما أنها في الوقت نفسه ساعدت على استمطار العلماء لأفكارهم في سبيل إيجاد حلول ملائمة لتلك الأحداث، فبهذا أوضحت أن الفقه الإسلامي به من المرونة ما تجعله قادرا على ملاءمة كل المستجدات إذا ما أعمل العقل في النصوص القرآنية وأحاديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، لاستخراج الأحكام الشرعية لكل المستجدات التي تستجد في كل زمان ومكان.

ومن النتائج البارزة والآثار الجلية لهذه الرسائل المتبادلة، هو خروج ذلك المصدر التاريخي – طبقات المشائخ بالمغرب– إلى حيز الوجود، فقد تم تأليفه بطلب من أهل عُمان إلى إخوانهم أهل المغرب[٣]، فأصبح المغرب مديناً لعُمان بالمقترح، وعُمان مدينة للمغرب بالتنفيذ، وسهّل هذا المصدر التاريخي لأهل عُمان ولأهل المغرب، معرفة ما كان عليه سلفها وعلماؤها المغاربة، كما أصبح لا غنى عنه لدى أي باحث في تاريخ إباضية بلاد المغرب.

وكانت هذه الرسائل مصدرا خصبا للعلماء، فكم من النصوص التي اقتبسوها من

---

١) إزكي بكسر الهمزة وفتحها وكسر الكاف قبلها، أي مجمعة وآخرها ياء، وتقع في قلب محافظة الداخلية، ويبلغ عدد قراها "٢٦" قرية وهي مدينة تاريخية لمع نجمها في الجاهلية وبرز اسمها في الإسلام، وكانت تسمى قديما بجرنان، تبعد مدينة إزكي عن العاصمة مسقط قرابة ١٠٠كم. انظر: سعيد المعمري: سلطنة عُمان ....، م. س، ص٢٠٠.

٢) السالمي: تحفة الأعيان...، م. س، ج١، ص٢٤٦.

٣) البرادي: الجواهر المنتقاة....، مخ. س، و١١.

هذه الرسائل وأوردوها في كتبهم الفقهية، مستدلين بها لتدعيم أقوالهم، ففتحت لهم الأبواب للتوسع في الطرح، والأخذ بتلك الأقوال ومحاولة مجاراتها وتوضيح غموضها، وتحقيق ما أشكل فيها، وتدعيمها بالأدلة في أحيان أخرى.

ويمكن إضافة نتيجة مهمة من هذه الرسائل، حيث كانت بمثابة وسيلة إعلامية للأحداث الجارية في عُمان أو بلاد المغرب، إذ كانت معظم الرسائل تبدأ بإعطاء المتلقي نبذة عن الوضع السائد في منطقة الإرسال، وعن أحوال المذهب وأتباعه، وهو نفسه ما يقوم به المجيب على الرسالة، فيطّلع عن طريقها كل قطر على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في القطر الآخر.

ج- نتائج التواصل الثقافي عبر الكتب والآراء المتبادلة :

نعني بذلك النتائج والآثار التي أحدثتها هجرة الكتب والآراء من عُمان إلى بلاد المغرب والعكس، عبر عصور التاريخ الإسلامي الوسيط.

وأول تلك النتائج هو تكوين مدرسة عُمانية مغربية في عدد من المجالات العلمية، التاريخية، والفقهية، والأدبية؛ نظرا لما تناقله العلماء من بعضهم بعضا أثناء تآليفهم المختلفة. ومن الأمثلة على ذلك: كتاب كشف الغمة للعلامة سرحان بن سعيد العُماني الذي حوى جزءاً كبيراً تحدث فيه عن تاريخ بلاد المغرب، وهذا الجزء هو عبارة عن معلومات نقل بعضها حرفيا وبعضها الآخر بالتصرف، من كتاب طبقات المشائخ بالمغرب للعلامة المغربي أحمد بن سعيد الدرجيني[1]. وفي المقابل قام الدرجيني نفسه بنقل الكثير من الروايات من سير أبي سفيان محبوب بن الرحيل[2]، والفكرة نفسها يمكن أن نعممها على كتب الفقه العُمانية والمغربية فقد كان الفقهاء يوردون جميع الآراء المشرقية والمغربية في كتبهم، وترجيح ما يرونه الأصح في نظرهم، فهذه الطريقة أوجدت لنا

١) رجب عبد الحليم: الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم ...،، م. س، ص١٧٤.

٢) على سبيل المثال انظر: ج١، ص٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، وغيرها كثير.

كتباً ضخمة في الفقة كبيان الشرع الذي يتكون من (٧٢) جزءا[١]، والمصنف من (٤١) جزءا[٢]، وقاموس الشريعة الذي يتكون من أكثر من(٩٠) جزءا[٣]، وهذا الأمر أدى إلى إثراء الفقه الإباضي بمادة علمية كبيرة فاقت كل المجالات الأخرى.

وإن من النتائج التي ما زلنا نجني ثمارها حتى وقتنا الحاضر، هي المحافظة على بعض المصادر من الضياع والاندثار، فقد كانت عملية تبادل الكتب بين العُمانيين والمغاربة يعني وجود نسختين –على الأقل– من الكتاب الواحد إحداها في المشرق والأخرى في المغرب، فإذا ما تلفت نسخة تبقى الأخرى في مأمن من الضياع، وتنطبق هذه النتيجة على كتاب مدونة العلامة أبي غانم الخراساني (ت: ق: ٣هـ/٩م) الذي تمكن العلامة المغربي عمروس بن فتح (ت:٢٨٣هـ / ٨٩٦م) من نسخها[٤]، وبقيت نسخته هي المتداولة الآن بعد أن فقدت النسخ الأخرى في المشرق.

ونتج كذلك عن هجرة الكتب المشرقية بوجه عام والعُمانية بوجه خاص إلى تكوين مكتبات مشرقية ضخمة في بلاد المغرب، ضمت العديد من تلك الكتب حيث ضمت مكتبة جبل نفوسة وحدها ثلاثة وثلاثين ألف كتاب مشرقي[٥]، ناهيك عن الكتب التي ضمتها مكتبة المعصومة في العاصمة الرستمية تاهرت.

كذلك نتج عن تبادل الكتب تعريف الناشئة في بلاد المغرب بعلماء المشرق، وزرع حبهم في قلوب الطلاب المغاربة عن طريق حثهم على دارسة كتب علماء المشرق،

---

١) لمؤلفه: العلامة محمد بن إبراهيم الكندي: (ت: ق:٦هـ/ ١٢م) م. س. وتمت طباعة الكتاب كاملا من قبل وزارة التراث والثقافة العُمانية، سنة: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢) ألفه الشيخ أبو بكر أحمد بن عبدالله الكندي (ت: ٥٥٧هـ/١١٦٢م) م. س، وقامت وزارة التراث والثقافة بسلطنة عُمان بطباعة هذا الكتاب، وقام بتحقيقه مجموعة من المحققين منهم: الشيخ سالم بن حمد الحارثي، وعبد المنعم عامر، والدكتور جاد الله أحمد، د.ت.

٣) من تأليف الشيخ جميل بن سعيد السعدي (ت: ق: ١٣هـ/ ١٩م) وتمت طباعة أكثر من واحد وعشرين جزءا منه، بإشراف وزارة التراث والثقافة العُمانية، سنة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٤) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٩٦، الشماخي: السير، م. س، ج١، ص١٩٤.

٥) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٤٥، الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص٩٠، السالمي: اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، م. س، ص٢٢، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٩.

وقد كان الإمام أفلح بن عبد الرحمن يحث طلاب العلم على مطالعة كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل العُماني[١].

كما أن التواصل وتبادل الكتب كان لها مردود اقتصادي أيضا، فقد أوجد هذا التبادل فرص عمل للنساخ، ففي الكثير من الأحيان تأتي من المشرق أو من المغرب نسخة أو نسخ محدودة من الكتاب الواحد، فيقوم نساخ المغرب أو نساخ المشرق بنسخ تلك الكتب، لتتمكن شريحة كبيرة من المجتمع من الاطلاع عليها، وبذلك نتج عنه امتهان عدد كبير من الناس لمهنة النسخ لتغطية هذا الجانب.

وفي السياق نفسه فإن تبادل الكتب كان في بعض الأحيان عبارة عن صفقات تجارية صرفة، يستفيد منها التجار لأجل الحصول على الربح المادي، وظهر ذلك جليا في الطلب الذي قدمه البرادي إلى حجاج عُمان لجلب نسخة من كتاب كشف الغمة، ولما أحضره العُماني إلى موسم الحج في العام القادم، ولم يجد من يدفع له من المغاربة ثمنه أرجعه معه[٢]، وهذا يوضح أن الكتب أصبحت كذلك من السلع المتبادلة بين المنطقتين، وأن التجار العُمانيين اغتنموا هذه الفرصة، ورأوا أنها من السلع المرغوبة بشدة من قبل سكان بلاد المغرب.

وفي خاتمة هذا العنصر يمكننا القول أن من نتائج وصول الكتب العُمانية إلى بلاد المغرب ظهور الكثير من العلماء المغاربة، بعد أن قرأوا تلك الكتب وتبحروا في العلوم، فأصبحوا بذلك قادرين على الإفتاء والاجتهاد في المسائل الفقهية دون الرجوع إلى إخوانهم المشارقة.

٣- نتائج التواصل الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب:

ظهرت العديد من النتائج الاجتماعية نتيجة التواصل بين البلدين عُمان وبلاد المغرب، ويمكن القول في هذا الجانب أن العلاقة الثقافية هي التي وطّدت وشائج التعاون

---

١) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج٢، ص٤٧٨.

٢) البرادي: الجواهر المنتقاة...، مخ. س، و٢١٩، سلطان الشيباني: قبسات من أنوار البدر الزاهر، م. س، صص٣٢٤-٣٢٥.

الاجتماعي الأخوي بين القطرين، وهذا الأمر في حد ذاته النتيجة الأولى والكبرى لذلك التواصل.

وسنقوم في هذا العنصر بعرض نتائج التواصل الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب، وسنقسم هذا العنصر إلى قسمين: القسم الأول سنتحدث فيه عن نتائج التواصل الاجتماعي عبر الرحلات ذات الطابع الاجتماعي، والقسم الثاني: سنوضح فيه نتائج التواصل الاجتماعي بسبب المذهب المشترك الذي تعتنقه المنطقتان.

أ- نتائج التواصل الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب عبر الرحلات ذات الطابع الاجتماعي:

في البداية يمكننا القول أن التواصل سواء عبر الرحلات ذات الطابع الاجتماعي من بلاد المغرب إلى عُمان أو العكس، أو الرحلات الحجية إلى الديار المقدسة والتقاء المشارقة مع المغاربة في العرصات المقدسة، هي التي أنتجت لنا عادات وتقاليد متشابهة، فمن المعلوم أن الإعجاب بأي عادة في مجتمع آخر جديرة بالانتقال إلى مجتمعات أخرى عن طريق الأفراد المعجبين بها.

ولنتجه إلى سبر أغوار تلك النتائج الاجتماعية التي نتجت عبر الرحلات ذات الطابع الاجتماعي، ونبدأ الحديث عن رحلة المهالبة، فمن أبرز نتائج هذه الرحلة أو هذه الهجرة العُمانية، هو بروز مدينة القيروان على الساحتين السياسية والعلمية، وأصبحت تنافس مدن المشرق في ذلك، كالبصرة والكوفة وبغداد، نتيجة الأمن والاستقرار والرخاء الذي ساد هذه المدينة إبّان حكم ولاة المهالبة لها، واهتمامهم بالجوانب العلمية والحضارية فيها.

كذلك من نتائج الهجرة المهلبية المحافظة على بعض المعالم الدينية والتاريخية في بلاد المغرب، وتجلى ذلك في ترميم المهالبة لجامع القيروان وتوسيعه[1]، فكان هذا العمل

---

١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، م. س، ج٢، ص٢٧٠، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، م. س، صص١٢٣-١٢٤، ١٢٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، م. س، ج٥، ص١٩٧، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، م. س، ص٧٢، عبد الغني زهرة: تاريخ الفتح الإسلامي ... م. س، ص١٠٥.

أحد الأسباب التي جعلت هذا الجامع شامخا إلى عصرنا الحاضر .

ونظرا لحسن تعامل المهالبة مع سكان بلاد المغرب ، فقد نتج عنه تغير نظرة البربر نحو بعض ولاة بني العباس الظالمين قبل مقدمهم ، وتمكنوا من تحسين صورة الخلافة ببغداد في أذهان البربر ولو لفترة وجيزة (١٥١هـ/٧٦٨م-١٧٨هـ/٧٩٤م) من عمر الخلافة العباسية التي استمرت أكثر من خمسة قرون (١٣٢هـ/ ٧٤٩م- ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ، كذلك يمكن القول أن للمهالبة دوراً على مستوى المجتمع الإسلامي الكبير ، فقد استطاعوا تأخير انقسام مجتمع بلاد المغرب إلى دويلات .

أما الرحلات ذات الطابع الديني الاجتماعي ، والمقصود بها الرحلة إلى حج بيت الله الحرام ، فقد نتج عنها عدد من الأمور ، من بين ذلك ما سجلته لنا المصادر التاريخية من صور التضحية والإخاء والمحبة التي أبداها أعضاء القافلة الحجية بعضهم لبعض ليتمكنوا من مواصلة الطريق ، وبلوغ هدفهم ومرامهم الذي سافروا من أجله[١] .

كذلك نتج عن التواصل بين عُمان وبلاد المغرب عبر مواسم الحج ذوبان العِرقية والطبقية ، وإحساس كل فرد بأنه لا فرق بينه وبين الآخر إلا بالتقوى ، فبرزت بذلك صور التعاون والتسامح في مشعر منى ، وبالذات في خيام ابن محبوب ، إذ كان العُمانيون والمغاربة يقدمون هديهم وكفارات حجهم إلى إخوانهم الفقراء المغاربة والعُمانيين على حدٍ سواء[٢] .

ونتج عن هذا التواصل الموسع بين عُمان وبلاد المغرب تواصل على مستوى المنطقة الواحدة ، فقد كان حجاج المغرب – من أتباع المذهب الإباضي- يتفقون على المكان الذي سيلتقون فيه في العام القادم للذهاب إلى الديار المقدسة ، وفي أغلب الأحيان كانوا يجتمعون في مدينة تدعى (تمصرون) [٣] .

---

١) لمعرفة نماذج تلك التضحية انظر الفصل الأول من الباب الثالث.

٢) علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان ، ...، م. س، ص٥٢.

٣) البغطوري: سير نفوسة، مخ. س، و٥. بينما ذكر محمد بو حجام أنها مدينة أماسن. انظر: التواصل الثقافي...، م. س، ص٣٣.

وأنتج لنا هذا التواصل عبر موسم الحج حلولاً للعديد من المشكلات الاجتماعية التي تقع في مناطق الوجود الإباضي، فقد أقام إباضية المشرق بصورة عامة، والعُمانيون بصورة خاصة محكمة قضائية لحل تلك المشكلات الاجتماعية التي يتقدم بها حجاج بلاد المغرب أو غيرهم من إباضية العالم الإسلامي[١].

يضاف إلى ذلك معرفة إباضية عُمان بالمدن الكبرى في بلاد المغرب، التي يقطنها إخوانهم المغاربة، فقد أصبحت مدينة تاهرت معروفة لدى معظم العُمانيين، ولا نبالغ إذا قلنا أن صغار الطلبة يعرفونها ويعرفون ماذا تعني بالنسبة لمذهبهم في بلاد المغرب، ثم بعد ذلك اشتهرت لديهم المدن الأخرى التي بقي فيها الوجود الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية (٢٩٦هـ/٩٠٨م) فاشتهر لديهم جبل نفوسة، ووادي ميزاب، وجزيرة جربة، ووارجلان وغيرها. وفي المقابل أيضا اشتهرت مدن عُمان لدى المغاربة فأصبح الواحد منهم يعرف ما تعنيه مدينة صحار، أو مدينة نزوى، ومعظم ذلك يعود إلى التعارف بين إباضية المشرق والمغرب في موسم الحج، أو طرق التواصل الأخرى.

وما زلنا نستخرج من رحلة ابن بطوطة النتائج الواحدة تلو الأخرى، فمن النتائج التي يمكن أن نسطرها في هذا الموضع، أن رحلته فتحت أذهان الباحثين إلى وجود تشابه كبير بين عُمان وبلاد المغرب في الشؤون الاجتماعية والحياة اليومية، فطفق الكثير منهم إلى وضع بحوث حول هذه العلاقة ومضامينها من خلال ما كتبه ابن بطوطة عن عُمان[٢]، فكان بذلك سببا في تدعيم العلاقة بين القطرين في الأزمنة المنصرمة وفي وقتنا الحاضر.

وأوضحت لنا هذه الرحلة أيضا، العلاقات الاجتماعية والتشابه في بعض الأكلات

---

١) أبو زكريا: سير الآئمة وأخبارهم ... ، م. س، ط٢، ص٩٠، الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، م. س، ج١، ص٤٩، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص٢٣.

٢) فقد قام الدكتور إبراهيم بوتشيش بتحليل هذه الرحلة وأوجد الكثير من النصوص المتعلقة بهذه العلاقة بين عُمان وبلاد المغرب بصورة عامة وعُمان والمغرب الأقصى بصورة خاصة، ودوّن ذلك في كتابه التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، وأخذ هذا الموضوع أكثر من خمسين صفحة (٨٣-١٣٩). انظر: التواصل الحضاري...، م. س، صص٨٣-١٣٩، كذلك كتب الدكتور عبد الهادي التازي بحثا في هذا الموضوع وألقاه في سلطنة عُمان عندما قام بزيارة مباركة لها. انظر: عبد الهادي التازي: الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان، م. س، صص٢٠٩-٢٢٣.

الشعبية، ومدى تأثير المناخ على الحياة البشرية[١]، فطول السواحل العُمانية الذي يقابله طول للسواحل المغربية أيضا، وإطلال عُمان على بحر عُمان والمحيط الهندي، والمغرب على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، كان له دور في تشابه الحياة اليومية بما فيها الطعام والاعتماد على البحر كمصدر دخل وفير لجميع طبقات المجتمع.

وفي خاتمة هذا العنصر، نذكر هذه النتيجة التي ما زالت ماثلة أمام أعيننا إلى الوقت الحاضر، وهي وجود التشابه في القبائل العُمانية وبعض البيوت في بلاد المغرب، التي تبقى شاهدة على الرحلات المتواصلة بين القطرين، واستيطان بعض الأفراد أو الجماعات العُمانية في بلاد المغرب والعكس[٢].

ب- أهم النتائج الاجتماعية المترتبة على تشابه المذهب في عُمان وبلاد المغرب:

ذكرنا في بداية الفصل النتائج الفكرية والثقافية المترتبة عن التشارك المذهبي بين عُمان وبلاد المغرب، أما هنا فسنتعرض للنتائج الاجتماعية التي سببها الرئيسي التشابه في المذهب، ولعل من أبرزها، والذي ينبغي تسطيره في مقدمة هذه النتائج هو إيجاد مكان ومأوى لكل راغب في الخروج من وطنه، وباحث عن مكان آخر لأي ظرف كان، فأصبحت عُمان مجتمعاً متشابهاً مع المجتمع المغربي، ويمكن لأي فرد مغربي الاتجاه إليه للإقامة بين سكانه والعيش بينهم كأنه بين أهله وذويه، وكذا هو الحال للعُماني الراغب في الاتجاه نحو بلاد المغرب لاستيطانها.

ومن نتائج التواصل أيضا، إيجاد تشابه كبير في نظرة المجتمع نحو طبقاته، فوجدنا تشابها في نظرة الإمام إلى أتباعه، ونظرة العامة نحو الإمام، ومكانة العلماء في قلوب الأئمة والعامة ودورهم الريادي في المجتمع، ونظرة المجتمع بصورة عامة نحو المرأة، والتشابه في أسلوب التعامل مع العبيد والرقيق والخدم[٣].

---

١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م. س، ص٢٤١، عبد الهادي التازي: الصلات التاريخية...، م. س، ص٢١٥، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري..، م. س، ص١٣٥.

٢) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، م. س، ص٥٦، عبد الهادي التازي: الصلات التاريخية...، م. س، ص٢٢٢، إبراهيم بوتشيش: التواصل الحضاري...، م. س، ص١٣٨.

٣) انظر الفصل الثاني من هذا الباب.

يضاف إلى ذلك التشابه في المؤسسات المجتمعية، من ذلك الدور الذي قام به الشراة في عُمان، ويماثله دور الشراة أيضا في الدولة الرستمية، وبعد ذلك أعضاء العزابة في وادي ميزاب وغيره من مدن الإباضية بعد سقوط دولتهم[١].

وكذلك التشابه في طقوس مبايعة الإمام، والإجراءات المتبعة في المجتمعين العُماني والمغربي، ثم بيت الإمامة وما يحويه من أدوات تثبت مدى بُعد الإمام عن بهرجة هذه الدنيا والزهد فيها[٢].

ومن النتائج التي لمسناها في المجتمعين العُماني والمغربي هو دور العلماء الكبير في سير الحياة الدينية والدنيوية، وإن ابتعاد هذه الفئة عن الحياة العامة أو تهميشها كان يعني التعجيل بسقوط المجتمع وانهياره، فيمكن القول أن المجتمع الإباضي قائم على هذه الطبقة بصورة أساسية[٣].

ونتج عن التواصل أيضا إعطاء المرأة حقها في المجتمع منذ صغرها وحتى وفاتها، واهتمام الفقهاء والعلماء بتدوين حقوقها وواجباتها في كتبهم الموسوعية، وبالتالي فقد أدى تبادل الكتب بين القطرين إلى التشابه والتماثل في أسلوب التعامل مع المرأة[٤]. ومن نتائج التواصل الاجتماعي أيضا، ظهور النساء العالمات في المجتمع العُماني والمجتمع المغربي، وهذا بسبب الاهتمام الكبير في تدريسهن، واهتمامهن شخصيا بطلب العلم، وحضور مجالس العلم والذكر، ووجودهن وسط بيئة مشجعة للمرأة ومعززة لها، لنيل نصيبها من العلم[٥].

ومن نتائج هذا التواصل أيضا، التأثير على نوع الملابس وطريقة ارتدائها، والحرص

---

١) انظر: الفصل الثاني من هذا الباب.

٢) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، م. س، ،صص٣٣-٣٤.

٣) انظر دور العلماء في المجتمع العُماني والمغربي في الفصل الثاني من هذا الباب.

٤) العوتبي: الضياء، م. س، ج١، ص٢٧٠، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ١٦٢، النزوي: المصنف، م. س، ج٢٣، ص٥٠، علي حسن: التاريخ الحضاري لعُمان...، م. س، ص٤٢، سالم الهيملي: نزوى تاريخها ...، م.س، ص٥٠.

٥) انظر نماذج أسماء العالمات العُمانيات والمغربيات في الفصل الثاني من هذا الباب.

على التشابه في ذلك، وقد بينا هذا الأمر فيما يخص لبس العمامة لدى الرجل ولزوم التلحي بها، لا لشيء سوى توحيد أتباع المذهب الإباضي في المغرب والمشرق، لتكون سببا في تعارف بعضهم بعضا في أي مكان[1].

وفي ختام هذا الفصل فإننا نخلص إلى أن نتائج التواصل كثيرة جدا، وما ذكرناه آنفا ما هو إلا نتائج عامة، وغضضنا الطرف عن النتائج الصغيرة خشية التكرار؛ لأننا تعرضنا لبعضها في نهاية كل فصل من فصول هذه الدراسة. ونخلص مما سبق أن الكثير من النتائج التي ترتبت على هذا التواصل كانت عفوية ولم تكن مقصودة، أي أن كل طرف كان يقلد الطرف الآخر، ليس من قبيل التعمد، وإنما من قبيل الحب والإخاء الذي جمع سكان المنطقتين. كما يظهر أيضا، أن معظم النتائج كان سببها المذهب الإباضي، الذي يدين به أفرد المنطقتين، وذلك كونه كما ذكرنا سابقا مذهبا عقديا وفقهيا، وكان مهيمناً على كل جوانب الحياة اليومية التي يعيشها الفرد.

ويتضح أيضا أن المذهب الإباضي تمكن من إيجاد أساليب وطرائق ملائمة لأتباعه، لكل فترة من فترات التاريخ، ولكل ظرف من ظروف الحياة التي يعيشون فيها، وتمثل ذلك في مسالك الدين التي سار عليها أتباع هذا المذهب. وإذا كان المذهب الإباضي هو السبب الأساسي في التواصل بين عُمان وبلاد المغرب، فإننا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننكر الدور الذي قام به المهالبة في هذا الصدد وتأثيرهم على الحياة الاجتماعية في المغرب، وآثارهم التي ما زالت باقية وماثلة للعيان حتى عصرنا الحاضر، ومنه نخلص أن التواصل بُني على قاعدتين الأولى المذهب الإباضي والثانية ولاة المهالبة.

---

١) ابن جعفر: الجامع، م. س، ج٢، صص١٥٠-١٥١، الوسياني: سير الوسياني، م. س، ج٢، صص٢٢٥-٢٢٩، الشماخي: السير، م. س، ج٢، ص١٢٤، محمد المنذري: تاريخ صحار...، م. س، ص١٦٩.

الخاتمـــة

الخـاتمـة:

وفي ختام هذه الدراسة التي بيّنا فيها العلاقة الثقافية والاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب، فإنه من الضروري الإشارة إلى أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها، وهي كالتالي:

١- اتضح لنا دور المذهب الإباضي فكرا وعقيدة وسلوكا، في توحيد الشق المشرقي مع قرينه المغربي، وتبين أن مدينة البصرة- باعتبارها مركزا للدعاة الإباضية- كان لها دور كبير في تلك الوحدة المتماسكة عبر الفترات التاريخية، منذ نشأة المذهب الإباضي وحتى نهاية القرن الثاني الهجري.

٢- اتسم الفكر الإباضي بالمرونة والمقدرة على التعامل مع المستجدات السياسية التي تطفو على الساحة الإسلامية بين الفينة والأخرى، ومقدرة معتنقيه على مواءمته حسب ما تقتضيه المصلحة العامة لتلك الفترة، مع الاحتفاظ بكل المبادئ والأسس التي بُني عليها. كما أن النشأة والبنية القوية التي قام عليها المذهب سمحت له بالتصدي لكل المعوقات التي حاولت وبشتى الصور النيل منه ومن أتباعه.

٣- المنهجية السليمة التي سار عليها المذهب الإباضي، وابتعاده عن الغلو، ونظرته المتميزة المتسامحة مع الآخر المخالف له، جعله باقيا ومستمرا حتى وقتنا الحاضر. على الرغم من فناء عدد كبير من المذاهب التي ظهرت في فترته أو حتى بعده بفترة طويلة، ويتضح هذا الأمر في المذهب الشيعي الذي تبنته الدولة الفاطمية التي سيطرت على جزء كبير من بلاد المغرب لفترة طويلة، إلا أن الوجود الشيعي بالمنطقة في الوقت الحاضر ينعدم بها أو يكاد.

٤- إن المذهب الإباضي يعد من أوائل المذاهب مناداة للعدل والحرية والشورى والبعد عن الظلم، بل إن معظم الدول التي أسسها في العالم الإسلامي أسست دفاعا عن

المظلومين وحربا على الظلم، وهو الأمر الذي شجع الكثير من المسلمين لاعتناقه أو العيش تحت مظلته، والاستمتاع بالعدل الذي أقامه في دوله. ويعد المذهب الإباضي المفتاح الأساسي الذي يمكن من خلاله فهم سر التواصل العُماني المغربي خلال الفترة التاريخية مدار هذا البحث.

٥- نستنتج من إيفاد الإباضية وفداً منهم إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز، دليلا على اهتمامهم بالمصالح العامة للأمة الإسلامية، ورغبتهم في إصلاح المجتمع وإظهار الحق وإبطال الباطل، ولم تكن لهم رغبة دنيوية يجنونها من هذا الوفد، كطلب الزعامة أو السلطة، أو أي منصب في حكومة هذا الخليفة العادل.

٦- تعددت قنوات التواصل بين عُمان وبلاد المغرب، وتنوعت بين المشاركة العُمانية في الفتوحات الإسلامية التي أسهمت فيها القبائل العُمانية بنصيب وافر من فرسانها وطاقاتها، وبين الولاة المهالبة العُمانيين الذين مكثوا يديرون ولاية بلاد المغرب بتفويض من الدولة العباسية، وبين المذهب الإباضي الذي كان همزة الوصل بين أتباعه العُمانيين والمغاربة، وبين الالتقاء في مواسم الحج، وأخيرا التواصل غير المباشر عبر الطرق التجارية، كل هذه العوامل عززت التواصل بين عُمان وبلاد المغرب، ودفعت بالمغاربة للاتجاه نحو المشرق والعكس.

٧- إن الصعوبات والعوائق التي منعت أو قللت التواصل بين عُمان وبلاد المغرب، تعددت وتنوعت بين العوائق الطبيعية التي لا دخل للبشر فيها، إلى العوائق التي يكون الإنسان هو السبب الرئيس فيها. ولا عجب في ظهور تلك الصعوبات والعوائق التي أضعفت التواصل بين عُمان وبلاد المغرب؛ نظرا لطول المسافة وبعد الشقة بينهما، فلا يتجه متجه من بلاد المغرب إلى عُمان أو العكس إلا لأمر يستحق التضحية بالنفس قبل المال، إذ ليس كل من توجه نحو المشرق أو العكس كان ضامناً العودة إلى موطنه، فهو إن سلم من مشاق الطريق الطبيعية لن يسلم مما تحويه تلك الصحاري والغابات من قطاع للطرق، الذين لا يراعون إلا ولا ذمة في مسافر. ولعل من الأمور التي تحز في النفس ويندى لها الجبين ما كان يلاقيه المسافر أو الحاج بصورة خاصة من سوء المعاملة من إخوانه المسلمين، سواء كان

ذلك في الأراضي المصرية أو عندما يتوجه إلى الضفة الأخرى من بلاد الحجاز .

٨- على الرغم من الصعوبات التي يكتنفها الطريق بين عُمان وبلاد المغرب ، إلا أننا وجدنا تواصلا مستمراً بين المنطقتين ، ولم ينقطع مطلقا ، بل يمكن أن نقول أنه كان يضعف في بعض الأحيان ويزداد في أحيان أخرى ، وهذا دليل على وشائج الصلة وقوة الترابط بين القطر العُماني وبلاد المغرب عبر العصور الإسلامية .

٩- إن الرحلات العلمية بين علماء عُمان وعلماء المغرب ظلت مستمرة طيلة فترة العصر الإسلامي الوسيط ، وإن كل عالم من علماء المصرين كان حريصا على تلقي العلم من الآخر متى ما وجد سبيلاً إلى ذلك .

١٠- كانت اللقاءات العلمية بين العُمانين والمغاربة كثيرة جدا ، ولا يوجد مكان معين لها ، فالبصرة ضمت عدة لقاءات علمية بين الطرفين ، كذلك الديار المقدسة التي زخرت بالعديد من هذه اللقاءات ، ولم تكن اللقاءات العلمية تنحصر في هذين المكانين ، بل وجدنا لقاءات علمية متعددة في بلاد المغرب لعلماء عُمانيين ومشارقة ، كما لم تخل عُمان من بعض تلك اللقاءات العلمية .

١١- يتضح لنا اهتماما منقطع النظير من قبل المصادر التاريخية الإباضية المغربية على تدوين هذه اللقاءات العلمية ، وإغفال كبير من المصادر التاريخية العُمانية لها ، ولا غضاضة في ذلك فالتاريخ العُماني نفسه توجد به فجوات تاريخية لم يتمكن الباحثون من سدها إلى وقتنا الحاضر ، ولعل أقرب مثال على ذلك تلك الفترة التاريخية التي بلغت خمسة قرون من عمر الدولة النبهانية العُمانية لا توجد بها إلا نتف بسيطة لا تكاد تغطي قرناً واحداً من تلك الفترة الزمنية الطويلة ، والسبب الأول والأخير في هذا الأمر يعود إلى عدم اهتمام العُمانيين بتدوين تاريخهم ، واشتغالهم بالعلوم الدينية واللغوية التي يرون أنها هي الأهم من تدوين التاريخ ، مما يترك الباب مفتوحاً على مصراعيه للباحث في التخمين الذي يبقى قابلاً للمراجعة والتصويب .

١٢- إن الرسائل المتبادلة كانت سببا في تعميق التواصل بين عُمان وبلاد المغرب ،

وكانت بديلا عندما يتعذر التقاء الأتباع، وإن البداية الأولى في إرسال الرسائل هي لأهل عُمان، إلا أن أهل المغرب حافظوا على استدامتها وبقائها.

١٣- الأثر الكبير الذي أحدثته هذه الرسائل في المنطقتين، واهتمام كل طرف بتتبع أخبار الطرف الآخر، كما يمكن أن نعتبر مدينة البصرة همزة الوصل بين أهل عُمان وأهل المغرب؛ لكثرة من بتلك المدينة من العُمانيين الذي كانت لهم اليد الطولى في هذا التواصل وتعزيزه.

١٤- إن هذه الرسائل تمكنت من التقريب بين المنطقتين على الرغم من بعد الشقة بينهما جغرافيا، فكانت هذه الرسالة عنصراً فاعلا في التقريب بين عُمان وبلاد المغرب، حتى كأنك لتحسبهما متجاورتين من شدة التواصل وعمقه.

١٥- إن هناك حرصاً كبيراً من قبل أهل المغرب على اقتناء كتب إخوانهم العُمانيين، تجلى ذلك من خلال وصول المؤلفات العُمانية بعد تأليفها بفترة زمنية قصيرة مقارنة بذلك البعد الجغرافي بين المنطقتين.

١٦- إن الظروف السياسية التي مرت بها كلتا المنطقتين من غزو وتشتت ودخولهما في صراعات داخلية؛ كانت سببا في خسران العديد من المؤلفات والكتب، التي كان بقاؤها يشكل لنا توضيحاً أكثر لعمق هذه العلاقة بين الطرفين.

١٧- تبين لنا مدى التأثير الكبير للهجرة المهلبية على بلاد المغرب وذلك نظرا لحرصهم الشديد على الاهتمام بالسكان والمدن التي ينزلون بها. كما أن شخصية بعض أولئك الولاة القيادية وحنكتهم السياسية أدت إلى سيادة الاستقرار والأمن في بلاد المغرب، وهو الذي عادة ما يثمر حضارة وتطوراً في المجتمع.

١٨- إن صفة الكرم التي اتصف بها ولاة المهالبة استقطبت العديد من الناس للعيش تحت كنف رعايتهم واهتمامهم وسخائهم الذي لا ينقطع. كما سالت ألسن الشعراء فقصدوهم يمدحونهم ويعيشون في بلاطهم، فخلدوا ذكراهم بالعديد من القصائد الشعرية التي سطرها أولئك الشعراء في حقهم.

١٩- إن المذهب الإباضي كان محفزا للكثير من العُمانيين لزيارة إخوانهم المغاربة أو العكس، ولئن كانت المصادر لم تتعرض لهذه الرحلات ذات الطابع الاجتماعي بصورة خاصة إلا أن معظم الرحلات التي اصطبغت بصبغة علمية هي في حقيقة أمرها رحلة بهدف الاطلاع على أحوال الطرف الآخر.

٢٠- تعد رحلة ابن بطوطة أفضل نموذج لتلك الرحلات الاجتماعية، وذلك نظرا للصورة الحية التي نقلها لنا عن كل أطياف المجتمع العُماني، وإبرازه لدور كل طبقة في الحياة اليومية. كما أوضح لنا الحرف والمهن والعادات والتقاليد والقيم، وأوضح لنا الجانب الديني ودوره في حياة الناس وتأثيره على حياتهم اليومية، كما أعطى لنا صورة سريعة عن الجانب التعليمي، ومن هذا يمكن القول أن ابن بطوطة لم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا وتطرق إليه ولو بشيء يسير من الذكر.

٢١- أن ابن بطوطة بكتابه (تحفة النظّار) قد بزَّ جميع أقرانه وأنداده من الجغرافيين المسلمين الذين اقتصروا على التدوين مما سمعوه من الناس أو مما قرأوه من الكتب، دون أن يكلفوا أنفسهم -في الكثير من الأحيان- مشقة السفر إلى تلك المدن التي كتبوا عنها ومخالطة سكانها، كما أنه غطى كل جوانب النقص التي يعاني منها الباحث عند بحثه في الحياة العامة التي لا يكترث بها المؤرخون ولا يولونها أي اهتمام.

٢٢- كان للمذهب الإباضي دور في التأثير على الحياة الاجتماعية، فلم يقتصر التشابه على الآراء والمعتقدات الفكرية فحسب، بل تعداه ليلامس العادات والتقاليد التي يزاولها الناس في حياتهم اليومية.

٢٣- هناك تشابه كبير في نظرة المجتمع العُماني والمجتمع المغربي إلى طبقات المجتمع المختلفة بدءاً من الإمام الذي يأتي في قمة الهرم الإجتماعي مرورا بالشراة والخدم والعبيد ثم المرأة، ثم القاعدة العريضة للهرم التي تمثل عامة الناس.

٢٤- إن وجود العلماء في الدولة الإباضة وإعطائهم حقهم من الاحترام والإجلال،

وإنزالهم منازلهم وتسليمهم زمام الأمور في الدولة، ينتج عنه قيام دولة متماسكة وملتفة حول إمامها، ناعمة بالأمن والرخاء والسؤدد، وإن إهمال هذه الطبقة وجعلها في ذيل طبقات المجتمع، وإبعادها عن السلطة يعني ذلك تفككاً وفساداً للمجتمع، وتدهوراً للدول.

٢٥- إن العادات والتقاليد المتشابهة بين عُمان وبلاد المغرب ما هي إلا نتاج للتواصل المستمر بين المنطقتين، والذي مر عليه مئات السنين، وإن هذه العادات والتقاليد المتجذرة في المجتمعين قد مرت عليها أجيال وزادت فيها وطورتها، وهو الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى اختلافها من جيل إلى جيل إلى أن وصلت إلى وقتنا الحاضر، بمعنى آخر أن هناك عادات أكثر مما ذكرناها في ثنايا هذه الدراسة، إلا أن ندرة المصادر وتطور المجتمع أدى إلى انطماسها أو تغير معالمها.

٢٦- إن الكثير من النتائج الاجتماعية التي ترتبت على التواصل بين عُمان وبلاد المغرب كانت عفوية ولم تكن مقصودة، أي أن كل طرف كان يقلد الطرف الآخر ليس من قبيل التقليد الأعمى، وإنما من قبيل الحب والإخاء الذي جمع سكان المنطقتين.

٢٧- إن المذهب الإباضي تمكن من إيجاد أساليب وطرق ملائمة لأتباعه لكل فترة من فترات التاريخ، ولكل ظرف من ظروف الحياة التي يعيشون فيها، وتمثل ذلك في مسالك الدين التي سار عليها أتباع هذا المذهب.

والله ولي التوفيق.

الملاحـــق

خريطة سلطنة عمان (من إعداد الباحث بالاستعانة بالآطلس المدرسي لسلطنة عمان ، م . س .)

- بعض المدن العمانية

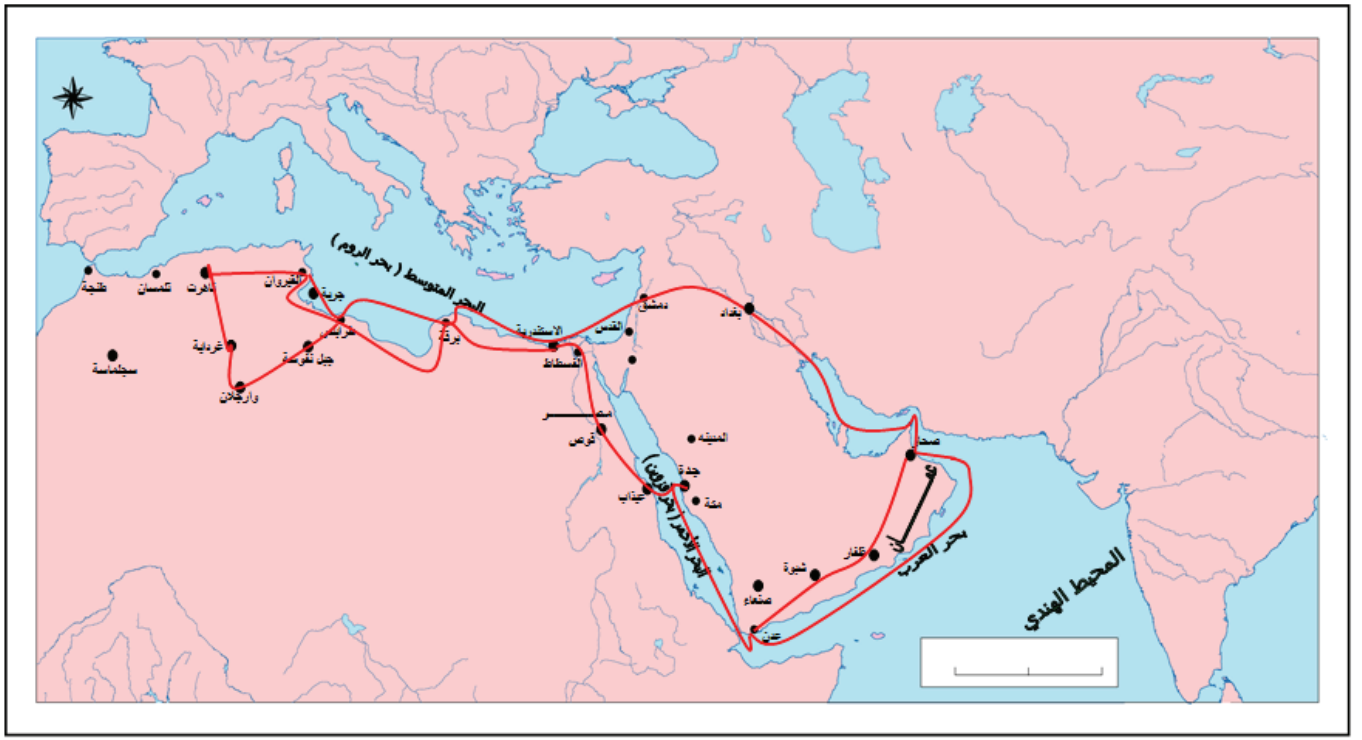

الطرق التجارية بين عمان وبلاد المغرب في العصر الإسلامي الوسيط (من إعداد الباحث بالاستعانة بأطلس التاريخ العربي الإسلامي، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سوريا، سنة:١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط٥. والأطلس المدرسي لسلطنة عمان والعالم، م. س.

خطوط التجارة بين عمان وبلاد المغرب ● المدن

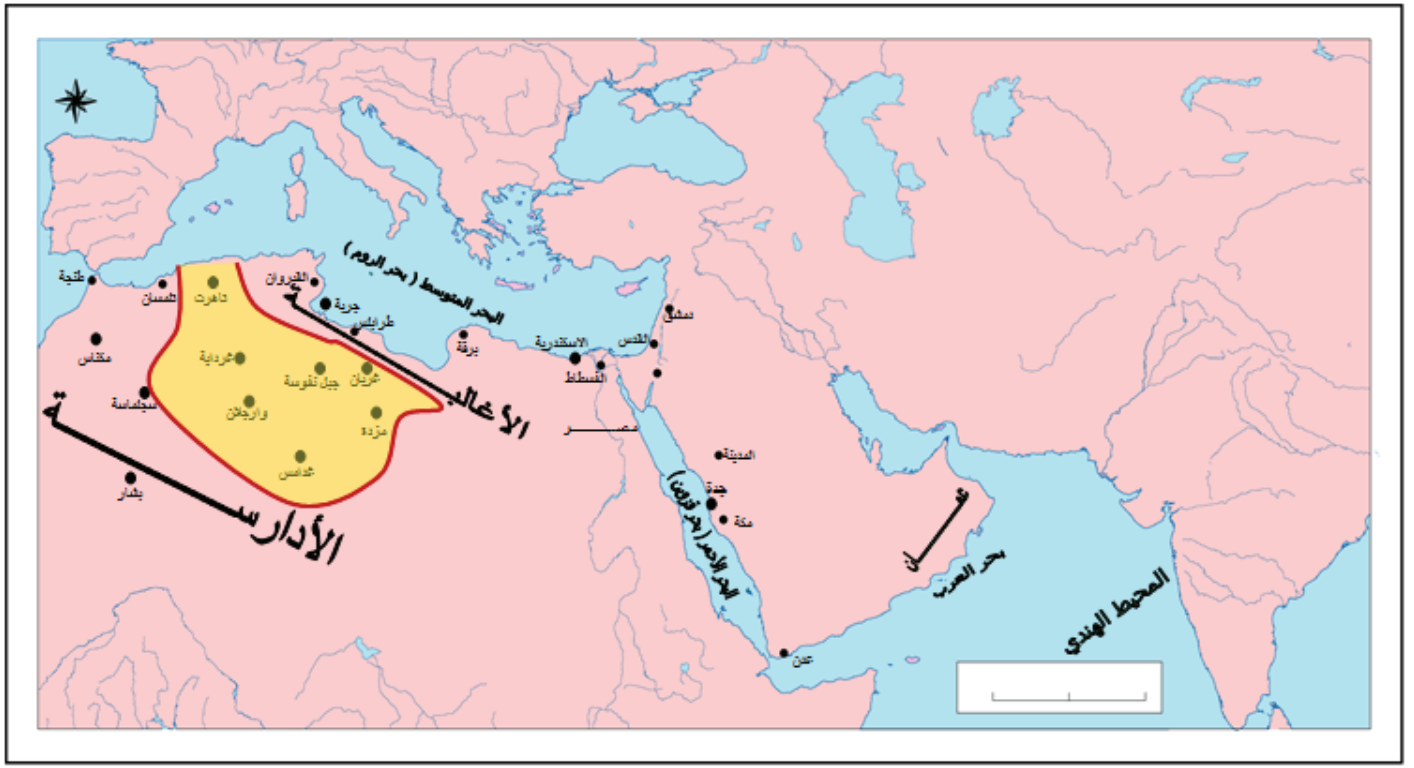

حدود الدولة الرستمية(١٦٠هـ/٧٧٦م- ٢٩٤هـ/٩٠٩م) من اعداد الباحث بالاستعانة بالأطلس المدرسي لسلطنة عمان، م.

حدود الدولة الرستمية ● أهم المدن

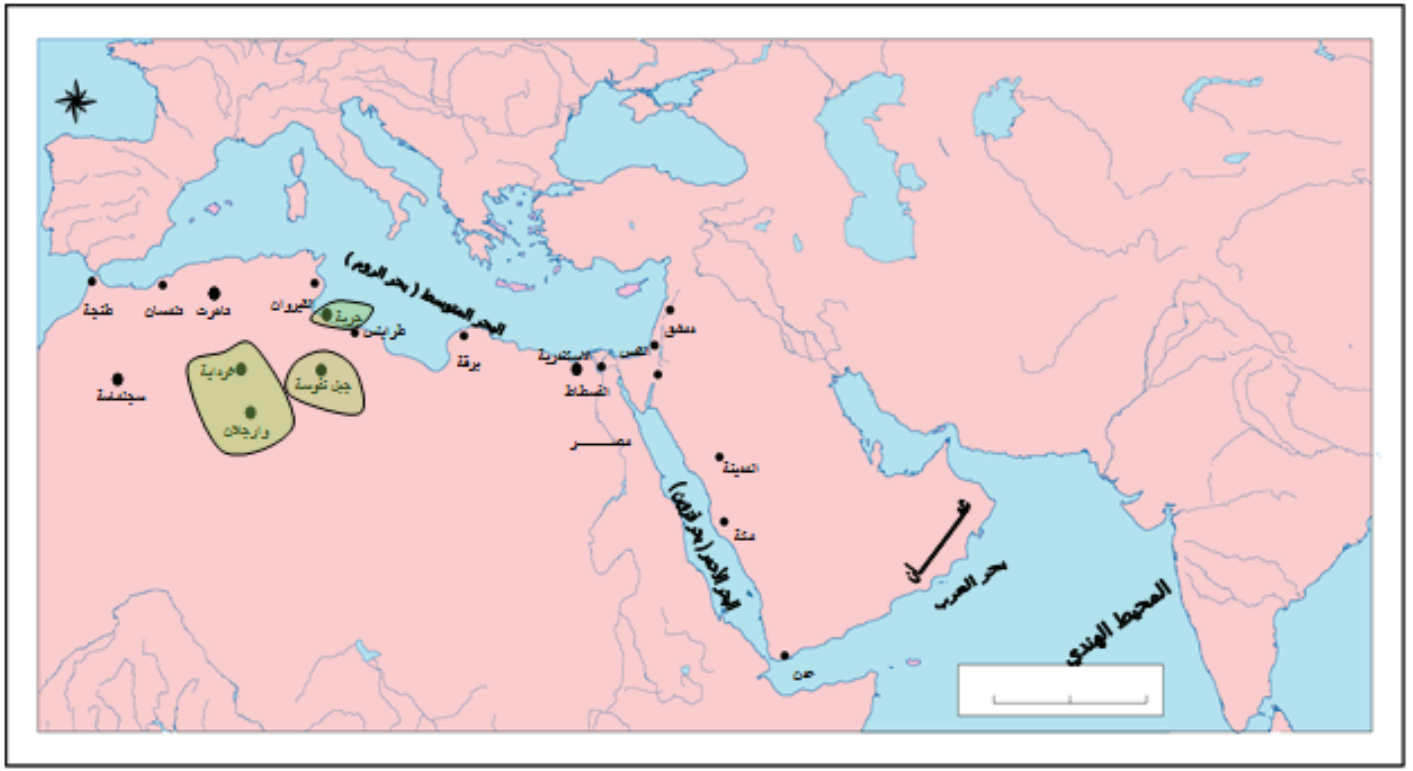

أماكن الوجود الإباضي ببلاد المغرب بعد سقوط الدولة الرستمية عام (٢٩٤هـ/٩٠٩م)من اعداد الباحث بالاستعانة بالأطلس المدرسي لسلطنة عمان، م.س.

مناطق الوجود الإباضي ● بعض المدن

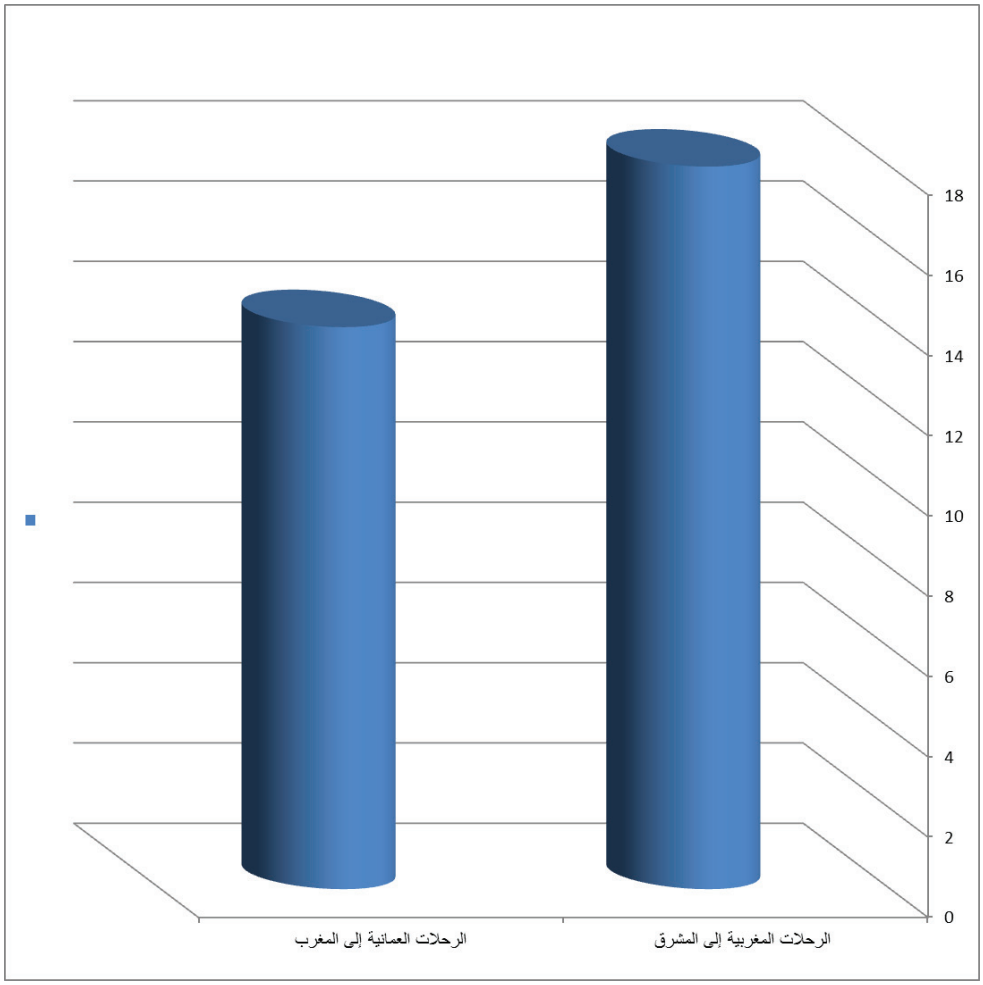

رسم بياني يوضح الفرق بين عدد الرحلات العمانية إلى المغرب والعكس .

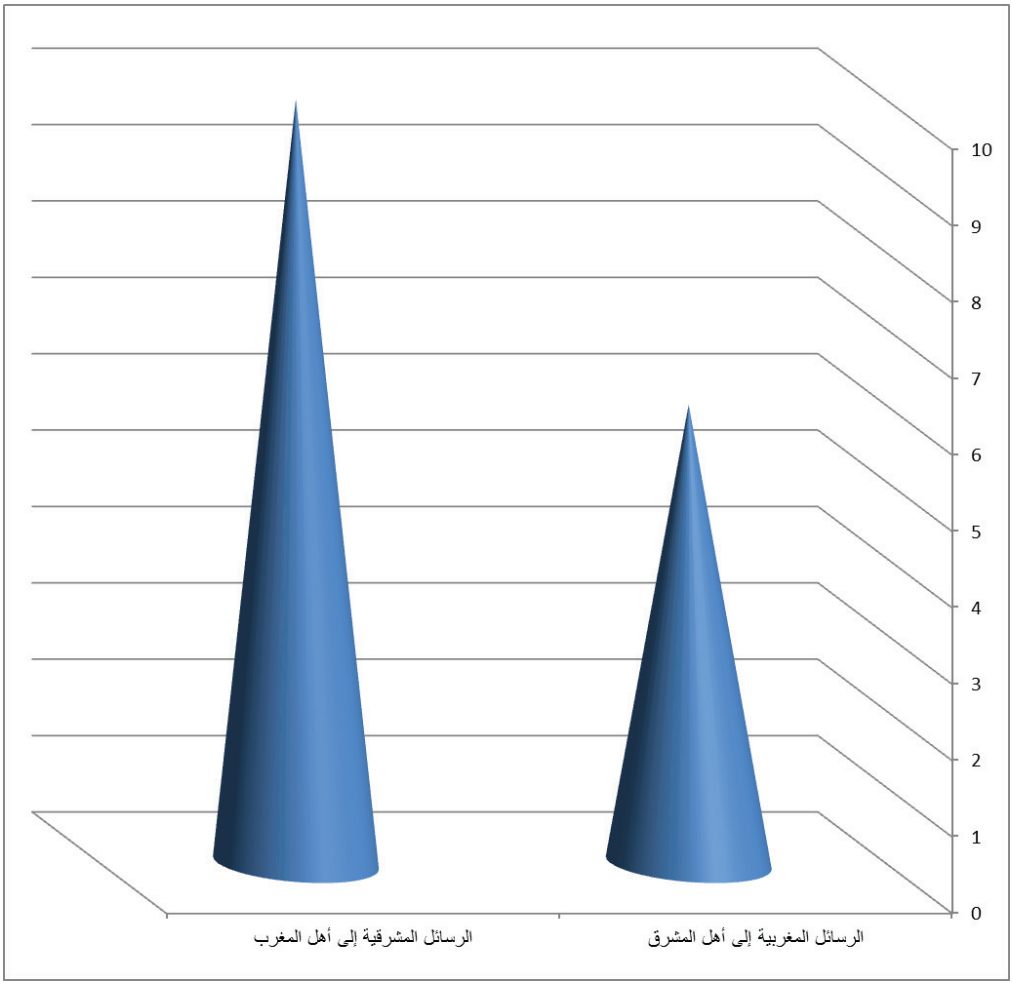

رسم بياني يوضح الفرق بين عدد الرسائل العمانية إلى أهل المغرب والعكس .

التشابه في طريقة لبس العمامة عند العمانيين والمغاربة

الشيخ أرشوم محمد بن بكير ، إباضي من الجزائر

سماحة الشيخ أحمد الخليلي مفتي سلطنة عمان ويظهر في الصورة وهو يصافح مشايخ إباضية من الجزائر

نماذج من الرسائل والمسائل الفقهية والقصائد الشعرية المتبادلة بين العمانيين وأهل المغرب

مسائل فقهية توضح عمق العلاقة بين العمانيين والمغاربة

- . . . مسئلة : ومن سيرة مكتوبة إلى الإمام الصلت بن مالك ، ووجدت ذلك أيضا في سيرة في أمر الإمام عبد الوهاب إلا أنه يختلف فيه ألفاظ . ولو أن فرقة من المسلمين خرجوا على إمام المسلمين يلتمسون منه أشياء – وفي نسخة يلمسون منه– يدعون بها عليه بما لا يستدل المسلمون أنهم فيه صادقون ولا كاذبون ، والإمام ينكر ذلك ، ويدعي عليهم ظلما ، ولا يعرف المسلمون ما يذكر فيه ، فخرجوا عليه واستحلوا قتاله من قبل أن يوضحوا عليه تلك الأشياء التي ادعوها؛ فهم بغاة على الإمام . . . ورقة (٦٦) .

- . . . مسئلة : من كتب أهل المغرب في أمر الإمام عبد الوهاب . وإن قلتم أنتم جاءوا مخلصين فأصابهم معرة حبس المسلمين فذلك (رقة ٨١) ما لم يحلوا أن يقتلوا قوم مؤمنين في قوم عمل مجرمين تثبت ولايتهم ، ولكن قتلهم خطأ فهو في بيت مال المسلمين . . . (ورقة ٨٢)

- . . . مسئلة ومن سيرة إلى الإمام الصلت بن مالك أرجو أنها من أهل المغرب: والذي اختلفتم فيه أمر الاختلاف فيه عند من يبصر دينه ويعرف ربه ولم يختلف فيه أحد من أهل الدعوة ، وإنما اختلفت الأمة في شيء استحله قوم وحرمه آخرون ، فاختلف المحلون والمحرمون ، ثم نصب كل قوم ما في أيديهم دينا يوالون فيه من تبعهم ، ويفارقون فيه من خالفهم ، والذي اختلفتم أنتم فيه ليس شيئا من (ورقة ٩١) ذلك الحلال والحرام عندكم (ينبض) ببصيرة من فكر في الدين (ورقة ٩٢) .

- . . . كتاب الإمامة ، بسم الله الرحمن الرحيم عن أبي عبيدة المغربي نافع بن نصر سلام عليكم ورحمة الله فإني أحمد الله (ورقة ١٠٨) إليكم ، الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد: فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم . وأما ما سألت عنه من أمر الظهور والكتمان أن أبين لك ، ذلك معروف السيرة فيه عند أهل العدل ومقبول صفته عند أهل الإنصاف من أنفسهم . . . وذلك أن كتمان المسلمين أكثر من

ظهورهم؛ لأنهم في زمان مات علي بن أبي طالب إلى زمان عبد الله بن يحيى سبعة وتسعين سنة كلها كتمان . . . . ورقة (١٠٩)

- ومن سيرة في أمر الإمام عبد الوهاب وذكر أنه ولي وهو لا يستحق الأمر؛ لأنهم زعموا ليس من أهل العلم بما يبلى ، والعلم بمعالم المسلمين ، وفيمن يصير ، وفيمن يستوجب الغنيمة ، وكيف يقسم ذلك كله منهم شهادة على أسلافهم بالضلال ، مع أنهم زعموا أنهم أقروا عنده بالكفر حين ولّوه على شرط فقالوا: (ورقة ١٣٦) إنما تجوز الإمامة إلا على أعلم القوم وأعبدهم وأعلمهم بالرأي . . (ورقة ١٣٧) .

المصدر: مخطوط بعنوان: مجموعة سير تأليف مجموعة من العلماء، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب ، سلطنة عمان ، رقم المخطوط: (٨٥٧) .

رسائل متبادلة بين العمانيين والمغاربة تحتوي على مسائل فقهية وقصائد شعرية

١-جواب من أهل عمان إلى أهل المغرب

جواب أهل عمان إلى أهل المغرب في نفوسا وغيرها صادرا عن الشيخ الفقيه سعيد . . . . (ممزق) . . . بن محمد الخراسيني النزوي رحمه الله من إمام المسلمين وسراج المتقين ناصر بن مرشد . . (ممزق) . . . رضي الله عنه " بسم الله الرحمن الرحيم . . (ممزق) . . . صلى الله عليه وسلم إلى إمام المسلمين وقاضيهم في الدين سليمان بن أبي . . . (ممزق) . . . [ورقة رقم ٦٢٦]

. . . . وقام الجلندا بن مسعود بعمان وأجمعوا على إمامته وولايته والمجاهدة معه أعداء الإسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرأ وأظهر الحق والدعوة بعمان حتى استشهد هو ومن كان معه من المسلمينأ وكان في إمامته جماعة من العلماء منهم موسى بن أبي جابر ، كذلك وجدنا الإجماع عليه وعلى الأئمة من بعده الذين قاموا بالدولة منهم وارث بن كعب قدموه على الإمامة ، وقام بالحق وأنكر المنكر ، وفارق أهله وأظهر الحق وأجمعوا على . . . (ممزق) . . . وولايته وولاية من قدمه من العلماء ، وهو منهم موسى بن أبي جابر كذلك الأئمة من بعده غسان بن عبد الله وعبد الملك بن حميد والمهنا بن جيفر وعلى ذلك اتفقت كلمتهم ثم . . . (ممزق) . . . اختلاف منهم على إمامة الصلت بن مالك وولايته وولاية من قدمه من المسلمين . . . (ممزق) . . . على تصرفه وتحريم غيبته والامتناع [ورقة ٦٣٠]

المصدر: مخطوط بعنوان: سير ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب ، سلطنة عمان ، رقم المخطوط: ٢٠٢٣ .

٢- جواب من أهل عمان إلى أهل المغرب صادرا عن الشيخ خميس بن راشد

جواب من أهل عمان . . . (ممزق) . . . وأهل المغرب رحمهم الله صادرا عن الشيخ الفقيه القاضي خميس بن راشد . . . (ممزق) . . . رحمه الله من جهة إمام المسلمين ناصر بن مرشد بن مالك رضي الله عنه " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله موجد الأشياء من بعد الإعدام ومخرج . . . . ورقة: ٦٤٣ .

. . . أما بعد فهذا كتاب فيه تحية وأخره . . . طاهرة ونصيحة زاهرة من إمام المسلمين ونظام المؤمنين و . . . ناصر بن مرشد . . . . ورقة: ٦٤٣ .

أما بعد فإنا نحمد الله تعالى في حالة نحمد الله عليها . . . . . وبعد فقد بلغنا عنكم أخبار أبكت عيوننا . . . (ممزق) . . . أحزاننا وهمومنا حيث أخبرنا بافتراقكم واختلافكم وشق عصاكم . . . . . وكنا قبل ذلك نرجو منك الوصول والإعانة على هذا الأمر الجليل . . . . وتكدرت خواطرنا وقدمنا لكم وخوفا على دينكم . . . . . فانتبهوا رحمكم الله وانتصروا واعتبروا واعملوا على ما أنزل الله في كتابه حيث يقول: "يا أيها الذين أمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب . . . الآية . . فقوما بما أمركم الله به وتزجروا عما نهاكم عنه فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات . . . فاتقوا الله ثم اتقوا الله فقد وضح السبيل وقام الدليل وأكمل الله دينه الإسلام . . . فإن كان لكم إمام عدل مرضي قد لزمتكم . . . . وعقده صحيح أو صح التراضي بإمامته والإجماع على عدله؛ فوجب عليكم طاعته ونصرته وحرام عليكم خذلانه وعصيانه في الرعية ما استقام على الصواب وتمسك بالسنة والكتاب . . . . . ورقة: ٦٤٥ .

المصدر: مخطوط بعنوان: سير ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب ، سلطنة عمان ، رقم المخطوط: ٢٠٢٣ .

٣- سيرة من مشايخنا أهل المغرب من أهل نفوسا رحمهم الله :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما، الحمد لله الذي سمك السماء بغير عمد . . . أما بعد إني وجدت هذه الكتبة منسوخة بالبربرية في توحيد خلاق البرية فسألني من لا أرد قوله ولا أجهل فضله أن أنقلها من لسان البربرية إلى لسان العربية؛ ليتبين فضلها ويسهل على القارئ حفظها، فأجبته إلى ما طلب وساعدته فيما رغب والخير في ذلك أردت. وبالله التوفيق وعليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل. إنْ سائل سئل فقال: ما أصل الدين فقل الدين التوحيد لقوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام . . . . . ورقة ٦٦٧

. . . تمت السيرة التي عن أهل المغرب ولا قوة إلا بالله بالجمعة الزاهرة لست ليالي بقين من شهر جمادى الأول سنة ١١٨٣هـ . كتبه العبد الفقير ناسخ العلم الرشيد . . . . عبد الله بن سعيد المسكري بيده لأخيه ومحبه ووليه الشيخ الفقيه الورع النزيه سليمان بن ناصر بن سليمان بن عبد الله بن علي بن مانع الإسماعيلي الأبروي . (انتهت السيرة عند الورقة ٦٦٨)

المصدر: مخطوط بعنوان: سير ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب ، سلطنة عمان ، تحت رقم ٢٠٢٣ .

كلمات للعلامة البرادي توضح مكانة العلامة العماني ابن النضر وقيمة كتابه " الدعائم"

قام الشيخ العلامة أبو القاسم إبراهيم البرادي المغربي النفوسي بشرح كتاب الدعائم لابن النضر وقد قال في سبب شرحه ما يلي: "أما بعد فإني نظرت إلى تأليف أصحابنا مع قلتها، وإلى تواليف مخالفينا مع كثرتها، فرأيت أشرفها منزلة، وأرفعها درجة، وأعلاها رتبة، وأغلاها قيمة، وأوجزها لفظا، وأعجزها بيانا، وأحكمها صنعة، وأحلاها في النفوس موقعا، وأيسرها على المبتدين حفظا، وأبقاها في القلوب منفعة، كتاب الدعايم لأحمد بن النضر العماني الرجل الفاضل الذي لم نجد إلى الآلاف أحد من علماء هذه الأمة أقدر على أن ينظم مسائل الفروع أبياتا مثله، ويرتب كتبها قصايد، ولله دره من رجل عالم ما أشعره، ومن رجل شاعر ما أعلمه، ومن رجل ناظم ما أرشق إشارته، وأملح استعارته، فإذا تتبعت في كتابه بديع البيان، مثل: المطابقة والمقابلة والالتفات والاستطراد والاستعارة والكناية والحذف والإضمار وغير ذلك من وجوه البديع، رأيت له في ذلك ما تشهد به اليد الطولى والقدح الأعلى . . . . الخ . ورقة [٩] مخطوط رقم [٣٦٨] .

المصدر: مخطوط بعنوان: شرح كتاب الدعائم لابن النظر، أبو القاسم إبراهيم البرادي المغربي النفوسي، مكتبة السيد محمد بن أحمد، السيب، سلطنة عمان، رقم المخطوط [٣٦٨]

رسالة عمانية موجهة إلى أهل المغرب وهي عبارة عن قصيدة شعرية

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه تحية والصلاة والسلام. من العبد الفقير إلى ربه سليمان بن الناصر بن سليمان بن عبد الله بن علي بن محمد بن إسماعيل الإسماعيلي الإباضي الأنزواني العماني لسادتنا ومشايخ مذهبنا في الدين أهل جربة ونفوسة ومصعب القائمين على النحلة الوهبية ومن دان بدينهم واستقام على طريقتهم رحمهم الله تعالى ورضي عنهم . . . وعنه بمنة وكرمة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة وسلام .

قصيدة بعنوان مدح وشوق

أفي يقظـــة أو سنـــــة وناوم ... أنا أم في سكرة لست أفهـــــم
رميت بخطل ظاهـــر ثم باطن ... له وهو يعمي الشامخات ويهدم
يعرفه محبوب ظواهـــرة رضى ... يرينا وباطن أمـره لم نعلـــم

ومنها :ـ

أم بها دار المخبتـــين جربـــة ... وأرض نفـوسة ثم مصعب تقدم
أئمتنا في الديـن والعلـم والتـقى ... مكارمهم مشهورة ليست تكتـم
بهم قدوتي هم سادتي هم أحبتي ... وهم مقصد وصولي بدور وأنجم

. . . .

هم العروة الوثقى هم الدين والدنيا ... بدينهم الصافي ندين ونحكـم
سموا في سماء المجد فافتخرت بهم ... على الشهب أو طاربة تتبختر

. . . . .

أيا عصبـة من في نفوسـة وجـربة ... وفي مصعـب بالديـن فيه التنعـم
بدينكم يا سادتي فتمسكـــــوا ... وصونوه من أهل البطـالة ترحـم
وقومـوا له لا تسمعـوا قـول مفتر ... بمن خلق الدين الإباضي محرج

. . . . . .

به خصنـا الباري له الحمـد والثنـا ... تبـارك ربي فهـو معـط ومحـرم
لقد نقلـوا أشيـاخنا عن نبيهـــــم ... هو المصطفـى صلـوا عليـه وسلم
عـن الروح جبـريل الأمين أتـى به ... عن الله دينـا خالصا يتسلـــــم

. . .

ذروا حنفي والشـافعي ومـالك ... كذا حنبل والخارجي فهـو مرقع
لقـد . . . للشعر حسـن فعالكم ... لذكـركم قلبي يلد وينعـــــم

. . . .

ودوموا وأبقـوا في سـرور ونعمة ... وحاسدكم طول المدى يتألـــم
يعيـش عليـلا في وبال وغمـــة ... وتلفحه بعد الممات جهنـــــم
ثم سلام الله في كل ساعـــــة ... على أحمد وهو الشفيع المعظـم

مؤسسة الشيخ عمي سعيد ، قسم التراث والمكتبة خزانة الشيخ حموبابا وموسى، الرقم في الخزانة [د . ع : ٣٣] الجزائر، غرداية. المخطوط موجود بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث على قرص محوسب – دبي – هور العنز تحت رقم [٤١٢٣١٤]. ورقة ١–٤.

ملاحظة / لم اتمكن من قراءة القصيدة قراءة دقيقة بسبب رداءة المخطوط ولذلك ستجد كسرا وسقطا ببعض أبياتها.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

أولا: المصادر المخطوطة:

- الإزكوي (سرحان بن عمر بن سعيد، من علماء القرن ١٢هـ / ١٨م): مخطوط كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، نسخة من المخطوط، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، مخ. د.و.ع، رقم المخطوط (٥٨)، سنة النسخ: ١٣١٨هـ.
- الإسماعيلي (سليمان بن الناصر بن سليمان بن عبد الله، ت: (—)): قصيدة مدح وشوق، مخطوط بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، قسم التراث والمكتبة خزانة الشيخ حموبابا وموسى، الرقم في الخزانة [د. ع: ٣٣] الجزائر، غرداية. مخ.ج.م.د، على قرص محوسب – دبي – هور العنز، رقم التصنيف [٤١٢٣١٤].
- البرادي (أبو القاسم إبراهيم البرادي المغربي النفوسي، من علماء القرن: ٨هـ/١٤م): الجواهر المنتقاة، نسخة من، مخ.م.د.ع، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عُمان، رقم التصنيف (DS238.B37).
- _____: شرح كتاب الدعائم لابن النضر، مخ.م.س.ع، السيب، سلطنة عُمان، رقم التصنيف (٣٦٨).
- البغطوري (أبو القاسم مقرين بن محمد، من علماء القرن ٦هـ/١٢م): مخطوط سير نفوسة، نسخه الأستاذ محمود ابن الشيخ المؤرخ سالم بن يعقوب الجربي، سنة النسخ: ١٩٧٤م، لدى الباحث نسخة رقمية من المخطوط.
- جابر بن زيد، (ت: ٩٣هـ/٧١١م): رسائل الإمام جابر بن زيد، مخ.م.س.ع، وزارة التراث والثقافة، روي، سلطنة عُمان، الرقم العام (٩١٩٨)، والرقم الخاص (٢١٦ج ر).
- _____: رسالة الإمام جابر بن زيد إلى الحارث بن عمرو، مخ.م.س.ع، روي، سلطنة عُمان، الرقم العام(٩٢٠٣) والرقم الخاص (٢١٦ ج ر).
- _____: رسالة الإمام جابر بن زيد إلى سالم بن ذكوان، مخ.م.س.ع، روي، سلطنة عُمان، الرقم العام(٩١٩٧) والرقم الخاص (٢١٦ ج ر).

- الرقيشي (أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسن ، من علماء أوائل القرن ١١هـ / ١٧م): نسخة من مخطوط مصباح الظلام ، مخ . م . س . ع ، السيب ، سلطنة عُمان ، الرقم (٩٧) .
- مجموعة من العلماء: مخطوط سير الإباضية ، نسخة من ، مخ . م . د . ع ، جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عُمان ، رقم التصنيف (BP195 . I3 . W43) .
- مؤلف مجهول: سير ، مخ . م . س . ع ، السيب ، سلطنة عُمان ، رقم التصنيف (٢٠٢٣) .
- مؤلف مجهول: قصيدة النفوسي في الصلاة ، مخ . م . س . ع ، السيب ، سلطنة عُمان ، رقم التصنيف (٦١)
- مؤلف مجهول: كتاب في السير ، مخ . م . س . ع ، السيب ، سلطنة عُمان ، رقم التصنيف (٨٦٥) .
- مؤلف مجهول: مجموعة رسائل ، مخ . م . س . ع ، السيب ، سلطنة عُمان ، رقم التصنيف (٩١٢) .
- مؤلف مجهول: رسائل تاريخية ، مخ . د . و . ع ، سلطنة عُمان ، رقم الميكرو فيلم (١٨٦٧) .
- مجموعة علماء: مجموعة سير ، مخطوط مخ . م . س . ع ، السيب ، سلطنة عُمان ، رقم التصنيف (٨٥٧) .
- المعولي (محمد بن عبد الله بن سعيد بن راشد): رسالة من أهل عُمان إلى أرض المغرب ، مخطوط بمؤسسة الشيخ عمي سعيد ، قسم التراث والمكتبة ، خزانة الشيخ حموبابا وموسى ، الرقم في الخزانة [ب . غ : ٨٨] الجزائر ، غرداية . نسخة من مخ . م . ج . د على قرص محوسب – دبي – هور العنز ، رقم التصنيف [٤٠٥٩٦٨] .
- الوسياني (الشيخ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله ، سير الوسياني ، ت: ق٦هـ /١٢م): نسخة من مخ . م . د . ع ، جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عُمان ، رقم التصنيف (BP195 . I3 . W37) .

ثانيا: المصادر:

- ابن الأبار(أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، ت: ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م): التكملة لكتاب الصلة، تح: عبدالسلام الهراس، درا الفكر، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- _____: المقتضب من تحفة القادم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، سنة: ١٩٨٢م.
- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، سنة: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- _____: الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، سنة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- الدارمي: الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، سنن الدرامي، تح: فواز أحمد رمزي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، سنة: ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م، ج١.
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس، ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٦م): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ليدن، سنة: ١٨٦٢م.
- _____: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٩٨٩م.
- الأزدي (أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري، ت:٤٥٦هـ/١٠٦٣م): كتاب الماء، أول معجم طبي لغوي في التاريخ، تح: هادي حسن حمودي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- الأزكوي (سرحان بن سعيد، ت: ق ١٢هـ/ ١٨م): تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تح: عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ط٤، سنة :١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- الأصفهاني (أبو الفرج، ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): الأغاني، تح: يوسف البقاعي وغريد الشيخ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ٢٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- الأصم (عثمان بن أبي عبد الله، ت:٦٣١هـ/١٢٣٤م): كتاب النور، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التيممي، ت: ٣٣٣هـ/ ٩٤٥م): كتاب طبقات علماء أفريقية وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.
- البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، ت: ٥٦هـ/ ٦٧٥م): الأدب المفرد، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط٣، سنة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- _____: صحيح البخاري، دار التقوى للتراث، القاهرة، مصر، ط١، سنة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ابن الوردي (سراج الدين أبو حفص عمر، ت: ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، سنة:١٣٤١هـ.
- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به وراجعه: د/ درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- ابن بركة (عبد الله بن محمد السليمي، عاش في ق: ٤هـ/ ١٠م): كتاب التقييد، وزاة التراث والثقافة، سلطنة عُمان.
- البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف (كتاب جمل أنساب الأشراف) تح: سهيل زكار، ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- _____: فتوح البلدان، تح: لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٨٨.
- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): سنن الترمذي، الجامع الصحيح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، بدون طبعة، د.ت.
- الثعالبي (الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٨م):

المنتحل، تح: أحمد أبو علي، المطبعة التجارية، غرزوزي وجاويش، الأسكندرية، مصر، سنة: ١٣٢٩هـ/١٩٠١م.

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ/٨٦٨م): البيان والتبيين، تح: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- ابن جعفر (أبو جابر محمد بن جعفر، عاش في نهاية ق:٣هـ وبداية ق:٤هـ) : الجامع لابن جعفر، تح: عبدالمنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، د.ت.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م): أخبار الظراف والمتماجنين، تح: بسام عبدالوهاب الجاني، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، سنة: ١٩٩٧م.
- الجيطالي (أبو طاهر إسماعيل بن موسى، ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م): قناطر الخيرات، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ط٢، سنة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي، ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الإصابة في تمييز الصحابة، تح: صدقي جمال العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد العظم، ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبطها: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، سنة : ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- الحميري (محمد بن عبد المنعم، ت: ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ط٢، سنة: ١٩٨٠م.
- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، سنة : ١٩٩٦م.
- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي ، ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض، منشورات دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان، سنة : ١٩٩٢م.
- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني البلنسي، ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية، تح: حسين نصار، دار مصر ، مصر، د.ت.
- _____: رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت ، لبنان، د.ت.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبدالله بن عبدالله، ت: ٣٠٠هـ/ ٩١٢م): المساك والممالك ، مكتبة المثنى، بغداد. د.ت.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت : ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، تح : درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ، سنة : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ابن خلفون (أبو يعقوب يوسف بن خلفون، ت : أواخر ق: ٦هـ/ ١٢م): أجوبة ابن خلفون، تح: عمرو خليفة النامي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط١، سنة :١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، سنة : ١٩٠٠م .
- ابن خياط (أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري، ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تح: مصطفى نجيب فواز، وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة:١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت: ٦٧٠هـ/١٢٧١م): طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، د. ت .
- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت: ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ٢٠٠٣م .
- _____: سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، سنة: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .
- _____: كتاب تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت .
- الربيع بن حبيب) ابن عمرو الفراهيدي، ت: ١٥٠هـ/ ٧٦٧م): الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، ضبطه وخرج أحاديثه: محمد إدريس، راجعه وقدم له: عاشور يوسف، دار الحكمة، بيروت، دمشق، مكتبة الإستقامة، مسقط، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- _____: الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب ابن عمر الأزدي الفراهيدي، ترتيب أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. ت .
- ابن رزيق (حميد بن محمد، ت: ١٢٩١هـ /١٨٧٤م): الصحيفة القحطانية، تح: محمود بن مبارك السليمي، ومحمد حبيب صالح وعلال الصديق الغازي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

- _____ : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، تح: عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان ، ط٥ سنة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
- الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ، ت: ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م): تاريخ إفريقية والمغرب ، تح: عبد الله العلي الزيدان ، وعز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة: ١٩٩٠م .
- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني ، ت: ٨١٦هـ/ ١٤١٣م): تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: عبد الستار أحمد فراح ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط٣ ، سنة: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
- أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر ، ق: ٤هـ/١٠م): كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا ، تح: إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر ، ط٢ ، سنة: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود عمر بن محمد ، ت: ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): تفسير الكشاف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .
- السالمي (نور الدين عبد الله بن حميد ، ت: ١٣٣٢هـ/١٩١١م): تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، مكتبة الاستقامة ، سنة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- _____: اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، مراجعة سلطان بن مبارك الشيباني ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عُمان ، ط٢ ، سنة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .
- السعدي (جميل بن خميس بن لافي ، من علماء ق:١٣هـ/١٩م): قاموس الشريعة الحاوي على طرقها الوسيعة ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان ، مسقط ، سنة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
- ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد الغرناطي الأندلسي ، ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): كتاب الجغرافيا ، تح: إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة: ١٩٧٠م .
- ابن سلام (الإباضي ، ق: ٣هـ/٩م): الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية ، تح: ر . ف . شفارتز وسالم بن يعقوب ، دار إقرا ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- السلاوي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري ، ت: ١٣١٥هـ/١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح: جعفر الناصر ومحمد الناصر ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، سنة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

- السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- الشافعي (الإمام أبوعبدالله بن محمد بن إدريس بن العباس، ت: ٢٠٤هـ/ ٨١٩م): ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به: مصطفى المصطاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط٣، سنة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- الشقصي (خميس بن سعيد بن علي، ت: ق:١١هـ/١٧م): منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مكتبة مسقط، مسقط، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الشماخي (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ت: ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م): كتاب السير، تح: أحمد بن سعود السيابي، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سنة: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ابن الصغير(ق: ٣هـ/ ٩م): أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- _____: جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد، ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): المُغرب في حُلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، سنة: ١٩٦٤م.
- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م): فتوح مصر وأخبارها، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، طبعة في مدينة ليدن، سنة: ١٩٢٠م.
- عبد الوهاب بن عبد الرحمن (ابن رستم: ت: ٢٥٠هـ/٨٦٤م): كتاب مسائل نفوسة، تح: وترتيب إبراهيم محمد طلاي، د.د، د.ت.
- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد، ت: ٣٢٨هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، تح: محمد التونجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٢، سنة: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد الحيحي، ت: بعد سنة ٧٠٠هـ /١٣٠٠م): رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، تح: محمد الفاسي، الرباط، المملكة المغربية، سنة: ١٩٨٦م.

- أبو عبيدة مسلم (ابن أبي كريمة التميمي ، ت: ١٤٥هـ/٧٦٢م): رسالة مسلم بن أبي كريمة في الزكاة للإمام أبي الخطاب المعافري ، سلسلة " تراثنا" العدد ٣٤ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان ، سنة: ١٩٨٢م .
- ابن عذاري (المراكشي ، عاش بعد عام ٧١٢هـ/١٣١٢م): البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح: ج . س . كولان و إ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، سنة: ١٩٨٣م .
- عمروس بن فتح (أبو حفص النفوسي ، ت:٢٨٣هـ/٨٩٦م): أصول الدينونة الصافية ، تح: حاج أحمد بن حمو كروم ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، سلطنة عُمان ، ط١ ، سنة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
- العوتبي (أبو المنذر سلمة بن مسلم ، ق: ٦هـ/١٢م): الأنساب ، تح: محمد إحسان النص ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عُمان ، ط٤ ، سنة: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
- _____: الضياء ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان ، ط١ ، سنة:١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
- ابن قتيبة: (الإمام أبو محمد عبدالله بن مسلم ، ت: ٢٧٦هـ/٨٩٩م): الإمامة والسياسة ، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د . د .
- ابن كثير(الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، سنة: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .
- _____: تفسير القرآن العظيم ، تح: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، سنة: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
- الكدمي (أبو سعيد محمد بن سعيد ، ق ٤هـ/ ١٠ م): كتاب الاستقامة ، تح: محمد أبو الحسن ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، سلطنة عُمان ، سنة: ١٩٨٥م .
- ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر ، ت: ٢٠٦هـ/٨٢١م): نسب معد

واليمن الكبير، تح: محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، د.ت .

- الكندي (محمد بن إبراهيم، ت : ٥٠٨هـ/١١١٤م): بيان الشرع، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ابن ماجه (الإمام أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي، ت: ٢٧٣هـ/٨٨٦م): سنن ابن ماجه، حققه وأخرج أحاديثه: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، سنة: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد، ت : ٣٨٥هـ/٩٩٥م): الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- مجموعة مؤلفين: السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان، تح: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، سنة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ابن مداد (عبد الله بن مداد، ت ٩١٧هـ / ١٥١١م): سيرة المحقق عبد الله بن مداد، سلسة تراثنا، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، العدد ٥٦، يونيو، سنة: ١٩٨٤م .
- المزي (أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن، ت: ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م): تهذيب الكمال، تح: بشراد عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، ت: ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- المقدسي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد البشاري، ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- المقريزي (تقي الدين عبد القادر بن محمد بن إبراهيم، ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تح: عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، سنة: ١٩٨٩م.
- ناصر خسرو (أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي، ت: ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م): سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط٢، سنة: ١٩٩٣م.

- النزوي (أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي، ت: ٥٥٧هـ/١١٦٢م): المصنف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.
- _____: كتاب الاهتداء والمنتخب من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وأئمة عُمان، تح: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سنة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- ابن النضر (أبو بكر أحمد، ق: ٥هـ/١١م): الدعائم، شرح الشيخ محمد بن وصاف، تح: عبد المنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، د.ت.
- النووي (الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن، ت: ٦٧٦هـ/١٢٧٧م): شرح صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان، ت: ق٦هـ/١٢م): سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بو عصبانة، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- ابن هشام (أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام، ت: ٢١٣هـ/ ٨٢٨م): السيرة النبوية، تح: مصطفى السعا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني، ت: ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م): المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والاندلس وبلاد المغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، سنة: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر، ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م): تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

المراجع العربية والمترجمة:

- إبراهيم بحاز (بكير): الدولة الرستمية (١٦٠– ٢٩٦هـ / ٧٧٧– ٩٠٩م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط٢، سنة : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- إبراهيم بوتشيش (القادري): التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، دراسات في مجالات الثقافة والتجارة والمجتمع (منذ الفتح الإسلامي حتى القرن الثامن الهجري) منشورات وحدة البحوث والدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، ط ١ ، سنة : ٢٠٠٠م.
- _____: العادات التقاليد المشتركة بين المجتمع العُماني والمغربي في التاريخ المعاصر، مقاربة تاريخية، إحدى أوراق عمل المؤتمر العلمي الثالث حول التحولات في المجتمع العُماني الحديث والمعاصر، نظمته وحدة الدراسات العُمانية بجامعة آل البيت بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن، ٢٤–٢٥ صفر ١٤٢٥هـ / ١٤–١٥ إبريل ٢٠٠٤م، منشورات جامعة آل البيت، سنة: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- _____: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٩٩٨م.
- إبراهيم بولرواح (علي): موسوعة آثار الإمام جابر بن زيد الفقهية، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط١، سنة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، د.ت.
- إبراهيم مصطفى وآخرون (أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد على النجار): المعجم الوسيط، دار الدعوة، استنابول، تركيا، ط٢، سنة: ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- إلياس (أحمد حسين) الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- معروف (أحمد سليمان): قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، سنة: ١٩٨٨م.
- أرسيليا فرنشيسكا: التجارة الإسلامية في العصر الوسيط بين النظرية والتطبيق، عقود البيع

والقرض في التشريع الإباضي، ترجمة : الداب عبد الوهاب، دار المشكاة، ط١، سنة: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

- أطفيش: محمد يوسف، كتاب النيل وشفاء العليل وشرح كتاب النيل وشفاء العليل، منشورات معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- التليسي (بشير رمضان): الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ٢٠٠٣م.
- بيير كوبرلي: مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، بحث مقارن في العقيدة الإباضية في بلاد المغرب وعُمان، ترجمة: عمار الجلاصي، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضية في أفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، سنة: ٢٠٠٠م.
- جودت عبد الكريم (يوسف): العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.
- حامد طاهر: تقديم علمي معاصر لخلاصة كتب التراث العُماني، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، الموسوعة الميسرة للتراث العُماني، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ط١ سنة: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- الحبيب الجناحي: دول المغرب الإسلامية الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٣-٤هـ /٩-١٠م) الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- حسين غباش (عبيد): عُمان والديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (١٥٠٠-١٩٧٠)، نقل النص إلى العربية: انطوان حمصي، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٩٩٧م.
- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ط١، سنة: ١٩٨٠م.
- الخليلي (سماحة الشيخ أحمد بن حمد المفتي العام لسلطنة عُمان): الحق الدامغ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٢هـ.
- _____: شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد، للإمام نور الدين عبدالله بن حميد

السالمي، مكتبة الأجيال، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- خميس العدوي (راشد): الحياة الفكرية في بهلى خلال الفترة من (٨٠٠– ١٠٢٥هـ)، بحث مقدم لندوة بهلى عبر التاريخ، التي أقامها المنتدى الأدبي، في الفترة (٢٣–٢٤/ شعبان/ ١٤٢٣هـ/ ٣٠–٣١/أكتوبر/ ٢٠٠٢م، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- _____: رؤية تاريخية، الأجيال للتسويق، سلطنة عُمان، ط١، ذو القعدة ١٤٢٣هـ – يناير ٢٠٠٣م.
- دي سلان: الجغرافيا الإسلامية، مجلد ١٣٤، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب "من كتاب المسالك والممالك لعبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جمهورية ألمانيا الاتحادية، ط٢، سنة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- رجب عبد الحليم (محمد): الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، د.ت.
- _____: الأزد والمهرة في مصر ودورهم السياسي والثقافي حتى نهاية الدولة الفاطمية، بحث مقدم ضمن ندوة العلاقات العُمانية المصرية (٢–٤ مارس، ١٩٩١م) المنتدى الأدبي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ج١، ديسمبر، سنة: ١٩٩١م.
- رومان جاكبسون: التواصل اللساني والشعري، مقاربة تحليلية نظرية، ترجمة الطاهر بو مزبر، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١، سنة ٢٠٠٧م.
- زايد الجهضمي (سليمان بن عبدالله): حياة عُمان الفكرية حتى نهاية الإمامة الأولى ١٤٣هـ، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، د.د.
- الزركلي (خير الدين): الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٧، سنة: ٢٠٠٧م.
- زكريا المحرمي (خليفة): الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، مكتبة الغبيراء، بهلا، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- زيانة الحارثية (خلفان): الإمام جابر بن زيد وتأسيس الفكر الإباضي، مسقط، سلطنة عُمان، مكتبة الجيل الواعد، ط١، سنة: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- سالم الحارثي (أبو عبد الله سالم بن حمد بن سليمان): العقود الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- سالم الخروصي (هلال): الشيخ العلامة أبو عمار عبد الكافي التناوتي (٥٠٠– ٥٦٩هـ) عصره وحياته وفكره، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- سالم السيابي (حمود بن شامس): إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تح: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٩٧٩م.
- _____: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان، منشورات المكتب الإسلامي، الدوحة، قطر، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ أحمد بن علي آل ثاني، د.ت.
- _____: الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م.
- _____: العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة، للشيخ نور الدين السالمي، نسخة مرقونة بمكتبة معهد العلوم الشرعية، رقم التصنيف: ١٥٤/٩٢٠.
- _____: جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، تصحيح: أبو اسحاق إبراهيم أطفيش الجزائري وإبراهيم العبري، الناشر: حفيد المؤلف: سعود بن حمد بن عبد الله بن حميد السالمي، سلطنة عُمان، ط١٢، سنة: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- _____: شرح الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي، الناشر: سعود بن حمد بن نور الدين السالمي، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٩٩٣م.
- _____: كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، ط٢، سنة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- سامي صقر(عيد): الإمام جابر بن زيد الأزدي" ت: ٩٣هـ/٧١١م" وأثره في الحياة الفكرية والسياسية، دراسة تاريخية، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ٢٠٠٠م، د.د.
- سعيد المعمري (سالم): سلطنة عُمان تاريخ وحضارة (الجغرافيا، التاريخ، الحضارة، المنجزات، السياحة) مكتبة النفائس، مسقط، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ٢٠١٠م.
- سعيد الهاشمي (محمد): علاقة المغرب العربي بدول الخليج العربية "سلطنة عُمان نموذجا" أحد بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول بعنوان: "دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية، الواقع والمستقبل" المنعقد في تونس ٢–٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ / ٢–٤ يونيو ٢٠٠٣م ، إصدارات إدارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، سنة : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

- السعيد لمليح: التواصل الفكري والروحي بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلاميين، (مصر والحجاز) أسسه ومظاهره من بداية القرن السابع إلى أواخر القرن الثامن الهجريين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- سلطان الشيباني (مبارك بن حمد): قبسات من أنوار البدر الزاهر، دار الأجيال، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- سليمان الباروني (أبو الربيع): الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تح: محمد علي الصليبي، ج٢، وزارة التراث القومي والثقافة، سنة: ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
- _____: مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، ط٥، سنة: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- سيد أحمد (محمد صالح بن حامد): اهتمام العلماء المغاربة بتدوين خواطرهم إبان رحلاتهم إلى الحجاز، أحد بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول بعنوان: "دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية الواقع والمستقبل" المنعقد في تونس ٢-٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ / ٢-٤ يونيه ٢٠٠٣م، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- سيدة كاشف (إسماعيل): إباضية عُمان ونشر الإسلام في بلاد المغرب، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، ذو الحجة ١٤٠٠هـ- نوفمبر ١٩٨٠م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، المجلد الثالث.
- سيف البطاشي (حمود): إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، مسقط، سلطنة عُمان، ط٢، سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- تاريخ المهلب القائد وآل المهلب، إصدارات مكتبة السيد محمد بن أحمد، السيب، سلطنة عُمان، د.ت.
- سيف البوسعيدي (أحمد): حملة العلم إلى المغرب ودورهم في الدعوة الإسلامية، سلطنة عُمان، إصدار قسم البحوث الإسلامية بدائرة الوعظ والبحوث الإسلامية، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، سنة: ١٤١٣هـ.
- صالح البوسعيدي (أحمد): رواية الحديث عند الإباضية، دراسة مقارنة، سنة: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، د.د.

- صالح باجيّه: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية (بحث تاريخي مذهبي)، دراسة للحصول على شهادة الكفاءة للبحث العلمي، إشراف الدكتور علي الشابي، الجامعة التونسية، الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط١، سنة: ١٩٧٦م.
- الطاهر الزاوي (أحمد): تاريخ الفتح العربي، دار الفتح و دار التراث العربي، ليبيا، ط٣، د. ت.
- عاشور كسكاس (يوسف وسليم بن سالم آل ثاني) العقيدة والفقه، سلسلة الكشاكيل العلمية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط٢، سنة:١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- عامر النجار: الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢، سنة: ١٩٨٨م.
- عبد الحكيم الوائلي: موسوعة قبائل العرب، دار أسامة، عُمان، الأردن، ط١، سنة: ٢٠٠٢م.
- عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط١، سنة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- عبدالعزيز المجدوب: الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط٢، سنة: ١٩٨٥م.
- عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د. ت.
- عبد الغني زهرة (عبد الفتاح): تاريخ الفتح الإسلامي والدول الإسلامية في بلاد المغرب ـ مكتبة الراشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، سنة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- عبد الله الحارثي (ناصر): عُمان في عهد بني نبهان ٥٤٩ – ١٠٣٤هـ / ١١٥٤ – ١٦٢٤م، الأحوال السياسية والأوضاع الاقتصادية، مركز الدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- عبد الله الريامي(سليمان): دلائل الاعتقاد عند أهل الحق الاستقامة، مكتبة مسجد الأثلة العامة، نزوى، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ٢٠٠٨م.
- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط٤، سنة: ١٩٩٤م.

- عبد المنعم سلطان: آل المهلب العُمانيون في المشرق الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، سنة: ٢٠٠٥م.
- عبد الهادي التازي: الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، ذو الحجة ١٤٠٠هـ – نوفمبر ١٩٨٠م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، المجلد الثالث، ندوة الدراسات العُمانية.
- عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، ط٢، سنة: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- علي خميس (اللواتي): أضواء على المجتمع العُماني في القرنين الرابع والخامس الهجريين: دراسة لفئات المجتمع، بحث مقدم في الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديما وحديثا، نظمته وحدة الدراسات العُمانية بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن، منشورات جامعة آل البيت، سنة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- علي معمر (يحيى): الإباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، ط٣، سنة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- _____: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عُمان، ط٢، سنة: ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- عمر أوكان: اللغة والخطاب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، سنة: ٢٠٠١م.
- عمرو النامي (خليفة): دراسات عن الإباضية، ترجمة ميخائيل خوري، مراجعة: د. ماهر جرّار، دقق وراجع أصوله وعلق عليه د. محمد صالح ناصر، د. مصطفى صالح باجو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، سنة: ٢٠٠١م.
- عواطف محمد (نواب يوسف): الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، د.د.
- عوض خليفات (محمد): الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، ط٤، سنة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- _____: نشأة الحركة الإباضية، عُمان، الأردن، مطابع دار الشعب، سنة: ١٩٧٨م.
- فاروق مجدلاوي: النظام الإداري في عهد عمر بن الخطاب، دار روائع مجدلاوي للنشر،

عُمان، الأردن، ط١، سنة: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- فؤاد البهي (وسعد عبد الرحمن): علم النفس الاجتماعي، رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، سنة: ١٩٩٩م.
- فرحات الجعبيري (علي): البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، سنة: ١٤٠٨/ ١٩٨٧م، د.د.، د.ت.
- _____: حياة الإمام محمد بن محبوب القرشي العُماني وعصره، بحث مقدم ضمن ندوة تطور العلوم الفقهية في عُمان خلال القرن الثالث الهجري "الإمام محمد بن محبوب أنموذجا"، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط١، سنة: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- _____: العلاقة بين إباضية المغرب وإباضية البصرة وعُمان، من القرن الأول إلى القرن الحادي عشر الهجري / ٨-١٧م، دار سراس للنشر، البلفيدير، تونس، د.ت.
- _____: علاقة عُمان بشمال أفريقيا، معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- _____: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، وزارة الشؤون الثقافية، المعهد القومي للآثار والفنون، المكتبة التاريخية، المطبعة العصرية، تونس، سنة: ١٩٧٥م.
- فهد السعدي (ابن علي بن هاشل): العُمانيون من خلال كتاب بيان الشرع، دليل تأريخي إلى تراجم العُمانيين من خلال كتاب بيان الشرع للعلامة الكندي، ط١، سنة: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، د.د.
- _____: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، قسم المشرق، من القرن الأول الهجري إلى بداية القرن الخامس عشر الهجري، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- فوزي الساعاتي (محمد عبده): العلاقات الثقافية والاجتماعية في موسم الحج من خلال علماء بلاد المغرب العربي عبر القرون، أحد بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثاني بعنوان: " التواصل التاريخي والعلمي بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي" المنعقد في الرياض ٢٦-٢٧ محرم ١٤٢٧هـ/ ٢٥-٢٦ فبراير ٢٠٠٦م، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- مبارك الراشدي (عبد الله بن حامد): الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقه (٤٥- ١٤٥هـ) سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، د.د.

- المباركفوري (صفي الرحمن): الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٣، سنة: ١٤١٩هـ/١٩٩٩.
- مجموعة باحثين: بحوث ندوة تطوير العلوم الفقهية في عُمان خلال القرن الثالث الهجري الإمام محمد بن محبوب أنموذجا، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- مجموعة مؤلفين: عُمان في التاريخ، وزارة الإعلام، سلطنة عُمان، دار أميل للنشر المحدودة، سنة: ١٩٩٥م.
- مجموعة مؤلفين (عدنان يوسف العتوب، قاسم محمد كوفحي، شوقي محمد ميرزا): التواصل الاجتماعي، من منظور نفسي وثقافي، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، ط١، سنة: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- محمد بيومي (علي فهيم): المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، دار القاهرة، مصر، ط١، سنة: ٢٠٠٦م.
- محمد الحداد (أحمد): حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقيا الشرقية، دار الفتح، القاهرة، مصر، ط١، سنة: ١٩٧٣م.
- محمد الزيني (عبدالرحيم): عمرو بن عبيد والأصول الخمسة، مكتبة الأنفال، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- محمد العيدروس (حسن): المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط١، سنة: ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م.
- محمد المنذري (ناصر بن راشد): تاريخ صحار السياسي والحضاري من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط١، سنة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- محمد بو حجام (قاسم بن ناصر): التواصل الثقافي بين عُمان والجزائر، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- _____: العلاقة الثقافية بين عُمان والجزائر (تبادل الرسائل نموذجا) بحث مقدم في الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديما وحديثا، نظمته وحدة الدراسات

العُمانية بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن، منشورات جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- محمد حسونة (أحمد): أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، الفجالة، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ت.
- محمد دبوز (علي): تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، ط١، سنة: ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- محمد رضا (سعيد): الصلات الثقافية بين العراق وبلاد المغرب في العصر العباسي من خلال الرحلات العلمية، كلية الآداب، جامعة البصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، الأعظمية، بغداد، العراق، ط١، سنة: ١٩٩١م.
- محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط الدولة – المدينة – الاقتصاد – سلسلة بحوث ودراسات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، ط١، سنة: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- محمد سليمان (أيوب): صفحات مطوية من تأثيرات الحضارة العُمانية في المغرب، بحث مقدم ضمن حصاد ندوة الدراسات العُمانية، ذو الحجة ١٤٠٠هـ – نوفمبر ١٩٨٠م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، المجلد الرابع.
- محمد ناصر (محمد صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني): معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحديث، قسم المشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، سنة: ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- محمد ناصر (صالح): منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عُمان، سنة: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- محمود إسماعيل (عبد الرزاق): الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، د. ت.
- محمود العظم (الفردوس): المستدرك على البلاذري أنساب الأشراف، مكتبة اليقظة العربية، دمشق، سوريا، سنة: ٢٠٠٢م.
- مختار نور الدين (عثمان وآخرون): عُمان عبر التاريخ، دراسة تاريخية اجتماعية أنثروبولوجية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، حولي، الكويت، ط١، سنة: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني

هلال إلى بلاد المغرب (٢٩٦-٤٤٢هـ / ٩٠٩-١٠٥٨م)، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، سنة: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- _____: جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (٢١-٤٤٢هـ) (٦٤٢-١٠٥٣م)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- مصطفى أبوضيف (أحمد): أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، خلال عصري الموحدين وبني ميران (٥٢٤- ٨٧٦هـ / ١١٣٠-١٤٧٢م) سنة: ١٩٨٢م، د.د، د.ت.
- مقدادي وآخرون (عبد العزيز أحمد هزاع، عبد الحميد حسن الصمادي، عدنان حسن النواصرة) إشراف الدكتور إبراهيم بحاز: النصوص التاريخية في كتاب المصنف (الأجزاء - ١٥) ورقة عمل مقدمة للملتقى الثاني لوحدة الدراسات العُمانية بجامعة آل البيت، نظمته وحدة الدراسات العُمانية بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن، الثلاثاء - الأربعاء ١-٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ / الموافق ١٤-١٥ مايو ٢٠٠٢م، منشورات جامعة آل البيت، سلسلة وحدة الدراسات العُمانية (٣) سنة: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- مهدي هاشم (طالب): الحركة الأباضية في المشرق العربي، دار الحكمة، لندن، ط٣، سنة: ٢٠٠٩م.
- ناصر السابعي (سليمان): الخوارج والحقيقة الغائبة، مسقط، سلطنة عُمان، ط١، سنة: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، د.د.
- نايف السهيل (عيد جابر): الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عُمان، ط٢، سنة: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- نهلة شهاب (أحمد): تاريخ المغرب العربي، دار الفكر، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، سنة: ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.
- وزارة الإعلام والثقافة: عُمان وتاريخها البحري، سلطنة عُمان، سنة: ١٩٧٩م، د.د.
- وزارة التربية والتعليم: الأطلس المدرسي لسلطنة عُمان والعالم (جغرافي- تاريخي) سلطنة عُمان، مسقط، ط١، سنة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- يحيى بوتردين (صالح): نموذج للعلاقات العلمية بين الجزائر وعُمان، بحث مقدم في الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديما وحديثا، نظمته وحدة الدراسات العُمانية بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن، منشورات جامعة آل البيت، سنة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- يوسف حوالة (أحمد) الحياة العلمية في إفريقية، (المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف

القرن الخامس الهجري، ٩٠/٤٥٠هـ) المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١، سنة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

سادسا: الأبحاث والمقالات المنشورة في الدوريات:

- _____: الحضور المشرقي في فقه المغاربة، قراءة في المنهج (شرح النيل نموذجا) مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة بالقرارة، الجزائر، العدد التاسع، جمعية التراث، القرارة – غرداية، الجزائر، رمضان ١٤٢٦هـ /نوفمبر ٢٠٠٥م.
- بوعصبانة (عمر بن لقمان حمو سليمان): ملخص أطروحة دكتوراه بعنوان: سير الوسياني دراسة مجموعة الوسياني وتحقيق الجزء الأول منها، مجلة الحياة، يصدرها معهد الحياة بالقرارة، الجزائر، جمعية التراث، القرارة – غرداية، الجزائر العدد العاشر، رمضان ١٤٢٧هـ / أكتوبر ٢٠٠٦م.
- الحبيب الجنحاني: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، فصلية من العدد (٤٠ – ٤٣) تونس، سنة: ١٩٧٥م.
- صالح أبو دياك (محمد فياض): التبادل الفكري بين المغرب والأندلس وشبه الجزيرة العربية، مجلة الدارة، مجلة فصلية تصدر عن دار الملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، المحرم ١٤٠٨هـ / أغسطس ١٩٨٧م.
- عبد النبي اصطيف: النص الأدبي والمتلقي، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، سوريا، العددان (٣٠٩ – ٣١٠) السنة السادسة، رمضان/ شباط، سنة: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- محمود إسماعيل: حواضر المغرب الإسلامي في ضوء الميثولوجيا (نماذج مختارة) مجلة الخليج للتاريخ والآثار، دورية محكمة تصدر عن جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد الثالث، إبريل ٢٠٠٧م / ربيع الأول ١٤٢٨هـ.

البحوث والأطروحات الجامعية المرقونة:

- أحمد السيابي (سعود بن سعيد): التواصل العلمي العُماني المغاربي "البداية والاستمرار" أحد بحوث الملتقى العلمي الثامن بعنوان: التواصل العُماني المغاربي في العصر الحديث"، المنعقد في جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٣-١٤/ ذو القعدة/ ١٤٣٢هـ/ ١١-١٢/١٠/٢٠١١م، نسخة إلكترونية على قرص ممغنط.
- بخيت الشنفري (علي بن بخيت): الإباضية في عُمان وعلاقاتهم بإباضبة المغرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، أطروحة دكتوراه مرحلة ثالثة، الجمهورية التونسية، وزارة التربية والتعليم جامعة الزيتونة، نوقشت بالمعهد الأعلى للشريعة، مرقونة بمركز الدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سنة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، رقم التصنيف: (BP195 .I3 S522 1993)
- الحاج موسى (بشير موسى): التواصل العُماني المغاربي من خلال وثائق المراسلات في القرن ١٠هـ، أحد بحوث الملتقى العلمي الثامن بعنوان: التواصل العُماني المغاربي في العصر الحديث"، المنعقد في جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٣-١٤/ ذو القعدة/ ١٤٣٢هـ/ ١١-١٢/١٠/٢٠١١م، نسخة إلكترونية على قرص ممغنط.
- سالم الهيملي (سعود بن راشد): نزوى تاريخها وإسهامها في الحضارة الإسلامية، في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، رسالة لنيل درجة الماجستير، قسم الشريعة الإسلامية، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، السنة الجامعية: ١٤٢٣-١٣٢٤هـ/٢٠٠٢-٢٠٠٣م.، نسخة مرقونة بمكتبة الباحث الخاصة.
- سعيد الكلباني (حمد بن سعيد): الصلات العسكرية والاجتماعية والثقافية بين الغرب الإسلامي وبلدان الخليج العربي "بلاد الحجاز نموذجا" (من القرن ١ حتى القرن ٦هـ/ ٧- ١٢م) أطروحة دكتوراه، وحدة التكوين والبحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المملكة المغربية، مكناس، السنة الجامعية (١٤٣٠- ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩- ٢٠١٠م).
- علي حسن (خميس): التاريخ الحضاري لعُمان منذ القرن الرابع وحتى القرن السادس الهجري دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف أ.د محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم التاريخ، نسخة بغرفة عُمان، المكتبة الرئيسة، جامعة السلطان

قابوس، سنة: ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- محمد الشرمان (مفرح): النشاط الاقتصادي في مدينة فاس خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، رسالة ماجستير في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مرقونة بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، تحت رقم (٠٧. ٩٦١ ش م ن).
- محمد القحطاني (علوش بن ضيدان): الفهريون في الغرب الإسلامي من منتصف القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني الهجريين (٥٠– ١٤٠هـ / ٦٢٩ – ٧٥٨م) رسالة ماجستير مرقونة بمكتبة الأمير سلطان بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، سنة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، تحت رقم (٩٦١ ق م ن).
- محمد المنذري (ناصر بن راشد): صحار وتاريخها السياسي والحضاري، منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجر، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مرقونة بمركز الدراسات العُمانية، المكتبة الرئيسة، جامعة السلطان قابوس، سنة: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- _____: علاقات عُمان الخارجية وأبعادها الحضارية، من صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، إشراف أ.د عبد الله جمال الدين، قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مرقونة بمركز الدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، سنة: ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- منى آل مشاري (حسن محمد مقرن): المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي (من ٦٤٨هـ– ١٢٥٠م إلى ٩٢٢هـ– ١٥١٧م) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم (٨. ٩٥٣ م م م) د.ت.
- منيرة الراشد (عبد الرحمن شرقي): الحياة الاقتصادية في إفريقية في عهد الأغالبة، رسالة ماجستير في قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة الملك سعود، مرقونة بمكتبة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، سنة: ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، تحت رقم (٠٣. ٩٦١ ر م ح).
- مهنا السعدي (راشد بن حمد): كتاب دعائم الإسلام لابن النضر العُماني (ق٦هـ/١٢م) وشروحه، نموذج للعلاقة العُمانية المغربية، بحث غير منشور، لدى الباحث نسخة منه.
- ناصر الندابي (علي بن سالم): الإمامة الإباضية في اليمن وامتداد نفوذها إلى الحجاز، رسالة ماجستر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس،

مسقط ، سلطنة عُمان ، مرقونة بالمركز الثقافي ، جامعة السلطان قابوس تحت رقم (BP195 . I3 N33 2007) .

المراجع الأجنبية:

- AL–MAAMIRY:ahmaedhamoud ، Oman and IBADHISM ، LANCERS PUBLISHERS ، New Delhi ، India ، first edition ، 1989 .
- Muammar; Ali Yahya ، Ibadism in History ، Ministry of Awqaf and Religious Affairs ، Sultanate of Oman ، first edition ، 2007 .

ثامنا : الأبحاث والمقالات المنشورة في المواقع الإلكترونية :

- إبراهيم بحاز: مشوهات الإباضية نظرة من الداخل والخارج ، مقال على الموقع الإلكتروني: elhamiz . jeeran . com ، بتاريخ: ١٤٢٤/١٠/٧هـ والمقال على الرابط التالي: http://www . elhamiz . jeeran . com/bahaz . htm .
- سلطان الشيباني (مبارك): وثائق التواصل بين المشرق والمغرب ، بتاريخ ١٥ / ٢ / ٢٠١٠م ، على موقع المجرة الإلكتروني: http://www . almajara . com
- والمقال على الرابط الإلكتروني التالي: http://www . almajara . com/forums/showthread . php?t=37383
- شوقي أبو خليل: هل انتشر الإسلام بالسيف ، بتاريخ ١٤٣٠/٤/٣هـ الموافق ٢٠٠٩/٣/٢٩م ، على موقع حيران انفو الإلكتروني www . hayran . info . com
- والمقال على الرابط التالي : http://www . hayran . info . articles . php?catid=76&id=1110
- عبد الستار خليف: دراسات تاريخية عن الإمام جابر بن زيد ، بتاريخ: ١٢ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٢ إبريل ٢٠٠٤م ، على الموقع الإلكتروني لجريدة الوطن العُمانية (www . alwatan . com) ، العدد ٧٥٦٣ والمقال على الرابط التالي: http://www . alwatan . com/graphics/2004/04apr/2.4/dailyhtml/culture . html#4
- مزهودي ، مسعود: حوار أجرته صحيفة الخبر الأسبوعي الجزائرية مع الدكتور مسعود مزهودي عن الإباضية بتاريخ ٢٣ يناير ٢٠١٠م ، حاوره نور الدين برقادي ، على موقع

صحيفة الخبر الإسبوعي الإلكتروني التالي:
http://elkhabar-hebdo.com

- والمقال على الرابط الإلكتروني التالي :
http://elkhabar-hebdo.com/site/news-...how-id-678.htm
- مهنا السعدي (راشد): كتاب (دعائم الإسلام) وشروحه نموذجا للعلاقات العُمانية المغربية، بتاريخ ١٥ / ٢ / ٢٠١٠م، على موقع المجرة الإلكتروني:
http://www.almajara.com
- والمقال بالرابط الإلكتروني التالي :
http://www.almajara.com/forums/showthread.php?t=537197&page=2

الفهارس العامة

فهرس الآيات

م	الآيـــــــــة	الصفحة
١	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ . . .﴾	٣٠٩.
٢	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . . .﴾	١٥٦.
٣	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ . . .﴾	٢٣.
٤	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . . .﴾	٦٤.
٥	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا . . .﴾	٨٨.
٦	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ . . .﴾	٢٤.
٧	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . .﴾	٢٤.
٨	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا . . .﴾	٦٣.
٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ . . . .﴾	٢٤.
١٠	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ . . . .﴾	٢١، ٦، ٣

فهرس الأحاديث

م	الحـديـــث	الصفحة
١	"بلغوا عني ولو آية . . ."	١٥٧.
٢	"لغدوة في سبيل الله أو روحة . . ."	٦٤.
٣	"ما سلك رجل طريقا يبتغي فيه العلم. . ."	١٥٥.
٤	"منهومان لا يشبعان طالبهما . . . ."	١٥٥.

فهـرس الأعـــــلام

محمد رسول الله	٢٢، ٢١، ٢٤، ٢٣، ٣٦، ٦٥، ٦٤، ٦٦، ٧٤، ٩١، ٩٠، ٩٢، ١٠٩، ١٥٦، ٢١١، ٢٠٦، ١٥٧، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٦٤، ٣٠٦، ٣١٥، ٣٤٣، ٣٧٩، ٣٤٧، ٣٤٤، ٣٨٢، ٣٩٤، ٤٤٤.
إبراهيم الثاني	٩٢.
إبراهيم القادري بوتشيش	٨، ١٠، ٩٦، ١٧١، ٢٨٧، ٣٢٨، ٣٩٥.
إبراهيم بن أحمد	١٢١
إبراهيم بن الأغلب	١٣٤، ١٢٤
إبراهيم بن قطن المهري	١٦١
ابن الجمع	١٧٠، ١٦٩
ابن الصغير	١٠، ١١، ٨٧، ١٠٠، ١٦٢، ٣٠٣، ١٨٤، ٣٠٤، ٣٢١.
ابن بطوطة	٨، ١٤، ١٢، ٩، ١٠٣، ١١٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٦٣، ٣٨٧.
ابن تيمية	٦٤
ابن جبير	١٢، ١١٠، ١١٦، ١١٧، ١٣٨، ١٤٥.
ابن حوقل	١٤٨، ١٤٤، ١٣٩
ابن خلدون	٩٣، ١٤٤
ابن سلام (لواب بن سلام المزاتي)	١٠، ١٧١، ١٨٦، ١٨٩، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٨١، ٢٨٢.
ابن سينا	١٧٢
ابن عبدالحكم	١٠، ٦٩.
ابن عذاري المراكشي	١١، ١٤٧، ٢٧٤.
ابن مداد العماني	٢٦٤.
ابن وصاف العماني	٢٤٨، ٢٤٧.
أبو إسحاق أطفيش	١٥٩.
أبو الإصبع إبراهيم بن عيسى الأزدي	١٧٢.
أبو الحر علي بن الحصين	٣٠.
أبو الحسن الأقصراني	٢٨٦.
أبو الحسن علي بن محمد البسياني، أبو الحسن البسيوي	٢٤٨.
أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري	٤٨، ٢٠١، ١٨٠، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٢.
أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي	٣٠٨.
أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي	١٧٠.
أبو الشعثاء ابن البغطورية الشروسي	٣٢٧.
أبو الشعثاء السنتوتي	٣٠٧.
أبو العباس أحمد بن أبي بكر	٢٧٥، ١٧٥
أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر	٢٤٥
أبو العباس المبرد	٢٥٢، ١٧٩
أبو القاسم البرادي	٣٨٠
أبو القاسم محمد بن هانئ	٢٧٧
أبو اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب	٣٢١، ١٨٨، ١٨٤، ١٣٤.
أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي	٢٤٤، ٢٢١، ٢١٠.
أبو بكر الصديق	٢١٢.
أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد	٢٥٢، ١٧٩.
أبو بلال مرداس بن حدير	٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٨٤، ١٢٧، ١٦٣، ٣٣٩.
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي	١٨٥.

تابع فهرس الأعـــلام

أبو جابر محمد بن جعفر الأزكوي	٢٦٢.
أبو جعفر المنصور	٧٧، ٧٨، ٨٣، ١٣٠، ١٣٣.
أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي	٧٤، ٧٦، ٧٧، ١٢٠، ١٣٣.
أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزي	٧٧، ١٣٣.
أبو حاتم يوسف يوسف بن محمد بن أفلح	٧٨، ١٠٣، ٣٠٣، ٣٢١، ٣٣٧.
أبو حماد النفوسي	١٨٩.
أبو حمزة الشاري (المختار بن عوف السليمي)	٣١، ٤١، ٤٥، ١٥٩، ٢٥٨، ٣٣٩.
أبو حنيفة	٣٤.
أبو حوالة عبد الله الأزدي	٦٥.
أبو خليل الدركلي	١٨٠.
أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي	٤٦، ١٧٩، ٤١٤.
أبو درار القبلي النفزاوي	٤٦.
أبو زكريا يحيى	١١، ٢٤٧، ٢٣٦.
أبو زكريا يحيى بن أبي العز الشماخي	٢٤٧.
أبو سعيد الكدمي	٢٦١.
أبو سفيان قنبر البصري	٣٠.
أبو صفرة عبد الملك بن صفرة	٢٥٠.
أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي	٢٥٨.
أبو عطاف عمران بن عاطف الأزدي	٧٣.
أبو عبد الله محمد بن أبي بكر	١٧٥.
أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي	٣٣٨.
أبو عبيدة عبد الله بن القاسم	٩٨.
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة	٣١، ٣٠، ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٥٥، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٤، ٩٨، ١٢٨، ١٢٩، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥.
أبو عبيدة نافع بن نصر المغربي، (أبو عبيدة المغربي)	٢٦٢.
أبو عمار الكافي	٣٣٦، ٢٤٧.
أبو عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني	٢٢١، ٢٢٠.
أبو غانم الخراساني	١٦٥، ١٦٦، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥١، ٣٤٩.
أبو غسان مخلد بن العمرد الغساني	٢١٣، ٢١٠.
أبو فاطمة عبد الله الأزدي	٦٥.
أبو قرة	٧٦.
أبو محمد أبو نبهان	٢٨٥.
أبو محمد بن أبي بكر بن عيسى	٢٨٦.
أبو محمد بن أبي صالح	٢٤٤.
أبو محمد عبد الله بن عبد الحميد مغطير النفوسي	٢٥٦، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨.
أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصحاري	١٧٢.
أبو محمد نصر الأزدي	٢٠٥.
أبو مرداس	١٦٦.
أبو مرداس مهاصر السدراتي	١٦٨.
أبو مروان بن العباس بن الوضاح	٢٨٢.

تابع فهرس الأعـــلام

أبو مهدي عيسى بن إسماعيل المغربي	٢٣٦.
أبو مودود حاجب الطائي	٩٠، ١٩٩، ٢٠١.
أبو موسى الأشعري	٧٩.
أبو نعيم الأصفهاني	٤٣.
أبو نوح صالح الدهان	٩٠.
أبو هاشم عبد الملك الزبيدي	١٧٥.
أبو هريرة	٢٥٠.
أبو هلال	١١١.
أبو يزيد الخوارزمي	٢٦١.
أبو يزيد مخلد بن كيداد	١٦٩.
أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي	٢٥٠.
أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني	١٧٥.
أبو يعقوب يوسف بن خلفون الوارجلاني	١٩١، ٢٥٧.
أحمد بن سعيد الدرجيني	٤٨، ١١، ٩٨، ١٧٠، ١٤٧، ١١٣، ١٧٢، ١٩٠، ١٨٦، ١٩٢، ٢١٥، ١٩٩، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٤٨.
أحمد بن سعيد الشماخي	١١، ٩٧، ١٣٩، ١٦٦، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٨٨، ١٧٨، ١٩١، ١٩٩، ٢١٥، ٢١٩، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٧٩، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٣٥.
أحمد بن سليمان (ابن النضر)	١٧٧، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٨، ٣٨٠.
أحمد بن عبد الله الكندي النزوي	١٢، ٢٦٢.
أخت الإمام أفلح بن عبد الوهاب	٣١٨.
أخت عمروس بن فتح	٣١٨.
إدريس بن عبد الله	١٢٤.
الإدريسي	١٢، ١٠١.
إسحاق بن معذير	٢٨٢.
إسماعيل بن سليمان المغربي	٢٠٦.
إسماعيل بن عبد الله بن ابي المهاجر	٧٣.
الاصطخري	١٣٩، ١٠٩.
أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم	٢٢١، ١٣٧، ١٣٤، ١٠٣، ٢٥٠، ٢٤١، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢٦٣، ٢٥١.
إلياس بن حبيب	١٣١.
أم الخطاب زوج أبي يحيى الأزديالي	٣١٩.
أم زعروا نانا	٣١٩.
الإمام الشافعي	٢٦٩، ٣٤.
آمنة زوجة الإمام جابر بن زيد	٣١٧.
أنس بن مالك	٢٥٠.
إياس بن معاوية	٤٢.
أيوب السختياني	٤٣.
بخيته	٣٢٧، ٣١٤.
برح بن عسكر المهري	٦٦.
بشر بن صفوان الكلبي	٧٣.
بشير بن المنذر النزواني	١٨٠، ٥٥.
بكر بن سهل بن حماد الزناتي	١٨٥.
البلجاء الخزامية	٣١٥.
بهلولة زوج إبان بن وسيم	٣١٩.
تبغورين بن عيسى الملشوطي	٢٥٤.
تميم بن فرع المهري	٦٦.
ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي العتكي	٦٦٩

تابع فهرس الأعـــلام

جابر بن زيد الأزدي	٤، ٤٢، ٤١، ٣٨، ٣٧، ٣٥، ١٢، ٩٣، ٩٠، ٨٩، ٥٤، ٣، ١٧، ١٦٣، ١٥٨، ١٣١، ٨، ٢٣، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٠٥، ٧، ٢٤، ٢٤٦، ٢٤٤، ٢٣٥، ٤، ٢٦، ٢٥٦، ٢٥١، ٢٥٠، ٩، ٣٤٥، ٣١٧، ٤.
جرجيرا	١٢٢.
جعفر بن السماك العبدي	٣٠.
الجلندى بن مسعود	١٢٤، ٨٦، ٥٨، ٥٦، ٥٢، ٢٦٤، ١٤٩، ١٣٠، ١٢٩، ٣٠٤، .
جميل بن صخر	٧٨.
جنادة بن أبي أمية الدوسي الأزدي	٦٥.
جيفر بن الجلندى	١٠٩.
الحارث بن تليد الحضرمي	١٣٢، ١٨١، ١٩٨، ١٩٩، ٣٣٧، ٢٦١، ٢٠٧، ٢٠٠.
حبيب المهدي	١٣٩.
الحتات بن كاتب التميمي	٣٠.
الحجاج بن يوسف الثقفي	٣٧، ٣٨، ٣٩، ١٢٨، ١٤٩، ٢٣٤.
حسان بن النعمان الغساني	٧٢.
الحسن البصري	٤٣.
حماد بن يوسف	١٢٤.
الحميري	٢٧٧، ١٠٩.
حيان بن سالم الطائي	١٧٩.
خازم بن خزيمة	١٣٠، ٥٢.
خلف بن السمح بن عبد الأعلى	١٨٣، ٢١٩، ٢١٧، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢٥٨، .
خميس بن سعيد الشقصي	١٤٢.
الخليل بن أحمد الفراهيدي	٢٥٢، ١٧٩.
داود بن يزيد	١٢٠، ٨٠.
دعبل الخزاعي	١٣٥.
راسب بن مالك بن ميدعان	٦٩.
راشد بن شاذان	١٥٠.

الربيع بن حبيب الفراهيدي	٣٩، ٥٤، ٨٤، ٨٧، ٩٤، ١، ٢٩، ١٦٣، ١٧٧، ١٧٨، ١، ٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ٢، ٠٠، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٤، ٢، ١٥، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢، ٤٢، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢، ٢٨١، ٢٧٣، ٢٦٣، ٥٧.
رجب عبد الحليم	١٨٤.
رجع الفؤاد	٣٢٧.
روح بن حاتم بن قبيصة المهلبي	٧٩، ٨١، ٨٠، ٨٢، ٢٧٥.
زاد المال	٣١٤، ٣٢٧.
الزبير بن العوام	٦٥.
الزهراء السقطرية	٣١٧.
زهير بن قيس	٧٢.
زورغ الأرجانية	٣١٩.
زياد بن أبيه	١٢٧.
زيد بن ثابت	٢١٢.
زيديت بنت عبد الله الملوشائية	٣١٩.
سالم بن ذكوان الهلالي	٣٠.
سامي صقر	٢٣٣.
سرحان الأزكوي	٢٥٥، ٣٤٨.
سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل	٥١، ١٢٥.
سعيد وسليمان ابناء عباد بن عبد	١٢٨.
سعيدة المهلبية	٣١٧.
سفيان بن محبوب الكندي	٢٨٢.
سلمة بن سعد الحضرمي	٤٥، ٤٦، ١٥٩، ١٦١، ١٧١، ١٧٨، ١٧٩، ٢٥٦، ٣٣٥، ٣٤١.
سلمة بن مسلم العوتبي	٢٤٨.
السمح بن أبي الخطاب بن عبد الأعلى	٢١٧.
سهل بن محمد السجستاني	١٨٥.
سيدة إسماعيل كاشف	١٠.

تابع فهرس الأعـــلام

السيدة عائشة أم المؤمنين	٢٥٠.
شكر بن صالح الكتامي	٢٠٩.
شيبان اليشكري	٥٢، ٥٦.
الشيخ سعدون	٢٤٥، ٢٥٧
صلاح الدين الأيوبي	١٣٨.
الصلت بن مالك الخروصي	١٣٥، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٤٦، ٣٧٥، ٣٧٧.
ضمام بن السائب الندابي	٣٧، ١٢٨، ١٧٨، ٢٥٠.
عاتكة بنت المهلب بن أبي صفرة	٣١٧.
عاصم السدراتي	٤٦، ١٧٩.
عائشة بنت معاذ بن أبي علي	٣١٩.
عبد الهادي التازي	٩.
عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم	١٣٤، ١٣٧، ١٨٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٨١.
عبد الجبار بن قيس المرادي	١٣٢، ١٨١، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٦١.
عبد الرحمن بن حبيب الفهري	٧٣، ١٢٣، ١٣٢.
عبد الرحمن بن رستم	٧٦، ٨١، ٨٦، ١٢٤، ١٣٣، ٢٠٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٢، ٣٠٤، ٣٤١، ٣٤٢.
عبد الرحمن بن شماسة المهري	٦٦.
عبد الرحمن بن محمد بن مسلمة	٢١٣.
عبد الله التونسي	١١٧.
عبد الله اللمطي الهواري	٣٢١.
عبد الله بن إباض التميمي، ابن اباض	٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٦، ٣٨، ٢٦٤.
عبد الله بن أبي السرح	٦٨، ٧٠، ١٢٢.
عبد الله بن الأوز	١٨٤.
عبد الله بن الجارود	٨٢.
عبد الله بن الصفار السعدي	٣٦.
عبد الله بن العباس	٢٣، ٤٢، ٢٤، ٢٦٤.
عبد الله بن ثعلبة بن محارب	٢٧٦
عبد الله بن حميد السالمي، نور الدين السالمي	٣٢، ٣٣، ٥٢، ١٣٠، ١٧٦، ٢٢٦، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٨٧، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٧.
عبد الله بن عباد المصري	٢١٦.
عبد الله بن محمد بن بركة السليمي	٢٥٣، ٢٤٨، ١٧٤، ٩٥، ٢٥٧، ٣٠٧.
عبد الله بن مسعود التجيبي	١٣١.
عبد الله بن يحيى الكندي (طالب الحق)	٥٢، ٥١، ٤٩، ٣٥، ٢٥٨، ٣٧٦.
عبد الله وهب الراسبي	١٢٧، ٢٦٠.
عبد الملك بن قطن	١٦١.
عبد الملك بن مروان	١٢٨، ٢٩، ٢٨.
العبدري	١٤٠.
عبيدالله المهدي	١٢٤.
عبيدالله بن زياد، ابن زياد	١٢٧، ٢٥.
عثمان بن أبي العاص	٧٥.
عثمان بن أبي عبد الله الأصم النزوي	٢٥٢.
عثمان بن عفان	٦٨، ٤٦، ٢٨.
عروة بن حدير	١٢٧.
عزان بن تميم الخروصي	١٢٥، ١٣٠، ٣٤٦.
عقبة بن نافع الفهري	٦٨، ٧١.
عكرمة بن أبي جهل	٦٥.
عكرمة مولى ابن عباس	١٥٩.
علي بن أبي طالب	١٢٤، ٣١، ٢٤، ٢٣، ٢٦٠، ٢١٢، ١٢٦، ٣٧٨، ٣٣٤.
علي بن الجهم	١٨٥.
علي بن عمر بن إدريس	٢٧٦.
عمر بن الخطاب	٧٥، ٦٨، ٦٧، ٦٤، ٢٦٤، ٢٢٥، ١٠٩.
عمر بن الفضل	٢٨٢.

تابع فهرس الأعـــلام

عمر بن عبد العزيز	٣٠، ١٥٧.
عمر بن عبد الله المرادي	١٢١.
عمر بن يمكتن	١٧٠، ١٧١.
عمران بن حطان	٢٦٠.
عمران بن مروان الأندلسي	٢٠٩.
عمرو النامي	٢٣٢، ٢٣٣.
عمرو بن العاص	٧، ١٠، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ١٠٩، ١١١، ٢٧٢.
عمرو بن دينار	٤٣.
عمروس بن فتح	١١٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٩، ١٩٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٢، ٢٦٣، ٣١٨، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٩.
عيسى بن جعفر	٨٠.
عيسى بن زكريا	٢٣٥.
عيسى بن علي	٢٨٦، ٣١٤.
عيسى بن يزيد	١٢٤.
غالب بن علي الهنائي	٢٢٩.
غسان الهنائي	١٥٠.
غسان بن عبد الله اليحمدي	٣٧٧.
فرج بن نصر النفوسي (نفاث)	٢٤٦.
فرحات الجعبيري	١١، ٢٣٣،
فرعون مصر، فراعنة مصر	٢٧١.
الفضل بن المعتبر	٢٨٢.
الفضل بن روح بن حاتم المهلبي	٨٢، ٨٣، ١٢٠.
قابوس بن النعمان بن المنذر	٢٧٨.
قتادة	٤٣.
قطب الدين تمتهن	٢٨٥.
كثير بن عبد الرحمن	٤٥.
مالك بن أبي سلسلة السلامي الأزدي	٦٥.
مالك بن كنانة بن خزيمة	٦٩.
المتوكل بالله	١٣٤.
مجاعة بن شعوة المازني	١٤٩.
محارب بن عبد الله بن ثعلبة	٢٧٦.
محبوب بن أبي عبد الله السدراتي	٣٢٦.
محبوب بن الرحيل	٥٦، ٩٠، ٩٧، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٨١، ٣٢٦، ٣٤٨، ٣٤٩، .
محمد الشرمان	١٤٧، ١٤٨.
محمد العدني	١٧٥، ٢٨٥، ٢٨٦.
محمد بن إبرهيم الكندي	١٢، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣.
محمد بن أحمد بن علي المهلبي	١٦١.
محمد بن الأشعث الخزاعي	٧٤، ١٣٣.
محمد بن الحسن	١٢٥.
محمد بن المعلى الكندي	٥٥، ١٨٠.
محمد بن زائدة	١٥٠.
محمد بن عبد الله السمائلي	١٧٢.
محمد بن عبد الله بن أبي عفان	١٢٥.
محمد بن مفروق	١٣٢.
محمد بن نور (بور)	١٣٠، ١٣١.
محمد بن يانس	١٨٠، ٣٠٥.
محمد بن يزيد القرشي	٧٣.
محمد سليمان أيوب	١٠.
محمد قاسم بوحجام	٨، ٩، ١٠، ١٦٨.
مزور بن عمران	١٦٦.
المستشرق فرنشيسكا	٩٨.
مسدد الأسدي البصري	١٨٥.
مسعود الأندلسي	٢٠٩.
مسلمة بن مخلد	٧٢.
مصعب بن سدمان	٢٠٩.
معاذ بن جبل	٢١٢، ٢١٣، ٢٢٩.
معاوية بن أبي سفيان	٢٥، ٢٤، ٢٨، ٥٠، ٧١، ٧٢، ١٢٧.
معاوية بن حديج السكوني	٧١، ١١٩.

تابع فهرس الأعـــلام

المعتضد بالله	١٣٠، ٥٥.
المغيث بن الفائز	٢٨٤.
المغيرة بن بشر بن روح	١٢٠، ٨٢.
المقدسي	١٠٠، ٩٩.
مقرن البغطوري	١٧٣، ١١.
المقريزي	١٤١.
الملك خردلة بن سماعة	٢٥٤.
المنصور (الخليفة العباسي)	٨١، ٧٩.
منير بن النير الجعلاني	١٨٠.
المهدي (الخليفة العباسي)	٧٩.
المهلب بن أبي صفرة	٧٧، ٧٥، ٧٤.
المهنا بن جيفر	٣٧٧، ٣٠٥.
موسى بن أبي جابر الأزكوي	٣٧٧، ١٨٠، ٥٥.
موسى بن موسى بن علي الأزكوي	٢٢٨.
موسى بن نصير	٧٣، ٧٢.
مؤنسة	٣٢٧.
ناجية بن ناجية	١٩٢.
ناصر بن مرشد اليعربي	٣٧٨، ٣٧٧، ١٢٦.
نافع بن الأزرق الحنظلي	٣٦.
النجاشي	٢١.
نجدة بن عامر الحنفي	٣٦.
نصر بن حبيب الأزدي المهلبي	٨٢، ٨١.
نصر بن سجميمان النفوسي	٢٥٧، ١٩١.
الهادي (الخليفة العباسي)	٧٩.
هارون الرشيد	١٢٠، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٨٠.
هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي	٢٧٧.
هند بنت المهلب بن أبي صفرة	٣١٧.
الوارث بن كعب	٣٠٤.
واصل بن عطاء	١٨٦.
ياقوت الحموي	١١١، ١٠٢، ١٠٠.
يخلف بن يخلف النفوسي التمجاري	١٩١.
يزيد بن حاتم الأزدي المهلبي	٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٢٠، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦.
يزيد بن فندين اليفرني	٣٠٨، ٢٨١، ٢٠٩، ١٨٧.
يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب	٣٢١.
يوسف بن زيري	١٢٤.
يوسف بن وجيه	٥١.
يونس بن محمد	١٧٢.

فهرس البلدان والأماكن

أخميم	١٤٥.
أرمينية	٨١.
أريغ	٢٥٩.
الأسكندرية	١٠٢، ١٤٥.
إطرابلس، طرابلس	٤٦، ٦٦، ٧٨، ١٣١، ١٣٣، ١٤٥، ١٦٠، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٤، ٢١٧، ٢١، ٩، ٢٢٢، ٢٥٨، ٣٤٢.
أفريقية	١١، ٦٧، ٨١، ٨٢، ١١٩.
الأندلس	١١، ٤١، ٧٢، ١٣٧، ١٧٢، ١٧٥، ٢٧٢.
الأهواز	٢٦.
أوراس	١٧٩، ٤٦.
أوروبا	٩٩.
بحر العرب	١١٥، ٩٩.
بحر القلزم	١٠٢، ١١٦، ١١٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٦.
البحر المتوسط	٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١١٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٧، ٣٥٤.
بحر عمان	
البحرين	١٣٩، ١٠٩، ٤١.
برقة	٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧١، ١٠٢، ٢٧٢.
البصرة	١٤، ١١، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٧٨، ٧٩، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٠٢، ١٢٧، ١٢٩، ١٥٠، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٣٠٧، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٦٢.

بغداد	١٣، ١٢٣، ٩٩، ٩٢، ٨٠، ٧٧، ٥٤، ٢٩٣، ٢٤٦، ٢٠٦، ١٨٨، ١٣٧، ٤، ٣٥١.
بنزرت	١١٩، ٧١.
تاهرت، تيهرت	١١٢، ١١١، ١٠١، ١٠٠، ٤١، ٤٠، ١٦٥، ١٦٣، ١٦٢، ١٤٩، ١٤٨، ٢، ٢١٤، ١٨٣، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ٢٤٥، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٢٥، ٢٢٠، ١٩، ٣٥٣، ٣٤٩، ٣٤٣، ٢٧٣.
تجديت	٢٥٩.
تمزدا	٢١٦، ١٨٨.
توّج	٧٥.
تونس	٤٦، ٨٢، ١٢٠، ٢٣٤، ٢٧٦.
الجار	١١٥، ١٠٢.
جبال الأطلس	١١٠.
جبل دمرا	٢١٤.
جبل نفوسة	١٣٤، ١٤٠، ١٤٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧١، ١٨٨، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٥، ٢٤٥، ٣١٣، ٢٧٩، ٢٧٣، ٢٥٧، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٤٩،
الجحفة	١٠٢.
جدة	١٠٢، ١٠٩، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٤٦.
الجزائر	٣٨٢، ٣٧٢، ٢٣٤، ٩، ٨.
جزيرة جربة	٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٩، ٣٥٣، ٣٨١.
جزيرة كيش	١٤٢.
جلفار	١٤١، ١٢٩.
الجماهرية الليبية، ليبيا	٢٣٤، ١٠٧.
الحبشة	٢١، ١٠٢.
الحجاز	١٣، ١١٨، ٩٢، ٩١، ٨٩، ٨٨، ٤٥، ١٧٤، ١٥٩، ١٥٧، ١٥١، ١٤٠، ٩، ٣٦١، ٣٣٥، ٢٨٢، ١٨٥، .
الحرم المدني	٩٥، ١٠، ٢٨٣.

تابع فهرس البلدان والأماكن

الحرم المكي	١٠، ٢٤، ٢٨١، ٢٨٣.
حروراء	٢٣، ٢٤.
حضرموت	٦٥.
خراسان	٢٧، ٧٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٩٣، ٣١١.
الخليج العربي	١١٥، ١٠٢، ٩٩، ٩٨.
دبا	١٤١.
دمشق	٥٤، ٩٩، ١٢٣، ١٢٩، ١٣١، ٢٣٥، ٢٩٣، ٣٦٧.
دولة الأدارسة	٢٧٦، ١٢٤، ١٢٣.
دولة الأغالبة	٢١٩، ١٢٤، ١٢٣.
دولة بني حماد	١٢٤.
دولة بني زيري	١٢٤، ١٢٣.
دولة بني مدرار	١٢٤، ١٢٣.
الدولة الرستمية	١١، ٤٠، ٤١، ٥٥، ٥٨، ٨١، ٨٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١١١، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٨١، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٠، ٣٢١، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٥٣.
الدولة الفاطمية	٣٥٩، ١٣٩، ١٣٨، ٥٩.
الديار المقدسة	٢١، ١٩٣، ١٩١، ١٨٦، ١٧٥، ١٤١، ٣٦١، ٣٥٢، ٣٥١، ٣٤٣، ٢٨٠، ٤.
رأس أبي محمد	١١٨.
سبتة	٢٧٨.
سبيطلة	١٢٢.
سجلماسة	٤١، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ٣٠٨.
سرت	١٣١.
سمائل	٣٢١.
السند	٨١، ٧٩.
السودان	٤١، ٦٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١١١، ٣١٣، ٣١٢، ١٧٥، ١٢١.
سوسة	١١٩، ٧١.
سيراف	١٥٠.
الشام	١٣، ١١٨، ٩٩، ٩٢، ٧٨، ٦٥، ٦٤، ٢٧١، ١٤٩، ١٤٢، ٧.
الشحر	١١٣.
شرق أفريقيا	٣١١.
شيراز	١٥٠.
صحار	١٥٠، ١٣٠، ١٠٠، ٩٩، ٩٧، ٤٠، ٣٥٣، ٣٢١، ٢٢٢.
الصحراء الكبرى	١١٠.
الصعيد	١٤٥.
صنعاء	٩٩، ٤٩، ٣٥.
الصين	١، ١٠٢، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٦٤، ٤١، ٢٩٣، ٢٩٢، ٤٢.
طبرستان	٧٩.
طنجة	١٢١، ٧٢.
ظفار	٢٨٤، ٢٧١، ١٧٦، ١٧٥، ١٠٣، ٩٩، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٨، ٢٨٦، ٢٨٥، ٣٢، ٣١٤، ٢٩٦، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩٢، ٣٢٧، ٣، ٣٢٤.
عدن	١٤٢، ١١٥، ١٠٢، ١٠١.
عدوة الأندلس	٢٧٦.
العراق	١١، ١٠٠، ٩٢، ٦٤، ٤٢، ٣٨، ٣٧، ٢٣٤، ٢٠٦، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٤، ٨، ٣١٥، ٢٩٣، ٢٧١، ٢٣٥، .
عقبة منى	٢٨١.
عيذاب	١١٠، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٣٨، ١٤٦.
غدامس	١٧٩، ٤٦.
فارس	٣١١، ٢٩٣، ٦٤.
فزان	١٣٩.
الفسطاط	١٠٢.

تابع فهرس البلدان والأماكن

فلسطين	٧٩.
قابس	٧١، ١١٩، ١٣١، ١٣٩.
القاهرة	١٠٢.
قرطبة	٢٧٧.
قسطالية	١٧٠.
قطر	١٠١.
قلهات	٩٩، ١٠٠، ١١٣، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٢٨.
قنطرار	٢٥٩.
قوص	١١٧، ١٣٨، ١٤٥.
القيروان	٤٦، ٤٨، ٥٧، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٣، ١٤٥، ١٦١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٥١.
الكوفة	٧٨، ٧٩، ٣٥١.
المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)	٦٤، ١٠١، ١٠٠، ٧٢، ٣٥٤،
المحيط الهندي	٩٩، ٣٥٤
المدينة المنورة	٢١، ٨٩.
مدينة دما « السيب حاليا»	٢٥٩.
مرسى حاسك	٢٨٦، ٢٩٦.
مسندم	٢٧٨.
مشعر عرفات	٢٨١.
مصر	٧، ١٠، ٢٠، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٨١، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١١٥، ١١٩، ١٣٧، ١٣٨، ٢٢٢، ٢٧١.
مضيق باب المندب	١١٥.
مضيق جبل طارق	٩٩.
مضيق هرمز	٩٨، ٩٩.
معدن سليم	٤٥.
المغرب الأدنى	١٦٠.

المغرب الأوسط	٨٦، ١٠٠، ١٠١، ١١٠، ١٣٤، ١٦٠، ٢٧٢.
مكة المكرمة	١٤، ٨٨، ٢١، ٨٩، ٩١، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩، ١١٣، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٤، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٤٤.
المكتبة الإسلامية	٢٣٣.
المكتبة البارونية	٢٣٤.
مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي	٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٨، ٣٧٧، ٢٣٤، ٥.
مكتبة المعصومة	٢٤٥، ٣٤٩.
المملكة المغربية	٩٩، ١٠٧.
منى	١٨٧، ٢٧١، ٢٨١.
المهدية	٢٧٧.
نزوى	٢٨، ٢٨٥، ٢٨٤، ١٥١، ١٥٠، ١٣٠، ٣٥٣، ٢٩٥، ٢٩٠، ٧.
هجر	١٠١.
هرمز	٢٩٥، ٢٩١، ٢٨٤، ١٥٠، ١٣٠.
الهند	١١١، ١٠٣، ١٠٢، ١٠٠، ٩٩، ٤١، ٢٩٢، ٢٩٠، ١٤٢، ١١٦، ١١٥، ٢٩٣، .
وارجلان	١٠١، ٣٥٣.
اليمن	٢٢، ٢٣، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٦٥، ٧٩، ٩٢، ١٠٠، ١١١، ١٣٨، ١٤٢، ٢٥٨، ٢٩٢، ٣٠١، ٣٣٧.

فهرس القبائل والجماعات

الأزارقة	٣٦، ٣٨، ٧٥.
الأزديون (القبائل الأزدية)	٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٧، ٧٩، ٨٣.
أهل الاستقامة (أهل الدعوة، جماعة المسلمين)	٣٢، ٢١٢، ٢٢١، ٣٧٥.
أهل الكتاب	٣٥.
أولاد الريس	١٥١.
البدو، البداوة	١٤١، ١٤٣، ١٤٤.
البربر	١٠، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٧٢، ٧٢، ٧٤، ٨٠، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٩، ١٦٠، ٢٣٦، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٩، ٣٨١.
بنو العباس (العباسيون)	٣١، ٣٨، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٧٥، ٧٩، ٨٦، ١٢٠، ١٣٧، ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٥٢.
بنو أمية	١٣، ٢٦، ٣١، ٣٨، ٤٧، ٥٥، ٥٩، ٦٤، ٦٥، ١٢٨، ١٣١، ١٣٧، ٢٣٤، ٢٥٨، ٣٠٣.
بنو سليم	١٤٠، ١٤٧.
بنو كعب بن عمر	٦٩، ٧٠.
بنو مالك بن نصر	٦٩.
بنو نبهان (النباهنة)	٥٨، ١٧٦، ١٧٧، ٢٨٧.
بنو هلال	١٤٠، ١٤١، ١٤٧.
البيزنطيون	٦٦، ٧٠، ٧١، ٧٢، ١١٩، ١٢٢، ١٢٤.
التابعين	٧، ٤٢، ٦٤، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٨٨، ٩٢، ١٥٧، ٢٢٧.
حملة العلم	٥٥، ٩٣، ٩٤، ١٦١، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٢٥٦، ٣٤١، ٣٤٢.
الحنبلية	٤١.
الحنفية	٤١.
الخوارج	٣٥، ٥٦، ٧٥، ١٢٣، ٢٣٠.
الروم	٢٢، ٧٠، ٧١، ١١٩، ٣١٢.
الشافعية	٤١.
الشحوح	٢٧٨.
الشراة	٣٢٢، ٣٢٠، ٣١١، ٣١٠، ٣٠٩، ٤٤، ٣٦٣، ٣٥٤، ٣٢٨، .
الشلوح	٢٧٨.
الشيعة	٢٨، ٤٠.
الصحابة	٧، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٤٢، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ١١٨، ١٥٦، ١٥٧، ٢٢٧، ٢٥٠، ٣١٧، ٣٣٧.
الصفرية	٣٦، ٤١، ٥٦، ٥٧، ٧٦، ٧٧.
الصقالبة	١٢١، ٣١٢.
الصليبيون	١٣٧، ١٣٨، ١٤٢.
العبيد، الخدم	٥٠، ٢٨٨، ٢٩١، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٥٤، ٣٦٣،
العبيديون	٩٢.
العرب	٤٣، ٦٣، ٦٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١٣٦، ١٣٩، ١٧١، ٣١١، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧.
العزابة	٥٨، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٠٩، ٣١١، ٣٥٤.
الفازانية، خدام النخل	٢٨٨.
الفرس	٢٢، ٧٧، ٣٣٧.
قبيلة أسلم	٦٩، ٧٠.
قبيلة الباروني	٢٧٣.
قبيلة البرواني	٢٧٣.
قبيلة الحارثي	٢٧٧.
قبيلة الحميري	٢٧٧.
قبيلة الراسبي	٦٩.
قبيلة الراشدي	٢٧٧.
قبيلة الزبيدي	٢٧٧.
قبيلة الزواوي	٢٧٧.
قبيلة السالمي	٢٧٧.
قبيلة الشكيلي	٢٧٧.
قبيلة العبري	٦٥.
قبيلة العزفي	٢٧٧.
قبيلة العلوي	٢٧٧.
قبيلة الغساني	٢٧٧.
قبيلة جهينة	٦٩، ٧٠.

تابع فهرس القبائل والجماعات

قبيلة غنث	٦٩، ٧٠.
قبيلة مزينة	٦٩، ٧٠.
قبيلة مهرة	٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ١٤٢.
قبيلة ميدعان	٦٩، ٧٠.
قبيلة نفزاوة	٤٦، ١٧٩.
قبيلة نفوسة	١٣٢، ١٦٠، ١٨٨، ١٨٩، ٢٤٥، ٣١٠، ٣٣٧، ٣٨١.
قبيلة هوارة	١٣٢، ١٦٠.
قبيلة وارفجومة	٤٨، ٥٧، ٧٤، ١٢٢.
القراصنة	١٣، ١٤١، ١٤٢.
القرامطة	١٤٠، ١٤١.
قريش	٢١.
قطاع الطرق	١٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ٢٨٦، ٢٨٧.
القعدة	٣٦.
المالكية	٤١.
المجاورون	١٠، ٨٨، ٩١، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٣،
المجوس	٢٢.
المحكّمة	٢٥، ٢٦، ٣٦، ٣٧، ٢٥٦.
المذاهب السنية، المذهب السني، أهل السنة	٣٤، ٤٢، ٤٤، ٢٩٥، ٣٤٣.
المذهب الإباضي، الإباضية	٩، ١٠، ١١، ١٣، ٣٩، ٤١، ٤٨، ٥٤، ٥٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٠٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٧٢.

المشارقة	٠، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٥٨، ١٦٧، ١٨٧، ٢٨٠، ٣٤٠، ٣٤٣.
المعتزلة	٢٨، ٤٠، ١٨٦.
المغاربة	١٠، ١٤، ٢١، ٤٦، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٤، ١١٩، ١٢١، ١٣٨، ١٢٢، ١٥٨، ١٦١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٦، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٢٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٦٠، ٣٥٣، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٧.
المماليك	١٣٧، ١٣٨.
المهالبة	٦، ٩، ١١، ١٣، ٧٤، ٨٠، ٨٣، ١٠٤، ١٢٠، ١٦٠، ١٦١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩٦، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٢.
النجدات	٣٦.
النصارى	٢٢، ١١٩، ٣١٧.
النهروان	٢٤، ٢٢، ٢٥، ٣٥، ١٢٧، ٣٣٤، ٢٦٠، ٣٣٩.
النورمان	١٤٧،
الهنود	١٤١، ١٤٢، ٣١١.
اليهود	٢١، ٣١٩، ٣٢٠.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٦
الباب الأول: التواصل بين عُمان وبلاد المغرب الحوافز والموانع	**١٧**
الفصل الأول: الفكر التواصلي في المذهب الإباضي	**١٩**
١- مفهوم التواصل	١٩
٢- المرجعية الإسلامية في الفكر التواصلي عند العُمانيين والمغاربة	٢١
٣- المنهج الحواري في الفكر الإباضي والبعد عن التعصب	٢٣
أ- المنهج الحواري في الفكر الإباضي	٢٣
ب- البُعد عن التعصّب وتقبّل الآخر	٣٢
٤- البُعد السلمي والتعايش مع الآخر في الفكر الإباضي	٣٥
٥- التقارب الفكري بين المذهب الإباضي والمذاهب السنية	٤٢
٦- القيم والأخلاق السامية في الفكر الإباضي كعامل استقطاب للآخر	٤٥
٧- دور الفكر الإباضي في تكوين رؤية مشتركة بين عُمان وبلاد المغرب	٥٤
الفصل الثاني: حوافز التواصل بين عُمان وبلاد المغرب	**٦١**
١- الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب والمساهمة العُمانية فيها	٦٣
٢- آل المهلب العُمانيون ولاة على بلاد المغرب	٧٣
أ- عمر بن حفص بن عثمان الأزدي	٧٦
ب- يزيد بن حفص بن عثمان الأزدي	٧٨
ج- روح بن حاتم الأزدي	٨٠
د- نصر بن حبيب الأزدي	٨١
هـ- الفضل بن روح بن حاتم الأزدي	٨٢
٣- المذهب الإباضي	٨٣

تابع فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٤- الحج	٨٨
٥- الرحلة في طلب العلم	٩٢
٦- الرحلات التجارية وطرق المواصلات	٩٨
الفصل الثالث: موانع التواصل بين عُمان وبلاد المغرب	**١٠٧**
١- الموانع الطبيعية	١٠٩
أ- البُعد الجغرافي بين عُمان وبلاد المغرب	١٠٩
ب- دور التضاريس في إعاقة التواصل	١١٠
ج- سوء المناخ وشحّ المياه إحدى صعوبات التواصل	١١٣
د- الطريق البري وأخطاره الطبيعية المتنوعة	١١٥
هـ- مشكلات الطريق البحري	١١٧
٢- الموانع السياسية والأمنية	١٢٠
أ- سوء سياسة بعض خلفاء الدولة الإسلامية وولاتها في بلاد المغرب	١٢٠
ب- الاضطرابات السياسية في بلاد المغرب وعُمان	١٢٤
ج- مضايقة الدولتين الأموية والعباسية للإباضية في المشرق وبلاد المغرب	١٢٨
- مضايقة الدولتين الأموية والعباسية للإباضية في المشرق	١٢٨
- مضايقة الدولتين الأموية والعباسية للإباضية في بلاد المغرب	١٣٣
د- الموانع الأمنية في الطريق البري والبحري بين عُمان وبلاد المغرب	١٣٧
- أثر الصراعات السياسية على حركة التنقل	١٣٨
- خطر قطاع الطرق	١٤١
- خطر القرصنة	١٤٣
٣- الموانع الاقتصادية والاجتماعية	١٤٥

تابع فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
أ- البداوة وقلة الإمكانيات والاشتغال بأمور الحياة اليومية	١٤٥
ب- الضرائب والإهانات التي كان يجدها المسافر المتنقل بين المشرق والمغرب	١٤٦
ج- الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي كانت تعيق التنقل بين عُمان وبلاد المغرب	١٤٩
الباب الثاني : الصلات الثقافية بين عُمان وبلاد المغرب	**١٥٥**
الفصل الأول: الرحلات العلمية المتبادلة بين علماء عُمان وعلماء بلاد المغرب	**١٥٧**
الرحلات واللقاءات العلمية بين علماء عُمان وعلماء بلاد المغرب	١٥٨
١- الرحلات العلمية للعُمانيين إلى بلاد المغرب وما نتج عنها من لقاءات علمية	١٦٠
٢- الرحلات العلمية المغربية نحو العلماء العمانيين	١٧٥
أ- الرحلات واللقاءات العلمية للمغاربة إلى عُمان	١٧٦
ب- الرحلات العلمية المغربية نحو علماء عُمان المقيمين في البصرة وما نتج عنها من لقاءات علمية	١٧٩
ج- رحلات علماء عُمان والمغرب العلمية إلى مكة المكرمة وما نتج عنها من لقاءات علمية	١٨٧
الفصل الثاني: تبادل الرسائل والفتاوى بين العُمانيين والمغاربة	**١٩٧**
أولا: الرسائل والفتاوى المغربية الموجهة إلى العُمانيين ورد أهل عُمان عليها	٢٠٠
أ- حول إشكالية الرسالة المبعوثة من أهل المغرب إلى العُمانيين في قضية الولاية والبراءة	٢٠٠
- رسالة أبي عبيدة مسلم إلى أهل المغرب في قضية الولاية والبراءة	٢٠٣
ب- رسالة من أهل المغرب تحوي مسائل فقهية	٢٠٥
- رد أهل المشرق على رسالة أهل المغرب في مسائل فقهية	٢٠٦
ج- الرسائل الموجهة من العُمانيين إلى أهل المغرب في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(١٧١هـ/٧٨٨م-٢٠٨هـ/٨٧٢م)	٢١٠
١- رسالة أهل المغرب إلى العُمانيين في مسألة من اعترض على إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن	٢١١
- رسالة في الرد على من أنكر إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن	٢١٢

تابع فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢- استفتاء من الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن في إمكانية ذهابه لأداء مناسك الحج	٢١٦
- رد على رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن في حكم ذهابه إلى الحج	٢١٧
٣- رسالة أهل المغرب إلى العُمانيين في أمر خلف بن السمح	٢١٨
- الرسالة الجوابية لأهل المشرق في قضية خلف بن السمح	٢٢١
- رسالة من أبي عيسى الخراساني في قضية خلف بن السمح	٢٢٢
د- رسالة من أهل المغرب إلى عُمان حول مسائل فقهية	٢٢٤
- رد العلامة محمد بن محبوب العُماني على مسائل أهل المغرب الفقهية	٢٢٨
هـ- رسالة من أهل المغرب إلى إخوانهم العُمانيين في قضية الصلت بن مالك	٢٣٠
ثانيا : الرسائل والفتاوى العُمانية الموجهة إلى بلاد المغرب وردّ أهل المغرب عليها	٢٣٤
أ- رسائل الإمام جابر بن زيد العُماني إلى أهل المغرب	٢٣٤
ب- رسالة من أهل عُمان إلى أهل المغرب يطلبون فيها كتاب يحوي تاريخ المذهب في بلاد المغرب	٢٣٧
ج- رسالة من أهل عُمان إلى العلامة أبي مهدي بن عيسى بن إسماعيل المغربي	٢٣٨
الفصل الثالث: تبادل الكتب وانتقال الآراء والأفكار بين عُمان وبلاد المغرب	**٢٤١**
١- تبادل الكتب بين العُمانيين وأهل المغرب	٢٤٣
أ- الكتب العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب	٢٤٤
- الكتب الفقهية والعقدية العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب	٢٤٤
- كتب الحديث العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب	٢٥١
- كتب التاريخ والسير العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب	٢٥٣
- كتب اللغة والأدب العُمانية المنتقلة إلى بلاد المغرب	٢٥٤
- كتب عُمانية تحث على طلب العلم انتقلت إلى بلاد المغرب	٢٥٥
ب- الكتب المغربية المنتقلة إلى عُمان	٢٥٥

تابع فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
- كتب الفقه والعقيدة المغربية المنتقلة إلى عُمان	٢٥٦
- كتب التاريخ والسير المغربية المنتقلة إلى عُمان	٢٥٧
٢- انتقال الأفكار والآراء بين العُمانين وأهل المغرب	٢٥٧
أ- انتقال الآراء والأفكار العُمانية إلى أهل المغرب	٢٥٧
- الآراء والأفكار الفقهية والعقدية العُمانية التي أخذ بها أهل المغرب	٢٥٨
- الآراء والأفكار المذهبية العُمانية التي أخذ بها أهل المغرب	٢٦٠
ب- انتقال الآراء والأفكار المغربية إلى عُمان	٢٦٢
- الآراء والأفكار الفقهية والعقدية المغربية التي انتقلت إلى عُمان	٢٦٢
- الآراء والأفكار المذهبية المغربية التي انتقلت إلى عُمان	٢٦٥
الباب الثالث: مظاهر العلاقات الاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب	**٢٦٩**
الفصل الأول: الرحلات الاجتماعية والإقامة والهجرات المتبادلة بين العُمانيين والمغاربة	**٢٦٩**
الرحلات الاجتماعية المتبادلة بين العمانيين والمغاربة	٢٧٢
أ- الهجرات الاجتماعية نحو بلاد المغرب	٢٧٣
١- الرحلات والهجرات ذات الطابع الاجتماعي للعُمانيين نحو بلاد المغرب	٢٧٣
٢- هجرة آل المهلب العُمانيين إلى بلاد المغرب	٢٧٥
ب- الرحلات ذات الطابع الاجتماعي للمغاربة إلى العُمانيين	٢٧٩
ج- رحلات ذات طابع ديني اجتماعي	٢٨٠
١- اهتمام طبقات المجتمع العُماني والمغربي بحضور الموسم	٢٨٠
٢- مظاهر الإخاء بين إباضية عُمان وبلاد المغرب أثناء مناسك الحج	٢٨٢
٣- المجاورون الإباضية ودورهم الاجتماعي في تعميق الترابط بين أهل عُمان وبلاد المغرب	٢٨٤
د- رحلة ابن بطوطة كمشهد بارز من مشاهد التواصل الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب	٢٨٥

تابع فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
أ– طبقات المجتمع العُماني كما وصفها ابن بطوطة	٢٨٦
١- الطبقة الحاكمة في عُمان	٢٨٦
٢- طبقة العامة في عُمان	٢٨٧
٣- المرأة العُمانية	٢٨٩
٤- العبيد والخدم	٢٩٠
ب– العادات والتقاليد العمانية في نص رحلة ابن بطوطة	٢٩١
ج– النشاط الاقتصادي والخدمات الأساسية في عُمان كما وصفه ابن بطوطة	٢٩٤
د– الجانب الديني والتعليمي في عُمان كما وصفه ابن بطوطة	٢٩٦
الفصل الثاني: تشابه مظاهر الحياة الاجتماعية بين عُمان وبلاد المغرب	**٣٠١**
أولا: تشابه المجتمع العُماني والمغربي نتيجة الوحدة المذهبية	٣٠٣
١- تشابه الوضع الاجتماعي والأخلاق السياسية للإمام (الحاكم) الإباضي في المجتمعين العُماني والمغربي	٣٠٤
٢- أوجه الشبه بين دور طبقات المجتمعين العُماني والمغربي	٣٠٨
أ– طبقة العلماء	٣٠٩
ب– طبقة الشراة في عُمان والعزابة في بلاد المغرب: علاقات تماثل في الأدوار	٣١١
ج– العبيد والخدم وتشابه طرق انخراطهم في المجتمعين العُماني والمغربي	٣١٣
د– تشابه دور المرأة العُمانية والمغربية داخل مجتمعيهما، خاصة في المجال المعرفي	٣١٦
هـ– تشابه مواقف طبقة العامة من الأئمة والعلماء	٣٢٢
ثانيا :تشابه العادات والتقاليد في المجتمع العُماني والمغربي	٣٢٦
١– التشابه في الأزياء	٣٢٦
٢– التشابه في الأطعمة	٣٢٨
٣– التشابه في الأسماء	٣٢٨

تابع فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٤– التشابه في اللهجات وطريقة النطق	٣٢٩
٥– تشابه في طرق التزيين والفنون	٣٣٠
الفصل الثالث: نتائج التواصل الثقافي والاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب	**٣٣٣**
١- نتائج التواصل الفكري بين عُمان وبلاد المغرب نتيجة المذهب الواحد	٣٣٥
٢- نتائج التواصل الثقافي بين عُمان وبلاد المغرب	٣٤٢
أ– نتائج التواصل الثقافي عبر الرحلات العلمية	٣٤٣
ب– نتائج التواصل الثقافي عبر تبادل الرسائل	٣٤٧
ج– نتائج التواصل الثقافي عبر الكتب والآراء المتبادلة	٣٥٠
٣- نتائج التواصل الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب	٣٥٢
أ– نتائج التواصل الاجتماعي بين عُمان وبلاد المغرب عبر الرحلات ذات الطابع الاجتماعي	٣٥٣
ب–أهم النتائج الاجتماعية المترتبة على تشابه المذهب في عُمان وبلاد المغرب	٣٥٦
الخاتمة	٣٥٩
الملاحق	٣٦٧
نماذج من الرسائل والمسائل الفقهية والقصائد الشعرية المتبادلة بين العمانيين وأهل المغرب	٣٧٥
المصادر والمراجع	٣٨٥
الفهارس العامة	٤١٣

تم بحمد الله